محاضرة الأوائل
ومسامرة الأواخر

تأليف

العلامة الشَّيخ علاء الدِّين على دده

السَّكتوارى البسنوى

إعداد وتحقيق

سمير بسيونى

الكتـــــاب : محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر

تأليــــف : الشيخ علاء الدين على دده

تحقيـــــق : سمير بسيونى

الناشـــــر : (مكتبة الإيمان)

تليفـــون : ٢٢٥٧٨٨٢

المنصــــورة : ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٠١٩٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-290-332-6

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

تم الاعتماد على نسخة مطبوعة بالحجر بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣١١هـ .

وهى من مكتبة الوالد [إبراهيم بسيونى] عليه رحمة الله ويبدو أن هذه هى الطبعة الوحيدة للكتاب . فلم أجد طبعات أخرى غيرها . ويلاحظ :

١ - الكتابة بدون علامات ترقيم ، ولا يفصل بين الخبر والآخر سوى نجمة .

٢ - معظم الأسماء بها تصحيف .

٣ - الأخبار الواردة غير محققة .

٤ - لم يتدخل مصحح الكتاب إلا نادراً [ص٣٨ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٢٥٨] .

نظراً لأن المؤلف ذكر المصادر التى اعتمد عليها وأهمها كتاب السيوطى عن الأوائل فقد قمت بمراجعة الأخبار التى أوردها على هذا الكتاب بصفة أساسية وفى بعض الأحيان يكون التلخيص الذى قام به المؤلف غامضا وهنا ننقل من السيوطى مباشرة مع الإشارة إلى ذلك .

وفى حالة وجود الخبر فى مصدر آخر نقارن بين الخبرين وتتم الإضافة فى الهامش إذا احتاج الأمر إلى ذلك .

وقد استعنا من كتب الأوائل بالإضافة إلى كتاب السيوطى [الوسائل إلى معرفة الأوائل] .

- الأوائل للطبرانى - أبو القاسم سليمان بن أحمد [٣٦٠] .

- الأوائل لأبى هلال العسكرى [٣٩٥] .

- الإتقان فى علوم القرآن - الباب الخاص بالأوائل .

بالإضافة إلى كتب الحديث وخاصة صحيح البخارى وصحيح مسلم . وكتابى السيوطى والتى اعتمد عليها المؤلف [الجامع الصغير ، والجامع الكبير] ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وكتب التفسير ، ونهاية الأرب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ، ومعاجم اللغة وغيرها مما هو مثبت فى المراجع فى نهاية الكتاب .

❖ بعض عبارات الكتاب ينقصها كلمة أو أكثر حتى يستقيم المعنى . وتمت الإضافة بين قوسين .

❖ تم تخريج آيات القرآن الكريم وأثبتنا أرقامها وسورها .

❖ تم تخريج أحاديث الكتاب .

❖ عرفنا ببعض الأعلام الواردين فى الكتاب ولم نُعرف الكل وذلك حتى نبعد عن الإطالة وتتضاعف صفحات الكتاب .

وصف نسخة الكتاب

❖ تشمل الصفحة على ٢٧ سطرا ، وكل سطر يحتوى على حوالى ١٣ كلمة . والكتاب من ٢٦٤ صفحة .

❖ **جاء فى صفحة العنوان :**

قال فى كشف الظنون أنه فُرغ من تأليفه فى شهر رجب ٩٩٨ .

❖ وجاء فى الصفحة الأخيرة قبل الفهرس (٢٦١)

"وقيل آية الحمد مفتاح كل كلام ، ومصباح كل ظلام وبه الافتتاح والاختتام ، فاقتضت البداية مطابقة النهاية ، وقيل آية الحمد صدر كل كتاب ، ونور كل خطاب ، وبه يتم الكتاب وفقنا الله إلى طريق الرضا والصواب ، وإليه المرجع والمآب ، الحمد لله أكمل حمداً أولاً وآخراً ، وأفضل الصلاة على من لا نبى بعده باطناً وظاهراً محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم احشرنا معهم تحت لواء الحمد يوم الدين آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

❖ ثم تم تذييل الكتاب بالفقرة الآتية .

"تم طبع هذا الكتاب المستطاب ، بعون الملك الوهاب ، بالمطبعة العامرة الشرفية التى مركزها بمصر (خان أبى طاقية) على ذمة المحترم الفاضل : الشيخ محمد عبد الواحد الطوبى كان الله له ، وبلغه أمله فى شهر صفر الخير ١٣١١هـجرية على صاحبها أفضل الصلاة ، وأزكى التحية .

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن تقدم للقارئ هذا الكتاب الذى جمع أكثر من مؤلف فى مجال الأوائل . وزاد فيه فصولا عن الأواخر وهو ما يميزه عن الكتب الأخرى ، وعلى الله قصد السبيل .

سمير بسيونى

المنصورة شوال ١٤٢٤ هجرية

مؤلف الكتاب : على دده [1]

هو على دده بن مصطفى علاء الدين البوسنوى شيخ النزية .

ولد فى موستار بالبوسنة ، ودخل فى طريقة الخلوتية على الشيخ "مصلح الدين" وصار من جملة خلفائه ، وعاصر السلطانين "سليمان ومراد ، وتتلمذ على الشيخ "ابن نور الدين " [2]

توفى بقلعة صولنج عام١٠٠٧ هـ

ومن أهم كتبه :

١- محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر ، وهو مبنى على كتاب السيوطى فى الأوائل . وكان تأليفه عام ٩٩٨هـ وطبع بمصر سنة ١٣١١هـ ، بالمطبعة العامرة الشرفية ، ومنها نسخ فى مكاتب أوربا . وكان قد أخرج كتابا بنفس الاسم قبل ذلك . ثم أعاد ترتيبه وأضاف إليه كما ذكر ذلك فى المقدمة .

٢- الرسالة المقامية المكية : فى برلين .

٣- خواتيم الحكم فى حل الرموز ، وكشف الكنوز : فيها ٣٦٠ سؤالا من لطائف الأسئلة الحكيمة والأجوبة العلمية فى ٤٤٠ صفحة مذهبة . وطبع بمصر [3]

٤- كتاب بعنوان : "مواقف الآخرة" .

وكان آخر عمل تولاه كما هو ثابت على كتابه : "خادم مشهد المرحوم المبرور السلطان سليمان بقرب حصن سكتوار ، وشيخ زاويته .

---

(١) أنظر خلاصة الأثر ٢٠٠ج٣ ، وأنظر أيضا جرجى زيدان /تاريخ اللغة العربية /٣٣٩/٣ - دار الهلال .

(٢) قال عنه ص ٣٢٠ : شيخى وأستاذى ابن نور الدين قدّس سره وأفادنا من علومه ومدده ، ويبدو أنّه كان إماما يجامع (أيا صوفيا) وهو شبيه ب(الأزهر) عندنا الآن يقول ص٣٦٥ (ص٢٠٠ الكتاب الاصلى) : سمعت من أستاذى فى مجلس وعظه بجامع أيا صوفيا حين عيره ورماه بعض أهل الرياسة حسدا.) انظر الكتاب

(٣) هكذا قال جرجى زيدان . ولم يتبت : أين طبع ، ومتى؟

ونسبته السكتوارى . نسبة إلى المكان [١] ، أما البسنوى فنسبة إلى إقليم البوسنه : المعروف حاليا [٢] .

زمن تأليف الكتاب :

جاء فى كشف الظنون : أنه فُرغ من تألفه عام ٩٩٨هـ . ومعنى هذا أنه أُلف فى القرن العاشر الهجرى . ويثبت ذلك :

أولاً : قال المؤلف فى ص ١٤٥ [٧٩ الكتاب الأصلى]

"ونحن اليوم بحمد الله ، ومنة منه ، فى زمان دولة المجاهد - قامع عروق الرفض ، ورافع أعلام السُّنَّة شرقاً وغرباً ، فُرسا وعُربا ، فى سنة سبع وتسعين وتسعمائة - أعنى السلطان مراد خان ، ابن السلطان سليم بن سليمان خان على أجداده المجاهدين الرحمة والرضوان" .

ثانياً : ذكر قصة حدثت له أثناء الحديث عن كفاح سليمان الفاتح تؤكد هذا التاريخ ، قال ص٨١ "فى اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وتسعمائة . وقعت حادثة غريبة وقعت [أثناء] تحرير هذا العمل ، [عندما] انتهى خطى لهذا الكتاب ، إلى آخر هذه الصحيفة ، القصة"

---

(١) يقول ص٣٤٠ (١٨٤ فى الكتاب الأصلى) : أوّل خانقاه بنيت بدار الرباط فى رباط بدون (هكذا) عند حصن سكتوار حماه الله إلى يوم القرار ، بناه الوزير الأعظم السعيد الشهيد : محمد باشا سنة ثلاث وثمانين وتسعمائه . سمعت منه مرة ، قال : بنيتها بإشارة السلطان سليمان الغازى ، عند مشهده هناك فى رؤياى ، وبإشارة العارف المرشد المكمل الشيخ : ابن نور الدين (ذكره قبل ذلك كأستاذ له) قدّس الله سره ، وأشار لى بخدمة الزاوية ، وأنا الفقير خادم تراب أقدم الفقراء نفعنا الله به ، وبعلومه ، آمين .

(٢) وهو ما يعرف اليوم بإقليم البوسنه والهرسك .

❖ - يقول ص ٣٩٨ : (ص٢٢٣ الكتاب الأصلى) : قال الغزالى : إنّما يدعى بالرسل للسؤال ، بعد الحكم بين البهائم ومصيرها ترابا والتفصيل فى ذلك فى " البدور السافرة للسيوطى " و " مواقف الآخرة " لكاتب الرسالة . فليطلب ثمة لأن الغرض من كتابى هذا إجمال تواريخ الكونين

المصادر التى اعتمد عليها المؤلف فى كتابه

أول هذه المصادر وأهمها هو كتاب الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى [٨٤٩ - ٩١١ هـ]: الوسائل إلى معرفة الأوائل [١] .

كما اعتمد أيضاً على :

١ - الجامع الصغير للسيوطى .

٢ - الجامع الكبير للسيوطى .

هذا فضلاً عن الكتب التالية والتى أشار إليها المؤلف فى مقدمته للكتاب :

١- تحفة اللباب .

٢- تاريخ الخلفاء : ولعله يقصد كتاب "تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة" للسيوطى وطبع بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ[٢] .

٣- سير الملوك : ولم أجد كتابا بهذا الاسم ، وقد يقصد كتاب الطبرى [٢٢٤ - ٣١٠] تاريخ الرسل والملوك وطبع بدار المعارف بمصر ١٩٦٠م .

٤- كنز الأسرار . ويبدو أنه كتاب لابن العربى .

٥- تاريخ الحكماء والفقهاء والنحاة .

وقد يقصد "جامع التواريخ" وهو كتاب فارسى حققه الدكتور خائب بابانى . وهو من تأليف رشيد الدين فضل الله الهمذانى [ت : ٧١٨هـ] نشر بهمن ميرزا - كريمى - ازنشريات كتابخانه /مركزى طهران . وقد ترجمه : محمد صادق نشأت ونشر بالقاهرة

---

(١) يقول ص ١٩٠ : أوّل من صنف فى علم البدء والأوائل الإمام العسكرى . ثم لخصها السيوطى وزاد عليها نحو ثلاثة كراريس ، وأنا الفقير رتبت كتابى هذا ، وزدت فيه من أخبار الأوائل والأواخر أصناف كثيرة مما لا تجد فى غيره ا . هـ .

(٢) طبعته مكتبة الإيمان بالمنصورة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣) فى مجلد بتحقيق عبد الله المنشاوى .

عـام ١٩٦٠هـ . . وخاصـة أنه فـى ثـنايا الكـتاب يرجع بعض الأخبار إلى كتب يسميها : بهجة التواريخ /زبدة التواريخ/أصول التواريخ .

٦- تاريخ الجوهر الثمين فى سير الخلفاء الراشدين : لم يذكر مؤلفه . ولم نهتد إليه . ولعله يقصد كتاب السيوطى الذى أشرنا إليه سابقاً . وهو يشير إليه فى ثنايا الكتاب بـ : [التاريخ الثمين ، تاريخ الجوهر الثمين ، الجوهر الثمين] .

٧- المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة :

ويوجد كتاب للسيوطى باسم [حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة] .

٨- "مزهر اللغة" : وهو : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى .

وهناك كتب أخرى رجع إليها فى كتابة أخباره وهى :

- أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار - لمحمد بن عبد الله الأزرقى .
- تلقيح فهوم أهل الأثر - لابن الجوزى .
- تهذيب ابن عساكر .
- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .
- حياة الحيوان للدميرى .
- الحيوان للجاحظ .
- المستطرف للأبشيهى .

❖ وفى بعض الأحيان يذكر الكتاب دون إسناده لصاحبه ، أو يذكر اسم فصل من كتاب ، أو جزء من اسم الكتاب ، نحو "شرح الشمائل" ثم يذكر عند خبر آخر "ذكره ابن حجر فى الشمائل النبوية ، ويسند خبر آخر إلى ابن حجر فيقول : ذكره الحافظ ابن حجر فى "نزهة الألقاب" .

❖ يسند أخباراً إلى "أصول التواريخ" وأخرى إلى "بهجة التواريخ" وأخرى إلى زبدة التواريخ" ولم نستدل على هذه الكتب .

❖ يسند أخباراً إلى "الجوهر الثمين" ، وأخرى إلى "التاريخ الثمين" ، وأخرى إلى "تاريخ الجوهر الثمين" .

❖ يسند أخباراً إلى كتاب "بيت المقدس" ، وأخرى إلى كتاب "تاريخ القدس" . .

يذكر كتاب الشفاء ، ثم يقول: قال القاضى فى الشفاء ويبدو أنه يقصد "الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى أبو الفضل عياض" .

❖ أسند خبراً إلى [صاحب كشف الكشاف فى شرح البردة فهل يقصد كتاب الكشاف للزمخشرى؟] .

❖ يسند أخباراً كثيرة إلى أعلام لهم أكثر من كتاب فيقول مثلاً : ذكره ابن الجوزى ، والسيوطى وغيرهما ، ذكره السيوطى والطبرى وغيرها .

❖ أو يقول: أخرجه السيوطى فى علوم الآخرة .

- كذا حقق المحققون فى كتب المعانى .

- ذكره القاضى البيضاوى فى نظام التواريخ ثم يذكر: تاريخ البيضاوى .

- قاله الواقدى ، قاله المدائنى: فهل يقصد كتاب الأوائل له؟

❖ أما بالنسبة لكتاب الفتوحات المكية لابن العربى فهو يذكره فى أكثر من موضع :

يقول . . ذكره الشيخ الأكبر ، الفتوحات ، الفتوحات المكية .

❖ يسند بعض الأخبار إلى:

- كتب التواريخ ، تاريخ الملوك ، تاريخ سير الملوك .

أو يقول ذكره القاضى فى تاريخه ، ذكره القاضى البيضاوى فى نظام التواريخ ولهذا اضطررنا إلى البحث فى كتب أخرى لتحقيق هذه الأخبار . وكان العمل شاقا .

منهجه فى أخبار الأوائل والأواخر

قلنا أنه اعتمد بصفة أساسية على كتاب الأوائل للسيوطى ، حيث قال: "لما اطلعت على كتاب لطيف فى معرفة الأوائل للإمام الحبر الهمام ، والعالم المتقن الفهام ، أستاذ المتأخرين ، وخاتم المجتهدين جلال الملة والدين عبد الرحمن السيوطى

تغمده الله برحمته ، جعلت كتابى هذا ، ولخصته من كتابه المذكور ، وحذفت أسانيد الأخبار ، والزوائد والتكرار وأسماء الكتب المنقولة عنها بناء على الأصل ، وتسهيلاً للضبط والنقل ، وزدت فى كتابى هذا من الأخبار أصنافاً مما استخرجته من الكتب المعتبرة" ص٣ .

ونحن إذ رجعنا إلى كتاب "الوسائل إلى معرفة الأوائل" للسيوطى - نجده قد اعتمد على كتاب الأوائل للعسكرى ، يقول السيوطى : "فهذا كتاب لطيف جامع للأوائل لخصت فيه كتاب "الأوائل" للعسكرى ، وزدت عليه أضعافه . . " .

معنى هذا أن المصدر الأساسى هو كتاب الأوائل للعسكرى مع إضافات للسيوطى . وللأسف فإن كتاب العسكرى حوى أخباراً معظمها أساطير نقلها من الكتب التى سبقته دون تحليل لها . بل اكتفى بنسبتها إلى قائلها .

"وكان حشد هذه الروايات التاريخية . . أمراً درج عليه كثير من المؤرخين الأوائل ومن بعدهم ، فقد حشد "ابن الحكم" فى "فتوح مصر" طائفة من الأخبار الموضوعة التى هى أقرب إلى نسج الخيال منها إلى الرواية التاريخية الصحيحة ، كالحديث عن نوح عليه السلام ، وأولاده وبلاد مصر ، وقراها التى سميت باسم هؤلاء الأولاد ، وغير ذلك من الروايات التى تفتقر إلى التمحيص العلمى . وكذلك فعل المقريزى فى افتتاح خططه حين تحدث عن مصر ، ولم سميت بذلك؟ " .

ونقل عن السيوطى ، وأيضاً من جاء بعده .[(١)]

الكتب المؤلفة عن الأوائل

١- الأوائل : لأبى منذر ، هشام بن محمد بن السائب الكلبى (٢٠٤هـ) - ذكره ياقوت فى معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢٥٢/٧) . وهذه الكتب ذكرهم البغدادى . تاريخ بغداد [١ - ١٤] . القاهرة ١٩٣٠ م ، تقييد

(١) أنظر : السيوطى / الوسائل إلى معرفة الأوائل / بتحقيق د . إبراهيم العدوى والدكتور على محمد عمر ص٤ /الخانجى/ القاهرة .

العلم ، تحقيق د . يوسف العش - دمشق ١٩٤٩ م .

٢- الأوائل والأقاويل . لأبى اسحاق بن سليمان ، الطيب القيروانى المصرى [٢٢٥] هـ .

٣- الأوائل : للمدائنى [ت٢٢٥هـ] ذكره ياقوت فى "معجم الأدباء : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - ٧/٢٥٢ .

٤- الأوائل : لأبى عروبة ، الحسين بن عمر الحّرانى (٣١٨هـ) .

٥- الأوائل - لأبى هلال العسكرى (٣٩٥هـ) نشر بتحقيق : محمد السيد الوكيل - دار البشير - المنصورة - ط أولى ١٤٠٨هـ ، وانظر جرجى زيدان - تاريخ أدب اللغة العربية ٢/ ٢٨٦ .

٦- الأوائل . محمد بن أبى القاسم الراشدى [٦١١هـ] ذكره حاجى خليفة .

٧- غاية الوسائل إلى معرفة الأوائل - لإسماعيل بن هبة الله بن أبى الرضا ، المعروف باسم باطيش الموصلى (٦٥٥هـ) . مخطوط : بمكتبة أحمد الثالث - استانبول ١/٢٩٥٧ ، ونسخة مصورة بمكتبة الأوقاف ببغداد . وتوجد نسخة بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٣٥١ . وهو مرتب على حروف المعجم .

٨- الوسائل إلى معرفة الأوائل - لبدر الدين محمد بن عبد الله الدمشقى الشبلى (ت ٧٦٩هـ) . وقد اختصره : إبراهيم بن عمر السوينى [٨٥٨هـ] وتوجد نسخة منه بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٤٤٥ . كشف الظنون : ٢/٢٠٠٧ .

٩- الأوائل . ابن الخطيب داريا ، محمد بن أحمد بن سليمان بن يعقوب [٨١٠هـ] . كشف الظنون : ١/١٩٩ .

١٠- إقامة الدلائل على معرفة الأوائل - لشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على المعروف بـ : ابن حجر العسقلانى [٨٥٢] . كشف الظنون ١/١٣٤ ، ابن حجر ودراسة مصنفاته ص٦٠٢ .

١١- محاسن الأوائل فى علم الأوائل - لمحمد بن عبد الله المعروف بـ بدر

الدين السبكى [٨٦٩هـ] .

١٢- الأوائل - لأبى بكر الجراعى الحنبلى [٨٨٣هـ] . حققه عادل الفريحات - دار الإيمان - دمشق ١٤٠٩هـ . دائرة المعارف الإسلامية ١٦٨/٥ .

١٣- الدلائل إلى معرفة الأوائل - يحيى بن عمر بن محمد المكى (٨٨٥هـ) . انظر: الضوء اللامع ٢٣٨/١٠ .

١٤- الوسائل إلى معرفة الأوائل - جلال الدين السيوطى (٩١١هـ) . نشر بتحقيق - إبراهيم العدوى ، على محمد على - الخانجى - القاهرة .

١٥- عنوان الوسائل إلى معرفة الأوائل - لمحمد بن على بن طولون الحنفى المصرى (٩٥٣) هـ . مخطوط . وتوجد صورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ٣٤١ .

١٦- محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر . . علاء الدين ، على دده السكتوارى (١٠٠٧هـ) .

١٧- أزهار الخمائل فى وصف الأوائل - المولى عثمان بن محمد المعروف بـ: ابن دوقة كين زادة الرومى (١٠١٣هـ) .

١٨- وسائل السائل إلى معرفة الأوائل - مخطوطة وهى أرجوزة لمحمد بن أحمد اللطف المقدسى وتوجد نسخة منها فى دار الكتب المصرية .

١٩- الأوائل - لأبى بكر أحمد بن عاصم النبيل . حققها : عبد الله الجبورى - المكتب الإسلامى - بيروت ١٤٠٥ هـ .

٢٠- رسالة فى الأوائل - لمؤلف مجهول ، مخطوطة . توجد نسخة فى دار الكتب المصرية : ٤٨/٥ و٤٠٥ .

❖ ولعلماء الحديث كتب فى الأوائل حيث أنهّم اختصوا طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة التى حكت قصة أولية الأشياء ، وبدء الخليقة ، وأول الأمور يوم

الحساب[1] . ومنهم :

١- سعيد بن أبى عروبة ، البصرى (١٥٧هـ) . ولعله أول مبتكر لهذا الفن .

٢- المصنف [الجزء الثالث عشر] . لأبى بكر عبد الله بن محمد أبى شيبة الكوفى [٢٣٥هـ] . طبع [بالهند حيدر - الدكن١٩٨٦م] .

٣- الأوائل - لأبى بكر أحمد بن عمر الشيبانى . طبع فى بيروت ١٤٠٥هـ .

٤- الأوائل . سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى [٣٦٠هـ] . حققه : مروان العطية ، وشيخ الراشد - دار الجيل - بيروت ط أولى ١٤١٣هـ /١٩٩٢ م .

٥- الأوائل - لمحمد بن على بابوية ، القُمِّى (٣٨١هـ) .

٦- الأوائل - لجعفر بن محمد بن المعتز ، المستغفرى (٤٣٢هـ) .

٧- رسالة الأوائل : لمحمد بن سعيد بن سنبل المكى من علماء القرن الثانى عشر . والرسالة تناولت أوائل كتب الحديث ، وليست هى مادة فى الأوائل ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢م .

❖ صدرت كتب تضمنت أبواباً أو فصولاً عن الأوائل ومنها :

١- المعارف . لأبى محمد بن عبد الله بن مسلم المعروف بـ (ابن قتيبة) ٢١٣ - ٢٧٦ هـ . ص ٥٥٩ إلى ٥٦٥ - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٢ .

٢- لطائف المعارف ، لأبى منصور الثعالبى (٤٢٩هـ) .

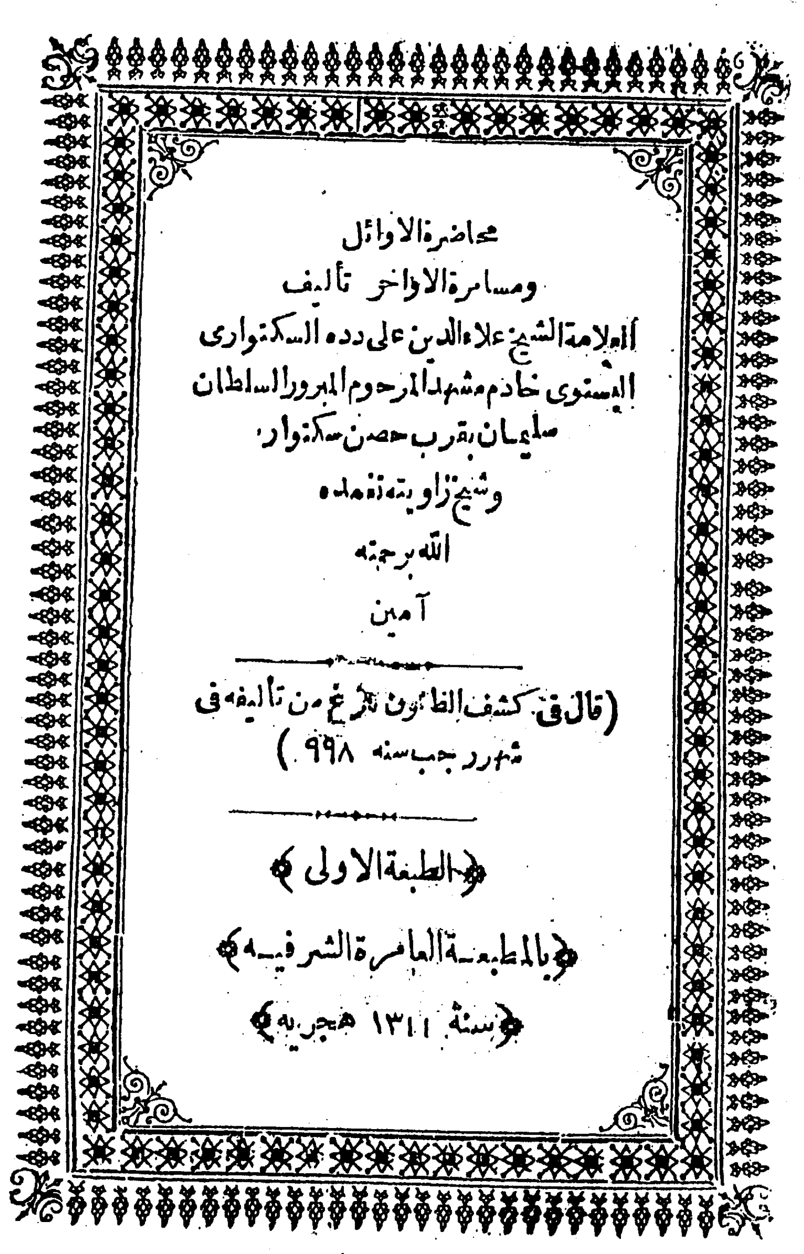
٣- المحاسن والمساوئ . لإبراهيم بن محمد البيهقى (٣٢٠هـ) .

٤- تلقيح مفهوم أهل الأثر - لأبى الفرج بن الجوزى (٥٩٧هـ) ص ٤٦١ /٤٦٨ . القاهرة ١٩٧٥م .

٥- صبح الأعشى . لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى [٨٢٠هـ] ٤١٢/١ إلى ٤٣٦ . القاهرة ١٩٦٣م .

---

(١) أوائل الطبرانى ص٢٧ ، ٢٨ .



محاضرة الاوائل
ومسامرة الاواخر تأليف
العلامة الشيخ علاء الدين على دده السكتوارى
البسنوى خادم مشهد المرحوم المبرور السلطان
سليمان بقرب حصن سكتوار
وشيخ زاويته تغمده
الله برحمته
آمين

(قال فى كشف الظنون فرغ من تأليفه فى
شهر رجب سنه ٩٩٨)

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة الشرفيه

سنة ١٣١١ هجريه

غلاف الكتاب الأصلى



بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الاول الآخر الباطن الظاهر نحمده بلسان الحمد وكل حامد حمدا
في الوجود من غائب وشاهد لديه الله لا يعزب في الاكوان عن علمه المحيط ذرة
رحمن يسع كل الوجود من بحر رحمته قطرة صانع حارت علوم العلماء في حسن
ترتيب صنعته قادر هامت فهوم العقلاء في اتقان حكمته فأقر كل عارف
حكيم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك ونادى كل واقف عليم سبحانك
ما خلقت هذا باطلا يا اولا بلا بدايه ويا آخرا بلا نهاية لك الحمد اولا وآخرا
على ما أنعمت علينا من آلائك باطنا وظاهرا اللهم افتح أوائل امورنا بالخير
والعافية يا أول الأولين واختم أواخر أعمارنا بحسن الخاتمة يا آخر الآخرين
اللهم صل وسلم وبارك على الأفضل الاكمل الاول خلقا وخلقا والآخر
الجامع بعثا وختما سيدنا ومولانا محمد المصطفى والحبيب المجتبى المنعوت في
التوراة محمد حبيب الرحمن الذي قلت له جعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم
بعثا وجعلتك فاتحا وخاتما وأرسلتك للناس كافة وجعلت أمتك هم الاولون
وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي
ورسولي وعلى آله الاتقياء وصحبه الاصفياء خصوصا منهم رضي الله تعالى

الصفحة الأولى من الكتاب

البصر فهو بالنسبة الى بعض الموحدين اظهارا لشرف التوحيد فلا يعادل السموات والارضين وزن حروف الشهادة وقالبها تجسدا وتمثلا لمعناها فكيف يعادل حقيقة التوحيد قاله الغزالي والشيخ الاكبر في الفتوحات قدس سرهما ۞ آخر بشرى للبشر من البشائر عند انتقاله من الدنيا الى العقبى كلمة لا اله الا الله كما ورد في الحديث الصحيح عن البشير النذير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد مخلصا من قلبه فيموت على ذلك الا حرم الله عليه النار كلمة لا اله الا الله الحديث عن عمر رضي الله عنه ۞ آخر يوم القيامة من الآخرة واوله من الدنيا سئل عكرمة رضي الله عنه عن يوم القيامة أمن الدنيا هو أم من الآخرة فقال صدر ذلك من الدنيا وآخره من الآخرة من مواقف الآخرة للسيوطي رحمه الله ۞ آخر دعوى أهل الجنة عند دخولهم الجنان الحمد لله رب العالمين كما أخبر سبحانه في كتابه المبين وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قيل ما الحكمة في ان آخر كلام أهل الجنة آية الحمد أجاب بعض العارفين لان آدم عليه السلام حين نفخ الله فيه الروح تكلم بأول ما تكلم بقوله الحمد لله رب العالمين فقالت الملائكة ولذا خلقت يا آدم وقيل آية الحمد مفتاح كل كلام ومصباح كل ظلام وبه الافتتاح والاختتام فاقتضت البداية مطابقة النهاية وقيل آية الحمد صدر كل كتاب ونور كل خطاب وبه تم الكتاب وفقنا الله الى طريق الرضا والصواب واليه المرجع والمآب الحمد لله أكمل حمد اولا وآخرا وافضل الصلاة على من لا نبي بعده باطنا وظاهرا محمد سيد الاولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم احشرنا معهم تحت لواء الحمد يوم الدين آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الملك الوهاب بالمطبعة العامرة الشرفية التي مركزها بمصر خان أبي طاقيه على ذمة المحترم الفاضل الشيخ محمد عبد الواحد الطوبي كان الله له وبلغه أمله في شهر صفر الخير سنة ١٣١١ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وازكى التحية

الصفحة الأخيرة من الكتاب

إهــداء

إلى روح الوالد :

إبراهيم بسيوني

طيب الله ثراه ..

فإليه يرجع الفضل بعد الله في

تحقيق هذا الكتاب

سمير بسيوني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

باسـم الأوّل الآخر ، الباطن الظّاهر ، نحمده بلسان الحمد ، وكلّ حامد ممّا بدا فى الوجود من غائب وشاهد ، إله لا يعزب فى الأكوان عن علمه المحيط ، ذرة ترتيب صنعته ، قادر ، هامت فهوم العقلاء فى إتقان حكمته ، فأقر كلّ عارف حكيم .

سبحانك ، ما عرفناك حق معرفتك ، ونادى كلّ واقف عليم ، سبحانك ما خلقت هذا باطلاً ، يا أولاً بلا بداية ، ويا آخرًا بلا نهاية .

لك الحمد أولاً وآخرًا على ما أنعمت علينا من آلائك ، باطنًا ، وظاهرًا .

اللهم افتح أوائل أمورنا بالخير والعافية ، يا أوّل الأوّلين ، واختم أواخر أعمالنا بحسن الخاتمة ؛ يا آخر الآخرين .

اللهم صلى وسلم وبارك على الأفضل الأكمل ؛ الأوّل خَلقًا وخُلقًا ، والآخر الجامع بعثًا وختمًا ، سيدنا ومولانا محمَّد المصطفى ، والحبيب المجتبى ، المنعوت فى التَّوراة : محمَّد حبيب الرَّحمن ، الذى قلت له : جعلتك أوّل النَّبيين خَلْقًا ، وآخرهم بعثًا ، وجعلتك فاتحًا وخاتمًا ، وأرسلناك للناس كافة . وجعلت أمَّتك هم الأوَّلون ، وهم الآخرون ، وجعلت أمَّتك لا تجوز لهم خُطبة حتى يشهدوا أنَّك عبدى ورسولى ، وعلى آله الأتقياء ، وصحبه الأصفياء . خصوصًا منهم رضى الله تعالى عنهم على الصِّديق الأكبر ، أوّل من آمن وصدق من المسلمين ، وعلى الفاروق الأظهر ، أوّل من سمِّى بأمير المؤمنين ، وعلى ذى النُّورين الشَّهيد ، أوّل من جمع القرآن المبين[1] . وعلى الوحى الوفىّ ، أوّل من آمن وصلى من أهل الفتوة واليقين ، وعلى ابنيه الحسنين الأحسنين ، سبطى سيد المرسلين ، وعلى جميع صحابته ، وورثته من علماء الدِّين ،

(١) من المعروف أنَّ أوّل من جمع القرآن هو أبو بكر الصِّديق - رضى الله عنه - بتوجيه من عمر بن الخطاب ، بعد أن استشهد سبعون من القراء فى حروب المرتدين .

الذين أثنى عليهم ربُّ العالمين ، ثلة من الأوَّلين ، وثلة من الآخرين .

وقال فيهم خاتم النَّبيين : "مثل أمتى كمثل المطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره" ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأوَّلون ، والآخرون ، صلوات الله عليهم أولاً وآخرًا .

أمَّا بعد ،

لما اطلعت على كتاب لطيف فى معرفة الأوائل ، للإمام الحبر الهمام ، والعالم المتقن الفهَّام ، أستاذ المتأخرين ، خاتم المجتهدين ، جلال الملّه والدِّين : عبدالرَّحمن السُّيوطى - تغمده الله برحمته - جعلت كتابى هذا ، ولخصته من كتابه المذكور ، وحذفت أسانيد الأخبار والزَّوائد ، والتِّكرار ، وأسماء الكتب المنقولة عنها بناءً على الأصل ، وتسهيلاً للضبط والنَّقل .

وزدت فى كتابى هذا من الأخبار والآثار من متعلقات الأوَّائل ، والأواخر أصناف ممًا استخرجته من الكتب المعتبرة من محاضرات التَّواريخ ؛ كـ :

"**تحفة اللُّباب**" ، و"**تاريخ الخلفاء**" ، و"**سير الملوك**" ، و"**كنز الأسرار**" ، و"**مسالك الممالك**" ، و"**بهجة التَّواريخ**" ، و"**تاريخ الحكماء والفقهاء والنُّحاة**" ، و"**أصول التَّواريخ**" ، و"**تاريخ الجوهر الثَّمين فى الخلفاء الرَّاشدين**" ، وكتاب "**المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة**" ، وكتاب "**مزهر اللُّغة**" ، وغيرها من الكتب المتداولة بين الفضلاء والعلماء ، رحمة الله عليهم أجمعين .

ورتبته على قسمين : **الأوَّل:** فى الأوَّائل ، **والآخر:** فى الأواخر ؛ وفى كلٍّ قسم فصول ، ترتيبًا لطيفًا ، وتبويبًا منيفًا ، مراعيًا : أوائل ألفاظ الأخبار فى أوائل السطر ، ما أخال أحدًا سبقنى إليه .

وذيلت فى أواخر كتابى من أواخر الأخبار من أنواع المحاضرات من التَّواريخ ممًا لم يودع فى غيره ممَّن كتب الأوَّائل : كالسُّيوطى ، والعسكرى ، وغيرهما من أجلَّة الأئمة ، عليهم الرِّضوان والرَّحمة ، لأنِّى رأيت كتب التَّواريخ مبسوطة ، لا تستحضر

الأصول منها ، ومنحصرة فى أحوال الملوك ، والممالك ، وأهاليها لا تستخبر الفروع عنها ، فانتحلت رسالة جامعة بين التَّواريخ الدِّينية مِمَّا يتعلق بأحكام العلوم ، والعبادات والبرزخ ، والحشر ، والآخرة . فصارت - بحمد الله وعونه - كالبرزخ الجامع لا يمكن أن يستحضر من لطائف أوائل أحكام الدَّارين بها ؛ إذ قصرت على أصول كلِّ تاريخ من العلوم والعبادات ، وأعرضت عن فروع القصص والحكايات ، فجدير أن تُسمى وأصلها جامعة بين بدايات العالم وأوائله ، نهايات الكون وأواخره ، والله الموفق .

(وسميته) بـ : " محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر " ؛ وله نسختان : النُّسخة الأوَّلى ؛ مختصرة من هذه النُّسخة ، وانتشرت منها نسخ كثيرة ، قبل تبيضى إياها فى زمن اشتغالي ، وكان قد أعاقنى عن إتمامه أمراض مختلفة ، وأشغال مؤتلفة .

فالآن بحمد الله وعونه ، وفضله ومنّه ، هاج عزمى ، وقام جزمى ، باختتامه بزيادات كثيرة على النُّسخة الأوَّلى ، والله الموفق .

(وقدمت) فصلين فى جمع أحاديث الأوَّائل الشَّريفة الواردة على لسان حضرة النُّبوة المحمدية ، أخرجتها من الكتاب الجامع الصَّغير ، وزيادته عليه ، للجهبذ المتقن العلامة السُّيوطى - رحمة الله عليه - ونفعنا بعلومه تيمنًا ، واستفتاحًا بهما من الأحاديث الأحمدية ، صلوات الله عليهم وسلامه على أكرم رسله ، وأفضل خلقه .

قيل فى فضل الحديث :

حديث المصطفى خير الخطاب ::: له فضل بدا بعد الكتاب
له نطق بإلهام و وحي ::: رشيد سائق نحو الصَّواب

* * * * * * *

فهرست الكتاب وبرنامجه

وهو على قسمين:

القسم الأوَّل: فى فصول الأوَّئل ، مرتب على سبعة وثلاثين فصلاً .

القسم الثَّانى: فى فصول الأواخر ، وفيه أربعة فصول .

((القسم الأوَّل من الكتاب))

الفصل الأوَّل:

فى الأحاديث المصدرة بالأوَّائل من أنواع الأخبار النَّبوية المحمدية .

الفصل الثَّانى:

فى الأحاديث المتعلقة بأوائل أحوال الآخرة .

الفصل الثَّالث:

فى الأوَّائل المتعلقة ببدء المخلوقات ، وأوائل الكائنات الكلية .

الفصل الرَّابع:

فى أوائل الألسنة ، واللُّغات .

الفصل الخامس:

فى أوائل الكتب الإلهية ، ونزولها .

الفصل السَّادس:

فى أوائل الخطوط ، والأقلام ، وأهاليها .

الفصل السَّابع:

فى أوائل الأشعار ، والشُّعراء .

الفصل الثَّامن:

فى أوائل الإسلام ، والولادة الإسلامية ، وأوائل الهجرة ، وما يتعلق بها .

الفصل التَّاسع :

فى أوائل الوحى ، وأوائل نزول القرآن ، وآياته ، وسوره .

الفصل العاشر :

فى الأوَّائل المختصرة بحضرة الملّة الإبراهيمية ، وأهل بيتها صلوات الله وسلامه على حبيبه ، وخليله ، وآلهما .

الفصل الحادى عشر :

فى الأوائل المتعلقة بالكعبة المعظمة ، والمدينة المنورة ، ومتعلقاتهما من الحرم .

الفصل الثَّانى عشر :

فى أوائل الجهاد ، ومتعلقاته ؛ من رجاله ، وأبطاله ، وآلاته .

الفصل الثَّالث عشر :

فى أوائل الخلافة ، والسَّلطنة ، والإمارة ، وأنواع الأحكام ، ومتعلقاتها .

الفصل الرَّابع عشر :

فى أوائل القضاء ، والاستقضاء ، والرّشا ، والارتشاء ، والفتوى ، والاستفتاء .

الفصل الخامس عشر :

فى الأوائل المختصة بالكتب الإسلامية ، وأنواع مصنفاتها من العلوم الحكمية ، والفلسفية .

الفصل السَّادس عشر :

فى أوائل الأسماء ، والكنى ، والألقاب ، والأعلام فى الإسلام ، وقبله .

الفصل السَّابع عشر :

فى أوائل اللّباس ، والتّيجان ، وما يتعلق بهما .

الفصل الثَّامن عشر :

فى أوائل النّكاح ، والزَّواج ، وما يتعلق بهما .

الفصل التَّاسع عسر :

فى أوائل الأطعمة ، والأشربة ، ومتعلقاتهما .

الفصل العشرون :

فى أوائل الطِّهارات ، ومتعلقاتها .

الفصل الحادى والعشرون :

فى أوائل الأذان ، ما يتعلّق به .

الفصل الثَّانى والعشرون :

فى أوائل الصَّلوات ، والجمعة ، والجماعات ، والمساجد ، والعبادات .

الفصل الثَّالث والعشرون :

فى أوائل الزَّكاة ، والصَّدقات .

الفصل الرَّابع والعشرون :

فى أوائل الصِّيام ، ومتعلقاته .

الفصل الخامس والعشرون :

فى أوائل البيوع ، والمعاملات .

الفصل السَّادس والعشرون :

فى أوائل الفرائض ، والوراثة .

الفصل السَّابع والعشرون :

فى أوائل الجنائز ، والأمراض .

الفصل الثَّامن والعشرون :

فى أوائل الحدود ، والجنايات .

الفصل التَّاسع والعشرون :

فى أوائل ضروب الأمثال .

الفصل الثَّلاثون :

فى أوائل الأبنية ، والأمكنة ، والعمائر .

الفصل الحادى والثَّلاثون :

فى أوائل الصُّيود ، والطُّيور .

الفصل الثَّانى والثَّلاثون :

فى أوائل التَّغنى ، والحداء .

الفصل الثَّالث والثَّلاثون :

فى أوائل الصَّنائع ، والحرف ، وأربابها ، وما يتعلق بها .

الفصل الرَّابع والثَّلاثون :

فى أنواع مختلفة من الأوَّائل ، وهو فصل جامع لفنون الأوَّائل .

الفصل الخامس والثَّلاثون :

فى أوائل أشراط السَّاعة ، والفتن ، وعلامات القيامة ، والبعث ، والنُّشور .

الفصل السَّادس والثَّلاثون :

فى أوائل الجنات والنِّيران دخولاً .

الفصل السَّابع والثَّلاثون :

فى الأوائل المختصة بالحضرة المحمدية ، والخصائص الأحمدية ، دنيا وآخره .

وبه انختمت فصول الأوَّائل ؛ لأنَّه خاتم المرسلين ، وسيد الأوّلين والآخرين ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

* * * * * * *

((القسم الثَّانى من الكتاب)) فى الفصول المتعلقة بالأواخر

الفصل الأوَّل :

فى الأواخر المختصة بحضرة القرآن من أواخر السُّور ، والآيات نزولاً .

الفصل الثَّانى :

فى الأواخر المتعلقة بالخلافة ، والملوك ، والدُّول ، وطبقاتها .

الفصل الثَّالث :

فى الأواخر المتعلقة بأنواع الأواخر ؛ وهو فصل جامع لأنواع الأخبار .

الفصل الرَّابع :

فى الأواخر المختصة بدخول الجنات ، وخروج النِّيران آخرًا من الأشخاص المختلفة .

نسأل الله تعالى الجنة ، ونعوذ بالله من النِّيران ؛ اللهم اختم أواخرنا بالخير والعافية فى الدِّين ، والدُّنيا ، والآخرة . . آمين .

* * * * * * *

القسم الأوّل

وفيه

فصول الأوّائل

الفصل الأول
فى الأحاديث المصدرّة بألفاظ الأوائل

وهو فصل جامع لأنواع الأخبار النَّبوية من :

الجامع الصَّحيح فى أحاديث البشير النَّذير وزيادته .

وهو للإمام الحافظ جلال الدِّين السُّيوطى[1] ؛ رحمة الله عليه ، ونفعنا بعلومه ؛ أخرجت هذين الفصلين من الكتابين الشَّريفين فى أحاديث سيد المرسلين .

---

(١) هو عبدالرَّحمن بن الكمال أبى بكر بن محمَّد بن سابق الدِّين بن الفخر عثمان ابن ناظر الدِّين بن محمَّد بن سيف الدِّين خضر بن نجم الدِّين أبى الصَّلاح أيوب ابن ناصر الدِّين محمَّد بن الشَّيخ همام الدِّين الهمام الخضرى الأسيوطى . ولد بالقاهرة ٨٤٩هـ ، ونشأ يتيمًا ، وحفظ القرآن وهو دون ثمانى سنين ، ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه ، والأصول ، وألفية ابن مالك .

أمَّا مشايخه فى الرِّواية سماعًا فعدتهم نحو مائة وخمسين من مصر ، والشَّام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتَّكرور (حسن المحاضرة ، ٣٣٨/١) .

ألَّف فى التَّفسير ، والقراءات ، والحديث ، وعلوم العربيَّة ، والتَّصوف ، والتَّاريخ ، والأدب ، بالإضافة إلى أجزاء مفردة فى مسائل مخصوصة .

وصل عدد كتبه إلى أكثر من تسعين كتابًا ، وتوفى عام ٩١١ ، ودفن بالقاهرة .

ومن مؤلفاته :

١ - كشف الغطى شرح الموطا .
٢ - إسعاف المبطا برجال الموطا .
٣ - التَّوشيح على الجامع الصَّحيح .
٤ - الدِّيباج على صحيح مسلم .
٥ - مرقاة الصُّعود إلى سنن أبى داود .
٦ - شرح سنن ابن ماجة .
٧ - تدريب الرَّاوى شرح تقريب النَّواوى .
٨ - شرح ألفية العراقى .
٩ - عين الإصابة فى معرفة الصَّحابة .
١٠ - البهجة المرضية
١١ - اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة .
١٢ - النُّكت البديعات على الموضوعات .
١٣ - جمع الجوامع .
١٤ - لب الألباب فى تحرير الأنساب .
١٥ - تذكرة المؤنسى بمن حدث ونسى .
١٦ - مفتاح الجنة فى الاعتصام .
١٧ - در السَّحابة فيمن دخل مصر من الصَّحابة .
١٨ - الأزهار المنتثرة فى الأخبار المتواترة .
١٩ - الأزهار المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة .
٢٠ - أربعون حديثًا فى فضل الجهاد .
٢١ - كشف النِّقاب عن الألقاب .
٢٢ - نشر العبير فى تخريج أحاديث الشَّرح الكبير .
٢٣ - الأشباه والنَّظائر .
٢٤ - همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع .
٢٥ - المطالع السَّعيدة .

انظر : (دكتور/ عبدالحميد هنداوى : "همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى" ترجمة الإمام السُّيوطى ، ص ٩ ، ١٠) .

مقـدمة

قـال المحققـون : إنَّ للأوائـل وجوهًـا مختلفة ، وعـبارات متفرقة ، بحسـب المواطـن والنَّسب ؛ إذ قد يكون لشئ واحد نسب متعدد من وجه أولاً ، ومن وجه آخر آخرًا .

وقـد يكـون لشـئ واحـد أوائـل متعددة مـن حيـث تعينـه مـن جهـة الأظهـرية ، والأشـهرية ، كنسبة أولية الخط والخياطة إلى "إدريس عليه السَّلام" ، وضرب الدِّينار والدِّرهـم إلى "أفريدون الملك" ، وإن كـان قـد سبقهما فـى الأوَّلية "آدم أبـو البشر عليه السَّلام" ؛ لأنَّـه ورد فـى الخبر المشـهور أنَّ الله تعالى علَّم "آدم" ألف حرفة بشرية ، حين علَّمـه الأسمـاء كلَّها[1] . فظهـرت تلك الحرف بحسب القرون والأدوار من أولاده ، قرنًا بعـد قـرن ، شخصًـا بعـد شـخص ؛ فبدا مـن تطبيق وتوفيق بين الأخبار الواردة المتعددة بالأولـية والآخـرية بالنِّسـبة إلى الشُّـخوص الشَّـهيرة بهـا ، لأنَّ الله تعـالى حكـيم علـيم بالأشياء بعـلم أزلى فـى الحضرة العلمـية فيها يظهـر الأشياء ، ويوجدها فى الكون بحسب المصـالح الملكـية والبشـرية ، ومقتضـيات حقائقهـا بحسـب القـوة القابلـية فـى الأشـخاص العنصـرية ، والـهياكل النُّورية الملكية مـن الأمـور الدِّينية والدُّنيوية ، عصـرًا بعد عصر ، وقـرنًا بعـد قرن ؛ حكمة منه سبحانه ، وتعليمًا لعباده على يد من شاء ، وأراد من الأنبياء والحكماء ، ممَّا يحتاج إليه بنوآدم إلى يوم القيامة .

---

(١) إشارة إلى قولـه تعالى فى سورة البقرة ، الآيات : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

❖ قـال ابن عـباس ، وعكـرمة ، وقـتادة ، ومجـاهد ، وابـن جبير - رضـى الله عـنهم - عـلمه أسمـاء جميـع الأشياء ، حتى القصعة والقصيعة ، وحتى الجفنة ، والمحلب ، وأنحى منفعة كلّ شئ إلى جنسه ، وقيل أسماء ما كان ، وما سيكون إلى يوم القيامة .

❖ وقـيل معنى قولـه تعـالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ ﴾ خلقه من أجزاء مختلفة ، وقوى متباينة ، مستعدًا لإدراك أنـواع المدركات من : المعقولات ، والمحسوسات ، والمتخيلات ، والموهمات ، وألـهمه معرفة : ذوات الأشياء ، وأسمائهـا ، وخواصـها ، ومعارفهـا ، وأصـول العـلم ، وقوانـين الصِّـناعات ، وتفاصـيل آلاتهـا ، وكيفـيات استعمالاتها ، فيكون ما مر من المقاولة ، قبل خلقه عليه السَّلام .

كالخط ؛ على يد إدريس عليه السّلام .

والحساب ، والكاغد[1] ؛ على يد داود عليه السّلام .

والسَّهم ، والقوس ؛ على يد إبراهيم عليه السّلام .

والدِّرع ، والمغفر[2] ؛ على يد داود عليه السّلام .

وغيرهم صلوات الله علي نبينا وعليهم .

وكذلك يظهر سبحانه وتعالى على ألسن الأنبياء ، والرُّسل من الأحكام الدِّينية ، والمصالح الدُّنيوية : كحل ماء الغنيمة لنبينا محمَّد ﷺ والأوامر ، والنَّواهى ، والحكم ، والقصص الإلاهية .

ظهور كلُّ ذلك بحسب قابلية الأمة ، واستعدادها للكمالات ، وتحمل عقولها حكمة الإلاهية بالغة منه سبحانه وتعالى .

* * * * * * *

(١) الكاغد : القرطاس ، المعجم الوجيز ٥٣٦ ، المعجم الوسيط ٢/٧٩٠ ، وجاء فى اللّسان ٢/١١١ الكاغد : فارسى مُعرّب .

(٢) المغفر : زردٌ ينسج من الدُّروع على قدر الرَّأس ، يُلبس تحت القلنسوة ، (ج : مغافير) .

مقدمة علمية كلية

* قال تعالى ، وتقدّس فى كتابه المبين[١] : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

* وقال تعالى فى الخبر القدسى : "كنت كنزًا مخفيًّا ؛ فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق" .

* وفى الحديث النَّبوى : "كان الله ولم يكن معه شئ ، وهو الآن ما عليه"[٢] .

كان يعنى أنَّه تفرّد فى حضرة كمونه وبطونه المكنى عنه باللّسان القدسى بالكنز المخفى ، فاقتضت المحبة الإلاهية مجالى أسمائه وشئونه ؛ فخلق الخلق بالمحبة السَّابقة الأزلية فى الحضرة العلمية أوّلاً فأوّلاً حتى انتهى الإيجاد إلى آخر نوع كلّى جامع من المخلوقين ، وهو الإنسان .

وهو أوَّل بالمعنى ، والسِّيرة ، وآخر بالشَّخص والصُّورة ؛ فكلُّ الأوَّائل من الأكوان مقدمات كلية للإنسان ، فهو النَّتيجة الكبرى ، وأنموذج الكون وبرنامجه .

اتفق أهل الحق ، وتواترت الشَّرائع وأهاليها من ظهور أبينا أبى البشر ، وهو آدم الصَّفى ، خليفة الله فى الأرض من هذا النَّوع البشرى ، قالوا ، وصدقوا فيما نطقوا ؛ أنَّ العالم بأسره وبرسمه حادث أوجده الحق القادر القدير الحكيم العليم ، تعالى وتقدَّس عمَّا سواه .

صفاته قديمة أزلية قائمة ذاته قبل ظهور الكون ، وبدوًا لعين أيدى الكون ، وأظهر العين حكمة بالغة ، وعناية سابقة فى علمه القديم بالفيض الأقدس الأزلى حبا حقا ،

---

(١) الذريات : ٥٦ .

(٢) عن عمران بن حصين - رضى الله عنهما - قال : "جاء نفر من بنى تميم إلى النَّبى ﷺ فقال : يا أهل اليمن ، أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قبلنا ؛ فأخذنا النَّبى ﷺ يحدث بَدْء الخلق والعرش ، فجاء رجل فقال : يا عمران ، راحلتك تفلَّتت ، ليتنى لم أقم" .
وعنه - رضى الله عنه - فى رواية ، قال : "كان الله ولم يكن شئ غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذِّكر كلَّ شئ ، وخلق السَّماوات والأرض ؛ فنادى مناد : ذهبت ناقتك يابن الحصين ، فانطلقت ، فإذا هى يقطع دونها السَّراب ، فوالله لوددت أنِّى كنت تركتها .

كما أشار سبحانه بقوله : "فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق ، جودًا مطلقًا منه سبحانه ؛ كما قال فى كتابه العزيز : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

أى : ليعرفوا أنِّى معبود واحد ، أحد فرد صمد ؛ فنظر العاقل الحكيم إلى صنعه ، ونادى سبحانك[2] : ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ ؛ ولكنَّه سبحانه وسم عقول البشر بالعجز فى كمية زمان ظهوره ، وكيفية أولية إبدائه وإنشائه ، فتفرَّد بوحدانيته المقدسة فى علم ذلك ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

تنبيه علمى :

قال أهل العلم من أهل السُّنة والجماعة : يجب أن يُعْلم أنَّه قد ثبت بالدَّلائل القطعية ، امتناع القول بوجود حوادث أوَّل لها ؛ لأنَّ لكلِّ حادث أوَّلاً ، هو حادث كما ثبت فى علم العقائد ، فوجب انتهاء النَّاس إلى الإنسان الأوَّل سيرة وصورة ، وهو آدم الصَّفى من حيث الصُّورة ، ومن حيث السِّيرة ، والرُّوح سيدنا - محمَّد ﷺ - كما ورد عنه فى الخبر المشهور : "أنا أبو الأرواح ، وآدم أبو الأشباح" .

وممَّا نُقل فى كتب المتأخرين ، والمتصوفين عن محمَّد بن على الباقر - رضى الله عنهما - أنَّه قال : "قد انقضى من قبل آدم ، الذى هو أبونا ، ألف آدم أو أكثر" .

ونُقل عن الشَّيخ الأكبر[3] فى : "الفتوحات المكية" فى باب : "حدوث الدُّنيا" أنَّه شاهد أناسًا تمثلوا له عند الكعبة فى الطَّواف ، فسألهم عن مدة أعمارهم ، فقالوا : قريب من أربعين ألف سنة . فقال الشَّيخ : فتذكرت حديثًا : أنَّ الله خلق قبل آدم مائة ألف آدم ، فسألت عن صدق ذلك ، إدريس عليه السَّلام ، فقال : نحن معاشر الأنبياء آمنا بحدوث العالم ، وما تعلَّق علمنا بأوَّله ، والله الباقى الخلاق ، وما سواه حادث ، فان .

---

(١) الذَّاريات : ٥٦ .

(٢) الآية : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١) .

(٣) يقصد : الشيخ/الأكبر محى الدين أبى عبد الله ابن العربى الحاتمى المتوفى سنة ٦٣٨هـ .

خاتمة المقدمة

فى تعريف لفظ: الأوَّل والآخر

قال أهل التَّحقيق: الأوَّل ، ما يترتب عليه غيره ، أو سبق غيره بنوع ما من الحالات ، أو يكون مختصًا بسبق شئ على غيره .

ويستعمل لفظ الأوَّل فى التَّقدم الزَّمانى ، والرِّياسى ، والوضع النِّسبى ، والنَّظم الصِّناعى شهرة ، ونسبة ، وزيادة ، لا يشترط التَّقديم مطلقًا . لأنَّ أصول الأوَّائل العلمية البشرية صدرت من - آدم عليه السَّلام - حين علمه الحق الأسماء كلَّها ، فعلم جميع الصَّنائع والحرف ، ما يليق من الأسامى ، والأعلام ، والأحكام ، والإطلاقات ، إلى آخر الكون بكلِّ لسان ، ولغة ممَّا سيحدث بين أولاده ، ولكنَّه قد اشتهر بعض الأوَّائل الكلية من أولاده كما سبق .

ويستعمل أيضًا لفظ الآخر فى جميع ما يستعمل الأوَّل ، ويستعمل أيضًا فى انتهاء الشئ ، كما يستعمل الأوَّل فى ابتدائه ، فليحفظ ذلك .

* * * * * * *

الفصل الأوَّل
الأحاديث المصدرة بألفاظ الأوائل

"وهو فصل جامع لأنواع الأخبار النَّبوية ، من الكتاب : (الجامع الصَّغير فى أحاديث البشير النَّذير) ، وزيادته عليه ، وهما للإمام جلال الدِّين السُّيوطى ، رحمة الله عليه" .

* **أوَّل الرُّسل :** آدم ، وآخرهم : محمَّد(١) .

* **أوَّل الأنبياء :** بنى إسرائيل ؛ موسى ، وآخرهم : عيسى .

* **أوَّل من خط بالقلم :** إدريس عليه السَّلام . (عن أبى ذر) .

* **أوَّل نبى أُرسل :** نوح (الحديث عن أنس ، رضى الله عنه) .

* **أوَّل الوقت :** رضوان الله ، **ووسط الوقت :** رحمة الله ، **وآخر الوقت :** عفو الله . (عن أبى محذورة ، رضى الله عنه)

* **أوَّل مسجد وضع فى الأرض :** المسجد الحرام ، ثمَّ المسجد الأقصى ، وبينهما أربعون سنة ، ثمَّ أينما أدركتك الصَّلاة بعد ، فصل ، فإنَّ الفضل فيه . (عن أبى ذر ، رضى الله عنه)(٢) .

---

(١) عن أبى الحسن الدمشقى المقرئ (أحمد بن أنس بن مالك) عن إبراهيم بن هشام بن يحيى بن الغسانى ، حدثنى أبى ، عن جدى عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ذر الغفارى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ . . . الحديث .

كنز العمال ١١ حديث ٣٢٢٧٤ ، الوسائل إلى معرفة الأوائل ص١٧ ، قال : أخرجه أحمد عن أبى ذر مرفوعاً ، وروايته (أول الأنبياء : آدم) ، والسير ٦٢/٢ ، والفتح الكبير ٤٦٦/١ ، وقاله السدى ص ١٧ . الطبرانى الأوائل ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) عن الدبرى ، عن عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : "قلت يا رسول الله : أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت : ثم أى؟ . قال : ثم المسجد الأقصى . قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة .

رواه البخارى ٢٩٠/٦ - ٢٩١ ومسلم ٥٢٠ ، والنسائى ٣٢/٢ ، وابن الأثير ٤٦٢ ، وإعلام المساجد ٢٩ والأزرقى ٧٥٥٣٤ ، ٧٦ج١ ، والخطيب فى المشكاة ٧٥٣ ، وأوائل العسكرى ، ومسند الحميدى ١٣٤ ، والمحاضرة ٤٠ ، والمنار المنيف ٩٢ ، ومسند أحمد ١٥٠/٥ ، ١٥٦ ، أوائل ابن أبى عاصم ص٧٦ ، فضائل=

* أوّل بقعة وضِعَتْ من الأرض: موضع البيت ، ثمَّ مُدَّت منها الأرض .

* أوّل جبل وضعه الله على وجه الأرض: أبو قبيس ، ثمَّ مُدَّت منه الجبال . (عن ابن عباس ، رضى الله عنه) .

* أوّل الأرض خرابًا: يمناها ، ثمَّ يسراها . (عن جرير ، رضى الله عنه)

* أوّل العبادة: الصَّمت عن الحس . (مرسلاً)

* أوّل النَّاس هلاكًا: قريش ، وأوّل قريش هلاكًا : أهل بيتى . (عن عمرو ابن العاص)[1] .

* أوّل النَّاس فناءً: قريش ، وأوّل قريش فناءً: بنو هاشم . (عن ابن عمر ، رضى الله عنهما)

* أوّل جيش من أمتى يركبون البحر قد أوجبوا ، وأوّل جيش يغزون مدينة قيصر: مغفور لهم . (عن أم حرام)

* أوّل شهر رمضان: رحمة ، وأوسطه: مغفرة ، وآخره: عتق من النَّار . (عن أبى هريرة)

* أوَّ ما تفقدون من دينكم: الأمانة[2] . (عن شداد بن أوس)

=بيت المقدس - مخطوطات - دراسة وبيلوجرافيا كامل العسلى - مجمع اللغة العربية ، عمان ١٩٨١ ، الطبرانى الأوائل ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(١) حدثنا عن الطبرانى قال: حدثنا ذكر الساجى حدثنا مسلم بن جُنادة ، حدثنا أحمد بن بشير الهمذانى ، عن مجاهد ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت: قال رسول الله ﷺ : "أول الناس هلاكاً قومك ، قالت: قلت يا رسول الله كيف؟ قال يستعليهم الموت ، ويتنافس فيهم ، قلت: فما بقاء الناس بعدهم؟ قال: بقاء الحمار إذا كسر صلبه .

❖ مجمع الزوائد ٢٨/١٠ ، مسند أحمد ٣٣٦/٢ ، ٧٤/٦ ، ٨١ ، ٩٠ ، وفيض القدير ٨٢/٣ ، أوائل النبين ٥٤ ، الطبرانى ١٥٠ .

(٢) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: "بينما النَّبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم ، جاء أعرابى فقال: متى السَّاعة؟ فمضى الرُّسول ﷺ يُحدِّث ، فقال قوم: سمع ما قال ، فكره ما قال ، وقال بعضهم: بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه: أين - أُراه - السَّائل عن السَّاعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله ، قال: إذا ضُيعت الأمانة ، فانتظر السَّاعة ، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر السَّاعة ، وعن عمر بن الخطاب ، =

* أوَّل ما يرفع من النَّاس: الخشوع ، حتى لا ترى خاشعًا . (عن أبى الدَّرداء)[١] .

* أوَّل ما يرفع من هذه الأمة: الحياء ، والأمانة . (عن أبى هريرة)

* أوَّل ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان: شرب الخمر ، وملاحاة الرِّجال . (عن أبى ذر)

* أوَّل من فتق لسانه بالعربيَّة المبينة: إسماعيل عليه السَّلام ، وهو ابن عشر سنين . (عن على رضى الله عنه)

* أوَّل من خُضِّب بالحناء والكتم: إبراهيم عليه السَّلام ، و أوَّل من خضب بالسَّواد: فرعون . (عن أنس)

* أوَّل من صنعت له النُّورة ودخل الحمام: سليمان بن داود ، فلمَّا دخل ووجد حرِّه ، وغمِّه ؛ فقال: أوّه من عذاب الله عز وجل أوه أوه من قبل أن لا ينفع أوَّه . (أبو موسى الأشعرى)[٢] .

=قال: قال رسول الله ﷺأول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصلى لا خير فيه ، الطبرانى - المعجم الصغير - المكتب الإسلامى/ بيروت .

(١) قال الطبرانى (الأوائل ص١٩٢): حدثنا مطلب بن شعيب الأزدى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد ، حدثنى إبراهيم بن أبى عبله ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى ، عن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك الأشجعى أن رسول الله ﷺنظر إلى السماء يوماً فقال "هذا أوان رفع العلم" ، فقال له رجل من الأنصار (زياد بن لبيد): يا رسول الله يُرفع العلم وقد أثبت ، ووعته القلوب؟ فقال رسول الله ﷺ: "إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ، ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما فى أيديهم من كتاب الله ، قال جُبير بن نضير ، فلقيت شداد بن أوس الأنصارى ، فحدثته بحديث عوف . فقال: صدق عوف ، ألا أنبئك بأول ذلك؟ يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعاً .

❖ الترمذى ٢٦٥٣ ، جامع الأصول ٣٢/٨ ، ٣٨ ، كشف الأستار ١٢٣/١ ، تذكرة القرطبى ٧٦١ ، كنزل العمال ٥٨٩٠/٣ أسد الغابة ٢٧٤/٢ ، أوائل ابن أبى عاصم ٥٨ ، ٥٩ ، واقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادى ص ١٨٩ ، مجمع الزوائد ٢٠٠/١ ، والفتح الربانى ١٨٣/١ ، وتحفة الأحوذى ٤١٢/٧ ، ٤١٣ ، والمستدرك ٤٦٩/٤ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٢) تلقيح فهوم الأثر ٤٦٤ ، والجامع الصغير ٢١٤٥ والأحاديث الضعيفة ٢٧٠٤ ، وأوائل العسكرى ١٨٠/٢ ، ١٨١ (أول من صنعت له النورة ، وأول من صنع له الصابون . .) وكشف الخفاء ٣١٣/١ ، وغاية الوسائل (الورقة ١٠٣) كنز العمال ٩ حديث ٢٦٦٣٣ ، ٢٦٦٤٧ ، لطائف المعارف ٨ ، وفيض القدير ٩٣/٣ ، والأوائل لابن أبى عاصم النبيل ص ٦٥ ، ٦٦ ، والأوائل لأبى بكر الحنبلى ٩١ .

* **أوَّل من غير دين إبراهيم:** عمرو بن لُحيّ بن قَمعَة بن خِنْدق[1] . (عن ابن عباس)

* **أوَّل من يبدل:** سنتى رجل من بنى أمية . (عن أبى ذر)

* **أوَّل ما يرفع:** الرّكن ، والقرآن ، ورؤية النّبى فى المنام . (عن عثمان ، رضى الله عنه)

* **أوَّل ما افترض الله تعالى على أمتى:** الصَّلوات الخمس ، **وأوَّل ما يرفع من أعمالهم:** الصَّلوات الخمس ، **وأوَّل ما يسألون عن:** الصَّلوات الخمس ؛ فمن كان ضيَّع شيئًا منها ، يقول الله تبارك وتعالى: انظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة . وانظروا فى صيام عبدى شهر رمضان ، فإن كان ضيَّع شيئًا منه ، فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صيام تتمون بها ما نقص من صيامه . وانظروا فى زكاة عبدى ، هل تجدون لعبدى نافلة تتمون بها ما نقص من الزّكاة ، فيؤخذ ذلك على فرائض الله ، وذلك برحمة الله وعدله . فإن وجد له فضل وضع فى ميزانه ، وقيل له: ادخل الجنة مسرورًا ، وإن لم يوجد له شئ من ذلك ، أمرت به الزَّبانية فأخذ بيديه ورجليه ، ثمَّ قذف به فى النَّار[2] . (عن ابن عمر رضى الله عنهما)

* **أوَّل ما يرفع من النَّاس:** الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينهم: الصَّلاة ، وربَّ مصل لا خلاق له عند الله . (عن زيد بن ثابت)[3] .

---

(١) عن أبى هريرة ، قال: "قال النَّبى ﷺ رأيت عمرو بن عامر ابن لحى الخزاعى يُجرُّ قُصْبَهُ فى النَّار ، وكان أوَّل من سيَّب الشَّوائب (البخارى ١٤٠٢ ، مسلم ٨٥٦) .

(٢) غير موجود فى الأصل .

(٣) وفى رواية عن عمر بن الخطاب (ورب مصل لا خير فيه) وقد رواه الطبرانى عن الحسين بن منصور الرمانى ، عن المعافى بن سليمان ، عن حكيم بن نافع ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب . ولم يروه عن يحيى بن سعيد إلا حكيم بن نافع ، تفرد به المعافى ، ولا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد . وقال الهيثمى: فيه حكيم بن نافع ، وثقة ابن معين وضعفه أبو زرعة ، وبقية رجاله ثقات (الزوائد ٧ /٣٢١) الروض الدانى إلى المعجم الصغير للطبرانى ١ /٢٣٨ .

* أوَّل ما يهراق من دم الشَّهيد: **يغفر له ذنبه كلّه ، إلا الدَّين**[1] . (رواه سهل رضى الله عنه) .

فائدة :

قال أهل العلم الذى **لا يغفر: دين ما اهتم أدائه عند** القدرة ، وأمَّا الدَّين الذى اهتم بأدائه ، فعجز عنه فمعفو عن العبد ؛ **لما ورد فى الصَّحيح** : "من أخذ أموال النَّاس ليؤديها ، أداها الله تعالى عنه بفضله" .

* * * * * * *

(١) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النَّبى ﷺ قال: "من أخذ أموال النَّاس يريد أداءها ، أدَّى الله عنه ، ومن أخذ يريد إتلافها ، أتلفه الله" .

الفصل الثَّاني

من الأوَّائل في الأحاديث المختصة بأحوال الآخرة والبعث [من الكتاب الجامع وزيادته للسيوطي، رحمه الله]

* **أوَّل الآيات:** طلوع الشَّمس من مغربها . (عن أبي أمامة)

* **أوَّل تحفة المؤمن:** أن يغفر لمن صلى عليه . (عن أنس)

* **أوَّل شئ يأكله أهل الجنَّة:** زيادة كبد الحوت . (عن أنس)

* **أوَّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة:** الصَّلاة ، فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد له سائر عمله . (روّاه زيد بن ثابت)

* **أوَّل خصمين يوم القيامة:** جاران . (عقبة بن عامر)

* **أوَّل شئ يحشر النَّاس:** نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب . (روّاه أنس ، رضى الله عنه)

* **أوَّل من يكسى يوم القيامة:** إبراهيم عليه السَّلام[1] . (عن عائشة ، رضى الله عنها)

* **أوَّل من يصافحه الحق:** عمر ، وأوَّل من يسلم عليه فيدخله الجنَّة . (أبو ذر)

* **أوَّل سابق إلى الجنَّة:** عبد أطاع الله ، وأطاع مواليه . (أبو هريرة)

* **أوَّل من يدعى إلى الجنَّة:** الحمادون ؛ الذين يحمدون الله على السَّراء والضَّراء . (ابن عباس)

* **أوَّل من يلحقني من أهلي:** أنت يا فاطمة ، **وأوَّل من يلحقني من أزواجي:** زينب ، وهى أطولكن كفًّا . (رواه وائله ، رضى الله عنه)

---

(١)جاء في صحيح البخاري ؛ عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النَّبي ﷺ قال : "إنَّكم تحشرون حفاة عراة غُرْلا ، ثمَّ قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٤) . وأوَّل من يكسى يوم القيامة : إبراهيم ، وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشِّمال ، فأقول : أصحابي أصحابي ، فيقول : إنَّهم ما يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول : كما قال العبد الصَّالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ... ﴾ (المائدة : ١١٧) ، إلى قوله : ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ - انظر: مختصر صحيح البخاري ، المسمى بالتَّجريد الصَّريح ، للإمام الزُّبيدي ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

* أوَّل من يُدعى يوم القيامة: آدم، فتراه ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك، فيقول: يارب: كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كلٍّ مائة تسع وتسعين، فماذا يبقى منّا؟ قال: إنَّ أمتى[1] فى الأمم كالشَّعرة البيضاء فى الثَّور الأسود. (رواه أبو هريرة)[2]

* أوَّل من تنشق عنه الأرض: أنا ولا فخر، ثمَّ تنشق عن أبى بكر، وعمر، ثمَّ تنشق عن الحرمين: مكة والمدينة، ثمَّ أبعث بينهما. (ابن عمر)

* أوَّل من يشفع يوم القيامة: الأنبياء، ثمَّ العلماء، ثمَّ الشُّهداء. (عن عثمان)

* أوَّل من أشفع له من أمتى: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطَّائف. (روّاه عبدالله بن جعفر)

---

(١) المقصود: أمة محمَّد ﷺ.

(٢) حديث يقال يوم القيامة لآدم عليه السَّلام: "اخرج بعث النَّار من ذريتك (٣١٦) حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبى، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال النَّبى ﷺ يقول الله - عزَّ وجلَّ - يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك وسعديك. فينادى بصوت: إنَّ الله يأمُرُك أن تُخرِج من ذُرِّيَّتك بعثًا إلى النَّار. قال يارب: وما بعث النَّار؟ قال: من كلِّ ألف أراه. قال: تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى النَّاس سُكارى، وما هم بسكارى، ولكنَّ عذاب الله شديد. فشق ذلك على النَّاس، حتى تغيَّرت وجوههم، فقال النَّبى ﷺ من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثمَّ أنتم فى النَّاس كالشَّعرة السَّوداء فى جنب الثَّور الأبيض، أو كالشَّعرة البيضاء فى جنب الثَّور الأسود، وإنِّى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة، فكبَّرنا، ثمَّ ثُلث أهل الجنَّة، ثمَّ شَطرَ أهل الجنَّة، فكبَّرنا.

❖ وقال أبو أسامة، عن الأعمش: ﴿ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى ﴾، وقال: "من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين" وأخرجه البخارى أيضًا فى ذكر الأنبياء بعد قصة يأجوج وماجوج، وذكره فى آخر كتاب الرِّقاق. وأخرجه مسلم فى باب: (بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنَّة) بلفظ قريب من لفظ البخارى. (الأحاديث القدسية، ج ٢، ص ٣١، ٣٢).

❖ وعن عبدالله بن الإمام أحمد فى زيادته، والطَّبرانى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - زيادة: (أنتم ثلثا أهل الجنَّة).

وفى التِّرمزى، وصححه من حديث بريدة رفعه: (أهل الجنَّة عشرون ومائة صف، أمتى منها ثمانون) قال القسطلانى - رحمه الله تعالى - "والظَّاهر أنَّه ﷺ لما رجا من رحمة الله تعالى أنْ تكون أمته ﷺ نصف أهل الجنة... نصف أهل الجنَّة، أعطاه الله ما رجاه، وزاده من فضله" أ. هـ

أى زاده على النِّصف، حتى بلغت أمته ثلثى أهل الجنَّة، تحقيقًا لوعده تعالى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (الضحى: ٥).

وقد ورد أنَّ النَّبى ﷺ قال: "إذا لا أرضى وواحد من أمتى فى النَّار" الأحاديث القدسية، ج ٢، ص ٣٦، ٣٧.

* **أوَّل من اشفع له يوم القيامة من أمتى: أهل بيتى الأقرب فالأقرب من قريش ، ثمَّ الأنصار ، ثمَّ من آمن بى واتبعني من اليمن ، ثمَّ من سائر العرب ، ثمَّ الأعاجم ، ومن أشفع له أولاً أفضل**[١] . (عن ابن عمر)

* **أوَّل زمرة تدخل الجنَّة:** على صورة القمر ليلة البدر ، والثَّانية على لون أحسن كوكب درِّى فى السَّماء أضاء قلوبهم على قلب رجل واحد ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، ولا تحاسد ، لكلِّ امرئ منهم زوجتان ؛ كلُّ واحدة منهما يرى مخ ساقيها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون الله تعالى بكرة وعشيًّا ، لا يبصقون ، ولا يتمخطون ، آنيتهم الذَّهب والفضة ، وأمشاطهم الذَّهب ، ووقود مجامرهم الألوه[٢] . (أبو هريرة)

* * * * * * *

---

(١) الأحاديث التى وردت فى البخارى عن الشَّفاعة [٢١٣٢] عن أنس - رضى الله عنه - قال النَّبى ﷺ يقول: "إذا كان يوم القيامة شفعت ، فقلت: يارب ادخل الجنَّة من كان فى قلبه خردلة ؛ فيدخلون ، ثمَّ أقول: ادخل الجنَّة من كان فى قلبه أدنى شئ"

فقال أنس: كأنِّى انظر إلى أصابع رسول الله ، ﷺ.

[٢١٣٣] عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: حدثنا محمَّد ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة ماج النَّاس بعضهم فى بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون: اشفع لنا إلى ربِّك ، فيقول: لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنَّه خليل الرَّحمن .

فيأتون إبراهيم ، فيقول: لست لها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنَّه كليم الله .

فيأتون موسى ، فيقول: لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ، فإنَّه روح الله وكلمته .

فيأتون عيسى ، فيقول: لست لها ، ولكن عليكم بمحمَّد ، ﷺ.

فيأتونى ، فأقول: أنا لها ، فأستأذن على ربِّى ، فيؤذن لى ، ويُلْهمنى محامد أحمده بها ، لا تحضرنى الآن ، فأحمده بتلك المحامد ، وأخِرُّ له ساجدًا .

فيقال: انطلق فأخرج من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان ؛ فأنطلق فأفعل ، ثمَّ أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثمَّ أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال: يا محمَّد ارفع رأسك ، وقل يُسْمَعُ لك ، وسَلْ تُعطَ ، واشفع تُشفَّع .

فأقول: يارب أمتى .. أمتى ، فيقول: انطلق ، فاخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ، فأخرجْهُ من النَّار ، فأنطلق ، فأفعل .

وعنه فى رواية ؛ قال: ثمَّ أعود الرَّابعة ، فأحمدُهُ بتلك المحامد ، ثمَّ أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال: يا محمَّد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تُعْطه ، واشفع تُشَفَّع .

فأقول: يارب ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله .

فيقول: وعزتى وجلالى ، وكبريائى ، وعظمتى لأخرجن من قال لا إله إلا الله . (فى مسلم برقم ١٩٣) .

(٢) الأُلوه: العود الذى يتبخر به .

الفصل الثالث
فى الأوَّائل المتعلقة ببدء المخلوقات وأوَّائل الكائنات الكلية

* **أوَّل ما خلق الله تعالى:** القلم ، قال : أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . (عن عبادة بن الصَّامت)

* **أوَّل ما كتب بالقلم:** أنا التَّواب ، أتوب على من تاب . (عن أبى ذر)

* **أوَّل ما خلق الله - يعنى بعد القلم -:** اللَّوح المحفوظ ، فحفظ بما كتب الله فيه ممَّا كان ، ويكون ، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى .

وذكر الإمام(١) - فى الإتقان - نقلاً عن الثِّقات من المفسرين ، أنَّ أحرف القرآن فى اللَّوح المحفوظ ، كلّ حرف منها بقدر جبل قاف ، وأنَّ تحت كلّ حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله تعالى .

وفى الخبر: أنَّ اللَّوح المحفوظ فى جبهة إسرافيل ، وهو شيخ الملائكة ، وأوَّل من وكل بالوحى ، وقرن بالنِّبوة قبل جبريل ثلاث سنين .

وذكر عن أهل التَّفسير فى قوله تعالى(٢): ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾ ؛ أى: من استراق الشَّياطين والتَّغيير .

وفى الخبر: أنَّ الله تعالى جعل اللَّوح من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء عن يمين العرش ، ينظر الله تعالى إليه فى كلِّ يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، يحيى ويميت ، ويعزُّ ويذل ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ؛ وذلك ليعلم الخلق أنَّ كلَّ شئ عنده بمقدار(٣) .

---

(١) يقصد السَّيوطى ، وكتابه : "الإتقان فى علوم القرآن" .
(٢) (البروج : ٢١ ، ٢٢) ، كلمة (بل) غير موجودة فى الأصل .
(٣) قال ابن عباس : إنَّ ممَّا خلق الله تعالى لوحًا محفوظًا من درة بيضاء ، دفتاه من ياقوتة حمراء ، كتابه نور ، وقلمه نور ، عرضه كما بين السَّماوات والأرض .ينظر الله تعالى فيه كلَّ يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، منها يخلق ، ويرزق ، ويحيى ويميت ، ويفعل ما يشاء ، فذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ (الرحمن : ٢٩) (عرائس المجالس ، ص١٦) .

وفى الحديث عنه ﷺ ، أنَّ بين يدى الله تعالى لوحًا فيه مائة وخمس عشرة شريعة ، ويقول الله تعالى فيه : "وعزتى وجلالى لا يجيأنى عبد مؤمن بواحدة منهن إلا أدخلته جنتى"(١) .

* **أوَّل سورة كتبت فى اللَّوح المحفوظ:** فاتحة الكتاب(٢) .

* **أوَّل ما بدئ فى الوحى:** الرُّؤيا الصَّادقة فى النَّوم(٣) .

* **أوَّل آية نزلت من اللَّوح:** ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة : ١) .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى القلم ،** قال له : اكتب ، فقال : يارب ، ما أكتب؟ قال : اكتب علمى فى خلقى إلى يوم القيامة ؛ فجرى القلم بما أمر به سبحانه ، فافتقر إلى موحده وبارئه تعالى وتقدس(٤) .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى:** العقل - يعنى بعد القلم واللَّوح المحفوظ ، خلق العقل - وقال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت أجل منك شيئًا ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أحاسب ، وبك أعاقب(٥) .

* **أوَّل ما خلق الله من الأشياء النَّباتية:** اليراع ؛ أى : القصب ، ثمَّ خلق القلم من ذلك اليراع ، ثمَّ قال : اكتب ما يكون إلى يوم القيامة(٦) .

* **أوَّل المخاطبين:** هو أوَّل المخلوقين ، وهو العقل الهيولى النُّورانى ، ولمَّا كان لا نظير له فى المخترعات الأوليات ، كانت مخاطبة الحق له بمَّا فيه من معانى الحروف فى سر العقل ألفًا واحدًا لأنَّه حقيقة مجمع الحروف بالقوة ، فسمع أسرار العلوم بحقائق

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن .
(٢) المرجع السَّابق .
(٣) المرجع السَّابق .
(٤) (ذكره الشَّيخ فى الدّرة البيضاء) .
(٥) الغزالى ، فى : "خبر الملوك" .
(٦) السُّيوطى ، فى الهيئة السّنية ؛ وفى (عرائس المجالس ، ص ١٦) أنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى : القلم ، فنظر إليه نظرة هيبة ، وكان طوله كما بين السَّماء والأرض ، فانشق نصفين ، وقال : اكتب ، فقال : يارب ما أكتب؟ قال : أكتب ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ثمَّ قال : أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة .

الحروف قبل وجودها لعالم الأسماء ، فهو صاحب رمز وإشارة وإدراك[١] .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى:** العقل ، ثمَّ النَّفس ، ثمَّ الطَّبيعة ، ثمَّ الهيولى ، ثمَّ الجسم الكلى ، ثمَّ الأفلاك ، ثمَّ الأركان ، ثمَّ المولدات : وهى المعادن والنَّبات ، والحيوان ، وآخر موجود الإنسان ، وخلق الله الأرواح على مراتبها من مرتبة العقل إلى ما دونه[٢] .

* **أوَّل فطرة الإنسان:** خلقه الله تعالى جوهرًا ساذجًا خاليًا ، لا خير معه من عوالم اللهِ تعالى ، والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى ، كما قال[٣] : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ .

فيرتقى الإنسان طورًا بعد طور بواسطة الإدراك إلى أن ينتهى إلى طور العقل ، فأوَّل طور الإدراك العقل ، ووراءه طور آخر يبدأ به عوالم الغيب بالحواس الباطنة بعين الفؤاد وسمعه[٤] .

* **أوَّل ما خلق الله من الحواس الباطنة:** العقل ، ومن الحواس الظَّاهرة : اللَّمس[٥] .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى القلم - كما سبق -:** فجرى بما هو كائن ، ثمَّ الجوهر المذاب ، وهو من التَّجلى ، تصبب عرقًا فتكوَّن الماء ، ثمَّ رفع البخار من الماء ، فخلقت منه السَّماوات - كما سبق - .

* **أوَّل ما خلق الله السَّماء:** يعنى بعد الماء ، ثمَّ خلق الحوت بعد الماء ، فبسطت الأرض على ظهره ، فتحرك فمادت الأرض ، فانبثت بالجبال ، وإنَّ الجبال لتفخر بذلك على الأرض .

---

(١) شمس المعارف .
(٢) الدُّرة البيضاء للشيخ الأكبر .
(٣) (المدثر : ٣١) .
(٤) قاله الغزالى .
(٥) قاله الغزالى .

وسأل بعض الحواريين عيسى - عليه السَّلام - فقال: أنت روح الله وكلمته ، ما تحت هذه الأرض؟

قال: بحر من ماء ، حتى بلغ سبع أرضين ، وسبعة أبحر . قيل: فما تحت هذه الأرض السَّابعة؟ قال: صخرة مجوفة . قيل: فما تحت هذه الصَّخرة؟ قال: هي على منكب ملك . قيل: فما تحت الملك؟ قال: هو على ظهرثور . قيل: فما تحت الثَّور؟ قال: هو قائم على ظهر حوت ، وقد التقى طرفاه تحت العرش . قيل: فما تحت الحوت؟ قال: الماء . قيل: فما تحت الماء؟ قال: هواء ، وظلمة . قيل: فما تحت ذلك؟ قال: إلى هنا انتهى علمي ، وعلم العلماء[١] .

* أوَّل ما خلق الله: العرش[٢] ، وكان على الماء فارتفع بخار الماء ، ففتق منه السَّماوات ، ثمَّ خلق القلم واللَّوح ، وسُطِّر في الذِّكر ما هو كائن إلى يوم القيامة .

قال القاضي عياض - رحمه الله - اختلف العلماء في أوَّل المخلوقات ، فقيل العرش ، وهو قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وقيل الماء ، وقيل: العماء ، وهو السَّحاب الرَّقيق ، ويسمى عند الحكماء بالهيولى الكلية الجامعة ، المسماة بالقوة

---

(١) عن مجاهد ، في: "كنز الأسرار" .

(٢) قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ (غافر: ١٥) ؛ روى جعفر بن محمَّد ، عن أبيه عن جدّه ، أنَّه قال: في العرش فمثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر ، وقال هذا في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (الحجر: ٢١) .

وإنَّ ما بين القائمة من قوائم العرش ، والقائمة الثَّانية لخفقان الطَّير المسرع ثمانين ألف عام ، والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النّور ، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى .

والأشياء كلّها في العرش كحلقة ملقاة في فلاه ، وإنَّ لله ملكًا يسمى خرقبائيل له ثمانية عشر ألف جناح ، ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ، فخطر له خاطر ، هل يقدر أن ينظر إلى العرش؟ فزاده الله تعالى في الأجنحة مثلها ، فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ، ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ، ثمَّ أوحى الله تعالى إليه: أيها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف سنة ، فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ، ثم ضاعف الله تعالى له في الأجنحة والقوة ، وأمره أن يطير ، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة ، فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش .

فأوحى الله تعالى إليه: أيها الملك لو طرت إلى أن ينفخ في الصُّور ، مع أجنحتك وقوتك ، ما تبلغ ساق عرشي ، فقال الملك: سبحان ربِّي الأعلى ، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، فقال النَّبي ﷺ "اجعلوها في سجودكم" (عرائس المجالس ، ص ١٥) .

القابلية . وقيل الهواء ؛ وفى التَّفسير فى قوله تعالى[١]: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ﴾ ؛ أى: قبل خلق السَّماوات والأرض ؛ لأنَّه لم يكن تحت العرش سوى الماء .

وكان ذلك على متن الرِّيح ، قبل خلق الله تعالى ياقوتة خضراء ، ثمَّ نظر إليها فصارت ماءً يرتعد ، ثمَّ خلق الرِّيح ، فجعل الماء على متنها ، ثمَّ وضع العرش على الماء ، ثمَّ خلق السَّماوات والأرض ، وخلق القلم واللَّوح ، فكتب به ما هو كائن من خلقه ، ثمَّ إنَّ ذلك الكتاب سبح الله ومَّجده ألف عام قبل أن يخلق شيئًا من خلقه .

فالمعنى أنَّ العرش كان على الماء قبل خلق كلِّ شئ ، ولا دليل فيه على قدم الماء[٢] ، لقوله تعالى[٣]: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ .

* **أوَّل شئ خلقه الله تعالى من الأكوان الفلكية: الملكية القدسية** ، قال ابن عباس - رضى الله عنهما - هو العرش خلقه من نور ثمَّ الكرسى[٤] ، ثمَّ اللَّوح المحفوظ من دُرَّة بيضاء ، دفتاه من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابته نور . ينظر الله تعالى فيه كلّ يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، يخلق فى كلِّ نظرة ، ويحيى ويميت ، ويُعزُّ ويذل ، ويرفع أقوامًا ، ثمَّ خلق قلمًا من نور طوله خمسمائة عام ، وعرضه كذلك ، فقال له: اكتب ، قال: ما أكتب؟ قال: علمى فى خلقى إلى أنْ تقوم السَّاعة .

وسن القلم مشقوق ينبع منه المداد - يعنى فيض الفياض المطلق ، ونفحات الرَّحمن الحق منصبة ، ومتوجهة على الدَّوام على مخلوقاته ، بحسب سؤالهم بالسِّن ، الاستعداد الأزلى فى كمون علمه تعالى ، كما أشار إليه فى كتابه الحكيم[٥]: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[٦] .

---

(١) هود: ٧ .
(٢) تفسير الشَّيخ .
(٣) الحديد: ٣ .
(٤) قال الله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، وروى عن على - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ألكرسى لؤلؤة طولها لا يعلمه العالمون ، وقد جعل الله الكرسى أمانًا لأهل الإيمان من شر الشَّيطان" .
(٥) كنز الأسرار .
(٦) الرحمن: ٢٩ .

* **أوّل ما خلق الرَّحمن: العرش ، ثمَّ خلق الكرسى من نور ؛ فالعرش ملتصق بالكرسى ، وهو فرش الجنان ، والعرش سطحه ، والأعراف جوف الكرسى ، والماء** على الرِّيح .

قال وهب: والسَّماوات والأرض ، والدُّنيا والآخرة ، والجنَّة والنَّار ، **فى جوف** الكرسى ، وهو من نور يتلألأ ، ثمَّ خلق الله تعالى لوحًا من درة بيضاء . قلمه زمردة خضراء ، وكتابته من نور ، ينظر الله تعالى فيه كلَّ يوم **ثلاثمائة وستين نظرة ، يحيي ويميت** ، ويعز ويذل ، ويرفع أقوامًا ، ويخفض آخرين ، **ويحكم ما يشاء ، ويفعل ما** يريد[1] .

* **أوّل ما خلق الله تعالى عرشه:** خلقه من نور جبين حبيبه ؛ كما قال ﷺ فى الخبر: "العرش من نورى" فقال ملك مقرَّب من الملائكة: **إنِّى أريد يارب العزة أن أرى** العرش . فخلق له ثلاثين ألف جناح ، فطار ثلاثين ألف سنة ، **فقال تعالى: هل بلغت** إلى أعلى العرش؟

فقال: يارب لم أقطع بعد عشر قائمة من قوائم العرش ، وقوائمه ثمانى عشرة ألف قائمة ، فاستأذن الملك أن يعود مكانه ، فعاد متحيرًا فى عظمة ملكوته ، ورهبة جبروته ، معترفاً بضعف عبوديته[2] .

وفى الخبر: أنَّ على كلِّ قائمة قنديلاً ، وفى كلِّ قنديل من قناديله ثمانية عشر ألف عالم ، يا من له العظمة والكبرياء ، حارت العقول فى عظمة ملكوته . فأنى للعقول قدم فى إدراك عظمة ذاته تعالى وتقدَّس ؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: "تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذات الله سبحانه وتعالى"[3] .

* **أوّل ما خلق الله تعالى جوهرة:** فنظر إليها بنظر الهيبة ، فذابت ، وارتعدت من

(١) كنز الأسرار .
(٢) انظر: هامش (٢): ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ . . . ﴾ .
(٣) أي: فى نعمه .

خوف ربِّها ، فصارت ماءً ، ثمَّ نظر إليها بنظر الرَّحمة ، فجمد نصفها فخلق منه العرش ، فارتعد العرش ، فكتب الله عليه : "محمَّد رسول الله" ، فسكن العرش ، وترك الماء على حاله يرتعد إلى يوم القيامة ؛ وذلك قوله تعالى[1] : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .

وفى رواية : "كان عرش ربِّك على الماء ، ثمَّ خلق السَّماوات والأرض ، أى : تلاطم الماء ، أى : تموّج وصعدت منه أدخنة ، وارتفع بعضها متراكمًا على بعض .

وكان له زبد ، فخلق منه السَّماوات والأرض طباقًا ، فكانتا رتقًا ، فخلق الرِّيح فيها ، فتفتق بين أطباق السَّماء ، وأطباق الأرض ، كما أخبر سبحانه بقوله[2] : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وهى دخانٌ ﴾ .

قال أهل الحكمة : "إنَّما خلق السَّماء من دخان ولم يخلقها من بخار ؛ لأنَّ الدُّخان خلق متماسك الأجزاء ، يستقر منتهاه ، والبخار متراجع ، وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته .

ثمَّ نظر تعالى إلى الماء بعين الرَّحمة فجمد ، كما جاء فى الحديث من تفسير عين الحياة عند قوله تعالى[3] : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا... ﴾ .

* **أوَّل ما خلق الله العرش :** خلقه أعظم الأكوان فقال العرش : لم يخلق الله خلق أعظم منى ، فاهتزَّ ، فطوَّقه الله بحيَّة لها سبعون ألف جناح ، فى كلِّ جناح سبعون ألف ريشة ، فى كلِّ ريشة سبعون ألف وجه ، فى كلِّ وجه سبعون ألف فم ، فى كلِّ فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كلّ يوم من التَّسبيح عدد قطر المطر ، وورق الشَّجر ، وعدد الحصى والرِّمال ، وعدد أيام الدُّنيا ، وعدد الملائكة أجمعين ، التفت

(١) هود : ٧ .
(٢) فصلت : ١٤ .
(٣) الأنبياء : ٣٠ .

الحية بالعرش ؛ فالعرش إلى نصف الحية ، وهى ملتوية عليه[١] .

*** أوّل ما خلق الله تعالى من عالم الأمر :** القلم الأعلى من نوره ، طوله خمسمائة عام ، فقال له : إجرِ ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة[٢] .

ثمَّ خلق النُّون ، وهى الدواة ؛ قيل المراد من القلم القوة الكلية الفاعلية ، ومن الدّواة المادة الكلية الهيولية القابلية .

ثمَّ خلق الهواء ، أى : الزَّمان ، ثمَّ العرش من ألوان مختلفة من ذلك نور أخضر ؛ ومنه اخضرت الخضرة ، ونور أصفر ؛ ومنه اصفرت الصُّفرة ، ونور أحمر ؛ ومنه احمرت الحمرة ، ومنه نور أبيض ؛ فمنه نور الأنوار ، ومنه ضوء النَّهار .

ثمَّ جعله سبعين ألف ألف طبقة ، ليس من ذلك طبقة إلا تسبح الله تعالى وتمجدّه ، وتقدِّسه ، بأصوات مختلفة ، لو أذن الله للإنسان أن يسمع ذلك ، لهدت الجبال والقصور ، وخسفت البحار .

وعن جعفر الصَّادق - رضى الله عنه - فى العرش تمثال ما خلق الله تعالى فى البر والبحر[٣] ، وهو تأويل قوله تعالى[٤] : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ .

*** أوّل ما تعلقت به القدرة الإلاهية من عالم الخلق ، وهو عالم الأجسام :** جوهرة قدسيه نورية مسماة بالعنصر الأعظم ، وحقيقة الحقائق عند المحققين من أهل الله تعالى ، وبالهيولى الكلية الجامعة المسماة بالقوة القابلية الكلية عند الحكماء .

وعند بعضهم تسمى بالجوهر الفرد الذى لا يتجزأ ، وهو المخلوق الأوّل من وجه ، وهو جوهر قائم بنفسه متحيز فى مذهب ، وغير متحيز فى مذهب ، وهو الأصح عند أكثر المشايخ .

---

(١) "حياة الحيوان" للدميرى .
(٢) انظر : هامش (٩) .
(٣) كنز الأسرار .
(٤) الحجر : ٢١ .

وللموجود الأوَّل أسماء كثيرة ، ولشرفه اختلفت عليه الأسماء ، والألقاب: كالقلم ، والعقل ، والجوهر الفرد ، واللُّوح ، والرُّوح الكلى ، والحق المخلوق ، والعدل .

قال الشَّيخ الأكبر: وأوصافه كثيرة لا يحصيها إلا خالقها ، ولكن أشد ظهور الموجود الأوَّل فى الحقيقة المحمدية ، والحضرة الأحمدية كأنَّه هى لكمال اتصافها به .. فافهم[١] .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى - يعنى من العناصر الكلية الجامعة -:** قال ابن وهب: خلق الله تعالى أولاً جوهرة مضيئة ، طينة خاتم الأنبياء ، وعنصر سيد الأصفياء محمَّد ﷺ كفضة خاتم ، ونظر فيها بالهيبة ، فذابت ، وصارت ماءً .

وهو الذى استوى العرش عليه ثمَّ تموّج الماء ، واجتمع فى وسطه قطعة زبد فانفلقت أربع قطع ؛ فخلق من كلِّ قطعة حرمًا: حرم الكعبة ، والمدينة ، والقدس ، والكوفة ؛ وهو حرم رابع عند بعض المحققين ، وهو المروى عن على - رضى الله عنه- ولذا اتخذها على دار خلافة ، وسيتخذها المهدى خليفة آخر الزَّمان .

ثمَّ تلألأت الأرض من تلك الطِّينة ، فلمَّا رُكِّب آدم منها من طين ، تلألأت جبهته بنوره ، ثمَّ نقل النُّور من صلبه إلى صلب طاهر حتى أخرجه من بين أبوابه لم يلتقيا على سفاح قط ، كما ذكره فى الشِّفاء[٢] وغيره .

قال الحافظ الدِّمشقى فى وصف آبائه بنوره ﷺ:

نقلب فيهم قرنًا فقرنًا ::: إلى أنْ جاء خير المرسلين

ولبعض الفضلاء[٣]:

---

(١) من الدّرة البيضاء ، للشيخ الأكبر ، ويقصد "ابن العربى" صاحب الفتوحات المكية .
(٢) القاضى أبو الفضل عياض/ الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
(٣) ذكره السُّيوطى فى كتاب: "الحنفاء" ، والقصيدة طويلة .

حفظ الإلـه كـرامة لمحمَّـد ::: آبـاءه الأمجـاد صـونًا لاسمـه
تـركوا السِّـفاح فلم يصبهم عاره ::: مـن آدم وإلى أبـيه وأمـه

وقال السُّيوطى نقلاً عن الإمام الفخر الرَّازى:

ونحـا الإمـام الفخر رازى الـورى ::: مـنحى بـه للسـامعين تشـنـف
قـال الأوَّلى ولـدوا النَّبى المصطفى ::: كـلّ عـلى التَّوحـيد إذ يتحنـف
مـن آدم لأبيه عبد الله مـا ::: فـيهم أخـو شـرك ولا مستنكف
فالمشـركون كمـا بسورة توبـة ::: نجـس وكلّهـم بطهـر يوصـف
وبسـورة الشُّعراء فيه تقلـب ::: فى السَّـاجدين وكلّهـم متحنـف
هـذا كلام الشَّيخ فخر الدِّين فـى ::: أسـراره هطلـت علـيه الـذّرف
وجـزاه ربُّ العـرش خير جزائـه ::: وجـزاه جـنَّات النَّعـيم تزخرف
فلقـد تدين فى زمان جهالـة ::: فـرق يديـن لـلهدى وتحـنفـوا
زيـد بن عمرو وابن نوفل هكـذا ::: الصّـديق مـا شـرك عليه يعكف
صـلى الإلـه عـلى النَّبى المصطفى ::: مـا جـدد الدِّيـن الحنيفى أحنف

* أوَّل ما تعلقت به القدرة من عالم الأمر الإلهى: الرُّوح ، وهو المسمى بالرُّوح المحمدى الكلى ، تكونت الأرواح منه قبل الأجسام ، كما أشار ﷺ: "أنا أبو الأرواح ، وآدم أبو البشر".

تعريف الرُّوح:

(تحقيق): اختلف أهل التَّحقيق فى تعريف الرُّوح ؛ قيل للإمام الغزالى:

ما معنى قوله تعالى[1]: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾؟

وما معنى عالم الأمر ، وعالم الخلق؟

فقال: عالم الأمر ؛ عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس ، والخيال ، والجهة والمكان ، والتَّحيز ، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتَّقدير.

---

(١) الإسراء: ٨٥.

وعالم الخلق ؛ عبارة عن كلّ ما يقع عليه مساحة وتقدير من الأجسام وعوارضها .

وقال : **الرُّوح** ؛ أمر ربّانى ، وحقيقة ذات الرُّوح أنَّه قائم بنفسه ليس بعرض ولا جسم ، ولا هو متحيز ولا يحل المكان والجهة ، ولا هو متصل بالبدن والعالم ، ولا منفصل عنه . ولا هو داخل فى أجسام العالم والبدن ولا خارج ، بل الرُّوح نفحة ربانية ولطيفة إنسانية سارية فى عالم البدن ، سريان التَّصرف والتَّدبير من السُّلطان إلى ممالكه تحت تصرفه وحكمه .

وقيل : جوهر مجرّد غير متحيز ، وقيل جسم لطيف وراء هيكل المحسوس ، له هيكل نورانى ، وجسم روحانى ، سريانه فيه كالماء فى الورد ، والنَّار فى الفحم ، والسّم فى البدن .

وقيل سريانه فى البدن تعلق التَّدبير والتَّصرف ، كالشَّبكة فى يد الصّياد ، والإقليم تحت حكم الملك له جنود من القوى الباطنة والظَّاهرة ، مُسخرة تحت حكمه ، بأمر بارئه ومبدعه على خمسة عشر وجهًا بل أكثر .

وأصح تعريفاته : السُّكوت ، وتفويض أمره إلى موجده وبارئه من العدم ، والوقوف عند قوله(١) : ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ .

* **أوَّل ما نفخ الرُّوح فى آدم :** فى رأسه ، فجعل ينظر وهو يخلق ، وبقيت رجلا ، فقال : يارب ، عَجِّل قبل اللَّيل(٢) .

* **أوَّل ما قاله آدم بعد نفخ الرُّوح :** الحمد لله ربِّ العالمين ؛ وهى أوَّل كلمة جرت على لسانه ، فقيل له : ولهذا خلقت يا آدم(٣) .

* **أوَّل حركة صدرت من آدم بعد نفخ الرُّوح :** العطاس ، لَّما سرى الرُّوح فى

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

(٢) (ورد فى الحديث عن سلمان - رضى الله عنه - عن النَّبى ، ﷺ) .

(٣) (ورد فى الحديث الصَّحيح بمعناه) .

أعضائه ، بعد دخوله في الخيشوم ، وصل إلى الدِّماغ ، فعطس ، وحمد الله تعالى ؛ فصار التَّحميد أوَّل سُنَّة بشرية ظهرت على لسان آدم ، فكانت أفضل من الفرد المقابل من الرَّد للحامد العاطس من تشميت الملائكة .

فلهذا ورد أفضل القرآن : ﴿ **الحمد لله ربِّ العالمين** ﴾ ، فتكلم الأفضل من الملائكة ، بالأفضل من القرآن ؛ لأنَّه ورد في الحديث : "أفضل القرآن ﴿ **الحمد لله ربِّ العالمين** ﴾" فبدأ به أولاً ، ويختم به آخرًا[١] ، كما قال الله في أهل الجنَّة[٢] : ﴿ **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

* **أوَّل من أفشى السَّلام ، وبادر بالسَّلام :** آدم ، لمَّا قام على رجليه بعد نفخ الرُّوح ، والتفت يمينًا وشمالاً ، فرأى في الجنَّة مجالس الذِّكر من الملائكة ، فمشى نحو مجلس الذِّكر ، فهي أوَّل مشية صدرت منه ، ثمَّ استأنس بالذِّكر ، والذَّاكرين ، فسمى إنسانًا من الأنس ؛ فصار السَّلام سنة ثابتة جرت على لسان النُّبوة .

وفي الخبر ، إنَّما سمي إنسانًا لأنَّه نسي ما عهد مع الله تعالى من أكل الشَّجرة ، ونسي ما وهب من عمره لولده داود عليهما السَّلام (ستين سنة) ، كما ورد في الأحاديث[٣] .

---

(١) قاله بعض المحققين .

(٢) يونس : ١٠ .

(٣) عندما استخرج الله ذرية آدم من ظهره ، فرأى فيهم الأنبياء - عليهم السَّلام - ورأى فيهم رجلاً يزهر .
فقال : أي ربِّ ، من هذا؟ قال : هذا ابنك "داود" ، قال : أي ربِّ ، كم عمره؟ قال : ستون عامًا ، قال : أي ربِّ زد في عمره ، قال : لا ، إلا أن أزيده من عمرك ، وكان عمر "آدم" ألف عام ، فزاده أربعين عامًا .
فلمَّا انقضى عمر "آدم" جاءه ملك الموت ، فقال له : بقي من عمري أربعون عامًا .
ونسي آدم ما كان من وهبه لولده "داود" ، فأتمها الله لـ"آدم" ألف سنة ، ولـ"داود" مائة عام . (رواه أحمد عن ابن عباس ، والتِّرمذي ، وصححه عن أبي هريرة ، وابن خزيمة ، وابن حبَّان ، وقال الحاكم على شرط مسلم) .
وهناك رواية للحديث أخرى : عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ "لمَّا خلق الله آدم ، ونفخ فيه الرُّوح عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذن الله ، فقال له ربُّه : يرحمك ربُّك يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس ، فسلم عليهم ، فقال : السَّلام عليكم ، فقالوا : وعليكم السَّلام ورحمة الله .
ثمَّ رجع إلى ربِّه فقال : هذه تحيتك ، وتحية نبيك بينهم .
وقال الله ، ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربِّي ، وكلتا يدي يمين ربِّي يمين مباركة ، =

* **أوَّل من ردَّ التَّسليم والتَّرحيب للعاطس الحامد: الملائكة** ، على آدم عليه السَّلام ، فكان ذلك الرَّد **أوَّل** الفروض الكفائية على بنى آدم ؛ فالسُّنة البشرية من السَّلام والحمد عند العطاس أفضل من الفرض الملكى من حيث التَّسبب ؛ فافهم سر تفضيل آدم عليه السَّلام ، وتعليمه الملائكة ، وتشريعه الأحكام من السُّنن والفروض[1] .

* **أوَّل حمل حواء خفيف**: مذكور فى القرآن ، كما قال تعالى[2]: ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً**... ﴾ ؛ **قيل فى تفسيرها: فلمَّا قرب وضع أوَّل ولد جاءها** إبليس ، فقال: ما هذا الذى فى بطنك؟ **قالت**: ما أدرى . فقال: **أخاف أن تكون** بهيمة ، أو قال: أخاف أن لا يعيش - **كما ورد فى الخبر - وإنِّى من الله بمنزلة وقربه** ، فإن دعوت الله وولدت إنسانًا صالحًا ، أتسمينه باسمي؟ فقالت: **نعم ، وما اسمك؟** قال: عبدالحارث .

فكذب إبليس ، وكان اسمه فى الملائكة (حارث) فخدعها ، **فهو أوَّل خدعة فى** الأرض ، **كما أنَّه أوَّل خدعة فى أكل الشَّجرة فى الجنَّة ، أو فى السَّماء**[3] .

* **أوَّل ما يخلق الله فى الإنسان عند تكونه فى الكون الشّهادى: حاسة اللّمس** ، فيدرك بها أجناسًا من الموجودات كالحرارة ، والبرودة ، والرُّطوبة ، **واليبوسة** ؛

=ثمَّ بسطهما ، فإذا فيهما آدم وذريته . فقال: أى ربِّى ، ما هؤلاء؟ . قال: هؤلاء ذريتك . وإذا كان كلُّ إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه ، وإذا فيهم رجل أضوؤهم - أو من أضوئهم - لم يكتب إلا أربعون سنة قال: يارَبِّ ، من هذا؟ . قال: هذا ابنك داود . وقد كتب الله عمره أربعين سنة ، قال: أى ربِّ زد فى عمره ، فقال: ذاك الذى كتب له ، قال: فإنِّى قد جعلت له من عمرى ستين سنة ، قال: أنت وذاك ، اسكن الجنَّة ؛ فسكن الجنَّة ما شاء الله ، ثمَّ هبط منها . وكان آدم يعد لنفسه ، فأتاه ملك الموت ، فقال له آدم: "قد عجلت ، قد كتب لى ألف سنة ، قال: بلى ، ولكنَّك جعلت لابنك داود منها ستين سنة . فجحد آدم ، فجحدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته ؛ فيومئذ أمر بالكتاب والشُّهود . (ابن كثير: "قصص الأنبياء ، ص ٤٥) .

(١) ذكره الإمام النَّووى .

(٢) الأعراف: ١٨٩ . يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

(٣) ذكره أهل التَّفسير .

واللّمس قاصر على الألوان .

ثمَّ يخلق له حاسة البصر ، فيدرك بها الألوان ، وهو أوسع عالم المحسوسات ، ثمَّ ينفتح السَّمع فيسمع الأصوات .

ثمَّ يخلق الذَّوق ، ثمَّ يخلق فيه التَّمييز ، وهو قريب من سبع سنين ؛ ولذا أشار النَّبي ﷺ: "مروا صبيانكم بالصَّلاة إذا بلغوا سبعًا"(١) .

ثمَّ يترقى إلى طور آخر فيخلق له العقل ، فيدرك الواجبات ، فيصير مكلفاً بعد عشر سنين ، فيقبل التَّأديب والتَّكليف ، ولذا قال "واضربوهم إذا بلغوا عشرًا" فافهم سر التَّشريع النَّبوي(٢) .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى من أعضاء الإنسان:** فرجه ، ثمَّ قال: هذا أمانتي عندك ، فلا تضعها إلا في حقها(٣) .

* **أوَّل من سجد حين أمرت الملائكة بالسُّجود لآدم:** إسرافيل - عليه السَّلام - ولذا وكِّل بالأرواح الإنسانية ، وبالصّور ، واللَّوح المحفوظ المتعلق بعالم الإنسان(٤) .

* **أوَّل مخلوق على صورة الإنسان قبل خلق البشر:** إسرافيل ، فإنَّ الله خلقه على

---

(١) عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال: قال رسول الله ﷺ مروا أولادكم بالصَّلاة إذا بلغوا سبعًا ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا ، وفرقوا بينهم في المضاجع" .
(رواه أحمد والحاكم ، وأبو داود - قال الحاكم: هو صحيح على شرط مسلم)

(٢) ذكره الغزالي ، في: "الفسطاس" .

(٣) السُّيوطي: الأوَّائل ، ص ١٦ ، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع عن ابن عمرو مرفوعاً .
جاء في "الأوَّائل" للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبراني ، ص ٤٣ ، ٤٤ : "حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا محمَّد بن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبدالله بن عمرو ، قال: "أوَّل ما خلق الله من الإنسان فرجه ، فلمَّا تم خلقه ، قيل له لا تنزله إلا في حلِّه" .
ولم يجئ الحديث بهذه الصِّيغة ، وقال السُّيوطي في الوسائل ، ص ١٦ : "أوَّل ما خلق الله من الإنسان فرجه ، **ثمَّ قال: هذه أمانتي عندك ، فلا تضعها إلا في حقها**" .
انظر: **ذم الهوى ، لابن الجوزي** ، ص ١٩٣ : **الأوَّائل ، لأبي بكر الحنبلي** ، ص ٨٥ .

(٤) السُّيوطي . ص ١٧ ، أخرجه ابن أبي حاتم عن ضمرة ، والسلفي في "الطيوريات" عن عمر بن عبد العزيز ، والسلفي أبي طاهر أحمد بن محمد بن سلفة المتوفى سنة ٥٧٦هـ ، و"الطيوريات" في مجلدين ، انتخبها من حديث ابن الطيوري ، انظر الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ٩٢ .

صورة الإنسان ، وهو أقرب الملائكة إلى الله تعالى ؛ وفى الحديث النَّبوى : "لا تضربوا الوجه فإنَّه على صورة إسرافيل عليه السَّلام"[١] .

قال المحققون : كلُّ مخلوق فى مرتبة من صورة وهيئة ظاهرة وباطنة ، فحسن ، ولكنَّ الإنسان خلق فى أحسن تقويم ، ولم يخلق أجمل منه ، ولا أحسن ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين[٢] .

* **أوَّل يوم خلقه الله :** يوم الأحد[٣] .

* **أوَّل ابتداء خلق العالم :** كان فى يوم الأحد ، والفراغ (منه) فى يوم الجمعة ، وفيه نفخ آدم الرُّوح ، ثمَّ خلقت حواء من آدم عليهما السَّلام ، وأسكنا الجنَّة ثلاث ساعات ، وهو ربع يوم من أيام الآخرة (وهو يعادل) مائتا سنون وخمسون سنة من أعوام الدُّنيا[٤] .

* **أوَّل ما خلق الله من الزَّمان :** اللَّيل ، ثمَّ النَّهار ، ثمَّ الشَّمس ، ثمَّ القمر ؛ فجعل الشَّمس ضياءً ، والقمر نورًا ، يعنى لأهل الدُّنيا . . وأمَّا الآخرة فليس فيها شمس ولا قمر ؛ لأنَّ الجنَّة نور كلُّها[٥] .

* **أوَّل ما خلق اللَّيل :** مظلمًا ، وخلق النُّور ، فطرد الظُّلمة إلى حيث شاء الله ، ثمَّ خلق الشَّمس والقمر والنَّهار ، وليس لله خلق أعظم من اللَّيل والنَّهار ؛ وكان يقول

---

(١) الحديث .

(٢) روضة المعارف .

(٣) الأوائل ، للسيوطى ، ص ١٥ .أخرجه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس .

(٤) فى أصول التَّواريخ : ذكر الرُّواة أنَّ الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء يوم الأحد إلى الخميس ، فخلق الأرض فى يومين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وأقواتها فى يومين ، وخلق فى يوم الخميس ثلاثة أشياء : السَّماوات ، والملائكة ، والجنَّة ، إلى ثلاث ساعات بقين من يوم الجمعة ؛ فخلق فى السَّاعة الأولى : الأوقات والآجال ، وفى الثَّانية : الأرزاق ، وفي الثَّالثة : آدم عليه السَّلام ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ (فصلت : ١٢) .
الثَّعلبى : "عرائس المجالس" ، ص ١٤ .

(٥) كنز الأسرار .

بعض الأعيان: "إذا جاء اللَّيل جاء خلق الله الأعظم .

وذكر بعض المفسرين: أنَّ الله خلق جوهرتين إحداهما مظلمة ، والأخرى مضيئة ؛ فاستخلص من المضيئة كلَّ نور ، فخلق من نورها النَّهار ، ومن الباقى النَّار ، واستخلص من الظُّلمة كلَّ ظلمة ، فخلق منها اللَّيل ، وخلق من الباقى الجنَّة ، والنَّهار من النَّار ؛ فلذلك كان الأنس باللَّيل أكثر ، وهو محل المعراج ، وأنس المحبين ، ومرآة المشاهدة ، ومحل التَّنزلات الرَّبانية ، وكلُّها فى الجنَّة[١] .

* أوَّل ما خلق الله تعالى: النُّور والظُّلمة ، ثمَّ (مَيّز) بينهما ، فجعل الظُّلمة ليلاً ، وجعل النُّور نهارًا[٢] .

* أوَّل شئ بناه الله: السَّماء ، جاء ذلك فى التَّوراة[٣] .

* أوَّل ما خلق من الحيوان: النَّحلة ، وآخر ما خلق من الحيوان: القرد[٤]

* أوَّل ما خلق من النَّبات: الكمأة[٥] .

* أوَّل تكوين فى الأرض: المعدن ، ثمَّ النَّبات ، ثمَّ الحيوان ، ثمَّ الإنسان ، وهو آخر مخلوق[٦] .

* أوَّل بيت: بنى الكعبة ، قال تعالى[٧]: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

---

(١) كنز الأسرار .
(٢) السُّيوطى ، ص ١٥ ، الوسائل إلى معرفة الأوائل .أخرجه ابن جرير فى تفسيره عن ابن إسحاق .
(٣) الأوائل: للسيوطى ، ص ١٥ نقله العسكرى عن العتبى ، قال: وجدت ذلك فى التوراة ، انظر أوائل العسكرى ص ٤٢٣ .
(٤) ذكره الشَّيخ الأكبر .
(٥) ذكره الشَّيخ الأكبر .
(٦) ذكره الشَّيخ الأكبر .
(٧) آل عمران: ٩٦ . انظر: أوائل السيوطى ص ١٥ ، (أولُ)بضم اللام ، وهى ضمة بناء لقطعه عن الإضافة ، مثل (قبلُ ، وبعدُ) .

وفى حديث أبى ذر ، قلت يا رسول الله : "أى مسجد وضع أولُ ، قال : المسجد الحرام"[١] .

قال الحسن - رضى الله عنه - : "إنَّه أوَّل مسجد عُبد الله فيه فى الأرض ، بعث الله جبريل إلى آدم - عليه السَّلام - فأمره ببناء الكعبة ، فبناه آدم ، ثمَّ أُمِرَ بالطَّواف به ، وقيل له : أنت أوَّل النَّاس ، وهذا أوَّل بيت وضع للناس"[٢] .

* **أوَّل جبل وضعه الله على الأرض:** جبل أبى قبيس ، ثمَّ مُدَّت منه الجبال[٣] .

* **أوَّل من وضع مقام إبراهيم للناس بعد الطُّوفان:** ابن مضر ، ولم تزل العرب تعظمه ، مضر كان يسمع تلبية النَّبى ﷺ من صلبه[٤] .

* **أوَّل بيت وضع للعبادة والبركة:** الكعبة ، قال على - رضى الله عنه - وابن عباس - رضى الله عنهما - هو أوَّل بيت وضع فى الأرض ؛ بناه آدم عليه السَّلام .

وعن قتادة ، والحسن : كان قبله بيوت كثيرة ، ولكنَّه أوَّل بيت وضع للعبادة .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أنَّ هذا البيت أحد خمسة عشر بيتًا ، فى كلِّ سماء بيت ، وفى كلِّ أرض بيت ، بعضهن مقابل بعض ، ولكلِّ بيت زوَّار (بل ابن عباس يزوره مثلى)[*] .

---

(١) روى أنَّه - عليه السَّلام - سُئل عن أوَّل بيت وضع للناس ، فقال : المسجد الحرام ثمَّ بيت المقدس ، وسُئِلَ : كم بينهما؟ فقال : أربعون سنة .
وقيل : أوَّل من بناه "إبراهيم" - عليه السَّلام - وقيل "آدم" عليه السَّلام .

(٢) ذكره السُّيوطى ، ص ١٦ ، وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .
ذكر ابن جرير عن ابن عباس ، أنَّ الله قال : يا آدم إنَّ لى حرمًا بحيال عرشى ، فانطلق ، فابن لى فيه بيتًا ، فطف به ، كما تطوف ملائكتى بعرشى ، وأرسل الله له ملكًا فعرَّفه مكانه ، وعلمه المناسك .
وذكر أنَّ موضع كلِّ خطوة خطاها آدم صارت قربة بعد ذلك .

(٣) الحديث للسيوطى ، ص ١٥ .أخرجه البيهقى فى الشعب ، وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعاً .قال ابن عساكر : فى إسناده مجهول ، وإنَّما يحفظ من قول عطاء .

(٤) تاريخ مكة .

(*) هكذا فى الأصل .

قال الحسن بن على - رضى الله عنهما -: أنَّ الله بعث ملائكة ، فقال ابنو لى بيتًا فى الأرض بمثال البيت المعمور وقدره ، وأمر أن يطوفوا به كما يطوف أهل السَّماء بالبيت المعمور . قال: وهذا كان قبل آدم - عليه السَّلام - واتفقوا على أنَّه أوَّل بيت وضع للعبادة ، وإنَّما اختلفوا: هل هو أوَّل بيت؟

قال الإمام النَّووى: قول الجمهور إنَّه أوَّل بيت وضع مطلقًا[١] .

* أوَّل من بنى بيت المقدس: وهو المسجد الأقصى ؛ قال بعض المحققين: بنته الملائكة قبل آدم ، الذين سلطهم الله على الجن بعد عصيانهم ، وقتل أنبيائهم ، كانوا قد استقروا على الأرض قبل آدم ، وعبدوا الله فيها .

(و) قال ابن عباس - رضى الله عنه -: أوَّل من بناه "آدم" عليه السَّلام ، ثمَّ بناه سام بن نوح ، ثمَّ ولى من أولياء الله تعالى ، ثمَّ داود ابتدأ بناءه ، فأتمه سليمان عليه السَّلام .

ذكر فى تاريخ القدس (أنَّه) كان داود عند بنائه ينتخب ويؤثر لمحرابه أحجارًا لطيفة ، فقال تعالى: "يا داود إنَّك آثرت نفسك على إخوانك ، لا تقدر على بنائه ، سيبنيه ابنك سليمان . فلمَّا بلغ سليمان مبلغ الحلم بناه ، واستعمل فيه الجن والعفاريت ، وحكماء الأرض ، فلمَّا فرغ من بنائه ذبح ثلاث آلاف بقرة ، وسبعمائة ألف شاة ، قربانًا وشكرًا لله[٢] .

* أوَّل قرية بنيت على وجه الأرض: قرية ثمانين ، بناها نوح - عليه السَّلام - لمَّا خرج من السَّفينة ، وسميت باسم الثَّمانين الذين كانوا معه فى السَّفينة ، كانوا سريانيين (وهو) منسوب إلى سورية ، وهى أرض الجزيرة ، وكان نوح وقومه قبل الغرق فيها ، وكان لسانهم سريانيًّا إلا رجلاً واحدًا ، يقال له جرهم ، فكان لسانه (عربيًّا)[٣] .

---

(١) تاريخ مكة .
(٢) تاريخ بيت المقدس .
(٣) (العربى) أوائل السُّيوطى ، وروى علياء بن أحمر عن عكرمة بن عباس ، قال: كان مع نوح فى السَّفينة ثمانون=

* **أوَّل ما نزل نوح - عليه السَّلام - من السَّفينة:** على جبل ، يقال له : "الجودى" بقرب الموصل ودجلة ، نزل ومعه أولاده : سام وحام ويافث[(١)] ، وبناته الثَّلاث ، وأزواج أولاده ، وأربعون رجلاً ، وأربعون امرأة .

فابتنوا مدينة الثَّمانين ، وقطع نسل هؤلاء الثَّمانين ، وجعل الله نسل الخلائق من نوح - عليه السَّلام - ومن أولاده الثَّلاثة ، كما أخبر تعالى[(٢)] : ﴿ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ** ﴾ ، ثمَّ تفرَّق نسله ، وقسَّم الأرض بينهم .

عاش نوح بعد الطُّوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، وجميع عمره الشَّريف - وهو الجد الثَّانى - تسعمائة وخمسون سنة[(٣)] .

=رجلاً معهم أهلوهم ، وأنَّهم كانوا فى السَّفينة مائة وخمسين يومًا ، وأنَّ الله وجه السَّفينة إلى مكة ، فدارت بالبيت أربعين يومًا . ثمَّ وجهها إلى الجودى ، فاستقرت عليه ، فبعث نوح - عليه السَّلام - الغراب ليأتيه خبر الأرض ، فذهب ، فوقع على الجيف ، فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة ، فأتته بورق الزَّيتون ، ولطخت رجليها بالطِّين . فعرَّف نوح أنَّ قد نضب ، فهبط إلى أسفل الجودى فابتنى قرية ، وسماها ثمانين ، فأصبحوا ذات يوم وقد تبللت ألسنتهم على ثمانين لغة ، أحدها العربيَّة ، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح - عليه السَّلام - يعبر عنهم .

(١) يقول ابن كثير: قلت: وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى سنده: حدثنا إبراهيم بن هانئ ، وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس ؛ قائلاً: حدثنا محمَّد بن يزيد بن سنان الرَّهاوى ، حدثنا أبى عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، قال: "قال رسول الله ﷺ ولد لنوح: سام وحام ويافث . فولد لسام: العرب وفارس والرُّوم ، والخير فيهم . وولد ليافث: يأجوج وماجوج والتُّرك والصَّقالبة ، ولا خير فيهم . وولد لحام: القبط والبربر والسُّودان . روى الحديث عن إسماعيل بن عباس عن يحيى بن سعيد بن المسيب" . ولد نوح ثلاثة: سام ويافث وحام ، وولد كلٌّ واحد من هذه الثَّلاثة ، ثلاثة . فولد سام: العرب وفارس ، والرُّوم . وولد يافث: التُّرك ، والصَّقالبة ، ويأجوج ومأجوج . وولد حام: القبط والسُّودان والبربر . (الحديث رواه: ابن سعد فى الطَّبقات الكبرى (١/١/١٨/التَّحرير) . ورواه: الطَّبرى فى تاريخه (١/٢١٠/المعارف) . والسُّيوطى فى الفتح الكبير (٣٠٣١٣) .

(٢) الصَّافات: ٧٧ .

(٣) أصول التَّواريخ .

يقول ابن كثير: ويزعم أهل الكتاب أنَّ نوحًا - عليه السَّلام - لمَّا ركب السَّفينة ، كان عمره ستمائة سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة ؛ وفى هذا القول نظر . ثمَّ إن لم يمكن الجمع بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض ، فإنَّ القرآن يقتضى أنَّ نوحًا مكث فى قومه بعد البعثة وقبل الطُّوفان ألف سنة إلا خمسين عامًا ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ، والله أعلم ، كم عاش بعد ذلك . فإن كان ما ذكر محفوظًا عن ابن عباس ؛ من أنَّه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة ، وأنَّه عاش بعد الطُّوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فيكون قد عاش ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة . (قصص الأنبياء ، لابن كثير ص ١٠٢)

*** أوَّل وصى من أوصياء بنى آدم ووليه : "شيث"** - عليه السَّلام - وذلك أنَّ آدم - عليه السَّلام - لمَّا مات عن أربعين ألفًا من أولاده فى زمنه ، أوصى "شيث" أن يحكم بصحفه المنزلة عليه .

وأوصاه بشأن الوديعة المودعة ، وهى النُّور المحمدى ، والسِّر الأحمدى ، وأن يوصى ولده (من) بعده ، ويحتفظ بمكنونها ، فكانت وصية جارية ، تنقل من قرن إلى قرن ، إلى أن بدا فى القرن القرشى الهاشمى صلوات الله عليه[١] .

*** أوَّل من أعطى النُّبوة من بنى آدم : "إدريس"[٢]** - عليه السَّلام - وهو جد "نوح" - عليه السَّلام - يقال له "أخنوخ" وهو اسم سريانى ، وقيل عربى ، مشتق من الدِّراسة ؛ لكثرة درسه الصُّحف[٣] .

فلمَّا رأى الله تعالى من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم فى أمر الله ، رفعه الله تعالى إلى السَّماء السَّادسة ، وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة[٤] .

---

(١) كتاب بدء المخلوقات .
ومعنى "شيث" هبة الله ، وسمياه بذلك (آدم وحواء) لأنَّهما رزقاه بعد أن قُتل "هابيل" . قال أبو ذر فى حديثه عن رسول الله ﷺ: "إنَّ الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف ، على "شيث" خمسين صحيفة . قال محمَّد بن إسحاق : ولمَّا حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه "شيث" وعلمه ساعات اللَّيل والنَّهار ، وعلمه عبادات تلك السَّاعات ، وأعلمه بوقوع الطُّوفان بعد ذلك . قال : ويقال إنَّ أنساب بنى آدم اليوم كلّها تنتهى إلى "شيث" ، وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا . . والله أعلم . (قصص الأنبياء ، ص ٦٣)

(٢) كان أوَّل بنى آدم أعطى النُّبوة بعد آدم عليهما السَّلام .
هذا الأثر أخرجه "ابن سعد" فى الطَّبقات الكبرى (١ / ١ / ١٦) من طريق هام بن محمَّد بن السَّائب الكلبى عن أبيه ، عن أبى صالح عن ابن العباس .

(٣) ذكر ابن إسحاق أنَّه أوَّل من خط بالقلم .
وقد قال طائفة من النَّاس : إنَّه المشار إليه فى حديث معاوية بن الحكم السَّلمى ، لمَّا سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرَّمل ، فقال : "إنَّه كان نبى ، يخط به ، فمن وافق خطه ، فذاك" .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .
هو كما ثبت فى الصَّحيحين فى حديث الإسراء أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ به وهو فى السَّماء الرَّابعة .
وقد روى ابن جرير عن يونس ، عن عبد الأعلى عن ابن وهب ، عن جرير بن حازم ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن ياف ؛ قال : "سأل ابن العباس كعب ، وأنا حاضر ، فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ؟ فقال كعب : أمَّا إدريس ، فإنَّ الله أوحى إليه : إنى أرفع لك كلّ يوم مثل جميع بنى آدم - لعلّه من أهل زمانه - فأحبّ أن يزداد عملاً ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال : إنَّ الله=

قال ابن عباس: "كان بين نوح وإدريس - عليهما السَّلام - ألف سنة"[١].

* أول حائط على وجه الأرض: حائط "حرّان" و "دمشق" ثم "بابل".

لما هبط نوح عليه السلام من السفينة، أشرف من تل حرّان. فأتى حرّان فخطها. فكانت "حرّان" أول مدينة خطت بعد الطوفان، ثم دمشق[٢].

* أول مدينة مُدِّنت في زمن الصحابة (رضى الله عنهم): البصرة، وهى مدينة عمرية بنيت فى خلافته، لم يعبد فيها صنم، ولم يبن فيها كنيسة، كان بها سبعة آلاف مسجد[٣].

* أول مدينة مُدّنت بعد البصرة فى الإسلام: الكوفة يُقال لها العلوية مدّنها سيدنا على رضى الله عنه، وفيها مشهد عظيم، يقال فيه إمامنا رضى الله عنه مع جم غفير (رضى الله عنهم)[٤].

=أوحى إلىَّ كذا وكذا، فكلّم ملك الموت حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثمَّ صعد به إلى السَّماء. فلمَّا كان فى السَّماء الرَّابعة، تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلّم ملك الموت فى الذى كلّمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهرى، فقال ملك الموت: يا للعجب! بُعثت وقيل لى اقبض روح إدريس فى السَّماء الرَّابعة. فجعلت أقول: كيف أقبض روح إدريس فى السَّماء الرَّابعة وهو فى الأرض!! فقبض روحه هناك؛ فذلك قول الله عزّ وجل: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾.

وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾، رفع إلى السَّماء السَّادسة - كما ذكر هنا - فمات بها، وهكذا قال الضَّحاك.

والحديث المتفق عليه من أنَّه فى السَّماء الرَّابعة.. أصح.

(١) الإتقان، ١٣٨/٢، فى المستدرك عن ابن عباس، وقال ابن إسحاق كان إدريس أول بنى آدم أعطى النبوة وهو أخنوخ بن يراد بن مهلاييل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم. وقال وهب بن منبه إدريس جد نوح.

(٢) أوائل السيوطى ص١٩ "وأخرج ابن عساكر عن كعب، قال: أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حران ودمشق ثم بابل، وأخرج عن خصيف، قال: لما هبط نوح من السفينة وأشرف من جبل (حسمى) رأى تل حران، فأتى حران فخطها ثم أتى دمشق فخطها، وحران مدينة قديمة كانت قصبة ديار مضر، وهى اليوم بتركيا.

❖ تعليق: قال "ياقوت" فى "معجم البلدان": فى كتب السير، وأخبار "نوح"، أن "حسمى" جبل مشرف على "حران"، وهذا بعيد من جهتين: إحداهما أن الجودى بعيد عن حران، بينهما أكثر من عشرة أيام، والثانية أنه لا يعرف بالجزيرة جبل اسمه "حسمى".

(٣) مسالك الممالك وعجائب البلدان

(٤) مسالك الممالك وعجائب البلدان

* **أول موضع أهبط الله فيه آدم**[1]: جبل يسمى الرهوان فى جزيرة من جزائر الهند ، فى مملكة سرنديب ، يقال له الدهناء ، وعليه أثر قدمه عليه السلام ، وعلى القدم نور لماع يخطف البصر ، لا يتمكن أحد أن ينظر إليه ، طول قدمه فى الصخر سبعون شبرا ، وعلى الجبل ضوء كالبرق ، ولابد لكل يوم فيه من المطر يغسل قدمه . وأن آدم خطا من الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهى سير يومين . فلما أهبط خرّ ساجداً على صخرة بيت المقدس ، وكان يمسح رأسه الشريف السحاب ، وكان يشرب من السحاب ، وكان طوله خمسمائه ذراع[2] ، والله أعلم بأى ذراع ، ثم تضلع ستين ذراعا ، وعلى هذه الصورة المقدرة المعينة يدخل أهل الجنة مقامهم الموعود فى طول

---

(١) قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن سعيد ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها (دحنا) . بين مكة والطائف .

❖ وعن الحسن قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجده ، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال . وأهبطت الحية بأصبهان[ورواه ابن حاتم أيضاً - ابن سعد - الطبقات الكبرى (١/ ١١ ، ١٢/التحرير) .

❖ وقال السدى : نزل آدم بالهند ، ونزل معه الحجر الأسود ، وبقبضة من ورق الجنة ، فبثه فى الهند ، فنبتت شجرة الطيب هناك [رواه ابن سعد مطولا فى الطبقات الكبرى (١/ ١ : ١٢)] .

(٢)روى الحافظ بن عساكر ، من طريق محمد ابن إسحاق عن الحسن بن ذكوان ، عن الحسن البصرى ، عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ: "إن آباكم آدم كان كالنخلة السحوق ، ستون ذراعا ، كثير الشعر ، موارى العورة ، فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له سوأته ، فخرج من الجنة ، فلقيته شجرة فأخذت بناصيته . فناداه ربه : أفراراً منى يا آدم؟ . قال : بل حياء منك يا رب مما جئت به" .[الحديث رواه الطبرى فى تاريخه (١/ ١٦٠ /معارف) ورواه بن عساكر فى تهذيب التاريخ (٢/ ٣٥١) ، ورواه بن سعد فى الطبقات الكبرى ١/ ١٠٠٩) .

والحديث فيه "الحسن بن ذكوان" ، أبو سلمة البصرى صدوق يخطئ ، ورمى بالقذف وكان يُدلس وقال النسائى : ليس بالقوى .

وأما احمد فقال : أحاديثه باطل وضعفه يحى ، وأبو حاتم [انظر : تقريب التهذيب (١/ ٦٧) ، المغنى فى الضعفاء (١/ ١٥٦/ ١٤٠٠)] .

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرازق ، عن معمر عن همام بن منبه ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : "خلق الله آدم آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة ، فاستمع ما يجيبونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم . فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن" .

الحديث رواه البخارى [٧٩/ ١/ ٦٢٢٧] فتح - ومسلم[٥١/ ١١/ ٢٨٤] وأحمد فى مسنده [٢/ ٣١٥] حلبى .

وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ، عن يحيى بن جعفر ، وسلم عن محمد بن رائع ، كلاهما عن عبد الرازق .

أبيهم عليه السلام ، وهو أول من تضلع فى الدنيا . وعاش ألف سنة[١] .

قال ابن عباس : وقيل إلا ستين عاما ، التى كان وهبها لابنه ، خليفة الله داود عليه السلام . ومات يوم الجمعة[٢] آخر النهار فى الساعة التى خلق فيها ، والتى أخرج فيها من الجنة ، فلما مات نزلت الملائكة مع أكفانه ولوازمه من التجهيز[٣] ، وصلى عليه ابنه

---

(١) قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمه ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال : لما نزلت آية الدين ، قال رسول الله ﷺ : "إن أول من جحد آدم ، إن الله لما خلق آدم مسح ظهره ، فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه ، فرأى فيهم رجلاً يزهر ، قال : أى رب؟ من هذا؟ قال : ابنك داود . قال : أى رب زد فى عمره ، قال : لا . إلا أن أزيده من عمرك ، وكان عمر آدم ألف عام ، فزاده أربعين عاما . فكتب الله عليك بذلك كتابا ، وأشهد الملائكة . فلما احتضر آدم ، أتته الملائكة لقبضه قال : إنه بقى من عمرى أربعون عاما . فقيل له : إنك قد وهبتها لابنك داود . قال : ما فعلت ، وأبرز له الله الكتاب ، وشهدت عليه الملائكة" .

[حديث ضعيف - رواه أحمد فى مسنده (١/٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣٧١) حلبى . ورواه الطبرانى فى تاريخه (١/١٥٦) معارف وابن عساكر فى تاريخه (٢/٣٤٥) تهذيب . وفيه على بن زيد ضعيف .

وللحديث رواية أخرى عن لأسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمه] .

ورواه الطبرانى : عن على بن عبد العزيز - عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمه ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، وغير واحد عن الحسن ، قال : لما نزلت آية الدين ، قال رسول الله ﷺ . . الحديث] .

(٢) أ فى صحيح مسلم من حديث الزهرى عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها .

٢/ب وفى الصحيح من وجه آخر : وفيه تقوم الساعة .

٢/جـ حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعى ، عن أبى عمار عن عبد الله بن فرُّج ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ ، قال : "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة" على شرط مسلم .

(أ ، ب ، جـ) الحديث رواه مسلم فى صحيحه [٧/٥/٨٥٤] والزيادة عن طريق قتيبة بن سعد ، وزيادته "ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة" .

❖ ورواه أحمد فى مسنده من غير زيادة [١/٥١٢] حلبى .

❖ ورواه أيضاً بزيادة على رواية مسلم (١/٥٠٤) حلبى وهى "وفيه ساعة يوافقها مؤمن يصلى ، وقبض أصابعه يقلها يسأل الله عز وجل حاجة إلا أعطاه إياها" أ . هـ .

ورواه الطبرانى فى تاريخه [١/١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥] طبعة ليدن /بربل .

ورواه أيضا : الترمذى ، والنسائى ، والدرامى فى سننه وابن ماجه بنحوه .

(٣) قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمه ، عن حميد ، عن الحسن ، عن يحى . هو ابن ضمرة السعدى - قال : رأيت شيخا بالمدينة يتكلم ، فسألت عنه ، فقالوا : هذا أبى بن كعب ، فقال إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه : أى بنى : إنى اشتهى من ثمار الجنة . قال : فذهبوا يطلبون له ، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ، ومعهم الفؤوس ، والمساحى والمكاتل ، فقالوا لهم : يا بنى آدم =

الوصى شيث ، بأمر جبريل عليه السلام . وأمره أن يكبر عليه ثلاثين تكبيرة ، وقيل أربعا[(١)] .

وفى الخبر صلى عليه شيث مع الملائكة[(٢)] بعدد كل صلاة تصلى على كل مسلم من أولاده الموتى إلى يوم القيامة .

ودفنه فى غار جبل أبى قبيس[(٣)] ، وهو أول جبل خلق فى الأرض . ولهذا السرّ دُفن فيه ، ثم أخرج نوح تابوته زمن الطوفان ، وحمله فى السفينة ، ثم أعاده إلى مكانه[(٤)] .

وذكر أهل التاريخ ، فى تاريخ مكة - شرفها الله - أن نوحا دفنه بعد الطوفان بمنى فى مسجد الخيف قبل سُرّته الشريفة تحت المنارة التى فوق الباب الكبير .

=ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون؟ وأين تطلبون؟ . قالوا: أبونا مريض ، واشتهى من ثمار الجنة فقالوا لهم : ارجعوا ، قد قضى أبوكم .فجاءوا ، فلما رأتهم حواء ، عرفتهم ، فلا ذت بآدم ، فقال: إليك عنى ، فإنما أتيت من قبلك ، فخلى بينى وبين ملائكة ربى عز وجل ، فقبضوه ، وغسّلوه ، وكفنوه وحنّطوه ، وحضروا له ، ولحدوا ، وصلوا عليه ، ثم أدخلوه قبره ، فوضعوه فى قبره ، ثم حثوا عليه ، ثم قالوا : يا بنى آدم ، هذه سنتكم .[رواه أحمد فى مسنده (١٣٦/٥) حلبى

(١) روى ابن عساكر من طريق شيبان بن فروخ ، عن محمد بن زياد ، عن ميمون بن مهران ، أنّ رسول الله ﷺ . قال :كبّرت الملائكة على آدم أربعا ، وكبّر أبو بكر على فاطمة أربعا ، وكبر عمر على أبى بكر أربعا ، وكبَّر صهيب على عمر أربعا [الفتح الكبير للسيوطى ٣١٦/٢]

وقال رواه الحاكم فى المستدرك عن أنس ، وابن القيم فى الحلية من طريق ابن عباس .وفيه ميمون بن مهران الجزرى ، أبو أيوب ، أصله كوفى ، ثقة فقيه .ولى الجزيرة لعمر بن عبد العزيز .

(٢) قال محمد بن إسحاق : ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث ، وعلّمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات ، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك .

يقول ابن كثير: ولما توفى آدم - عليه السلام - وكان ذلك يوم جمعة ، جاءته الملائكة بحنوط وكفن - من عند الله عز وجل - من الجنة ، وعزوا فيه ابنه ووصية شيثا عليه السلام قال ابن اسحاق : وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن (قصص الأنبياء ص ٦٣) .

- قال عطاء الخراسانى : لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام رواه ابن عساكر (قصص الأنبياء ص٦٥) .

(٣) اختلف فى دفنه .فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذى أهبط فيه ، فى الهند ، وقيل بجبل أبى قبيس بمكة .

وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال "رأسه عند مسجد إبراهيم ، ورجلاه عند صخرة بيت المقدس .

وقال عطاء الخراسانى : لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام .رواه ابن عساكر [قصص الأنبياء ص٦٤ ، ٦٥] .

(٤) يُقال أن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء فى تابوت ، فدفنهما ببيت المقدس حكى ذلك ابن جرير . (قصص الأنبياء ص٦٤) .

❖ اليوم سنة ٩٩٧هـ ، وردت علىّ مبشرة فى ذلك المكان الشريف ، ورأسى على عتبة الباب الكبير ، ليلة من الليالى ، مدة مجاورتى سنة ثلاث وثمانين ، خرجت ليلة مع بعض الأخوان من الفقراء المجاورين ، إلى منى ، ونمنا قدام باب المسجد . فرأيت فيما يرى النائم كأنى أتكلم مع أبى صفى الله وأسلم عليه تارة . فاستيقظت وأنا هائم وَجِلْ ، قائلاً بأعلى صوت : السلام عليك يا صفى الله ، السلام عليك يا آدم .

فتعجب رفقائى الذين كانوا معى من ذلك ، وقالوا : قد صح واشتهر عند بعض المؤرخين من الثقات كشفاً ونقلاً : أن عنصره الشريف وجسمه اللطيف فى المحل المذكور والله أعلم .

* **أول ما خلق الله آدم عليه السلام:** خلقه فى جنة عدن - ذكره جمهور العلماء - وقيل فى سماء الدنيا ، وقيل غير ذلك[1] . والأول أصح . وكان بين خلقه ونفخ الروح

---

(١) يقول ابن كثير: الجمهور على أنها هى (الجنة)التى فى السماء وهى جنة المأوى ، لظاهر الآيات والأحاديث .

(أ) ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]والألف واللام ليست للعموم ، ولا لمعهود لفظى ، وإنما تعود على معهود ذهنى ، وهو المستقر شرعا من جنة المأوى .

(ب) قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمه ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : "حاج موسى آدم عليه السلام . فقال له : أنت الذى أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم قال آدم يا موسى : أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومنى على أمر قد كتبه الله علىّ قبل أنْ يخلقنى ، أو قدّره علىَّ قبل أن يخلقنى ، قال : رسول الله ﷺ فحج آدم موسى" .

[الحديث رواه البخارى فى صحيحه (٤٧٣٨/٣/٦٥) فتح - ورواه أحمد فى مسنده (٢٨٧/١) حلبى ورواه أيضاً عن عبد الرازق عن معمر عن هام عن أبى هريرة (٢٦٨/١) حلبى . ورواه مسلم فى صحيحه عن محمد بن رافع عن عبد الرازق به [٢٦٥٢/٢/٤٦] وعن طريق عمر والناقد . وكذا رواه النسائى عن محمد بن عبد الله بن يزيد ، عن أيوب بن النجار ، به قال أبو مسعود الدمشقى ، ولم يخرجا عنه فى الصحيحين سواه ، وقد جاء الحديث بتخريجات أخرى تدور حول هذا المعنى ، يقول ابن كثير [ومدار معظمها فى الصحيحين وغيرها] على أنّه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة . ثم يقول : ومن كذَّب بهذا الحديث فمعاند لأنّه متواتر عن أبى هريرة رضى الله عنه ناهيك به عدالة ، وحفظا وإتقانا . ثم هو مروى عن غيره من الصحابة .

❖ وقال آخرون : بل الجنة التى أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد ، لأنه كُلف فيها ألا يأكل من تلك الشجرة ، ولأنه نام فيها ، وأخرج منها ، ودخل عليه إبليس فيها . وهذا مما يتنافى أن تكون جنة المأوى وهذا القول محكى عن أبى بن كعب ، وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه ، وسفيان بن عيينه ، واختاره ابن قتيبة فى المعارف ، والقاضى منذر بن سعيد البلوطى فى تفسيره ، وأفرد له مصنفا على حدة ، وحكاه عن أبى حنيفة الإمام وأصحابه ، رحمهم الله . ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى بن خطيب الرى فى تفسيره عن أبى القاسم البلنى ، وأبى مسلم الأصبهانى ، ونقله القرطبى فى تفسيره عن المعتدلة القدرية .=

فيه أربع جمع من جمع الآخرة .

وعن ابن عباس ، وابن مسعود (رضى الله عنهم) لما خلق الله تعالى الجنة ، وأسكن فيها آدم ، بقى فيها وحده ، وما كان معه من يأنس به فيها ، فألقى الله تعالى عليه النوم ، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من الجانب الأيسر ، ووضع مكانه لحما ، فخلق حواء منه ، فلما استيقظ آدم وجدها عند رأسه قاعدة ، فسألها من أنت؟ . قالت : إنى امرأة . قال : لم خلقت؟ قالت : لتسكن إلى ، وأسكن إليك .

قالت لـه الملائكة : يا آدم ما اسمها؟؟ قال : حواء . قالوا : ولم سميت حواء؟ قال لأنها خلقت من حى[1] .

قال أهل التاريخ : وأما عمرها فتسعمائة سنة وسبع وتسعون ، وقيل : وسبع وسبعون ، وعاشت بعد آدم سبع سنين وستة أشهر[2] .

* **أول ما أهبط من الجنة :** آدم[3] ، وسواء أهبطهما متفرقين فتعارفا بالموضع الذى

=وهذا القول هو نص التوراة التى بيدى أهل الكتاب والقصة فصلها ابن كثير (انظر قصص الأنبياء من ص١٦ إلى ص ٣٨) .

(١) أمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال عز وجل ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٥] .
وسياق هذه الآية يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة
ولكن حكى السدى عن أبى صالح ، وأبى مالك عن ابن عباس ، عن مُرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة أنَّهم قالوا : أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشيا ليس له زوج يسكن إليها .فنام نومه فاستيقظ ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها : من أنت؟ . قال : امرأة . قال : ولم خُلقت؟ . قالت : لتسكن إلىَّ . فقالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ من علمه : ما اسمها يا آدم؟ قال : حواء ، قالوا ولم كانت حواء؟ قال : لأنها خلقت من شئ حى : (قصص الأنبياء ص ١٧) .

(٢) كنز الأسرار .

(٣) هبط آدم من باب التوبة ، وحواء من باب الرحمة ، وإبليس من باب اللعنة ، والطاوس من باب الغضب ، والحية من باب السُّخط .وكان ذلك وقت العصر قال السَّدِّى : فمن هذه الأبواب تنزل التوبة والرحمة واللعنة ، والغضب ، والسُّخط قال وهب : خلق الله آدم يوم الجمعة ، وفيه دخل الجنة ، وأقام فيها نصف يوم ، مقدار خمسمائة عام ، وأُهبط بين الظهر والعصر من باب يقال له (المبرم) وهو حذاء البيت المعمور (نهاية الارب ج ١٣ ص ٢١ - دار الكتب) .

يسمى عرفات[١] ، وبتعارفهما أولا فيه سمى بهذه التسمية فلما اجتمعا فيه ، تاق ، أى : اشتاق إلى حواء ، فغشيها ، فاشتملت على ذكر وأنثى فسُمِّى الذكر "قاين" ، والأنثى "أقليما" . واختلف فى الذكر الأول ، فذكر الأكثرون أن اسمه "قاين" ومنهم من قال "قابيل" وهو الأشهر والأغلب .

وفى الأخبار أن الولد الأول مات ثم الثانى ثم عاش بعدهما ولد . فأول ولد عاش قابيل كذا ذكر بعض المحققين توفيقا وتطبيقا .

* أول ما أهبط آدم وحواء من الجنة : أهبطا متفرقين ، فتعارفا بالموضع الذى يسمى عرفات ، ونزلت حواء بجدة بقرب مكة من الحرم ، وآدم عند جبل الرهوان كما مر ، وعليه الورق الذى خصفه فيبس ، فذرته الرياح فى بلاد الهند ، فتكونت الروائح الطيبة بأرض الهند من ذلك الورق ولذلك خصت بالعود والقرنفل والمسك وسائر الطيب ، وأيضا ذلك الجبل ينبت عليه اليواقيت ، وفيه الماس وغيره من الجواهر[٢] .

* أول ما اختار آدم عليه السلام عند عرض الأشياء كلها عليه : الخيل .

ورد فى الخبر لما عرض الله تعالى على آدم عليه السلام كل شئ مما خلق ، قال له : اختر من خلقى ما شئت ، فاختار الفرس ، فقيل له : اخترت عزّك ، وعز ولدك خالدا ما خلدوا ، وباقيا ما بقوا أبد الأبدين[٣] .

* أول من أسكنه الله تعالى الأرض ، قبل آدم عليه السلام : طائفة من الجن ،

---

(١) قال كعب : أهبط آدم إلى بلاد الهند ، على جبل من جبالها يقال له (بوذ) وهو جبل محبط ببلاد الهند . وأهبطت حواء بجدّة ، وإبليس بدستمان كورة بين واسط والبصرة والأهواز . والحبة أصفهان ، والطاوس بالبحر .
ففرق الله بينهم ، فلم‌ير بعضهم بعضا حينا ولم يكن على آدم يوم أهبط إلا ورقة من ورق الجنة ، فذرتها الرياح فى بلاد الهند ، فصارت معدنا للطيب .

(٢) زبدة التواريخ ، أخرج ابن كثير عن السُّدى ، قال : فهبطوا ، ونزل آدم بالهند ، ونزل معه الحجر الأسود ، وقبضة من ورق الجنة ، فنبتت شجرة الطيب ، فأصل ما يجاء به الطيب من الهند من قبضة الورق التى هبط بها آدم وإنما قبضها آسفا عليها . تفسير القرآن العظيم ١/٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٧٣ ، تفسير السدى الكبير - دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩٣م .

(٣) شفاء الصدور [عن ابن عباس رضى الله عنه]

خلقهم من مارج من نار ، وإبليس فيهم ، فنهاهم الله عن سفك دماء البهائم ، فسفكوا ، وعدا بعضهم على بعض ، فلما رآهم إبليس لا يقلعون ، سأل الله تعالى أن يرفعه إلى السماء ، فصار مع الملائكة يعبد الله تعالى أشد عبادة ، فأرسل الله تعالى إلى الجن قبيلاً من الملائكة ، فطردوهم إلى أقصى جزائر الدنيا ، وقتلوا منهم ما شاء الله ، وجعل الله إبليس على سماء الدنيا خازنا ، فوقع فى صدره كبر ، فأبى واستكبر. فجرى فيه قدر الله تعالى ما حكاه عنه سبحانه من الطرد والكفر .

قال أهل التفسير: إن الجان أبو الجن ، كما أن الإنسان أبو الإنس . وسمى جانا لتواريه عن الأعين .

وفى إبليس ثلاثة أقوال :

١ - أنه من الجن ففسق .

٢ - أو من الملائكة فمسخ .

٣ - أو من الجنانين ، فطرد والعياذ بالله[١] .

* **أول موضع تفجرت فيه ينابيع الحكمة :** الهند ، على لسان أبينا آدم عليه السلام[٢] .

* **أول ما ظهر العقاقير اللطيفة :** كالعود ، والزنجبيل وغيرها بالهند ، لما بكى آدم عليه السلام ، على خروجه من الجنة مائتى سنة ، فخلق الله من دموعه تلك الأشياء .

وفى بعض التواريخ ، أنه كان عليه قميص من ورق الجنة ، فيبس الورق من هواء الدنيا لما خرج إليها ، فبلى ونشف من حر الشمس فانتشرت منه آثار الأرض بالهند وما يليها ، فتمون منه شئ بعد شئ من العقاقير بحسب طبائع الأرض وهوائها كما مر[٣] .

---

(١) كنز الأسرار .
(٢) أصول التواريخ .
(٣) أصول التواريخ . [هذه الأخبار مشكوك فيها لأنها غير موثقة] .

* **أول ما يكون الجنين فى الرحم:** يكون فى الشهر الأول فى تدبير زحل ، وفى الثانى فى تدبير المشترى ، وفى الثالث فى تدبير عطارد ، حتى يكون فى السابع فى تدبير القمر . فإن ولد فيه عاش لأن خلقته قد تمت ، واستوفت طبائع الكواكب وقواها بالتشمس والتنجم ، لأن كمال الوجود بينها وأما الشهر الثامن فيتسولى عليه البرد ، والجمود والضعف فإن ولد فيه مات . وأما "الشهر التاسع" فيتولاه المشترى ، فيكتسب المولود قوة وحرارة وصلاحا ، فإذا ولد عاش . أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وأكثره أربع سنين[1] .

* **أول ما ظهر اللؤلؤ والمرجان:** قيل لما أهبطت حواء - عليها السلام - بساحل جده ، بقرب مكة شرفها الله تعالى بكت سنين تائبة ، غريبة ، مشتاقة ، حنينة إلى أبينا ، فرحم الله تعالى غربتها ، وقبل توبتها فكل ما وقع من دموعها فى البحر خلق منه الدر والمرجان ، وما وقع فى البر ، خلق منه الحناء . فلله الخالق الحكيم أسباب خفية ، وجلية لتكون الأشياء فى الكون وظهورها[2] .

* **أول شجرة استقرت على وجه الأرض:** "النخلة" خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام فإنها عمتنا كما جاء فى الحديث ، خلقت النخلة ، والرمان ، والعنب من فضلة طينة آدم .

ذكر (ذلك) السيوطى وغيره - عن أبى سعيد رضى الله عنه وفى الخبر عن أبى موسى الأشعرى ، عن رسول الله ﷺ قال: "لما أخرج آدم من الجنة ، زودوه من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شئ ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تغيرت وتلك لا تتغير"[3] .

* **أول من غرس من أصناف الفواكه:** آدم عليه السلام .

---

(١) من شرح لامية العرب .
(٢) أول التواريخ .
(٣) سيوطى .

حكى في أصول التواريخ ، أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة ، خرج ومعه ثلاثون قضيبا ، مودعة فيها أصناف الثمرات ، منها:

عشرة لها قشر وهي الجوز واللوز والفستق ، والبندق ، والشاه بلوط ، والصنوبر ، والرمان ، والنارنج ، والموز ، والخشخاش .

ومنها عشرة لا قشر لها ، ولثمرها نوى ، وهي: الرطب ، والزيتون ، والمشمش ، والخوخ ، والأجاص ، والعناب ، والغبيرا ، والدراقن ، والزعرور ، والنبق .

ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى ، وهي: التفاح ، والكمثرى ، والسفرجل ، والتين ، والعنب ، والأترج ، والقثاء ، والخرنوب ، والبطيخ ، والخيار[1] .

* **أول كل بذر من السماء:** ينزل مع المطر ، ثم يتكون منه النبات ، طورا بعد طور ، ثم يتكون من النبات سائر البذور .

قال ابن عباس (رضى الله عنهما) [ما نزل مطر من السماء إلا معه البذر ، أما إنكم لو بسطتم نطعا لرأيتموه] .

وفي الخبر: المطر اثنان: مطر من السما ، فمنه البذر والنبات ، ومطر يسوقه الغيم من البحر ، فلا يكون معه البذر ، ولا النبات[2] .

* **أول ما يخرج المطر:** يخرج من تحت العرش ، فينزل من سماء إلى سماء ، حتى يجتمع في سماء الدنيا في موضع يقال له [الأبرم] فتجئ السحابة السوداء ، فتدخله فتشرب منه ، مثل شرب الإسفنجة ، فيسوقها الله تعالى حيث يشاء .

سئل الحسن عن المطر من السماء أم من السحاب قال من السماء ، إنما السحاب علم ينزل عليه الماء من السماء .

---

(١) فريدة العجائب .

(٢) من الهيئة السنية للسيوطي .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : "ما أنزل الله من السماء من ماء إلا بمكيال"[1] .

* **أول ما يتكون السحاب:** من شجرة فى الجنة تثمر السحاب ، فالسوداء منها الثمرة التى قد نضجت ، التى تحمل المطر ، والبيضاء التى لم تنضج ، لا تحمل المطر وعن ابن عباس رضى الله عنهما - السحاب الأسود فيه مطر ، والأبيض فيه الندى ، وهو الذى ينضج الثمار .

وقيل السحاب يخرج من الأرض ، فعلى هذا يكون بعضه سمائيا ، وبعضه أرضيا .

وفى الخبر: السحاب غربال المطر ، ولولا السحاب حين ينزل لأنسد المطر ما يقع عليه من الأرض .

اعتقاد الفلاسفة فى المطر والسحاب خلاف ما وردت به السنة[2] .

* **أول ما يوجد فى الأرض:** العسل ، ينزل من السماء فينبت فى أماكن ، فيأتى النحل فيشربه[3] .

* **أول كل وحى:** نزل بلغة العربية .

ذكر السيوطى أن كل وحى إلى كل نبى إنما نزل بلسان عربى لكنه ترجم لكل أمة بلسانها غير العربية ، وما ينزل من السماء إلا بلسان أهل السماء ، وهو العربى[4] .

* **أول الأنبياء:** آدم عليه السلام[5] .

* **أول الرسل:** نوح عليه السلام ، عن أنس رضى الله عنه[6] .

---

(١) الحديث (سيوطى) .
(٢) من الهيئة السنية .
(٣) من تفسير الكواشى . وهذا الكلام غير صحيح علمياً .
(٤) الاتقان .
(٥) الاتقان ، ١٣٧/٢ ، ١٣٨ .
(٦) السيوطى/ الإتقان ١٣٨/٢ .

*** أول نبى بعث بعد آدم :** يعنى بالسيف والجهاد لمن خالف الدين : إدريس عليه السلام ، وهو أخنوخ بن يرد ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم لوط ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم شعيب ، ثم موسى وهارون ، فبين آدم ونوح عشرة آباء كلهم على الإسلام وكان إدريس نبيا . وهو جد أبى نوح ، ولم يكن بين آدم ونوح نبى مرسل (ذكره أبو الليث) فى تفسيره - وذلك ألف سنة ، يعنى بين آدم ونوح ، وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام سبعة آباء فذلك ألف سنة . وبين موسى وعيسى ألف وخمسمائة سنة ، وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ستمائة سنة . [وهى الفترة بين الرسالتين] .

*** أول هرمس من الهرامسة الأول :** يقال له عند الحكماء "هرمس المثلث" : إدريس عليه السلام ، لأنه نبى وملك وحكيم ، وهو أول من جمع بين الملك والنبوة .

*** أول من تكلم فى الأشياء العلوية من الحركات النجومية :** وأول من بنى الهياكل والأهرام ، وصور فيها الصناعات ، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده شفقة منه ، وحرصا على تخليد العلوم بعده ، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم : الهرمس الأول "إدريس عليه السلام" أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، ورفعه مكاناً علياً[1] .

فائدة:

قال أهل التفسير فى تفسير ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ أى رفع إلى الجنة حيا ، وقيل رفعه إلى السماء السابعة روى أنه أذيق الموت ساعة ، ثم أحى ، وأدخل الجنة .

وقيل صعد به ملك إلى السماء ، ومات بين جناحيه ثم أحيى[2] .

---

(١) كان أول بنى آدم أعطى النبوة بعد آدم وشعيب عليهما السلام .
هذا الأثر أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/١/١٦) من طريق هشام بن محمد السائب الكلبى عن أبيه ، عن أبى صالح عن ابن عباس قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ . مريم [٥٩ - ٥٧] . انظر هامش (٧١) .

(٢) جاء فى القرطبى ج١١ ص ١١٧ وما بعدها قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال أنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدرى ، وغيرها : يعنى السماء الرابعة . =

وهو أول من حمل السلاح ، وقاتل الكفار ، وأول من نظر في علم الحساب . وأول من خط بالقلم . وأول من لبس الثوب القطن ، ومن خاط الثياب وكانوا يلبسون الجلود .

= وروى ذلك عن النبى ﷺ ؛ وقاله كعب الأحرار .
وقال ابن عباس والضحاك : يعنى السماء السادسة ؛ ذكره المهدوى .
قلت : ووقع فى البخارى عن شرك بن عبد الله بن أبى نَجرْ ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول ؛ ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة. الحديث .وفيه كل سماء فيها أنبياء - قد سماهم - منهم إدريس فى الثانية .وهو وهم والصحيح أنه فى السماء الرابعة ، كذلك رواه ثابت النبانى ، عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ: "لما عُرِج بى إلى السماء أتيت على إدريس فى السماء الرابعة" خرّجه مسلم أيضا وكان سبب رفعه على ما قاله بن عباس ، وكعب وغيرهما : أنه سار ذات يوم فى حاجة ، فأصابه وهج الشمس ، فقال : يا رب أنا مشيت يوما ، فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد ! اللهم خفف عنه من ثقلها ، يعنى الملك الموكل بفلك الشمس ، يقول إدريس : اللهم خفف عنه من ثقلها ، واحمل عنه من حرّها .فلما أصبح الملك ، وجد من خفة الشمس ، والظل ما لا يعرف ، فقال : يا رب خلقتنى لحمل الشمس ، فما الذى قضيت فيه؟ فقال الله تعالى : "أما إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها ، فأجبته" . فقال الملك : يا رب اجمع بينى وبينه ، واجعل بينى وبينه خلة .فأذن الله له ، حتى أتى إدريس ، وكان إدريس عليه السلام يسأله . فقال :أخبرت أنك أكرم الملائكة ، وأمكنهم عند ملك الموت ، فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى ، فأزداد شكراً وعبادة . فقال الملك : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها . فقال للملك : قد علمت ذلك ، ولكنه أطيب لنفسى . قال : نعم .ثم حمله على جناحه ، فرفعه إلى السماء ، ووضعه عند مطلع الشمس ، ثم قال لملك الموت : إنى لى صديق من بنى آدم ، تشفّع بى إليك لتؤخر أجله ، فقال : ليس ذلك إلى ، ولكن إن أحببت علمه أعلمته متى يموت . قال : نعم . نظر ملك الموت فى دبوانه ، فقال : إنك تسألنى عن إنسان ما أراه يموت أبداً . قال : كيف؟ . قال : لا اجده يموت إلا عند مطلع الشمس . قال : فإنى أتيتك ، وتركته هناك قال : انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات .فوالله ما بقى من أجل إدريس شئ .فرجع الملك فوجده ميتا .
وقال السدّى : أنّه نام ذات يوم ، واشتد عليه حر الشمس ، فقام وهو منها فى كرب ، فقال : اللهم خفف عن ملك الشمس حرها ، وأعنه على ثقلها ، فإنه يمارس ناراً حامية .فأصبح ملك الشمس ، وقد نصب له كرسى من نور ، عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ، ومثلهم عن يساره ، يخدمونه ، ويتولون أمره وعمله من تحت حكمه . فقال ملك الشمس : يا رب من أين لى هذا؟ . قال : "دعا لك رجل من بنى آدم ، يقال له إدريس" ثم ذكر نحو حديث كعب . قال : فقال له ملك الشمس : أتريد حاجة؟ قال : نعم ، وددت أنى لو رأيت الجنة . قال :فرفعه على جناحه ، ثم طار به ، فبينما هو فى السماء الرابعة ، التقى بملك الموت ينظر فى السماء ؛ ينظر يمينا وشمالاً ، فسلم عليه ملك الشمس ، وقال يا إدريس ، هذا ملك الموت فسلّم عليه فقال ملك الموت : سبحان الله ! ولأى معنى رفعته ها هنا؟ . قال : رفعته لأريه الجنة . قال : فإن الله تعالى أمرنى أن أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة .قلت يا رب ، وأين إدريس من لسماء الرابعة؟ فنزلت فإذا هو معك ، فقبض روحه فرفعها إلى الجنة .ودفنت الملائكة جثته فى السماء الرابعة .أ . هـ .
وهناك قصص كثيرة حول ذلك نكتفى بقصتين مما أورده القرطبى .
وورد أيضاً عن هذه الآية قصص أخرى فى نهاية الارب فى معرفة كلام العرب جـ١٣ صـ٣٧ وما بعدها .

وقيل سمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى واسمه "أخنوخ" سبط "شيث" ، وجد أبي نوح[1] .

نكتة :

قيل أنه هو "إلياس" المرسل إلى بعلبك . قال أهل التحقيق ، لا يلزم من هذا الحلول إلا التناسخ ، كظهور جبريل في صورة "دحية" . وميكائيل ، وعزرائيل عليهم السلام في الآن الواحد في مائة ألف مكان ، بصور شتى وفيه مباحث شريفة عرفانية بين المحققين من أهل الله لا يسعه المقام .

* أول من ترهَّب ، وتخلَّى عن الملك والاسم : طائفة يقال لهم الشيعة ، من الذين آمنوا من السحرة حين رجعوا إلى مصر ، فأستأذنوا موسى عليه السلام في الخلوة فترهبوا في رؤوس الجبال ، حتى توفاهم الله تعالى ، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم ، حتى ابتدعها بعدهم أصحاب المسيح عليه السلام ، فكان أول من سن الخلوة والترهب للخلق موسى عليه السلام وأول من اتخذ الخلوة الأربعينية ، التي هي طريقة الصوفية الخلوتية إلى يومنا هذا[2] .

* أول ما ظهر النوع الإنساني : ظهر في أول دور السنبلة بموجب الأمر الإلهي ، ومدتة سبعة آلاف سنة . وبقت نبينا محمد ﷺ في الآخرة من السبعة .

قال أهل التحقيق ، ثم يعود الدور من السنبلة إلى المنزلة ، ومبدأ الدولة العرشية كان من الميزان ومنه إلى الحوت ، فأخذت الأدوار العرشية أحكامها من الزمان ، إلى دورة السنبلة ، مما قدره الله تعالى وتقدس . فيعود الدور من السنبلة إلى الميزان المختص

---

(١) جاء في القرطبي عند شرحه للآية (٥٦) من سورة مريم "واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا" .
إدريس عليه السلام هو أول من خط بالقلم ، وأول من خاط بالثياب ، ولبس المخيط ، وأول من نظر في علم النجوم ، والحساب ، وسيرها .
وسُمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى وأنزل الله تعالى عليه "ثلاثين" صحيفة ، كما في حديث أبي ذر .
❖ قال "الثعلبي" ، "والغرنوي" وغيرها ، هو جد "نوح" ، وهو خطأ . .
وكان أول من أعطى النبوة من بني آدم .
(٢) محاضرة مصر .

بالآخرة . هو امتزاج الدنيا بالآخرة فيعطى الميزان حق كل شئ من الأعيان والأحكام فى آخره ، كما أعطى حق كل شئ فى أدلة من الأفلاك ، والأملاك ، والأدوار . والله أعلم[١] .

* **أول من بعث على رأس الألف من مدة عمر الدنيا:** آدم عليه السلام كما ورد فى الحديث النبوى "مدة عمر الدنيا سبعة آلف سنة ، وإنى بعثت فى الألف الأخيرة" .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن دنياكم هذه أسبوع من أسابيع الآخرة ، وإنكم فى آخر يوم منه وإن الله تعالى يبعث كل ألف سنة نبيا بمعجزات واضحة ، وبراهين قاطعة ، لرفع أعلام دينه القويم ، وظهور صراطه المستقيم ، فكان فى الألف الأولى آدم عليه السلام ، وفى الثانية إدريس عليه السلام ، وفى الثالثة : نوح عليه السلام ، وفى الرابعة : إبراهيم عليه السلام ، وفى الخامسة : موسى عليه السلام ، وفى السادسة : عيسى عليه السلام ، وفى السابعة محمد ﷺ ، وبه ختمت النبوة ، وتمت به آلاف الدنيا[٢] .

* **أول من بعث على رأس المائة الأولى:** عمر بن عبد العزيز[٣] فإنه بعد الصحابة أول الأبرار ، ويزيد بن معاوية أول الأشرار[٤] ، والدجال خاتم الأشرار[٥] .

---

(١) حققه صدر الدين القونوى .

(٢) أصول التواريخ .

(٣) عمر بن عبد العزيز أعدل خلفاء بنى أمية حتى إن المؤرخين اعتبروه الخليفة الخامس بعد الخلفاء الأربعة الراشدين .

(٤) يزيد بن معاوية : أخذ له معاوية ابن أبى سفيان البيعة فى حياته وبهذا أخل بمبدأ توارث الخلافة وسبب ذلك ثورات متتابعة استغرقت عهود الخلفاء الأربعة ليزيد الأول ، ومعاوية الثانى ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان] . وقد انتصر معاوية على هذه المقاومة فى أولها بسفره إلى المدينة ثم إلى مكة حيث نجح بالقوة الماكرة فى الحصول على البيعة التى أرادها وفى عهد يزيد حدثت معركة كربلاء التى راح ضحيتها سيد الشهداء الحسين بن على (انظر الخلافة و الدولة فى العصر الأموى د . محمد حلمى محمد / ١٩٦٦ - القاهرة .

(٥) كذا فى الجضو الجامع .

أما ما ورد فى البخارى بخصوص المسيح الدجال عن ابن عمر رضى الله عنهما ذكر النبى ﷺ يوما بين ظهرى الناس المسيح الدجّال فقال : إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية ، وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما يرى من أُدم الرجال ، تضرب لَمَّتُهُ بين=

وعلى رأس المائة الثانية : المأمون بن هارون الرشيد وكان أعلم الخلفاء العباسيين[1] .

فائدة:

ذكر السيوطى نقلا عن بعض الأولياء أنه رأى قائلا فى الهواء يقول : إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها . بدئ بعمر وختم بعمر .

يعنى بدء على رأس القرن الأول بعمر بن عبد العزيز وختم بعمر البلقينى .

وذكر السيوطى فى محاضرة مصر وقال : ومن اللطائف أن شطر المبعوثين على رؤوس القرون مصريون . عمر بن عبد العزيز الأولى ، والشافعى فى الثانية وابن دقيق العبد فى السابعة ، وعمر البلقينى فى الثامنة .

أقول : والإمام الفريد ، والحبر الوحيد من المصريين لاشك عندى أنه المبعوث على رأس المائة التاسعة أعنى جلال الدين السيوطى نفعنا الله به دنيا وآخره .

وقال الغزالى عن نفسه إنه المبعوث على رأس المائة الخامسة . وعلى رأس كل مائة رجال مبعوثون فى أقطار الأرض من العلماء .

والمبعوثون من الأفراد الكمل من الأولياء : سراً وجهراً براً وبحراً الشيخ الأكبر ، والمسك الأذفر والكبريت الأحمر على رأس المائة السادسة ، كما أخبر عن نفسه ، أنه

= منكبيه ، رَجَلُ الشَّعر ، يقطر رأسه ماءً ، واضعا يديه علي منكبى رجلين ، وهو يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا؟ فقالوا المسيح ابن مريم ، ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططا ، أعور العين اليمنى ، كأشبه من رأيت بابن قطن ، واضعا يديه على منكبى رجل يطوف بالبيت ، فقلت من هذا؟ قالوا : المسيح الدجال سلم : ١ - كتاب الإيمان ، ٧٣ باب ذكر المسيح ابن مريم . المسيح الدجال ٢٧٣ / الحديث ١٣٧٠ بالبخارى / موطأ مالك باب ما جاء فى صفة النبى (٢) /صـ ٣٣٦ مختصر البخارى للزبيدى .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "إن مع الدجال إذا خرج ماء وناراً ، فأما الذى يرى الناس أنها النار فماء بارد . وأما الذى يرى الناس أنه ماء بارد ، فنار تحرق . فمن أدرك منهم فليقع فى الذى يرى أنها نار فإنه عذب بارد" [البخارى : ١٣٧٥ ، مسلم ٢٩٣٤ ، ٢٩٣٥].

(١) فى الأصل (العباسية) .

بعث لختم الولاية الخاصة على رأس المائة السادسة(١) .

والمبعوث على رأس المائة التاسعة من الملوك السلطان سليمان بن سليم خان عليهم الرحمة والرضوان .

قال أهل التحقيق : لكل دولة من دول الملوك خاتم لا يلزم أن يكون فى آخرهم . بل يشترط كونه منفرداً ببعض الفتوحات ، وكثرة الخطب فى زمانه .

سمعت من الثقات أن السلطان سليمان تفرد بين الملوك العثمانية بالفتوح ، حتى حدث فى دولته مقدار عشرة آلاف خطبة . فعدت ووجدت ثلث الخطب ، والفتوحات فى زمانه ، وكفاه بذلك فخراً .

* **أول الأنبياء خلقا :** سيدنا محمد ﷺ . كما قال : "كنت أول الأنبياء خلقا ، وآخرهم بعثا" .

وعن كعب الأحبار : لما أراد الله تعالى أن يخلق جسد سيدنا محمد ﷺ ، جاء سيدنا جبريل بقبضة نقية بيضاء من نور الأرض من موضع قبره وكانت تلك القبضة فى موضع الكعبة ، فغسلت فى أنهار الجنة ، وعجنت بماء الرحمة ، وطيف بها عوالم الملكوت حتى عرفت الملائكة اسمه ونعته قبل اسم آدم بألف عام ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"(٢) .

---

(١) يقصد ابن العربى .

(٢) قال المفسرون بألفاظ مختلفة ، ومعان متفقة : إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض إنى خالق منك خلقا ، منهم من يطيعنى ، ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى منهم أدخلته الجنة ، ومن عصانى أدخلته النار .ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها ، فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة ، قالت له الأرض : إنى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تأخذ منى شيئا يكون فيه غدا للنار نصيب .
فرجع عليه السلام إلى ربه ، ولم يأخذ منها شيئا . وقال : يا رب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها وتكرر ذلك مع ميكائيل .فبعث الله ملك الموت فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئا فقال ملك الموت : وإنى أعوذ بالله أن أعصى له أمرا .فقبض قبضه من زواياها الأربع ؛ من أدميها الأعلى ، ومن سبختها ، =
=وطينها ، وأحمرها وأسودها ، وأبيضها ، وسهلها ، وحزنها ، فكذلك كان فى ذرية آدم ؛ الطيب والخبيث ، والصالح والطالح . والجميل والقبيح .ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم .
قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم : ٤٢] . =

* **أول ما خلق الله تعالى من الأجسام:** جوهرة قد تلألأت فكانت طينة سيدنا محمد ﷺ منها ونظر إليها بالهيبة فصارت ماء ، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات ، ثم تموج الماء فخلق الأرض منه ، فكان يتلألأ لأنوار الطينة النبوية لأهل السماء ، كالقمر لأهل الأرض . ثم خلق من الأرض طينة "آدم" فكان يتلألأ نوره من جبهته . وكان نوره ﷺ مع اسمه الشريف فى كل موضع من الجنة ، وعلى نحور الحور العين ، وجبين الملائكة ، وساق العرش ، وأبواب السموات ، وكان فى الأرض فى موضع قبره غالبا على نور الشمس ، حتى انتقل إلى جبين "آدم" حين خلق(١) .

* **أول ما بدى وسرى من حضرة الكمون:** نور سيدنا محمد ﷺ وهو أنه لما قتل "قابيل" أخاه "هابيل" اغتم آدم بذلك . فأمره الله تعالى أنْ يغشى زوجته ، وأوحى إليه أن قم فتطهر وتطيب ، وتوضأ ، وصل ، وأغش زوجتك على طهارة فإنى مخرج منك نورى ، اجعله خاتم الأنبياء ، و خيار الخلفاء . واختم به الزمان .

فواقع آدم حواء عند ذلك فحملت لوقعتها ، وأشرق نوره بجبينها . فوضعت شيثا عليه السلام ، ثم انتقل نوره ﷺ من صلب طيب إلى طاهر حتى أخرجه من بين أبويه ، لم يلتقيا على سفاح قط ، صلى الله عليهم أجمعين .

* **أول من قال: بلى ، يوم سمع قول الحق: ألست بربكم؟:** روح رسول الله ﷺ (٢)

= ثم صعد بها ملك الموت إلى الله تعالى . فأمره أن يجعلها طينا ، ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها . فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الأرض ، وبهاؤها ونورها ، ليخلق منها محمداً ﷺ فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين ، وملائكة الصفح الأعلى . فقبض قبضة من موضع قبر النبى ﷺ ، وهى يومئذ بيضاء نقية ، فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ، ثم غمست فى أنهار الجنة كلها ، فلما خرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الذرة الطاهرة ، فانتفضت من خشية الله تعالى ، فقطر منها مائه ألف قطرة ، وأربعة وعشرون ألف قطرة . فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا . فكل الأنبياء . صلوات الله على نبينا وعليهم . من نوره خلقوا ﷺ ثم طبق بها السموات والأرض ، فعرفت الملائكة حينئذ محمداً ﷺ ، قبل أن نعرف آدم.

أبى اسحاق النيسابورى المعروف بالثعلبى - قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص ٢٩ / ٣٠ .

(١) أصول التواريخ .

(٢) فى النسخة المعتمد عليها فى التحقيق حذف . وتم إثبات المحذوف حتى يستقيم المعنى .

كما أشار فى الحديث المشهور: "أول ما خلق الله روحى ، أول ما خلق الله نورى".

قال أهل التحقيق أنه ﷺ مبدأ كل كمال ، ومنشأ كل خصال ، وله السبق والتقدم والفتح والختم ظاهراً وباطناً فى جميع الفضائل والكمالات ، كما ورد: أول ما خلق الله جوهرة يعنى عنصره الشريف ، مقدّم على عوالم العنصرية رتبة وظهورا ، وروحه الأعظم مقدم على عوالم الرواح رتبة وظهوراً ، وكذلك نوره مقدم فى الأنوار ، وعقله فى العقول ، وكماله المعبر عنه بالقلم مُقدم فى الكمالات . فكما أن خطوط العلوم تصدر بواسطة الأقلام ، تصدر الأشياء بواسطة الحقيقة المحمدية ، كما أشار إليه بقوله ﷺ إنما أنا قاسم والله معط .

خاتمة الفصل :

أختم هذا الفصل الشريف فى بدء الخلائق بحديث جامع من بدء خلق رسول الله ﷺ أخرجه العلماء مروياً عن جابر الأنصارى رضى الله عنه حين سئل عن بدء خلقه فقال: أول شئ خلقه الله تعالى نور نبيك يا جابر ، خلقه ، ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شئ . وحين خلقه أقامه قدامه فى مقام القرب اثنى عشر ألف سنة . ثم قسمه أربعة أقسام ، فخلق العرش من قسم ، والكرسى من قسم ، وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم ، وأقام القسم الرابع فى مقام الحب اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم ، واللوح من قسم ، والجنة من قسم . وأقام القسم الرابع فى مقام الخوف: اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء ؛ فخلق الملائكة من جزء ، وخلق الشمس والقمر من جزء ، وأقام الجزء الرابع فى مقام الرجاء ، اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء ، فخلق العقل من جزء ، والعلم والحلم من جزء ، والعصمة والتوفيق من جزء .

وأقام الجزء الرابع فى مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة ، ثم نظر الله تعالى إليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة ألف ، وعشرون ألف وأربعة آلاف قطرة . فخلق الله من كل قطرة روح نبى ورسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم

نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة . فالعرش والكرسي من نوري ، والكروبيون والروحانيون من نوري ، والشمس والقمر والكواكب من نوري ، والعقل والعلم والتوفيق من نوري . وأرواح الرسل والأنبياء من نوري ، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري ، ثم خلق الله اثنى عشر ألف حجاب ، فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة ، وهي مقامات العبودية ، وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والوقار والسكينة ، والصبر والصدق واليقين ، فقيد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة ، فلما خرج النور من الحجب ، ركبه الله في الأرض ، فكان يضئ منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ، ثم خلق الله تعالى "آدم" من الأرض ، وركب فيه النور في جبينه ، ثم انتقل منه إلى شيث ، فكان ينتقل من طاهر إلى طيب ، ومن طيب إلى طاهر إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ، ومنه إلى رحم أمي آمنة ، ثم أخرجني إلى الدنيا ، فجعلني سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين .

هكذا بدء خلق نبيك يا جابر .

أخرجه : الشيخ الأكبر ، ومصنف كشف الكشاف في شرح البردة ، وغيره من العلماء رحمهم الله فثبت بذلك أن جميع المكونات تكونت بإفاضة فيض نور الرسول ﷺ الذي هو القاسم المستفيض من الفيض الأول الأقدس .

وأخرج القاضي في الشفاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "لما خلق الله سبحانه وتعالى "آدم" ، أهبطني في صلبه إلى الأرض ، وجعلني في صلب "نوح" في السفينة وقذف بي في النار في صلب "إبراهيم" ، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة ، إلى الأرحام الطاهرة ، حتى أخرجني من بين أبوي ، لم يلتقيا على سفاح قط" .

قال القاضي : وإلى هذا أشار عمه العباس رضي الله عنه في قصيدته الشريفة في

مدحه ﷺ:

مـــن قبـــلها طبـــت فى الظلال وفى ::: مســـتودع حيـــث يخصـــف الورق
ثم هبطـــت الـــبلاد لا بشـــر ::: أنـــت ولا مضـــغة ولا علـــق
بـــل نطفـــة تركـــب السـفين وقد ::: ألجـــم نســـرا، وأهلـــه الغـــرق
وردت نـــار الخلـــيل مكتـــتما ::: تجـــول فـــيها، ولســـت تحـــترق
تنـــتقل مـــن صـــلب إلى رحـــم ::: إذا مضـــى عـــالم بداطـــبق

* * * * * * *

الفصلِ الرَّابع
فى الأوَّائل المتعلقة بالألسن واللُّغات، ومن تكلم بها أوَّلاً، وهل هى توفيقى، أو وضعى؟ وما جرى فيها من أوَّائل الاختلاف

* أوّل اللُّغـات: لغـة العـرب ، وكـلُّ لغـة سـواها حدثـت بعدهـا ، إمَّـا توفـيقًا أو اصـطلاحًا ؛ واستدلوا بأن القرآن كلام الله تعالى ، وهو عربى ، وهو دليل على أنَّ لغة العرب أسبق اللُّغات وجودًا .

ولـذا قـال مـن قـال: لم يـنزل الوحـى علـى نبـى مـن الأنبياء إلا بالعربى ، فكلُّ نبى تـرجم بلسـان قومـه ، كمـا أشـار سبحانه بقولـه[1] : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ.. ﴾[2] .

* **أوَّل مـن تكـلم بالعربـيَّة وغيرهـا مـن السُّـريانية والعـبرانية: أبونـا** "آدم" علـيه السَّلام ؛ لأنَّ الله تعالى قال[3] : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا.. ﴾ ، وذلك يقتضى أنواع اللُّغات والأسمـاء ، فعلـم معانيها ، وعلـم حسـاب الأزمـنة والشُّـهور والسِّنين . (ذكره السُّيوطى ، فى الأوَّائل) ص١١٩ .

وذكـر الإمـام الرَّازى ، فـى تفسـيره: "إنَّ المراد أسمـاء كـلّ مـا خلـق الله تعـالى مـن أجناس المخلوقات مـن جميع اللُّغات المختلفة التى يتكلّم بها ولده اليوم من: العربيَّة ، والرومية ، والزِّنجية ، والفارسية ، وغير ذلك .

وكـان ولـد آدم يتكـلمون بـأنواع اللُّغـات ، فلمَّا مات آدم ، وتفرَّق ولده فى نواحى العـالم ، تكلّـم كـلُّ واحـد مـنهم بلغـة معيـنة مـن تلـك اللُّغـات ، فغلـب علـيهم ذلـك اللِّسـان ، فـلمَّا طالت المدة ، ومات منهم قرن بعد قرن ، وجيل بعد جيل ، نسوا سابق اللُّغات .

---

(١) إبراهيم: ٤ .
(٢) السُّيوطى ، الإتقان .
(٣) البقرة: ٣١ .

فهذا هو السَّبب فى تغير الألسنة فى ولد "آدم" ، عليه السَّلام(١) .

*** أوَّل ما نزل على آدم عليه السَّلام:** حروف الهجاء العربيَّة ففهم آدم منها لغة العربيَّة ، وسائر اللُّغات ؛ فلغة العرب أصل ، وسائر اللُّغات فروع لها ؛ وسميت حروف الهجاء بكتاب المعجم ؛ لَّما ورد فى حديث أبى ذر - رضى الله عنه - أنَّه قال: يا رسول الله: أى كتاب أنزل على آدم؟ قال ﷺ: كتاب المعجم ، قلت: أى كتاب المعجم؟ قال: أ ب ت ث ج . . إلى آخرها .

قلت: يا رسول الله ، كم حرفًا؟ قال ﷺ: تسعة وعشرون حرفًا ، قلت: يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرون ، فغضب ﷺ حتى احمرت عيناه ، ثمَّ قال: يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحق نبيًّا ، ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفًا .

قلت: يا رسول الله: أليس فيها ألف ولام ، فقال ﷺ: لام ألف حرف وحده ، قد أنزله الله تعالى على "آدم" فى صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بمَّا أنزل علىَّ ، ومن لم يعد لام ألف من الحروف ، فهو برئ منى وأنا برئ منه . ومن لم يؤمن بالحروف ، وهى تسعة وعشرون حرفًا ، لا يخرج من النَّار أبدًا ، فكأنَّه قال: يا محمَّد هذه الحروف ذلك الكتاب الذى أنزلته على أبيك ؛ يعنى آدم الصَّفى عليه السَّلام(٢) .

*** أوَّل ما تكون من الحروف:** الألف ، ومعه ثلاثة آلاف ملك ، وثمانية أملاك ، وجعل فيها مراتب العالم كلّه ، وكانت الحروف فى سر العقل ألفًا واحدًا لأنَّه حقيقة مجمع الحروف بالقوة .

وقال أهل التَّحقيق: إنَّ أوَّل المخاطبين ، هو أوَّل المخلوقين ، وهو العقل الأوَّل المحمدي ، وهو أوَّل من قال: بلى عند خطاب: ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ﴾(٣) .

---

(١) من كنز الأسرار .
(٢) شمس المعارف .
(٣) شمس المعارف .

*** أوَّل من تكلّم بفنون اللُّغات وأنواعها:** "آدم" الصَّفى - عليه السَّلام - وذلك أنَّه لَّما خلق الله تعالى الأحرف جعل لها أسرارًا ، فلمَّا خلق "آدم" بث تلك الأسرار فيه ولم يبثها فى واحد من الملائكة ، فخرجت الأحرف على لسان "آدم" بأنواع اللُّغات ، فجعل لكلِّ لغة صورًا .

وقد ورد فى الخبر أنَّ الله تعالى علَّم "آدم" سبعمائة ألف لغة ، فلمَّا وقع فى الخطيئة سُلِبَ اللُّغات كلّها إلا العربيَّة ، فلمَّا قبلت توبته ردّها الله عليه ؛ يعنى جميع الألسن(١) .

*** أوَّل من تكلّم بالعربيَّة من ولد إبراهيم - عليه السَّلام:** - إسماعيل - عليه السَّلام - لأنَّ إسحاق بقى لسانه سريانيًّا ، وأنَّ إسماعيل ألهم من يوم ولد لسان العرب ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وأولاد إبراهيم جميعهم - ماعدا إسماعيل - كان لسانهم على لسان إبراهيم ، وكان عبرانيًّا .

تزوج إبراهيم بعد وفاة سارة بجارية من التُّرك ، يقال لها "قنطورا" ، فولد له منها سبعة أولاد(٢) .

---

(١) ذكره الإمام البونى ، وغيره .

(٢) أصول التَّواريخ .

جاء فى قصص الأنبياء ، المسمى : "بعرائس المجالس" :

قال أهل العلم بأخبار الماضين ؛ ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشَّام ، بقرية الجبابرة ، من أرض كنعان ، فى جبرون ، فى مزرعة اشتراها إبراهيم - عليه السَّلام - ودفنت فيها ، وكانت هاجر قد ماتت قبل سارة بمكة ، فدفنت فى الحجر .

لَّما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين ؛ يقال لها "قطور بنت يقطان" فولدت له ستة نفر : "يقشان ، زمران ، مران ، مد ، أشيق ، شوخ" .

تزوج أيضًا بامرأة أخرى من العرب اسمها "حجون بنت أهيب" فولدت له خمسة بنين : "كيسان ، فروخ ، أهيم ، لوطان ، نافس" .

كان جميع بنى إبراهيم مع إسحاق وإسماعيل ثلاثة عشر ، وكان إسماعيل أكبر أولاده ، فأنزل إسماعيل بأرض الحجاز ، وإسحاق بأرض الشَّام ، وفرّق سائر ولده فى البلاد ، فقالوا لإبراهيم : يا أبانا ، أنزلت إسحاق معك ، وإسماعيل بقربك ، وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة .

قال : بذلك أمرت ، ثمَّ علمهم اسمًا من أسماء الله تعالى ، فكانوا يستسقون به ويستنفرون . (الثَّعلبى ، قصص الأنبياء ، المسمى : بعرائس المجالس ، ص ١١١)

* **أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة بلسان فصيح :** يعرب بن قحطان ، وبه سميت العرب عربًا ، وقد كانت "عاد" تكلمت بالعربيَّة ولم تفصح ، فأعرب ؛ أى : أظهر وبيَّن[١] .

* **أوَّل من فتق لسانه بالعربيَّة المبينة على ما هى عليه من النِّظام والفصاحة :** إسماعيل - عليه السَّلام - تكلَّم بالعربيَّة المحضة التى نزل القرآن بها . (رواه ابن عباس)

وقال : لَمَّا أنزله أبوه مع أمه هاجر بمكة ، مرَّت بهم رفقة من جرهم ، فنالوا ناديهم ؛ أى : نزلوا منزلهم ، حتى إذا شبَّ إسماعيل ، وتعلَّم العربيَّة منهم ، وفتق الله لسانه بالفصحى ، ففاق العرب العاربة ، فكان لسانه بين أظهرهم معجزة بديعة[٢] .

* **أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة حين ظعنوا من بابل :** عمليق بن لوز بن (سام) بن نوح - عليه السَّلام - وكان يقال لهم ولجرهم العرب العاربة ، وهم الخلص[٣] .

* **أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة :** "هود" - عليه السَّلام - يعنى بعد "آدم" - عليه السَّلام - ولا خلاف بين الأمة أنَّ لسان : "عاد ، وثمود ، ونوح ، وصالح ، وشعيب ، ومدين" عربى كلّه ، ما أرسل منهم من أرسل إلا بلسان قومه ، وكانوا من العرب[٤] .

* **أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة :** حوراء من حور الجنَّة - يعنى من الإناث - وذلك أنَّه جاء فى الخبر أنَّ آدم - عليه السَّلام - لَمَّا مرض مرض الموت تمنى من ثمار الجنَّة ، فأرسل أولاده فى كلِّ طريق أن يأتوا بمثل هذه الثِّمار ، وكان "شيث" - عليه السَّلام - عنده ، فقال له : ادعوا الله أن يرسل من ثمار الجنَّة ، فقال "شيث" : ادعوا أنت يا صفى الله ، فقال "آدم" : إنِّى استحى من الله لَمَّا جرى لى من أكل الشَّجرة بلا أمر .

فدعا "شيث" - عيه السَّلام - فصعد الجبل يتطلع على شئ من الثِّمار ، فرأى أنَّ جبريل - عليه السَّلام - يجئ بطبق من ثمار الجنَّة على رأس حوراء من حور الجنَّة ،

---

(١) جاء بعد "أى أظهر" ، وبين يعرب ، والكلام هكذا لا يستقيم . انظر أوائل السيوطى ص١١٩ .
(٢) أوَّائل السُّيوطى . ص ١١٧ . أخرجه الطبرانى عن ابن عباس مرفوعاً .
(٣) أوَّائل السُّيوطى . ص ١١٨ ، والطبقات (١/١٩) .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ص ١١٧ . أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس .

فأكل "آدم" من تلك الثِّمار ، وسأل الله تعالى أن يزوج تلك الحوراء من "شيث" - عليه السَّلام - فأجابه تعالى ، فكانت أوّل من تكلّم بالعربيَّة من النِّساء من هذا الاعتبار له جهة الأوّلية .

قال أهل التَّحقيق : يمكن التَّوفيق والتَّطبيق بين الأوَّائل بالوجوه المختلفة ، والاعتبارات المتعددة ، فيكون كلّ من تلك الأوَّائل مقدمًا بالنِّسبة إلى غيره ؛ فالشَّئ مقدم من وجهة ، ومؤخر من وجهة ، فمن مشى على المراتب والنَّسب فقد نجا من كثير من المعضلات والمشكلات تطبيقًا وتوفيقًا بين الأخبار المختلفة .

وقيل ولد "إدريس" - عليه السَّلام - من هذه الحوراء ؛ ولهذا السِّر الجلى صعد السَّماء ، ودخل الجنَّة ، وبقى فيها مخلدًا لغلبة الملكية الجنّانية ، والمشهور الأصح أنَّه سبط "شيث" ؛ ويمكن أن يقال أنَّ أمه من بنات "شيث" وفى توالد حوراء الجنَّة نظر ، ويمكن أن تكون معجزة لآدم ، عليه السَّلام[1] .

* **أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة المحضة :** إسماعيل - عليه السَّلام - قال ابن عباس - رضى الله عنهما - قال الإمام العلامة فى كتاب : "عجائب اللُّغة" أراد به ابن عباس ، عربيَّة قريش ، التى نزل بها القرآن ؛ وأمَّا عربيَّة قحطان وحمير فكانت قبل إسماعيل ، عليه السَّلام .

وأخرج الإمام فى المزهر[2] ، نقلاً عن أبى الحسن الأشعرى ، أنَّ الله تعالى علَّم آدم أسماء جميع اللُّغات ، وأسماء جميع المخلوقات بجميع اللُّغات : "العربيَّة ، والفارسية ، والسِّريانية ، والعبرانية ، والرُّومية ، والتُّركية ، والقبطية ، وغير ذلك" .

فكان "آدم" وأولاده يتكلمون بأنواع اللسن ، ثمَّ إنَّ أولاده تفرقوا فى الدُّنيا ، وعلق كلُّ واحد منهم بلغة من تلك اللُّغات ، فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها لبعد عهدهم .

---

(١) ذكر ذلك بعض المحققين فى الفصل الإدريسى من شرح فصوص الحكم .

(٢) يقصد "المزهر فى علوم اللغة وآدابها "للسيوطى" .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنَّ "آدم" - عليه السَّلام - كانت لغته فى الجنَّة العربيَّة المحضة ، فلمَّا عصا سُلِبَ العربيَّة وتكلَّم بالسِّريانية ، فلمَّا تاب الله عليه ، أعطى العربيَّة .

*** أوَّل اللِّسان الذى أنزل به "آدم" من الجنَّة :** عربى ، إلا أنَّه بعد وطال به العهد حُرِّف وسار سريانيًّا ، وهو منسوب إلى أرض سرية[١] ، وهى أرض الجزيرة ، كان بها "نوح" - عليه السَّلام - وقومه قبل الغرق ، وكان يشاكل اللِّسان العربى ، إلا أنَّه محرَّف .

وكان لسان جميع من فى سفينة "نوح" إلا رجلاً واحدًا يقال له : "جرهم" ، فكان لسانه لسان عربى الأوَّل ، فلمَّا خرجوا من السَّفينة تزوّج "ارم بن سام" بعض بناته .

فمنهم انتشر اللِّسان العربى الأوّل ، وبقى اللِّسان السّريانى فى ولد "أرفخشد بن سام" ، إلى أن وصل إلى "قحطان" من ذريته ، وكان باليمن . فنزل هناك عاربة وعرباء ، وهم الخلص من العرب ، وهم تسع قبائل من ولد "ارم بن سام بن نوح" - عليه السَّلام - وهى : "عاد ، وثمود ، وأُمَيم ، وعَبيل ، وطَسْم ، وجَدِيس ، وعِمْليق ، وَوَبَار ، وجُرْهم"التى نشأ إسماعيل - عليه السَّلام - فيهم ، وتزوَّج منهم حين نزلوا عليه بمكة المشرفة ، ظاعنين من اليمن إلى الشَّام .

والقسم الثَّانى من العرب المتعرِّبة ؛ قال فى الصّحاح : وهم الذين ليسوا بخلص أيضًا ، وهم "بنو قحطان" .

والقسم الثَّالث : المستعربة ؛ وهم الذين ليسوا بخلص أيضًا ، وهم بنو إسماعيل ، وولد "معد بن عدنان بن أدد"[٢] .

قال ابن دريد ، فى الجمهرة : العرب العاربة سبع قبائل ؛ "عاد ، وثمود ، وعِمْليق ، وطَسْم ، وجَدِيس ، وأُميم ، وجاسم ، وقد انقرض أكثرهم إلا بقايا

---

(١) مزهر اللُّغة ، للسيوطى ، ج١ ص ٣٠ . وصحتها (سُورَى) أو (سوريانه) .

(٢) جاء فى المزهر : معدّ بن عدنان بن أُدّ ، وهى رواية "نهاية الأرب" . السيوطى - مزهر اللغة ج١ ، ص٣١ .

متفرقين فى القبائل[1] .

* **أوَّل من انعدل لسانه من السُّريانية إلى العربيَّة :** يعرب بن قحطان ؛ ولذا سمى يعرب ، وهو أوَّل من تكلَّم بها ، قيل فى سبب العدول ، ما أخرجه العسكرى فى تاريخه ، عن أنس ، قال : "لمَّا حشر الله تعالى الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحًا فاجتمعوا ينظرون لماذا حشروا لـه . نادى مناد ألا من جعل المغرب إلى يمينه ، والمشرق عن يساره ، واقتصد إلى البيت الحرام يوجهه ، فله كلام أهل السَّماء ، فقام "يعرب بن قحطان" فقيل لـه : يا يعرب بن قحطان بن هود ، أنت هود ؛ فكان أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة . فلم يزل المنادى ينادى : من فعل كذا فله لسان كذا ، حتى افترقوا إلى اثنين وسبعين لسانًا ، وانقطع الصَّوت ، وتبلبلت الألسن ؛ فسميت بابل ، فكان اللِّسان يومئذ بابليًّا فقط ، وتفرقت الألسن بعد الحشر المذكور .

مطلب شريف علمى :

حكى الإمام عن الأستاذ أبى منصور المتريدى ، قال فى شرح الأسماء : الجمهور الأعظم من الصَّحابة والتَّابعين من علماء المفسرين قالوا : "إنَّ اللُّغات كلَّها توفيقية من الله تعالى ، إمَّا بالوحى إلى بعض الأنبياء ، أو بعلم ضرورى لدنى خلقه فى بعض العقول السَّليمة . أو يخلق الأصوات فى بعض الأجسام المستقيمة ، وعلى هذا قول الأشعرى : "إنَّ اللُّغات بأسرها كلّها توفيقية ، كما سبق واختلفوا فى لغات العرب ؛ فمنهم من قال هى أوَّل اللُّغات . وكلُّ لغة سواها حدثت بعدها ، إمَّا توفيقية أو اصطلاحًا ، واستدلوا بأنَّ القرآن كلام الله تعالى ، وهو عربى ، وهو دليل على أنَّ لغة العرب أسبق اللُّغات وجودًا" .

ومنهم من قال : لغة العرب نوعان :

أحدهما : لغة حمير ؛ وهى التى تكلموا بها من عهد "هود" - عليه السَّلام - ومن

---

(١) ذكره السُّيوطى ، فى المزهر . وذكرهم تسع : عاد ، وثمود ، وأُميم ، وعَبيل ، وطَسْم ، وجَدِيس ، وعِمْليق ، وجُرْهم ، ووَبَار . ومنهم تعلّم إسماعيل عليه السلام العربية . ج١ ص ٣١ .

قبله ، وبقى بعضه إلى وقتنا هذا .

الثَّانى : العربيَّة المحضة ، التى نزل بها القرآن ، وأوَّل من أطلق لسانه بها ، إسماعيل - عليه السَّلام - فعلى هذا القول يكون توفيق إسماعيل على العربيَّة المحضة ، إمَّا أن يكون اصطلاحًا بينه وبين "جرهم". النَّازلين عليه بمكة . وإمَّا أن يكون توفيقًا من الله سبحانه وتعالى[1] ، وهو الصَّواب عند المحققين من الأشاعرة الجهابذة ؛ ولا عبرة لمن قال : إنَّ أصل اللُّغات إنَّما هو تواضع واصطلاح ، لا وحى ولا توفيق .

مطلب وتنبيه :

قال السُّيوطى ، فى كتاب : "عجائب اللُّغات" : ولعلَّ ظانًا يظن أنَّ اللُّغة التى دللنا على أنَّها توفيق إنَّما جاءت من جملة واحدة ، وفى زمان واحد ، وليس الأمر كذا ، بل وقف الله تعالى إلى "آدم" على ما شاء أن يعلمه إياه ممَّا احتاج إلى علمه فى زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله . ثمَّ علَّم الله تعالى بعد "آدم" من عرب الأنبياء نبيًّا بعد نبى - صلوات الله عليهم - ما شاء الله أن يعلمهم ، حتى الأمر إلى سيدنا ورسولنا محمَّد ﷺ فأعطاه الله من ذلك ما لم يؤت أحدًا قبله ، تمامًا على ما أحسنه من لغات العرب العاربة والمستعربة .

قال القاضى ، فى الشِّفاء : "لقد أوتى رسول الله ﷺ جوامع الكلم ، وخص بداية ونهاية ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب العاربة الخلص ، وغيرها من القبائل بأسرها . فكان يخاطب كلَّ أمة بلسانها ، ويحاورها بلغاتها ، وبيان اصطلاحاتها ، وكان يخبر عن جميع الألسن ، بل عن ألسن الطُّيور والسِّباع والحيوان ، بل عن نطق الجمادات ، وأنواع تسبيحها" .

---

(١) ظهر مذهبان حول نشأة اللُّغة الإنسانية ؛ أولهما : المذهب التَّوفيقى .
انظر : "عوامل تطور اللُّغة العربية" ص ٢٤ ، وما بعدها .

فائدة (اللُّغات توفيق روحى وإلهام):

قال أهل التَّحقيق: "لقد قرَّ الأمر قراره، وأحاط كلّ مركز مداره فى خير القرون، وهو القرن المحمَّدى، فلا تعلم لغة من بعده حدثت، فإن تعمل اليوم فتعمل، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده.

وقد كان من زمن الصَّحابة من البلغاء والفُصحاء من النِّظر فى العلوم الشَّريفة ما لا خفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظ لم يتقدمهم. ومعلوم أنَّ حوادث العالم لا تنقضى إلا بانقضائه، ولا تزول إلا بزواله، وفى كلٍّ هذا دليل على صحة ما ذهبت إليه من أنَّ اللُّغات توفيق روحى وإلهام؛ فليحفظ ذلك.

وأمَّا سبب اختلاف الألسنة وتفرقها، ما ذكره أصحاب التَّفاسير فى قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾ قالوا: إنَّ "نمرود بن كنعان" بنى صرحًا ببابل، طوله فى السَّماء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف، وكان لسان النَّاس يومئذ بالسِّريانية. فأهب الله تعالى الرِّيح، فألقت رأسه فى البحر، وخرَّ عليهم الباقى، وهم تحته، وسقط الصَّرح، وتبلبلت ألسن النَّاس من الفزع، وصياح الرِّياح، فاختلط لسانهم، فتكلَّموا بثلاثة وسبعين لسانًا؛ بحيث لم يعرف أحد منهم لسان الآخر، لتبلبل ألسن النَّاس؛ ولذا سميت تلك البقعة ببابل.

* **أوَّل من تكلَّم بعد اندراس اللُّغة:** الإسماعيلية المنبثة فى قريش، سيد الكونين والفريقين من عرب ومن عجم.

روى أنَّه قال ﷺ: "كانت لغة إسماعيل قد درست، فجاءنى بها جبريل، فحفظنيها، فحفظتها"، وقال ﷺ: "مثلت لى أمتى فى الماء والطِّين، وعلمت الأسماء كلَّها، كما علَّم آدم الأسماء كلَّها".

الله علَّم بالقلم:

عن جعفر الصَّادق - رضى الله عنه - "علَّم الله تعالى آدم الأسماء كلَّها بالقلم، الذى فى اللَّوح المحفوظ، وبذلك القلم علَّم رسول الله ﷺ الأسماء، كما أشار إلى

ذلك سبحانه فى كتابه بقوله: ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ ؛ وهو القلم الإلاهى القدرى الإحاطى اللَّوحى الأوَّلى النُّورى الأحمدى .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ قال: "هى هذه الأسماء التى يتعارف بها النَّاس ، كإنسان ودابة وأرض وسماء وسهل ووعر وبحر وبر وجمل وجبل ، وأشياء ذلك من الأمم وغيرها .

وعنه أيضًا قال: علَّمه اسم كلّ شئ حتى القصعة والقصيعة ، والقصوة والقصية ، وعلَّمه فى تلك الأسماء ألف حرفة .

وعن سعيد بن جبير - رضى الله عنه - علَّم آدم من أسماء المخلوقات ما لم تعلمه الملائكة ؛ فسمى كلَّ شئ باسمه ، وألجأ كلَّ شئ إلى جنسه ؛ فكلُّ شئ سماه آدم ، فهو اسمه إلى يوم القيامة ، وجعل يدعو كلَّ شئ باسمه ، وهو يمر بين يديه ، فعلمت الملائكة أنَّه أكرم على الله ، وأعلَّم منها .

وعن بعض المفسرين: علَّمه أسماء ذريته ، وأسماء الملائكة ، والنُّجوم والأفلاك وما فيها لأنَّه خليفته فى خليقته ، ذكره فى المزهر وقال: وفى هذا فضيلة عظيمة ، ومنقبة شريفة لعلم اللُّغة وأهلها ؛ لأنَّا أس اللُّغة ومدارها .

* * * * * * *

الفصل الخامس

فى الأوَّائل المتعلقة بالكتب (أى كتاب نُزِّل أولاً؟ ومن كتبه؟ وعلى من نُزِّل؟)

* أوَّل مـن وضـع الكتاب العـربى ، والسِّريانى ، والكتب كلّها - يعنى بأنواع الأقلام والألسن: "آدم" - عليه السَّلام - قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها فى طين ، ثمَّ طبخه . فلمَّا أصاب الأرض الغرق ، وجد كلَّ قوم كتابًا فكتبوه من خطه ، فأصاب إسماعيل - عليه السَّلام - الكتاب العربى ، وكان ذلك من معجزات "آدم" - عليه السَّلام - ، وكان وجدان إيجاد "إسماعيل" الكتاب العربى معجزة باهرة له ، عليه السَّلام[1] .

* أوَّل من ما نزل على آدم ، عليه السَّلام: عشر صحف أوَّل ليلة من شهر رمضان ، وكان فيها سورة مقطعة الحروف ، وهو أوَّل كتاب نزل ، وفيه ألف لغة ، وفيه الفرائض والسُّنن ، وتفسير الحروف ، والوعد والوعيد ، وأخبار الدُّنيا والآخرة .

وقد بيَّن فى ذلك أهل كلّ زمان ، وصورتهم ، وسيرتهم مع أنبيائهم وملوكهم ، وما يحدث فى الأرض ، حتى المأكل والمشرب ، فابصر "آدم" ذلك كلّه ، وعرف ما يكون فى أولاده ، وكان فى الصحف الحروف التِّسعة والعشرون[2] .

* أوَّل كتاب أنزل على "آدم" ، عليه السَّلام: حروف المعجم ، وكانت الحروف تتشكل له من قوالب نورانية عند إرادته ، وهى خاصية اختصه الله تعالى بها .

وأنزل عليه تحريم: الميتة ، والدَّم ، ولحم الخنزير ؛ وحروف الهجاء من إحدى وعشرين صحيفة[3] .

* أوَّل من وضع الكتاب العربى: إسماعيل - عليه السَّلام - وضعه على لفظه ، ومنطقه ، وكتابه كان موصولاً ؛ يعنى أنَّه وصل فيه جميع الكلمات ، ليس بين

---

(١) مزهر اللُّغة . من ص٢٨ ، وحتى ص٣٥ .
(٢) من تفسير الفصول .
(٣) بحر الوقوف فى علم الحروف ، لأحمد البونى .

الحروف فرق ؛ هكذا (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم) ، ثمَّ فرقه من بنيه "هميسع ، وقيذر"(١) .

*** أوَّل من وضع الكتاب العربى (أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت):** كانوا ملوكًا ؛ فسمى الهجاء بأسمائهم ، قال المسعودى فى تاريخه : "كان (أبجد) ملكًا مكرمًا بالحجاز ، وكان (هوز ، وحطى) ملكين بأرض الطَّائف ونجد ، و(كلمن ، وسعفص ، وقرشت) كانوا ملوكًا بمصر .

وكان آل مرامر بن مروة من العرب العاربة ، وقد كان يسمى كلّ واحد من أولاده بكلمة من (أبجد) ، وهم ثمانية ، فمن علماء الشَّأن من جعلها كلمات عربيَّة ، ومنهم من جعلها أعجميات ، وقد قيل غير ذلك فى هذه الحروف"(٢) .

*** أوَّل كتاب أنزله الله تعالى من السَّماء:** أبو جاد ، ذكره السُّيوطى ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما .

وقال قد جرى أبو جاد على لفظ لا يجوز أن يكون إلا عربيًّا ، وبقولى: هذا أبو جاد ، ورأيت أبا جاد ، ومررت بأبى جاد

واختلف فى معناه ، قال ابن عباس :

"أبى جد: أى ؛ أبى آدم من النَّهى بسبب نسيانه ، وجدّ فى أكل الشَّجرة .

هوَّز: أى ؛ نزل من السَّماء إلى الأرض .

حطى: أى ؛ حطت عنه ذنوبه بالتَّوبة .

كلمن: أى ؛ أكل من الشَّجرة ، وَمَنَّ عليه ربُّه بالتَّوبة .

سعفص: أى ؛ أخرجه ربُّه من نعيم الجنَّة إلى كدر الدُّنيا .

---

(١) ذكره السُّيوطى ، فى المزهر . ج٢ ص٣٤٢ ، والأوائل ص١٢٨ . وهذا الأثر أخرجه ابن أشتة والحاكم فى المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس .

(٢) ذكره السُّيوطى ، فى عجائب اللُّغة .

قرشت: أي ؛ أقدَّ بالذّنب ، وسَلِمَ من العقوبة .

وقيل كلمات: (أبجد) أسماء ملوك ، أصحاب الأيكة العمالقة ، وقيل من غيرها .

وورد في الخبر: خذوا معنى (أبجد) ففيه عجائب كثيرة:

الألف: آلاء الله .

باء: بهجة الله .

جيم: مجد الله .

دال: دين الله .

هاء: هاوية .

واو: ويل .

زاي: زاوية في النَّار ، ولها سبعة أبواب ، إلى غير ذلك[1] .

* **أوَّل موضع وضع فيه الكتب ، وانفجرت منه ينابيع الحكمة:** كان الهند على لسان "آدم" ، وحج البيت مرارًا راجلاً ، ثمَّ هاجر إلى الحرم الشَّريف ؛ لشرفه وفضله على جميع الأرضيين .

وهو أوَّل المهاجرين لشرف المكان والجوار ، فالهجرة من سنة الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين[2] .

* * * * * * *

(١) ذكره صاحب تفسير التَّذكير .
(٢) أصول التَّواريخ .

الفصل السّادس

فى الأمور المتعلقة بالخط والقلم، وأنواع الكتابة وما يتعلق بها؛ كتاريخ الكتاب وختمه

* أوَّل من كتب: "آدم" - عليه السَّلام - ولا شك أنَّ كلَّ كمال بشرى من الحرف الآدمية ، والصِّناعات البشرية التى تحتاج إليها ذريته من جهة المعاش ، كان أبونا "آدم" أخذها وكشفها من حضرة تعليم الأسماء الكلية علمه الله تعالى حين علَّمه الأسماء ، ألف حرفة[1] .

* أوَّل من خط بالقلم: "إدريس" - عليه السَّلام[2] .

* أوَّل من كتب العربى ، والسّريانى ، والكتب كلِّها: "آدم" - عليه السَّلام - قيل: كان "آدم" يخط بالبنان ، ويرسم الخطوط على اللبان ، ويطبخها ، ويكنزها لأولاده ، وكانت أولاده تتلقاها بالوصية منهم ، وبعضهم بالقوة القدسية القابلية البشرية ، من معادن تعليم حضارات الأسماء الكلية .

وكان أقرب عهدًا إليه "إدريس" - عليه السَّلام - ولذلك اشتهر عنه من الحرف ما لم يشتهر عن غيره ؛ كالخط ، والخياطة[3] ، والسَّيف ، والسَّرج ، وآلات الحروب .

---

(١) مزهر اللُّغة ، ج٢ ، ص ٣٤١ .

(٢) عن أبى ذر ، رضى الله عنه .
قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ (مريم: ٥٦ ، ٥٧) .
وذكر ابن إسحاق أنَّه أوَّل من خط بالقلم .
وقد قال طائفة من النَّاس: أنَّه المشار إليه فى حديث معاوية بن الحكم السُّلمى ، لمَّا سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرَّمل ، فقال: "إنَّه كان يخط به ، فمن وافق خطه فذاك" .
"ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٦٦"
وهو إدريس بن برد ، وقيل: باريد بن صهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ؛ واسمه أخنوخ .
سمى إدريس لكثرة درسه للكتب ، وصحف آدم ، وشيث ، وكان إدريس أوَّل من خاط بالقلم .
"الثَّعلبى ، عرائس المجالس ، ص ٥٤"

(٣) كان إدريس أوَّل من خط بالقلم ، وأوَّل من خاط الثِّياب ولبس المخيط ، وأوَّل من نظر فى علم النُّجوم والحساب . جاء فى: "نهاية الأرب ، السِّفر ١٣ ، ص ٣٨"
وكان يعيش من كسب يده ، وكان خياطًا ، وهو أوَّل من خاط الثِّياب ولبسها ، وكانوا قبل ذلك يلبسون الجلود .=

* **أوَّل العرب كتب بالعربيَّة:** حرب بن أمية ؛ قيل لابن عباس - رضى الله عنه - :

"معاشر قريش ، من أين أخذتم هذا الكتاب العربى ، قبل أن يبعث محمَّد ﷺ تجمعون منه ما اجتمع ، وتفرقون ما افترق ؛ مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية . فقيل له: فمن أين أخذه؟ قال: من عبدالله بن جدعان ، وهو أخذه عن طريق كاتب الوحى ؛ "لهود" ، عليه السَّلام[1] .

* **أوَّل من كتب بخطنا هذا (العربى):** رجلان طائيان: مرامر بن مرة ، وأسلم بن جدرة ، ثمَّ علموه أهل الأنبار ، فتعلمه حرب بن أمية ابن أخت أبى سفيان ، فتعلمه جماعة من أهل مكة ؛ فلذلك كثير من يكتب بمكة من قريش[2] .

* **أوَّل من كتب بمكة "باسمك اللهم":** أمية بن أبى الصّلت ، إلا أنَّ جاء الإسلام ، فكتب - أى فى صدر الكتب وأوّائلها - مقامة ، لَّما نزلت آية الرَّحمن: ﴿ **بسم الله الرَّحمن الرَّحيم** ﴾[3] .

* **أوَّل من اشتهر بالكتابة من الصّحب الكرام:** عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، رضى الله عنهم[4] .

* **أوَّل من زاد فى صدر الكتاب بعد "الحمد لله" وأساله أن يصلى على محمَّد ، عليه الصَّلاة والسَّلام:** هارون الرَّشيد[5] .

* **أوَّل من كتب فى آخر الكتاب ، "كتبه فلان بن فلان":** أبى بن كعب[6] ، رضى الله عنه .

=وحكى عن وهب: أنَّه أوَّل من اتَّخذ السَّلاح ، وجاهد فى سبيل الله ، ولبس الثّياب ، وأظهر الأوزان والأكيال ، وأنار علم النّجوم .

(١) ذكره السُّيوطى ، فى المزهر . ج٢ ص ٣٤٢ ، برواية مختلفة قال: أوّل العرب كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس ، تعلم من أهل الحيرة ، وتعلّم أهل الحيرة من أهل الأنبار .

(٢) المزهر ، السُّيوطى . ج٣٤٣/٢ .

(٣) المزهر ، السُّيوطى . وأوائل السيوطى ص١٣٠ .

(٤) المزهر ، السُّيوطى .

(٥) ، (٦) أوَائل السُّيوطى ص١٢٩ .

* **أوَّل من ختم الكتاب من قريش:** سيد العالمين رسول الله ﷺ حين أراد مكاتبة الملوك يدعوهم إلى الإسلام . فقيل له : إنَّهم لا يقرئون كتابًا إلا مختومًا[١] ، فاتَّخذ الخاتم الشَّريف ، فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكان خاتمه من فضة ، وفصه منه ، وفى رواية ؛ كان فصه حبشيًّا من جزع أو عقيق ، عليه ثلاثة أسطر ؛ محمَّد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

وكان إذا دخل الخلاء ينزعه لأنَّ فيه اسم الله الأعظم ، وكان يتختم فى يمينه ، ثمَّ بعد رحلته إلى جوار رحمة الله ، وقربه ، كان خاتمه الشَّريف فى يد أبى بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان - رضى الله عنهم - فوقع من يده فى بئر "أريس" فلذا اختلّ أمر الخلافة فى زمن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - كما اختلّ ملك سليمان - عليه السَّلام - بذهاب خاتم الملك .

قيل كان هذا سبب اختلال أمر الخلافة ، ولو لم يقع خاتمه ﷺ فى البئر لانتظم أمر الخلافة فى أمته إلى يوم القيامة ، ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا ، لا مردّ لقضائه .

* **أوَّل من أرَّخ بالهجرة[٢]:** عمر - رضى الله عنه - بمشورة على - رضى الله عنه - سنة ست عشرة هجرية ؛ وسبب ذلك أنَّه كتب أبو موسى الأشعرى إلى عمر - رضى الله عنه - أنَّه يأتينا كتب ما نعرف تاريخها ، فاستشار عمر[٣] .

فقال بعضهم : أرَّخ بمبعث النَّبى ﷺ فإنَّه فرَّق بين الحق والباطل ، فأرّخ به[٤] .

* **أوَّل من تكلَّم على رسوم الخط وقوانينه ، وجعله أنواعًا:** رجل يعرف بـ "الأحول المحرر" من جماعة البرامكة ، فلمَّا رتب الأقلام ، جعل أوَّل الأقلام:

---

(١) أوائل السيوطى ص١٢٩ .
(٢) جاءت فى الأصل : "ورّخ" .
(٣) قوله : "فاستشار عمر . . إلخ" عبارة القسطلانى على البخارى ، فجمع النَّاس ، فقال بعضهم : أرِّخ بالمبعث ، وقال بعضهم : بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرَّقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها بالمحرم ؛ لأنَّه منصرف النَّاس من حجهم ، فاتفقوا عليه . وانظر : السيوطى والوسائل إلى معرفة الأوائل ص ١٢٧ .
(رواه الحاكم ، وغيره) أ . هـ ، وبها نعلم ما فى عبارة هذا المؤلف .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٢٧ .

قلم الثِّقال ، وقلم الطّومار ، وقلم الثّلث ، وقلم السّجلات ، وقلم العهود ، وقلم المؤامرات ، وقلم الأمانات ، وقلم الدّيباج ، وقلم المديح ، وقلم المرصع وقلم التشاجى ، وقلم الرّياسى - وهو أحسن الأقلام - وقلم الغبار والرّجس والبياض والحواشى ، وغير ذلك يتفرع إلى عدّة أقلام[1] .

* **أوّل من نقل الخط الكوفى إلى الخط المعهود الآن:** الوزير أبو على بن مقلة ، وقيل: أخوه الحسن ، وقيل: ياقوت المستعصمى[2] .

* **أوّل من أمر بكتابة نسخة الكتاب (المسودّة) قبل أن يبيض:** "زياد" ، حين أملى كاتبه كتابًا إلى "معاوية" ، فسها ، فكتب الكتاب بسهوه ، فلمّا وصل إلى "معاوية" ، فرأى سهوه ، وخلله ، كتب إلى "زياد": لا تكتبوا كتابًا إلا جعلتم له نسخة - يعنى مسودة - فكان أوّل من وضع هذه النُّسخ "معاوية" بأمر الكتاب عند أمراء خلافته[3] .

* **أوّل من اتّخذ الدّفاتر لأمور المملكة:** يوسف الصّديق - عليه السّلام - حين ولى خزائن ملك مصر ؛ كما قال تعالى حكاية عنه[4]: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ ، أى: كاتب حاسب .

وقال تعالى[5]: ﴿**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء**﴾ ؛ قال بعض المفسرين: الخط الحسن ، وقال بعضهم: الصّوت الحسن ، قال حكيم: "القلم طبيب الكلام ، وصانع الكلام ، القلم لوحة الضّمير ، ووحى الفكر ، وسفير العقل ، وترجمان الهمم ، وعنوان المعارف" .

قال أرسطاليس الحكيم: "عقول الرِّجال تحت أسنان أقلامها ، الخط لليد لسان ، وللخلد ترجمان ، وهو قيد العلوم والحكم .

---

(١) سيوطى ، الأوائل ص ١٢٩ ، ياقوت/معجم الأدباء ج٢ ص ٢٢٥ .
(٢) سيوطى .الأوائل ص ١٢٨ .
(٣) أوائل السُّيوطى . ص ١٢٩ .
(٤) يوسف: ٥٥ "أوّل من اتخذ القراطيس "يوسف" أوائل السيوطى ص ١٣٠ .
(٥) فاطر: ٣٥ .

* **أوَّل من وضع الكتابة بالخط العربى :** "إسماعيل" - عليه السَّلام - وكان للأنبياء - عليهم السَّلام - أقلام مختلفة ؛ كان قلم "آدم" - عليه السَّلام - سريانيًّا ، وقلم "شيث" حولياتيًّا ، وقلم "إدريس" برباويًّا ، وقلم "نوح" حرزميًّا . وقلم "إبراهيم" يرهميًّا" ، وقلم "إسحاق" يونانيًّا ، وقلم "موسى" عبريًّا ، وقلم "داود" عزيريًّا ، وقلم "سليمان" كاهنيًّا ، وقلم "عيسى" روميًّا ، وقلم "شمعون" أفرنجيًّا ، وقلم "جرجيس" قبطيًّا ، وقلم "دانيال" أرمينيًّا . وقلم "رسول الله ، ﷺ" عربيًّا ، وهو أفضل الأقلام ، كما أنَّه أفضل الأنبياء ، عليهم الصَّلاة والسَّلام[١] .

* **أوَّل من كتب بالفارسية :** "طهمورث" ؛ ثالث الملوك الفرس ، و"طهمورث بن أبى جهان" أخو "جمشيد" ، جمع بين الحكمة والخلافة ، وكان يحارب الجن[٢] .

* **أوَّل ملوك بنى آدم :** "كيومرث" ، وكان ملكه ثلاثين سنة ، والثَّانى هو "شيح" ، وكان ملكه أربعين سنة ، وكان ملك "طهمورث" ستين سنة . (ذكره الإمام الغزالى ، فى : سير الملوك) .

وكان الملوك النّادانية على شريعة "آدم" - عليه السَّلام - لهم وراثة حكيمة ، وأسرار سمائية ، وتصرفات روحانية ؛ ولذا كانوا يحاربون الجن ، إلى أن غيّر الدّين "جمشيد" فى آخر عمره ، وتجبر وطغى . وأرسل إليه شداد من اليمن "الضّحاك" ، فقتله شر قتله ، ففسد الدّين فى ممالك العجم ، إلا أن أقامه "أفريدون" فكان صاحب الدِّين الحق ، والعلم والعدل ، حفر المعادن ، وضرب باسمه الدَّراهم والدَّنانير ، فشكره العالم بأسره ، كما ذكره أصحاب التَّواريخ .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى من الأشياء النَّباتية :** اليراع" وهو القصب ، ثمَّ خلق من هذا اليراع القلم ، ثمَّ قال : اكتب ما يكون إلى يوم القيامة[٣] .

---

(١) ذكره : أحمد البونى .

(٢) السيوطى / الوسائل إلى معرفة الأوائل ص ١٢٩ .

(٣) ذكره : السُّيوطى ، عن مجاهد ، فى الهيئة السُّنية . وجاء فى الأوائل للسيوطى ص ١٥ : أخرجه الترمذى عن عبادة بن الصامت مرفوعاً .

* **أوَّل ما خلق الله:** القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، كذا ورد فى الخبر عنه ، ﷺ .

قال العلماء: "ليس شئ أفضل من القلم من الكمالات الصِّناعية البشرية ، لأنَّ به يمكن إعادة السَّلف والماضى ، وكفى فى فضله وشرفه ما أقسم الله تعالى به فى كتابه ؛ فقال تعالى: ﴿ **نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾[1] .

وقال عزَّ من قائل[2]: ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾ ما قيل فى القلم لغزًا:

وأهيف مذبوج على صدر غيره ::: يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرًا كلَّما طال عمره ::: ويضحى بليغًا وهو لا يتكلم

ولبعض الفضلاء:

بصير بما يوحى إليه وما له ::: لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسرِّه ::: إليه إذا ما حركته الأصابع

ولبعضهم:

وذى نحول ساجد راكع ::: أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها ::: مجتهد فى طاعة البارى

يقال: "برىَ القلم" إذا قطه .

* * * * * * *

(١) القلم: ١ .
(٢) العلق: ٤ .

الفصل السَّابع
فى الأوَّائل المتعلقة بالشِّعر والشُّعراء ولواحق الشِّعر من: العروض وفنون الشعـر

* أوَّل من نطق بالشِّعر: أبو البشر "آدم" الصَّفى، عليه السَّلام، ذكره ابن جرير الطَّبرى، فى تفسيره، عن على - رضى الله عنه - قال: "لمَّا قتل قابيل أخاه هابيل، بكى آدم - عليه السَّلام - عليه، وأسف على فقده، ورثاه بشعر يُعزى إليه (وهو هذا).

تغيَّرت البلاد ومن عليها ::: فوجه الأرض مغبر قبيح
تغيَّر كلّ ذى طعم ولون ::: وقلّ بشاشةً ألوجه الصّبيح
وبدّل أهلها أثلاً وخمطًا ::: بجنات من الفردوس فسيح
وجاورنا عدو ليس ينسى ::: لعين ما يموت فتستريح
وقتل قابيل هابيل ظلمًا ::: فوا أسفاه على الوجه المليح
فمالى لا أجود بسكب دمعى ::: وهابيل تضمنه الضَّريح
أرى طول الحياة علىّ غمًّا ::: وما أنا فى حياتى مستريح

قال المسعودى: "وجدت فى عدة من كتب التَّواريخ والسِّير، أنَّ آدم - عليه السَّلام - لمَّا نطق بهذا الشِّعر، أجابه إبليس، حيث يسمع صوته، ولا يرى شخصه، وهو يقول: أى يهتف والهاتف يسمع صوته، ولا يرى شخصه:

تنح عن البلاد وساكنيها ::: فقد فى الأرض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء منها ::: وآدم من أذى الدُّنيا مريح
فما زلت مكايدنى ومكرى ::: إلى أن فاتك الثَّمن الرّبيح
فلولا رحمة الجبار أضحى ::: بكفك من جنات الخلد ريح
أبا هابيل قد قتلا جميعًا ::: وصار الحى بالموت الذّبيح

فلمَّا سمع "آدم" - عليه السَّلام - ذلك، ازداد حزنًا وجزعًا على الماضى والباقى، وعلم أنَّ القاتل مقتول، فأوحى الله تعالى إليه، إنِّى مخرج منك نورى الذى أريد به

السُّلوك فى القلوب الطَّاهرة والأرومات ، وأباهى به الأنوار ، واجعله مجتمع الأسرار ، ومطلع الأنوار ، واجعله خاتم النَّبيين ، ورحمة للعالمين ، واجعل له خيار الأمة ، وأحبار الأئمة الخلفاء الرَّاشدين ، اختم الزَّمان بمدتهم ، وأعض الأرض بدعوتهم ، وأنيرها بشيعتهم .

يا آدم قم فشمِّر ، وتطهّر وقدّس ، وسبِّح ، ثمَّ أغش زوجك على طهارة منها ، فإنَّ وديعتى تنتقل منكما إلى الولد الكائن بينكما ؛ فواقع "آدم" "حواء" - عليهما السَّلام- فحملت لوقتها ، وأشرق جبينها ، وتلألأ النُّور فى مخايلها ، حتى إذا انتهى حملها ، وضعت "شيئًا" ، أتم الذكران وقارًا ، واحسنهم صورة ، وأعدلهم خلقًا وخلقًا ، مجللا بالنُّور والهيبة ، فانتقل النُّور إليه ، ثمَّ بعد ذلك انتقل من صلب طاهر زكى إلى رحم طاهر سنىّ ، فكانت الوضية جارية منتقلة فى القرون السَّالفة بين الآباء النَّبوية والإسلامية ، إلى أن أدى الله تعالى النُّور المحمدى ، والجوهر الأوَّل الأحمدى إلى عبدالله بن عبدالمطلب ، إلى محله المهيأ له ، وهو الوجود الأكمل ، والجوهر الأوَّل ؛ أى سيد الكونين ؛ رسول الله ، ﷺ[1] .

* **أوَّل قرن قُصِّدت فيه القصائد ، وطوّل الشِّعر:** على عهد عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وامتلأ الكون من الشُّعراء والفصحاء ؛ حتى صار الشِّعر كالدّين يفتخرون به ، وينتسبون إليه .

إلى أن جاء رسول الله ﷺ بمعجزة القرآن ، فعارضوه بالشِّعر ، فأعجزهم بفصاحته وبلاغته ، وقطع وعادى معارضيه ، فلم يأتوا بمثل أقصر صورة منه ، ولا بما يقارب فصاحته ، وإعجازه ؛ فصار القرآن معجزة باقية فى صفحات الكون إلى آخر الدَّهر . . فافهم[2] .

* **أوَّل من قصد القصائد ، وذكر الوقائع :** امرؤ القيس ، ولم يكن لأوَّائل العرب

---

(١) زبدة التَّاريخ .
(٢) مزهر اللُّغة ، تعريف بـ عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ٢/ ٤٧٤ .

منة الشُّعراء إلا أبيات يقولها الرَّجل فى حاجته ، وتعزيته ، وتاريخه ، وغير ذلك[١] .

* **أوَّل من لطف المعانى فى الشِّعر ، واستوقف على الطُّلول ، ووصف النِّساء بالظَّبى ، والمها ، والبيض:** امرؤ القيس ؛ قال على - رضى الله عنه - رأيته أحسن الشُّعراء ، لأنَّه قال ما لم يقولوا ، أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، **لم يقل لرغبة ولا** لرهبة .

وقال العلماء بالشِّعر: "إنَّ امرأ القيس لم يتقدم الشُّعراء ، ولكنَّه سبق إلى الأشياء ، فاستحسنها الشُّعراء ، واتبعوه فيها ، وهو أشعر الشُّعراء فى الجاهلية .

وقيل فى حقه على لسان النُّبوة: "إنَّ امرأ القيس بيده لواء الشِّعر الحديث[٢] .

* **أوَّل من أحكم قوافى الشِّعر:** "امرؤ القيس" ، وهو مُقدّم الشُّعراء عند علماء البصرة ، و"الأعشى" عند علماء الكوفة ، و"زهير" عند أهل الحجاز وأهل البادية[٣] .

* **أوَّل من طول الرَّجز:** "الأغلب الجعلى"[٤] ، وقيل هو أوَّل من رجز .

---

(١) مزهر اللُّغة ، تعريف "امرؤ القيس" ، ٤٧٧/٢ .
جاء فى الأوَّائل ، لأبى هلال العسكرى ، ص ٤٣٥ ، يقول الفرزدق:
"ومهلهل الشُّعراء ذاك الأوّل" .

(٢) لم أجد هذا الحديث فى مزهر اللغة (كما ذكر المؤلف) .

(٣) مزهر اللُّغة ، ٤٧٩/٢ .

(٤) جاء فى تجريد الأغانى ، ج ٢ ، القسم الثَّانى ، عن الأغلب: هو ابن جشم بن سعد ، أحد بنى بكر بن وائل ، وهو أحد المعمرين ، عمّر فى الجاهلية عمرًا طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحسن إسلامه ، وهاجر .
ثمَّ كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - فنزلها ، واستشهد فى وقعة نهاوند ، فقبره هناك فى قبور الشُّهداء ، رحمه الله .
ويقال: إنَّه أوَّل من رجز الأراجيز الطِّوال من العرب .
ثمَّ ذكر له أبو الفرج شعرًا ، يذكر فيه تزوج "سجاح" بـ"مسيلمة الكذاب" - لعنه الله - أفحش فيه ، فاقتضى ذلك ذكر "سجاح" .
وقيل العجاج عن أبى أحمد عن الشَّاطبى ، قال: حدثنا محمَّد بن أحمد بن الحسن ، قال: حدثنا أبو إسحاق السَّبيعى ، قال: ذكروا الرَّجز والرّجاز ، فقالوا: كان الرَّجز يقول منه الرَّجل فى الجاهلية فى الحرب ، وإذا خاصم ، أو شاتم ، أو فاخر ، يقول البيتين أو الثَّلاثة ، ونحو ذلك .فكان العجاج أوَّل من رفع الرَّجز ، وشرفه ، وفتح أبوابه ، وشبهه بالشِّعر ، فجعل له أوَّائل وتشبيه ووصف فيه الدِّيار وأهلها ، وذكر ما فيها ، وذكر الرُّسوم وهو ما كان لاصقًا بالأرض مكان الدَّار - والقلوب ، ونعت الإبل والطُّلول ؛ (جمع طل ؛=

والأغلب في صنعة الرَّجز كامرئ القيس في صنعة الشّعر ، والشّعر والرَّجز قديمان ، والأولية بالنِّسبة إلى الأزمنة المختلفة ، والطَّبقات المتفرقة[(١)] .

* **أوَّل من أرق الشّعر والمراثي:** مهلهل بن أبي ربيعة ، ولا شك أنَّ أشعرهم أكذبهم ، وجاء في التَّوراة آية ، وهي : "أبو ذؤيب مؤلف ذورا ، وكان اسم الشَّاعر بالسّريانية .

وقيل الشُّعراء أربعة : امرؤ القيس ، والنَّابغة الذُّبياني ، وطرفة بن العبد ، ومهلهل بن أبي ربيعة ، وأشهر الإسلاميين بإجماع الأئمة الفضلاء : حسان بن ثابت ، رضى الله عنه .

وللشعراء أربع طبقات : جاهلي قديم ، ومخضرم - وهو الذى أدرك الجاهلية والإسلام - وإسلامي ، ومحدث . . وللشعر طبقات ذكرها علماء هذا الشأن في كتبهم ؛ وإنَّما سمى الشَّاعر شاعرًا لأنَّه يشعر بغيره[(٢)] .

* **أوَّل الشُّعراء الإسلاميين المخضرمين:** "حسان بن ثابت" ، رضى الله عنه .

* **أوَّل الشُّعراء المحدثين:** "بشار بن برد"[(٣)] .

=وهو المكان المرتفع الشَّاخص من الآثار) .

وكان يشبه العجاج بامرئ القيس .وفى أوَّل الإسلام كانوا يقولون : العجاج وابنه رؤبة ، ثمَّ اختلفوا .

قال تميم : أوَّلهم العجاج ، ثمَّ حميد الأرقط ، ثمَّ رؤبة .

وقالت ربيعة : أوَّلهم الأغلب ، ثمَّ أبو النَّجم ، ثمَّ العجاج ، واحتجت بقول العجاج : "إنِّي أنا الأغلب حيًّا قد نشر" .

قالوا : وإنَّما قال حكيم بن متعة ، من بنى تميم .

قالوا : وارجز الرَّجز ثلاث أرجوزات ، ليس فى الجاهلية والإسلام ، أمدح من أرجوزة العجاج (قد جبر الدِّين الإله فَجُبِرْ)

ولا أرجوزة فى وصف "رام ، وقانص ، وحمير"

رجز من أرجز رؤبة (وقاتم الأعماق خاوى المخترق) ولا أرجوزة فى وصف الإبل ورعاتها أرجز من أرجوزة أبى النَّجم (الحمد لله الموهوب المجزل)

أوَائل العسكرى ، ص ٤٣٦ .

(١) مزهر اللُّغة ٢/٤٨٤ .

(٢) طبقات الشُّعراء ١/٢٣ ، ٢٤ .

(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٢٤ .

* أوَّل من نظم الشِّعر الفارسى : "أبو العباس بن حنوذ المروزى"[١] .

* أوَّل من وضع المعمى : "الحسين بن عبدالسَّلام الحنديسابورى" ، وهو أوَّل من كثر المعمى فى المشرق ، و"يعلى بن سعيد" فى المغرب[٢] .

* أوَّل من فسَّر الشِّعر تحت كلّ بيت : "أبو الخطاب الأخفش" ، وما كان النَّاس يعرفون ذلك قبله[٣] .

* أوَّل من صنع الموشحات الأندلسية : "أبو عمرو" ، صاحب العقد فى صدر المائة الثَّالثة[٤] .

* أوَّل من وضع علم العروض ، ودوَّن أوزان الشِّعر : "الخليل بن أحمد" مات سنة خمس وسبعين ومائة[٥] .

* أوَّل طبقة من الشُّعراء ، الذين يعول على كلامهم ، ويستشهد به : "امرؤ القيس" ، شاعر جاهلى قديم ، ثمَّ طبقة المخضرمين ، ثمَّ طبقة الإسلاميين ، ثمَّ طبقة المحدثين ؛ ولكلٍّ واحد منهم طبقات . قال بعض الفضلاء : "الأعشى" أشعر شعراء الجاهلية ، فقيل له : أين الخبر النَّبوى : إنَّ امرأ القيس بيده لواء الشِّعر . . فقال : بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت ، وذلك أنَّه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير ؛ فامرؤ القيس حامل اللِّواء ، والأعشى الأمير[٦] .

* * * * * * *

---

(١) ذكره السُّيوطى . الأوائل ص ١٢٤ ، وغيره فى : "طبقات شعراء العجم" .

(٢) أوائل السيوطى ص ١٢٥ ، أخرجه وكيع فى "الغرر" عن ليث بن أبى سليم . وصحة الاسم (الحسن) .

(٣) مزهر اللُّغة ٣٩٩/٢ ، ٤٠٠ .

(٤) أوَائل السُّيوطى ص ١٢٥ ، الموشحات والتَّعريف بها هو أبو عمر أحمد بن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد .

(٥) مزهر اللُّغة ، الخليل بن أحمد ٤٠١/٢ ، أوائل السيوطى ص ١٢٢ .

(٦) مزهر اللُّغة . ٤٨٣/٢ : وجاءت الرواية : الأعشى أشعر الأربعة ، وهم (امرؤ القيس ، وزهير بن أبى سلمى ، والنابغة ، والأعشى) .

الفصل الثَّامن
من الأوَّائل فيما يتعلق بالإسلام من آمن أوَّلاً وأظهر الإسلام من الرِّجال والنِّساء والصِّبيان

* أوَّل من أسلم من الرِّجال: "أبو بكر الصِّديق" ، رضى الله عنه[١] .

* أوَّل من أسلم من الصِّبيان: "على" ، رضى الله عنه[٢] .

* أوَّل من أسلم من النِّساء: "خديجة بنت خويلد" الكبرى[٣] .

* أوَّل من أسلم من العبيد: "بلال الحبشى" ، رضى الله عنه[٤] .

* أوَّل من أسلم من الموالى: "زيد بن حارثة"[٥] .

* أوَّل من أسلمت بعد خديجة: "أم الفضل" ، زوجة العباس ، رضى الله عنه[٦] .

* أوَّل أهل القبلة استجاب لرسول ، الله ﷺ: خديجة بنت خويلد ، رضى الله عنها .

قال الواقدى: اختلف أصحابنا فى ثلاثة نفر أيّهم أسلم أوَّلاً ، واتفق أصحابنا على خديجة ، أنَّها أوَّل النَّاس إسلامًا ، والخلاف فى (على ، وزيد ، وأبى بكر) ، رضى الله عنهم"[٧] .

* أوَّل من أسلم من النَّاس بعد خديجة: "على" ، رضى الله عنه ، قال ابن عباس- رضى الله عنهما - أوَّل من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ، ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأم سليم ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ؛ رضى الله عنهم أجمعين . (قاله

---

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص٩٦/ طبقات ابن سعد ١٥٥/٣ .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص ٩٦/ طبقات ابن سعد ٢٩١/٢ ، ١٧١٣ .
(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ٩٦ .
(٤) أوَائل السُّيوطى ، ص ٩٦ .
(٥) أوَائل السُّيوطى ، ص ٩٦ .
(٦) أوَائل السُّيوطى ، وهى لبابة بن الحارث ، الطبقات ٢٦٢/١٠ .
(٧) أوَائل السُّيوطى ، ص ٩٦ .

مجاهد عن ابن عباس ، رضى الله عنهما)[١] .

* **أوَّل من أسلم من الأنصار:** "معاذ بن عفراء ، ورافع بن مالك" ، رضى الله عنهما ، خرجا إلى مكة معتمرين ، فذكر لهما أمر رسول الله ﷺ فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام ، فأسلما ، فكانا أوَّل من أسلما من الأنصار ، وقدما المدينة المنورة[٢] .

* **أوَّل من أظهر التَّوحيد فى الفترة حوالى مكة والحجاز:** "قس بن ساعدة الإيادى"[٣] ، من إياد ، وكان حكيمًا ، مقرًا بالبعث ، وقد ضربت العرب المثل بحكمته وعقله .

وجاء فى الخبر النَّبوى : قال رسول الله ﷺ: "رحم الله قسًا ، إنِّى لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده . ."[٤] .

* **أوَّل من آمن من الجن:** "هام بن الهام بن لافيس بن إبليس" ، التحق بالمؤمنين من الجن ، ومن بقى على كفره وتمرده كان شيطانًا - نعوذ بالله منه - وهى مسألة خلاف بين العلماء ؛ لأنَّه قال بعضهم: "لا يسلم الشَّيطان أبدًا"[٥] .

* **أوَّل من قَدِم المدينة بالإسلام:** "أسعد بن زرارة" ، و"زكوان ابن عبدالقيس" خرجا إلى مكة يتناصران إلى عتبة بن ربيعة ؛ فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام ، وقرأ عليهما القرآن ، فأسلما ، ولم يقربا عتبة ، ورجعا إلى المدينة ،

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص٩٦ .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٩٧ ، الطبقات ٥٧٣/٣ .
(٣) قس بن ساعدة الإيادى ، من قبيلة "إياد" بنجران ، وقد ضرب به المثل فى الخطابة ، حيث كان بليغًا ، حكيمًا ، وقيل : أخطب من قس .
وهو مؤمن بالتَّوحيد ، وبالبعث والحساب ، وكان يدعو النَّاس إلى ترك عبادة الأوثان ، أثنى عليه الرسول ، ﷺ.
ويقال إنَّه أوَّل من اتكأ على سيف وهو يخطب ، وأوَّل من قال: "أمَّا بعد" ، وتسمى فصل الخطاب ؛ لأنَّها تفصل المقدمة عن الموضوع .
سمعه النَّبى ﷺ وهو يخطب فى سوق عكاظ ، فأعجب به ، وأثنى عليه .وقد عمر طويلاً ، وتوفى سنة ٦٠٠م .
(٤) أصول التَّواريخ .
(٥) ذكره الشَّيخ ، فى: "الفتوحات المكية" .

فكانا أوَّل من قدم بالإسلام إلى المدينة المنورة(١) .

* **أوَّل من أسلم من الأنصار بمكة:** "أبو الهيثم بن التَّيهان" ، وكان يكره الأصنام في الجاهلية ، ويقول بالتَّوحيد ، هو و"أسعد بن زرارة"(٢) .

* **أوَّل دار من الأنصار أسلموا جميعًا ؛ رجالهم ونسائهم:** كانت دار "بنى عبد الأشهل"(٣) .

* **أوَّل ما ظهر الإسلام بمكة ، وأقيمت الصَّلاة علانية:** حين أسلم "عمر" ، رضى الله عنه(٤) .

* **أوَّل من هاجر بأهله أوَّائل الإسلام إلى الحبشة:** "عثمان بن عفَّان" ، رضى الله عنه ؛ قال رسول الله ﷺ: "عثمان لأوَّل من هاجر بأهله بعد لوط ، عليه السَّلام"(٥) .

* **أوَّل من أتى الحبشة من المهاجرين:** "حاطب بن عمرو"(٦) .

* **أوَّل من هاجر إلى المدينة:** "أبو سلمة بن عبدالله" ، وفيه نزل قوله

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص٩٧ ، الطبقات ٥٦٢/٣ .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٩٧ ، الطبقات ٤١٢/٣ ، ٥٦١ .
(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٩٧ .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٩٧ .
(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٩٨ ، الطبقات ٥٢/٣ .
جاء فى "الطَّبقات الكبرى" لـ: محمَّد بن سعد ، ج ٣ ، ص ٥٢ : "فكان عثمان ممَّن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأوَّلى ، والهجرة الثَّانية ، ومعه فيهما جميعًا: امرأته رقية ؛ بنت رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ إنَّهما لأوَّل من هاجر إلى الله بعد لوط" .
(٦) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٩٨ .
هو "حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر" ، وأمه "أسماء بنت الحارث ابن نوفل" ، من "أشجع" ، وكان لحاطب من الولد "عمرو بن حاطب" ، وأمه "ربطة بنت علقمة بن عبدالله بن أبى قيس" .
وأسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا .
قال: أخبرنى محمَّد بن عمر ، قال أخبرنا سليط بن مسلم العامرى ، عن عبدالرَّحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، قال: أوَّل من قدم أرض الحبشة "حاطب بن عبدشمس" فى الهجرة الأوَّلى .
قال: محمَّد بن عمر ، وهذا الثَّبت عندنا . (انظر: الطَّبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٣٧٥ ، أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٤٣٤) .

تعالى[١] : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ، وهو أوَّل من يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة من الأمة[٢] .

* **أوَّل من بايع رسول الله ﷺ بالحديبية :** "أبوسفيان الأسدى" ، وفيه نزل قوله تعالى[٣] : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] .

* **أوَّل من خرج إلى الحبشة فى الهجرة الثَّانية :** "خالد بن سعيد" ، رضى الله عنه[٥] .

* **أوَّل من بايع ليلة العقبة :** "البراء بن عازب" ، وقيل : "أبو الهيثم" ، وقيل : "أسعد بن زرارة" ؛ قال العباس - رضى الله عنه - حين تفاخر الأوس والخزرج ، لا لأحد أعلم منى بأوَّل من ضرب على يده رسول الله ﷺ فقد ضرب وبايع أولاً "أسعد بن زرارة" ، ثمَّ "البراء" ، ثمَّ "أسيد بن حضير" ، رضى الله عنهم[٦] .

---

(١) الحاقة : ١٩ ، الانشقاق : ٧ .

(٢) هو ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه أبى سلمة عبد الله ، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وكان من مهاجرة الحبشة فى الهجرتين جميعا ومعه امرأته أم سلم بنت أبى أمية . قال سهل بن حنيف أوَّل من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ المدينة للهجرة أبو سلمة . ابن سعد- الطبقات الكبير ٣ : ٢٢٠ وما بعدها .

(٣) الفتح : ١٨ ؛ يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ .

(٤) أسباب النُّزول ، للسيوطى ص٣٠٤ ، تحقيق محمد محمد عامر - دار العنان - القاهرة ٢٠٠١ .
قال : وأخرج ابن أبى حاتم ، عن سلمة بن الأكوع ، قال : بينما نحن قائلون ، نادى منادى رسول الله ﷺ : يا أيها النَّاس البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمره ، فبايعناه ، فأنزل الله تعالى" (لقد رضى الله . . . الآية) .

(٥) أوَّائل السُّيوطى ، الطَّبقات لابن سعد ، ج ٤ ، ص ٨٨ - ٩٠ .
هو خالد بن سعيد بن العاص ، من المسلمين الأوَّائل ، وكان إسلامه ثالث أو رابع من أسلم ؛ عن إبراهيم بن عقبة ، قال : سمعت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ، تقول : كان أبى خامسًا فى الإسلام . قلت : فمن تقدّمه؟ قالت : ابن أبى طالب ، وابن أبى قحافة ، وزيد ابن حارثة ، وسعد بن أبى وقاص . وأسلم أبى قبل الهجرة الأوَّلى إلى أرض الحبشة ، وهاجر فى المرة الثَّانية ، فأقام بها بضع عشرة سنة . وقالت أيضًا : خرج خالد بن سعيد إلى أرض الحبشة ومعه امرأته "همينة بنت خلف بن أسعد" الخزاعية ، فولدت له هناك "سعيدًا" ، وأم خالد" وهى أمة امرأة الزُّبير ابن العوام .

(٦) أوَّائل السُّيوطى ص٩٨ ، أخرجه عن ابن سعد عن سليمان بن سحيم .

* أوَّل من قدم المدينة من المهاجرين: "أبو سلمة بن عبد الأسد" ، رضى الله عنه(١) .

❖ [٦١/أ]أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَّجار ، يكنى : أبا أمامة . أخبرنا محمَّد بن عمر ، قال : أخبرنا عبدالملك بن محمَّد بن عبدالرَّحمن ، عن عمارة ابن غزية ، قال : أسعد بن زرارة : أوَّل من أسلم ، ثمَّ لقيه السّتة النَّفر ، هو سادسهم . وكانت أوَّل سنة ، والثَّانية لقبه بالعقبة ، الاثنا عشر رجلاً من الأنصار ، فبايعوه ليلة العقبة ، وأخذوا منه النُّقباء الاثنى عشر ، فكان أسعد بن زرارة أحد النُّقباء .

قال محمَّد بن عمر : ويجعل أيضًا أسعد بن زرارة فى الثَّمانية نفر ؛ الذين يرون أنَّهم من لقى النَّبىﷺ يعنى من الأنصار - وأسلموا ، ولم يسلم قبلهم أحد .

وعن عبادة بن الصَّامت ، أنَّ أسعد بن زرارة ، أخذ بيد رسول اللهﷺ يعنى ليلة العقبة - فقال : يا أيها النَّاس ، هل تدرون علام تبايعون محمَّدًا؟ إنَّكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم ، والانس مجلبة . فقالوا : نحن حرب من حارب ، وسلم من سالم . فقال أسعد بن زرارة : يا رسول الله ، اشترط علىّ . فقال رسول الله -ﷺ : تبايعونى على أن تشهدوا لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وتقيموا الصَّلاة ، وتؤتوا الزَّكاة ، والسَّمع والطَّاعة ، ولا تنازعوا الأمر أهله ، وتمنعون ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأهليكم . قالوا : نعم . قال قائل الأنصار : نعم هذا لك يا رسول الله ، فما لنا؟ قال : الجنَّة والنَّصر . (انظر : أعلام النُّبلاء ، ج١ ، ص٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ - طبقات ابن سعد ، ج٣ ، ص٥٦٢)

❖ [٦١/ب] البراء بن عازب :

هو ابن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة ، من الخزرج ، وكان يكنى : أبا عمارة ، لم يحضر بدرًا لصغر سنة . قال محمَّد بن عمر : أجاز رسول اللهﷺ البراء بن عازب يوم الخندق ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولم يجز قبلها . وعن البراء ، أنَّه غزا مع رسول اللهﷺ خمس عشرة غزوة ، وفى خبر آخر ثمانى عشرة غزوة ، وتوفى بالكوفة فى أيام مصعب بن عمير . (انظر : سير النُّبلاء ، ج ٣ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ - الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ - الطَّبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ ، وما بعدها ، ج ٨ ، ص ١٣٩)

❖ [٦١/جـ] أسيد بن الحضير : هو ابن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، ويكنى : أبا يحيى ، وكان يكنى أيضًا : أبا الحضير . وكان يحسن الكتابة ، ويحسن العَوْمَ والرّمى ، وكان إسلام أسيد بن الحضير ، وسعد بن معاذ ، على يد مصعب بن عمير العبدرى فى يوم واحد ، وكان مصعب قد قدم المدينة قبل السَّبعين ، أصحاب العقبة الآخرة . وشهد أسيد العقبة الآخرة مع السَّبعين ، وكان أوَّل النُّقباء الاثنى عشر .
آخى رسول اللهﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد أسيد بدرًا ، وتخلف هو وغيره من أكابر أصحاب رسول اللهﷺ من النُّقباء وغيرهم عن بدر ، ولم يظنوا أنَّ رسول اللهﷺ يلقى بها كيدًا ولا قتالاً ، وإنَّما خرج رسول اللهﷺ ومن معه يتعرضون لعير قريش حين رجعت من الشَّام . وعندما أخبر أسيد بذلك رسول اللهﷺ أقره ؛ قائلاً : صدقت ، وحضر المشاهد كلّها بعد ذلك مع رسول اللهﷺ . وعن أبى هريرة ، عن النَّبىﷺ قال : "نعم الرَّجل أسيد بن الحضير" . وتوفى فى شعبان سنة عشرين هجرية ، فحمله عمر بن الخطاب بين العمودين ، من بنى عبد الأشهل ، حتى وضعه بالبقيع ، وصلى عليه بالبقيع .

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص ٩٨ .
أبو سلمة بن عبد الأسد (الطَّبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٣)
هو : ابن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ؛ واسمه : أبو سلمة عبدالله ، وقد أسلم قبل أن يدخل رسول الله =

* **أوَّل ظعينة قدمت المدينة**: زوجته "أم سلمة" ، وقيل: "بنت أبى حثمة"(١) .

* **أوَّل من قدّم المدينة من صحابة رسول الله ، ﷺ**: "أبو سلمة" ، ثمَّ "عامر بن أبى ربيعة" مع امرأته "ليلى بنت أبى حثمة" ، وهى أوَّل ظعينة قدمت المدينة .

وقال البراء بن عازب: أوَّل من قدم علينا من المهاجرين: مصعب ابن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلا يُقرِئان النَّاس القرآن(٢) .

= ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم .
وقبل أن يدعو فيها ، هاجر فى الهجرتين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية .
وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف: أوَّل من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ المدينة للهجرة ؛ أبو سلمة بن عبد الأسد .
وقال بذلك محمَّد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، وأضاف: قدم لعشر خلون من المحرّم ، وقد آخى رسول الله بينه وبين سعد بن خزيمة ، وقد شهد بدرًا ، وأحدًا ، وجرح فيها ، ومات بعد ذلك بسبب هذا الجرح .
(انظر أيضًا: تهذيب الكمال ، ج ٣٢ ، ص ٣٧٠ - الذّهبى/ سير أعلام النُّبلاء ، ج ١ ، ص ١٥٠)

(١) أوَّائل السُّيوطى ص ٩٨ .
أم سلمة ؛ واسمها هند بنت أبى أمية ، تزوجها أبو سلمة ؛ عبدالله بن عبدالأسد ، وهاجر بها إلى أرض الحبشة ، فى الهجرتين جميعًا ، فولدت له هناك زينب وسلمة وعمر ودرة .
بعد وفاة أبى سلمة من الجرح الذى أصيب به فى أحد ، تزوجها رسول الله ﷺ فى ليال بقين من شوال سنة أربع .
وتوفيت فى ذى القعدة ، سنة تسع وخمسين ، ودفنت بالبقيع .
(انظر: ابن سعد ، الطَّبقات الكبرى ، ج ١٠ ، ص ٨٥ ، وما بعدها - ابن حزم ، الجمهرة ، ص ١٨٨ - أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٤٢٩ إلى ٤٣٢ - الواقدى ، المغازى ، ج ١ ، ص ٣٤٣ - الذّهبى ، سير أعلام النُّبلاء ، ج ١ ، ص ١٥٣ ، ج ٢ ، ص٢٠٣)

(٢) أوَّائل السُّيوطى ص٩٨ ، أخرجه ابن سعد عن البراء بن عازب .
ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عدى بن كعب ، بايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرتين مع زوجها: عامر بن ربيعة العنزى ، حليف الخطاب بن نفيل .
عن عبدالله بن عامر بن ربيعة ، قال: ما قدمت ظعينة المدينة أوَّل من ليلى بنت أبى حثمة ، قدمت معى فى الهجرة .
(انظر: ابن سعد ، الطَّبقات ، ج ١٠ ، ص ٤٥٢ - ابن حجر ، الإصابة ، ج ١٠ ، ص١٠٢)
❖ [أ] أبو سلمة ، سبقت ترجمته .
❖ [ب] عامر بن أبى ربيعة: هو: عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامات بن مالك بن ربيعة بن رفيدة ، بن عنز .
وكان حليفًا للخطاب بن نوفل ، وتبناه ، فكان يقال له: عامر بن الخطاب ، حتى نزل القرآن: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ الأحزاب/ ٥ .
فرَجَعَ عامر إلى نسبه من أوَّائل المسلمين ، قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الرقم ، وقبل أن=

* **أوَّل من بايع بيعة الرِّضوان:** "سنان بن أبى سنان"(١) .

* **أوَّل امرأة بايعت من الأنصار:** "أم عامر الأشهلية" ، وقيل : "أم سعد ابن معاذ" ، رضى الله عنهما(٢) .

* **أوَّل من وفد على رسول الله ، ﷺ:** من مُضر ، أربعمائة نفس ؛ يعنى مسلمين(٣) .

* **أوَّل بكر هاجرت:** "أم كلثوم بنت عقبة بنت أبى معيط" ، ولا يعلم قرشية

=يدعو فيها .

هاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا ، ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة العدوية . قال عامر : ما قدّم أحد المدينة للهجرة قبلى إلا أبو سلمة بن عبد الأسد . وقال : ما قدمت ظعينة المدينة ، أوَّل من ليلى بنت أبى حثمة ؛ يعنى زوجته . وآخى الرَّسول ﷺ بينه وبين يزيد بن المنذر بن صرح الأنصارى ، وشهد المشاهد كلّها ، وروى عن أبى بكر وعمر ؛ قال : عبدالله بن عامر بن ربيعة : "قام عامر يصلى من اللّيل . وذلك حين نشب النَّاس فى الطَّعن على عثمان ، فصلى من اللّيل ثمَّ نام ، فأتى فى المنام ، فقيل له : قم ، فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التى أعاذ منها صالح عباده ، فقام فصلى ، ثمَّ اشتكى ، فما أخرج به إلا جنازة .

قال محمَّد بن عمر : كان موت عامر بن ربيعة ، بعد قتل عثمان بن عفان بأيام ، وكان قد لزم بيته ، فلم يشعر النَّاس إلا بجنازته قد أخرجت . (انظر : ابن سعد ، الطَّبقات ، ج ٣ ، ص٣٥٩ ، ٣٦٠ - المزى ، تهذيب الكمال ، ج ١٤ ، ص ١٧ ، وما بعدها - ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج ١١ ، ص ٢٤٨)

(١) ❖ [أ] أوَائل السُّيوطى ، ص٩٩ .

❖ [ب] سنان بن أبى سنان بن محص بن حرثان بن قيس بن مرة .

شهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية ، وهو أوَّل من بايع الرَّسول ﷺ بيعة الرِّضوان ، توفى سنة اثنتين وثلاثين هجرية .

(انظر : أسد الغابة ، ج ، ص ٤٦٠ - الطَّبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٨٨) .

(٢) ❖ [أ] أوَائل السُّيوطى ص٧ ، أخرجه ابن سعد عنها .

❖ [ب] أم عامر الأشهلية : واسمها : فكيهة ؛ ويقال : أسماء بنت يزيد السّكن بن رائع بن يزيد بن عبد الأشهل . أسلمت وبايعت الرَّسول ﷺ وروت عنه أحاديث ، وشهدت معه بعض المشاهد . قال محمَّد بن عمر : وقد شهدت أم عامر خيبر ، مع رسول الله ، ﷺ . (انظر : الإصابة ، ج ٨ ، ص ٢٤٩ - الطَّبقات الكبرى ، ج ١٠ ، ص ٣٠١)

❖ [جـ] أم سعد بن معاذ : هى كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبجر ، وهو خُدْرة .

تزوج كبشة : معاذ بن النُّعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، فولدت له سعد بن معاذ ، وعمرو ، وإياسًا ، وأوسًا ، وعقرب ، وأم حزام . أسلمت كبشة ، وبايعت الرَّسول ، ﷺ ، وماتت بعد ابنها سعد ابن معاذ . (ابن حبيب ، المحبر ، ص ٤٢٢ - ابن سعد ، الطَّبقات ، ج ١٠ ، ص ٣٤٦)

(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص١٠٠ .

خرجت من بيت أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله ، إلا "أم كلثوم" هذه - رضى الله عنها - خرجت من مكة وحدها[(١)] .

* **أوَّل من هاجر من الأنبياء بدينه:** "إبراهيم الخليل" - عليه السَّلام - وهو ابن خمس وستين سنة ، أو سبعين ؛ قالوا لكلٍّ نبى هجرة ، ولإبراهيم هجرتان ، وهو قدوة المهاجرين ، هاجر من "كوثى" - بقرب كوفة - إلى "حوران" ، ثمَّ هاجر منه إلى "فلسطين" من الشَّام[(٢)] .

* **أوَّل من آمن بإبراهيم:** "سارة" ، وهى ابنة عمه ، عليهما السَّلام[(٣)] .

* **أوَّل من آمن بإبراهيم - عليه السَّلام - من الرِّجال:** ابن أخته "لوط" - عليه السَّلام - وكان سبب إيمانه ؛ حين رأى النَّار لم تحرقه[(٤)] .

---

(١) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى ، ص٩٩ .

❖ [ب] أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط :

هى بنت عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى ، أسلمت بمكة ، وبايعت قبل الهجرة ، وهى أوَّل من هاجر من النِّساء ، بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة .

يقول ابن سعد ، فى طبقاته : "ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة ، خرجت من مكة وحدها ، وصاحبت رجلاً من خزاعة ، حتى قدمت المدينة فى الهدنة (هدنة الحديبية) ، فخرج فى أثرها أخواها "الوليد ، وعمارة" ابنا عقبة ، فقدما المدينة من الغد يوم قدمت .

فقالا : يا محمَّد فِ لنا بشرطنا ، وما عاهدتنا عليه . وقالت أم كلثوم : يا رسول الله ، أنا امرأة ، وحال النِّساء إلى الضُّعفاء ما قد علمت ، فردنى إلى الكفار ، يفتنونى فى دينى ، ولا صبر لى؟ فنقض الله العهد فى النِّساء فى صلح الحديبية ، وأنزل فيهن المحنة . وحكم فى ذلك بحكم رضوه كلّهم ، وفى أم كلثوم نزل : ﴿ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ (الممتحنة : ١٠) .

فامتحنها رسول الله ، وامتحن النِّساء بعدها ؛ يقول : "والله ما أخرجكنّ إلا حبّ الله ورسوله والإسلام ، وما خرجتن لزوج ولا مال ، فإذا قلنا ذلك ، تركن ، وحبسن ، فلم يرددن إلى أهلهن" .

فقال رسول الله ﷺ للوليد ، وعمارة ابنى عقبة : "قد نقض الله العهد فى النِّساء ، بما قد علمتاه ، فانصرفا" .

ولم تكن لأم كلثوم بنت عقبة بمكة زوج ، فلمَّا قدمت المدينة ، تزوجها زيد بن حارثة ابن شراحبيل الكلبى ، فولدت له ، وقتل عنها يوم مؤته . تزوجت بعد ذلك : الزُّبير بن العوام بن خويلد ، فولدت له زينب ، ثمَّ طلقها ، فتزوجت عبدالرَّحمن بن عوف ، ومات عنها ، فتزوجت عمرو بن العاص ، فماتت عنده .

(انظر: ابن حجر ، الإصابة ، ج ٨ ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ - ابن سعد ، الطَّبقات ، ج ١٠ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩)

(٢) تفسير الشَّيخ (الفتوحات المكية) .

(٣) تفسير الشَّيخ .

(٤) تفسير الشَّيخ .

* أوَّل مولـود فى الإسـلام : عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - وهو من العبادلة السَّادة الصَّحابة ، الذين هم وآباؤهم من الصّحب الكرام ، رضى الله عنهم(١) .

* أوَّل مولود لـلمهاجرين بعد الهجرة بالمدينة : عبدالله بن الزُّبير ، رضى الله عنهما ، وهو أيضًا من العبادلة(٢) .

* أوَّل مولود فى الإسلام بعد الهجرة : "نعمان بن بشير" ، وهو أوَّل من تصدق بزنة شعره فضة ، وهو من السُّنة(٣) .

---

(١) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى ، ص١٠٠ .
❖ [ب] العبادلة ؛ وهم : عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عمرو ابن أبى العاص .
(٢) أخرجه البخارى عن أسماء ، وأخرجه ابن سعد عن عروة ، أوائل السيوطى ص ١٠٠ .
(٣) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى ص١٠٠ ، أخرجه ابن عساكر عنه وعن ابن عمر .
❖ [ب] نعمان بن بشير:
هو النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد ، من الخزرج .
عن يزيد بن النُّعمان بن بشير ، عن أبيه ، قال : "أنا أوَّل ولد من وُلد من الأنصار بالمدينة ، بعد هجرة رسول الله ﷺفأتت بى أمى "عمرة بنت رواحة" أخت "عبدالله بن رواحة" إلى رسول الله ﷺفحنكنى بتمرة ، فتلمظت منها . فقال رسول الله ﷺالأنصار وحبّها التَّمر .
❖ (لدى ابن الأثير ، فى النِّهاية : "حنك" ، فى حديث ابن أم سليم ، لمَّا ولدته ، وبعثت به إلى النَّبى ، "فمضغ تمرًا ، وحنكه به" ؛ أى مضغه ، ودلك به حنكه) .
❖ ولدى ابن الأثير ، فى النِّهاية : "لمظ" ، وفى حديث أنس ، فى التَّحنيك "فجعل الصَّبى يتملظ ؛ أى يدير لسانه فى فيه ، ويحركه بتتبع أثر التَّمر .
(انظر : المزى : "تهذيب الكمال" ج ٢٩ ، ص ٤١١ ، "سير أعلام النُّبلاء" ج ٣ ، ص ٤١١ ، ابن منظور : "مختصر تاريخ دمشق" ج ٢٦ ، ص ١٦٠ ، ابن الأثير: "أسد الغابة" ج ٥ ، ص ٣٢٦ ، محمَّد بن سعد : "الطَّبقات" ج ٥ ، ص٣٣٦ - ج ٨ ، ص ١٧٦ .
❖ عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : جاءت عمرة بنت رواحة ، تحملها ابنها النُّعمان ابن بشير ، فى ليفة - القطعة من النَّخل - إلى رسول الله ﷺفدعا بتمرة فمضغها ، ثمَّ حنكه بها .
فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يكثر ماله وولده ، فقال : أوما ترضين أن يعيش كما عاش خاله؟ عاش حميدًا ، وقتل شهيدًا ، ودخل الجنَّة .
وفى رواية أخرى : إنَّ "بشير بن سعد" جاء بالنُّعمان إلى النَّبى ﷺفقال : يا رسول الله ، ادع لابنى هذا .
فقال له رسول الله ﷺأما ترضى أن يبلغ ما بلغت؟ ثمَّ يأتى الشَّام ، فيقتله منافق من أهل الشَّام .
وعند قتل عثمان ، بعثت "نائلة بنت الفراقصة" بقميصه الذى قتل ، وهو عليه ، ودمه فيه ، مع النُّعمان بن بشير .
ونزل النُّعمان بن بشير وولده بالشَّام والعراق ، ولمَّا قتل الضَّحاك بن قيس بـ "حرج راهط" - بنواحى دمشق - =

* **أوَّل مولود فى البصرة:** عبدالرَّحمن بن أبى بكره" التَّابعى[١] .

* **أوَّل مولود فى الإسلام بالمغرب:** "عبدالرَّحمن بن زياد" الإفريقى[٢] .

* **أوَّل مولود بحمص:** "أدهم بن محرز الباهلى" التَّابعى[٣] .

* **أوَّل من آثر العزلة والخلوة عن الخلق فى الإسلام ، من الصَّحب الكرام:** "أبو ذر الغفارى" ، وهو قدوة زهاد هذه الأمة ، يأتى إمام العلماء الزَّاهدين ، رضى الله عنه[٤] .

* **أوَّل من أفشى القرآن بمكة:** عبدالله بن مسعود ، رضى الله عنه[٥] .

=فى خلافة مروان بن الحكم ، فأراد النُّعمان أن يهرب من "حمص" ، وكان عاملاً عليها ، فخالف ، ودعا لـ "ابن الزُّبير" ، فطلبه أهل حمص فقتلوه ، واجتزوا رأسه .

(١) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى ، ص١٠٠ .

❖ [ب] عبدالرَّحمن بن أبى بكرة :

(١٨٩/٩) ، وقد جاء فى "الطَّبقات" .

هـو أوَّل مولود ولد بالبصرة ، فنحروا يومئذ جزورًا وهم بالخريبة ، فأطعم أهل البصرة ، فكفتهم ، وكان قدر ثلاثمائة ، كان ثقة ، ولـه أحاديث ورواية .

انظر: ابن حيان: "الثِّقات" ج ٥ ، ص٧٧ ، ابن سعد: "الطَّبقات" ج٩ ، ص١٨٩ ، ابن دريد: "الاشتقاق" ص ١٥٩ .

(٢) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى ، ص١٠٠ ، وذكره البخارى .

❖ [ب] عبدالرَّحمن بن زياد الأفريقى: لم أجد لـه ترجمة فى "الطَّبقات" .

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص١٢٧ .

ولم أجد ترجمة لـ "أدهم بن محرز" فى: "الطَّبقات" .

(٤) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى .

❖ [ب] أبو ذر الغفارى :

هـو: جندب بن جنادة بن كعيب ، من غفار ، يقول عطار بن مروان ، عن أبيه ، عن أبى ذر ، قال: "كنت فى الإسلام خامسًا" .

وعن حكام بن أبى الوضاح البصرى ، قال: كان إسلام أبى ذر رابعًا أو خامسًا .

عن عبدالله بن عمرو ، قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبى ذر" .

انظر: "تهذيب الكمال" ج ٢٣ ، ص ٢٩٤ ، الذَّهبى: "سير أعلام النُّبلاء" ج ٢ ، ص ٤٦ - ٥٥ . . ٦٣ ، ابن منظور: "المختصر" ج ٢٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن سعد: "الطَّبقات" ج٢ ، ص ٣٠٥ ، وما بعدها - ج ٤ ، ص ٢٠٥ ، وما بعدها .

(٥) ❖ [أ] أوَّائل السُّيوطى ، ص٩٨ ، أخرجه ابن أبى شيبة عن القاسم بن عبد الرحمن .

❖ [ب] عبدالله بن مسعود: هو: عبدالله بن مسعود الهذلى ، حليف بنى زهرة بن كلاب ، ويكنى أبا=

* **أوّل من آمن بـ "عيسى" ، صلوات الله عليه :** "الحواريون" ؛ وهم اثنا عشر رجلاً ، وحوارى الرَّجل: صفية المصافى[١] .

* **أوّل من صدق وآمن بـ "عيسى" ، عليه السَّلام:** "يحيى" - صلوات الله عليه - وهو ابن ثلاث سنين .

وقال بعضهم: صدّقه وهو فى بطن أمه ، كانت أم يحيى عند "مريم" فسجد "يحيى" لـ "عيسى" ، وكلّ واحد منهما فى بطن أمه[٢] .

* **أوّل من آمن من الملوك بـ "عيسى":** الملك "قسطنطين" ، وهو أوّل من ثبت على دين النَّصرانية ، وأمر بقطع الأوثان ، وهدم هياكلها ، وكان فى أوّل أمره مجوسيا ، مجذومًا ، فعوفى على يد أسقف عيسوى ، نودى فى النَّوم فتنصر وآمن ، وهو أوّل القياصرة ، وأوّل من لقب بقيصر[٣] .

* **أوّل من أظهر دين النَّصرانية من الملوك ، وقهر اليهود ، وقاتلهم لدينه:** الملك "قسطنطين" ، وهو الذى بنى حصن قسطنطينية ، وكان مؤمنًا بـ "عيسى" ، عليه السَّلام .

وقيل فى التَّاريخ: دخل عيسى قسطنطينية ، ودعا لها بالبركة ، ولدخوله أخبار فى تواريخ البلاد[٤] .

* * * * * * *

= عبدالرَّحمن ، شهد بدرًا ، وكان مهاجرًا بحمص ، فحدره عمر بن الخطاب إلى الكوفة ثم قدم فى خلافة عثمان بن عفان إلى المدينة ، فمات بها ، فدفن بالبقيع ، سنة اثنتين وثلاثين هجرية ، وهو ابن بضع وستين سنة . انظر: "أسد الغابة" ج ٣ ، ص ٣٨٤ ، "الطبقات الكبرى" ج ٣ ، ص ١٣٩ - ج ٨ ، ص ١٣٦ .

(١) فردوس المجاهدين .

(٢) تفسير أبى اللّيث .

(٣) تاريخ المقريزى .

(٤) مسامرة الشَّيخ الأكبر .

الفصل التَّاسع

فى الأوَّائل المختصة بحضرة الوحى، والبعث المحمَّدى، ممَّا نزل أوَّلاً من الآيات والسور، وفى أىِّ محل نزلت أوَّلاً؟ ومن سمى المصحف مصحفًا؟ ومن جمعه وكتبه أوَّلا بحضرة الصَّحابة؟ رضى الله عنهم أجمعين.

* أوَّل ما خلق الله تعالى بعد القلم الأعلى: اللَّوح المحفوظ، فحفظه بما كتب الله تعالى فيه ممَّا كان ويكون، لا يعلم ما فيه إلا الله عزَّ وجلَّ(١).

* أوَّل من سجد من الملائكة لآدم: إسرافيل، ولذلك جوزى بولاية اللَّوح المحفوظ(٢).

* أوَّل سورة كتبت فى اللَّوح المحفوظ: فاتحة الكتاب(٣).

* أوَّل ما بدئ به الوحى: الرُّؤية الصَّادقة فى النَّوم(٤).

* أوَّل شئ رأى رسول الله ﷺ من علائم النُّبوة: أن قيل له استتر، وهو غلام ﷺ فما رؤيت عورته من حينئذ من السُّرة الشَّريفة إلى الرُّكبة المنيفة(٥).

* أوَّل خبر اشتهر بالمدينة عن البعث النَّبوى: أنَّ امرأة كان لها تابع من الجنّ، فجاء يومًا فى صورة طائر، فوقع على الحائط، فقالت المرأة: انزل.. فقال: لا؛ لأنَّه بعث بمكة نبى أمى قرشى، يحرم الزِّنا للجنّ والإنس(٦).

* أوَّل من قرن بنبوته، ﷺ: "إسرافيل" عليه السَّلام، أخرجه الإمام فى الإتقان،

---

(١) كنز الأسرار.

(٢) حياة الحيوان، ٦٣/٤.

(٣) الإتقان، ٢٤/١، أوائل السيوطى ص٩٤، أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، والواحدى عن عكرمة.

(٤) الإتقان، ٢٣/١، الطبقات ١٦٤/١، أوائل السيوطى ٩٤.

(٥) أوَائل السُّيوطى، ص٩٤، الطبقات ١٣١/١، الصالحى: سبل الهدى ٢٠٢/٢.

(٦) أوَائل السُّيوطى، ص٩٤، الطبقات ١٤٠/١، ١٤١، يقول ابن سعد: "أخبرنا على بن محمد عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن على بن حسين: كانت امرأة فى بنى النجار يُقال لها (فاطمة بنت النعمان) كان لها تابع من الجن، فكان يأتيها، فأتاها حين هاجر النبى ﷺ، فانقض على الحائط، فقالت: مالك لم تأتِ، كما كنت تأتى؟ قال: قد جاء النبى الذى يحرم الزنا، والخمر" أهـ.

عن أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال: "أنزل الله على النّبى محمَّد ﷺ النُّبوة ، وهو ابن أربعين .

فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشَّئ ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلمَّا مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته "جبريل" - عليه السَّلام - فنزل عليه القرآن على لسانه ، عشرين سنة[١] .

* **أوَّل ما نزل به جبريل على رسول ربِّ العالمين:** أن قال: يا محمَّد استعذ بالله ، ثمَّ قل: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[٢] .

* **أوَّل سورة نزلت بمكة:** سورة: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾ ، وقيل: المدثر ، وقيل: الفاتحة[٣] .

* **أوَّل ما نزل من القرآن:** عن ابن عباس: اقرأ ، ثمَّ المزمل ، ثمَّ المدثر[٤] .

* **أوَّل حروف المتشابهات من المقطعات فى أوَّائل السُّور:** الألف ، وهو سيد الحروف ، كما أنَّ آية الكرسى سيدة آيات القرآن .

كما ورد فى الحديث ؛ قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾[٥] [البقرة: ١ ، ٢] .

* **أوَّل سورة نزلت:** فاتحة الكتاب ، وعليه جم غفير من أهل التَّفسير[٦] .

* **أوَّل ما نزل للنُّبوة مطلقًا:** سورة "اقرأ" ، **وأوَّل ما نزل للرسالة مقيدًا:** سورة "المدثر" ، وقيل فى تطبيق الأوَّلية بين الأخبار الواردة .

---

(١) الإتقان ، ٤٥/١ ، أخرجه الإمام أحمد فى تاريخه من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى .
(٢) الإتقان ، ٢٣/١ إلى ٢٥ .
(٣) الإتقان ، ٢٣/١ وأوائل السيوطى ص ٩٤ أخرجه ابن أبى شيبة عن مجاهد .
(٤) الإتقان ٢٤/١ .
(٥) من الإتقان ، فى نوعى المحكم والمتشابه ، ٩/٢ .
(٦) نقله الكشاف ، عن ابن عباس ، فى تفسيره .

* **أوَّل ما نزل بغير سبب متقدِّم موجب:** سورة "اقرأ" ، وبسبب متقدِّم: "المدثر" ، وقيل أيضًا فى التَّوفيق بين الرِّوايات .

* **أوَّل ما نزل فى البيت:** "المدثر" ، **وأوَّل ما نزل خارج البيت:** "اقرأ" ، **وأوَّل ما نزل للصلاة والدُّعاء:** "الفاتحة" ، وللمفسرين أقوال غير ذلك فى تطبيقه[١] .

* **أوَّل سورة نزلت بالمدينة:** سورة "البقرة" ، وقيل "المطففين" ، وقيل "القدر"[٢] .

* **أوَّل آية نزلت فى القتال:** قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ [الحج: ٣٩] ، وقيل قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [التوبة: ١٢٣] وقيل غير ذلك[٣] .

* **أوَّل آية نزلت فى الخمر:** قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾[٤] .

* **أوَّل آية نزلت فى الأطعمة بمكة:** قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً .. ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وبالمدينة ؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾[٥] [البقرة: ١٧٣] .

* **أوَّل مسجد بالمدينة قرئ فيه القرآن:** مسجد "بنى زريق"[٦] .

* **أوَّل سورة أنزلت فيها سجدة:** سورة "النَّجم"[٧] .

* **أوَّل ما نزل من سورة "آل عمران":** ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ثمَّ نزلت بقيتها يوم أحد[٨] .

---

(١) ذكره السُّيوطى فى الإتقان ، وغيره ، ١/٢٣ إلى ٢٥

(٢) أوَائل السُّيوطى ، ٩٤ .

(٣) الإتقان ، ١/٢٦ ، أوائل السيوطى ٩٤ ، ٩٥ ، أخرجه الحاكم وصححه ابن عباس .

(٤) الإتقان ، ١/٢٦ ، الأوائل للسيوطى ٩٥ ، أخرجه الطيالسى عن ابن عمر .

(٥) الإتقان ، ١/٢٦ ، أوائل السيوطى ٩٥ ، ذكره ابن الحصار فى الناسخ والمنسوخ .

(٦) أوَائل السُّيوطى ، ص٣١ ، أخرجه الزبير ابن بكار فى أخبار المدينة عن مروان بن عثمان بن المعلى .

(٧) الإتقان ١/٢٦ ، أوائل السيوطى ٩٥ أخرجه البخارى عن ابن مسعود .

(٨) ١/٢٦ ، أوائل السيوطى ٩٥ ، أخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب المصاحف عن سعيد بن جبير .

* أوّل ما نزل من سورة "براءة": ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[1] [التوبة: ٢٥].

* أوّل ما نسخ من أمر الشّريعة: القبلة[2].

* أوّل ما نهى الله تعالى عنه النّبي ﷺ حين بعث: شرب الخمر، وملاحاة الرِّجال؛ أي المفاخرة بأنساب الجاهلية[3].

* أوّل من جمع القرآن بعد رحلة النّبي ﷺ إلى رحمة ربِّه: "أبو بكر الصِّديق"، رضى الله عنه؛ قال على - رضى الله عنه: رحمة الله على أبى بكر، هو أوّل من جمع كتاب الله بالتّرتيب المخصوص، المقبول المجمع عليه عند الأمة كافة.

وكان كاتبه عند جمعه زيد بن ثابت، وكان لا يكتب آية إلا بعدلين شاهدين.. إنَّ عمر أتى بآية الرَّجم، فلم يكتبها؛ لأنَّه كان وحده، وزيد كان كاتب الوحى عند رسول الله، ﷺ[4].

* أوّل من جمع القرآن: عثمان - رضى الله عنه - واقتصر من سائر اللُّغات السَّبعة على لغة قريش، حيث اقتتل الغلمان والمعلمون فى خلافته، فكان يقول بعضهم لبعض: قراءتى خير من قراءتك؛ يريد لغته. فسمع عثمان - رضى الله عنه - ذلك الاختلاف فقال: هذا يكاد يكون كفرًا، فجمعهم على مصحف واحد، وجمع المصاحف من بين أيدى النَّاس. فأحرقها من خشية الفتنة عند اختلاف النَّاس، وحملهم على القراءة بوجه واحد، وأمر بإرسال المصاحف إلى أقطار الأرض، وإن كان المشهور أنَّه جامع القرآن مطلقًا. وليس الأمر كذلك، بل الجامع الأوّل على السُّور

(١) إتقان السُّيوطى، ١/٢٦.
(٢) إتقان السُّيوطى، ٢/٢٠ إلى ٢٧ النوع السابع والأربعون فى ناسخه ومنسوخه، أوائل السيوطى ص٩٥ أخرجه أبو داود فى الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس.
(٣) أوّائل السُّيوطى، ص٩٥ أخرجه الطبرانى من حديث معاذ بن جبل.
(٤) [إ]تقان السُّيوطى؛ جمع أبى بكر القرآن على سبعة أحرف، التى أذن الله تعالى للأمة فى التّلاوة بها، ولم يخص حرفًا بعينه، الإتقان ١/٥٧، ٥٨.

المرتبة الباقية فى المصحف الشَّريف المجمع عليه إلى زماننا هذا - وهو سنة سبع وتسعين وتسعمائة - هو الصِّديق الأكبر ، وهو اكبر الخلق جزاءً حسنًا غدا فى ذلك ، وأكثرهم ثوابًا . وكان جمعه أولاً على سبع لغات[1] ؛ لأنَّه كان نزل على لغات قبائل شتى من

---

(١) عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: "أقرأنى جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ، ويزيدنى حتى انتهى على سبعة أحرف" (رواه: البخارى ومسلم) .

عن أبى بن كعب ، أنَّ النَّبى ﷺ قال: "كان عند أضاة بنى غفار (وهو مستنقع الماء كالغدير ، وكان بموضع من المدينة المنورة ، وينسب إلى بنى غفار ؛ لأنَّهم نزلوا عنده) فأتاه جبريل - عليه السَّلام - فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمتكم القرآن على حرف ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنَّ أمتى لا تطيق ذلك .

ثمَّ أتاه الثَّانية ، فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنَّ أمتى لا تطيق ذلك .

ثمَّ جاء الثَّالثة ، فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنَّ أمتى لا تطيق ذلك .

ثمَّ جاءه الرَّابعة ، فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، فأيّما حرف قرءوا فقد أصابوا" . (رواه: مسلم) .

وعن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال: "لقى رسول الله ﷺ جبريل . فقال: إنِّى بعثت إلى أمة أميين ؛ فيهم العجوز ، والشَّيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرَّجل الذى لم يقرأ كتابًا قط . قال: يا محمَّد ، إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف" . (رواه: التِّرمذى ، وقال: حسن صحيح) .

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: "سمعت هشام بن حكيم ، يقرأ سورة الفرقان ، فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرأنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصَّلاة (أى: أواثبه وأقاتله) . فتصبرت حتى سلَّم ، فلببته بردائه (أى: جمعت عليه رداءه عند لبنه) . . فقلت: من أقرأك هذه السُّورة ، التى سمعتك تقرأ؟

قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت ، فإنَّ رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنِّى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها .

فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت ، ثمَّ قال: اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التى أقرأنى .

فقال ﷺ كذلك أنزلت ، إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه . (رواه: البخارى ومسلم)

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السَّبعة اختلافًا كثيرًا ، وذهبوا فيه مذاهب شتى ، وقد اختار الشَّيخ محمود الحصرى ، ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرَّازى فى كتابة "اللّوائح" ، وهو أنَّ المراد بهذه الأحرف الأوجه التى يقع بها التَّقارير والاختلاف .

والأوجه التى يقع بها التَّغاير والاختلاف لا تخرج عن سبعة:

❖ الأوَّل: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتأنيث وتذكير ؛ مثال ذلك:

[أ] قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ، قرئ (لأمانتهم) بالإفراد والجمع (المؤمنون: ٨)

[ب] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ غافر/٥٢ ، قرئ (ينفع) بياء التَّذكير ، وتاء التَّأنيث .

❖ الثَّانى: اختلاف تصريف الأفعال ، من ماض ، ومضارع ، وأمر ؛ مثال ذلك:

أهل الحجاز ، تأليفًا لقلوبهم جميعهم ، وحكمة بالغة من سبحانه ، فكانت كلّ قبيلة تتداول لغتها ، وترجحها على غيرها ، فجرى الاختلاف بذلك ، فاندفع عثمان - رضى الله عنه - يجمعه .

وأمَّا ترتيب القراءة على لغة خاصة قريش[(١)] ، فهو لعثمان - رضى الله عنه - ولهذا ينسب إليه الرَّسم ، فيقال: هذا رسم عثمانى ؛ وكلا الجمعين توقيفى عن رسول الله ﷺ تولاه كما أخبر به جبريل - عليه السَّلام - عن ربِّه ترتيب السّور هو هكذا عند الله فى اللّوح المحفوظ على هذا التَّرتيب ، فمن قدّم أو أخر سورة من موضعها ، فقد خالف نظم القرآن .

اتفق المحققون من المفسرين على أنَّ القرآن أنزل أولاً جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى سماء الدُّنيا ، ثمَّ نزل مفرقًا منجمًا على حسب المصالح ، ثمَّ أثبت فى المصحف

قوله تعالى: ﴿فقالوا ربّنا باعد بين أسفارنا ﴾ (سبأ/١٩)
قرئ (ربّنا) بفتح الباء على أنَّه منادى و(باعد)بكسر العين ، وإسكان الدَّال على أنَّه فعل أمر ، أو دعاء .
وقرئ برفع باء (ربّنا) على أنَّه مبتدأ ، و(باعد)بفتح العين والدَّال على أنَّه فعل ماض ، والجملة خبر المبتدأ .
❖ الثَّالث : اختلاف وجوه الإعراب ؛ مثل:
قوله تعالى: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]قرئ بنصب الرَّاء ، ورفعها .
❖ الرَّابع : اختلاف بالنَّقص والزِّيادة ؛ مثل:
[أ] قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، قرئ (عملته) بحذف الهاء ، وإثباتها .
[ب] قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]قرئ بزيادة (من) .
❖ الخامس: الاختلاف بالتَّقديم والتَّأخير ؛ مثل:
قوله تعالى: ﴿وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]قرئ بتقديم (قاتلوا) على (قتلوا) ، وقرئ العكس .
❖ السَّادس: الاختلاف بالإبدال ؛ مثل:
[أ] ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]قرئ بالزَّاى المعجمة ، والرَّاء المهملة .
[ب]وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرَّحمن) ، قرئ (عند الرَّحمن) .
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً .. ﴾ (النساء: ٩٤) . قرئ (فتثبتوا) .
❖ السَّابع :الاختلاف فى اللّهجات ، كالفتح والإمالة ، والإدغام ، والإظهار ، والتَّفخيم ، والتَّرقيق ، والتَّسهيل ، والتَّحقيق ، والإبدال ، إلى غير ذلك من اللّهجات التى اختلفت فيها قبائل العرب . (انظر: الشَّيخ/ محمود الحصرى: "مع القرآن الكريم" ص ٥٩ إلى ٦٥ ، جولد تسهير: "المذاهب الإسلامية" ص٥ ، د/ عبدالفتاح شلبى: "رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات" ص ١٧ ، وما بعدها)

(١) كتبت فى الأصل: خاصة قرشية .

على التأليف المرتب ، والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ(١) .

* **أوّل ما نقط المصحف:** اختلف فيه ؛ قال ذلك السُّيوطى ، فى الإتقان ، أوّل من فعل ذلك: "أبو الأسود الدّؤلى" بأمر عبدالملك(٢) ، وقيل أوّل من نقطه "الحسن البصرى" ، و"يحيى بن يعمر" ، وقيل "نصر بن عاصم اللّيثى"(٣) .

* **أوّل من وضع الهمزة ، والتّشديد ، والرّوم ، والإشمام:** "الخليل ابن أحمد" النّحوى ، وقيل أوّل ما أحدثوا النُّقط عند آخر المائة الأولى ، ثمّ أحدثوا الفواتح والخواتم ، وما كان يعرف قبل ذلك إلا النُّقط الثّلاث على رؤوس الآيات(٤) .

---

(١) الإتقان ، ٥٧/١ وما بعدها ، والعبارة التى أنهى بها المؤلف بحثه فى هذا الموضوع ، هى: "كذا فى الإتقان ، فليطلب تفاصيله منه" .

(٢) عبدالملك بن مروان .

(٣) بدأ أبو الأسود بالنُّقط فى الحركات ، والتّنوين لا غير . .وجعل الخليل بن أحمد الهمز ، والتّشديد ، والرُّوم ، والإشمام ، وقفا النّاس فى ذلك أثرهما ، واتبعوا فيه سنتهما . (الدّانى ، المحكم ص ٦)

وجاء فى الفهرست ، لابن النّديم ، الفن الأوّل من المقالة الثّانية: "ورأيت ما يدل على أنّ النّحو عن أبى الأسود ، هذه حكايته ، وهى أربع أوراق ، وأحسبها من ورق الصّين ، ترجمتها:

هذه فيها كلام عن الفاعل والمفعول من أبى الأسود - رحمة الله عليه - بخط "يحيى ابن يعمر" ، وتحت هذا الخط بخط عميق ، هذا خط علان النّحوى ، وتحته هذا خط النّضر بن شميل .

ويقول الشّيخ محمّد الطّنطاوى ، فى كتابه: "نشأة النّحو وتاريخ أشهر النُّحاة":

"قدم أعرابى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال: من يقرئنى شيئًا ممّا أنزل الله تعالى على محمّد ﷺ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقال: (إنّ الله برئ من المشركين ورسوله) ، بالجرّ (رسولِه)

فقال الأعرابى: أو قد برئ الله من رسوله؟ فأنا أبرأ منه .

بلغ عمر ذلك ، فاستدعى الأعرابى ، وسأله ، فقال: يا أمير المؤمنين ، إنّى قدمت المدينة ، ولا علم لى بالقرآن ، فسألت من يقرئنى؟ فاقرأنى هذا سورة براءة . . فقلت ما قلت .

قال عمر: ليس هكذا يا أعرابى .

فقال: كيف هى يا أمير المؤمنين؟

فقال: (إنّ الله برئ من المشركين ورسولُه) بالرّفع .

فقال الأعرابى: أنا والله ابرأ ممّن برئ الله ورسوله منهم ، فأمر عمر ، رضى الله عنه: أن لا يقرأ القرآن إلا عالم باللُّغة ، وأمر أبا الأسود الدُّؤلى أن يضع النّحو .

وهناك قصة أخرى تسند الأمر بوضع النّحو إلى زياد ، وهو أمير البصرة .

والطّبقة الأوّلى التى أخذت عن أبى الأسود ، هى: عنبة بن معدان ، ونصر بن عاصم اللّيثى ، وعبدالرّحمن بن هرمز ، ويحيى بن يعمر العدوانى" .

(٤) كذا فى النّوع السّادس والسّبعين فى مرسوم الخط بـ "الإتقان" ، ١٦٦/٢ وما بعدها .

* **أوَّل ما نبئ به بالرؤيا قبل الوحى:** كان فى شهر مولده ؛ قال ﷺ بعثت فى شهر ربيع الأوَّل ، وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما : "أنزل القرآن فى ليلة القدر ، فى شهر رمضان إلى السَّماء الدُّنيا ، رفع إلى جبريل ليلة القدر جملة واحدة ، فوضعه فى بيت العزة ، ثمَّ جعل ينزله تنزيلاً من رأس أربعين إلى ثلاث وستين سنة منجمًا"[١] .

* **أوَّل من سمى المصحف مصحفًا ، حين جمعه ورتبه :** "أبو بكر الصِّديق" - رضى الله عنه - فقال للأصحاب : التمسوا له اسمًا ، فقال بعضهم : سموه سفرًا ، فقال الصِّديق : سموه مصحفًا .

وكانت الحبشة يسمونه مصحفًا ، فوافقهم بتسميته مصحفًا ، رضى الله عنه[٢] .

* **أوَّل ما أنزل الله تعالى فى التَّوراة:** من سورة الأنعام ، عشر آيات ؛ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ .

قال بعض المفسرين : إنَّ تلك الآيات اشتملت على الآيات العشر التى كتبها الله لموسى - عليه السَّلام - فى التَّوراة ، أنزل ما كتب ، وهى توحيد الله تعالى[٣] .

* **أوَّل ما فتح به التَّوراة:** ما روى عن كعب - رضى الله عنه - قال : "فتحت التَّوراة بقوله تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يَعْدِلُونَ** ﴾[٤] .

---

(١) إتقان ، ٣٩/١ وما بعدها .

(٢) إتقان ، ٥١/١ ، أوائل العسكرى ١٤٣ ، ١٤٤ . يقول العسكرى : أخبرنا أبو أحمد عن الجوهرى عن أبى زيد ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن قليح ، عن موسى بن عقبة ، عن بن شهاب ، قال : لما أصيب المسلمين باليمامة ، خاف أبو بكر أن يهلك طائفة من أهل القراء ، وإنما كان فى العسب (العسب جريدة : النخل كشط خوصها) والرقاع (الرقعة : قطعة من النسيخ ، فأمر الناس فأتوه بما كان عندهم فأمر به فكتب فى الورق ، فلما كان أيام عثمان ، كثر اختلاف الناس فى القراءات ، فاستشار الصحابة فأشاروا عليه بجمع الناس على مصحف واحد . . فأبو بكر أوّل من جمع القرآن ، وعثمان أوّل من جمع الناس على مصحف واحد ، والمُصْحف ، والمِصْف الجامع للصُحف المكتوبة . . قال أبو عبيدة : تميم تكسرها ، وقيس تضمها .

(٣) كما ذكر فى الإتقان ، فى النَّوع الخامس عشر ص٣٩ .

(٤) ❖ [أ] إتقان ص٣٩ : أخرج ابن الضريس وغيره عن كعب .
❖ [ب] الآية هى : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ (الأنعام : ١) ، وختم بالحمد لله الذى لم يتخذ ولداً . . إلى : وكبره تكبيرا . (الإسراء : ١١) .

* **أوَّل ما قرئ وحفظ من القرآن ؛ يعنى فى أوَّل الإسلام:** "السّور العتاق التّلاد"(١) ، كما ورد فى صحيح البخارى ، عن ابن مسعود - رضى الله عنهما - أنَّهن من العتاق الأوَّل ، وهن من التّلاد ؛ يعنى: سور بنى إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء . يريد أنَّهم من أوَّائل السُّور المنزلة فى أوَّل الإسلام ، أراد بالعتاق جمع عتيق ، والعرب تسمى كلّ شئ بلغ الغاية فى الجودة: عتيقًا . . والتِّلاد: ما كان قديمًا من المال ؛ يريد تفضيل هذه السُّور لِّما تضمنته من ذكر القصص ، وأخبار الأنبياء - عليهم السَّلام - وأخبار الأمم(٢) .

* **أوَّل ما نزل من القرآن:** سورة من المفصل فيها ذكر النَّار والجنَّة ، حتى إذا ثاب النَّاس للإسلام ، نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أوَّل شئ: "لا تشربوا الخمر" ، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا . . ولو نزل: "لا تزنوا" ، لقالوا: لا ندع الزِّنا أبدًا .

قال الإمام: رأيت هذه الحكمة مصرحًا بها فى النَّاسخ والمنسوخ للمكى ، أخرجه البخارى ، عن عائشة ، رضى الله عنها(٣) .

* **أوَّل من يرفع رأسه:** "جبريل" ، عند سجود الملائكة ، عند نزول الوحى من حضرة الغيب ، أخرجه الإمام الطِّبرانى فى الحديث المرفوع: "إذا تكلّم الله تعالى بالوحى ، أخذت السَّماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى . فإذا سمع بذلك أهل السَّماء ، صعقوا ، وخرّوا سجدًا ، فيكون أوَّلهم يرفع رأسه "جبريل" فيكلّمه الله تعالى من وحيه بما أراد ، فينتهى به على الملائكة ، كلّما مرّ بسماء سأله أهلها: ماذا قال ربُّنا؟ . . فيقول: قال الحق ، حتى ينتهى به حيث أمر .

قلت: قوله "أوَّل من يرفع رأسه جبريل" ، هذا يدلُّ على مرتبة الإمامة للملائكة ، ودليل فضل جبريل عليها ؛ لأنَّ الإمام المقدّم هو أوَّل من يرفع رأسه . . فافهم . . وفى الإتقان ، عن بعض الثِّقات: أنَّه لم ينزل الوحى إلا بالعربيَّة ، ثمَّ يترجم كلّ نبى لقومه بلسانهم .

---

(١) وردت هكذا .

(٢) ذكره فى "حياة الحيوان" فى باب العين منه بتفصيله .

(٣) الإتقان ١/ ٢٣ إلى ٢٦ .

* **أوَّل من نسخ به الشَّرائع:** "نوح" - عليه السَّلام - وكان قبل ذلك لم يحرم تزويج الخالات والعمات والأخوات ، فاختار الله تعالى "نوحًا" - عليه السَّلام - بخمسة أشياء :

جعله أوَّل البشر ؛ لأنَّ النَّاس كلّهم غرقوا ، فصارت ذريته هم الباقون ، وأطال عمره ، وهو شيخ المرسلين ، وحسن علمه ، واستجاب دعاءه على الكفار والمؤمنين ، وحمله على السَّفينة[١] .

* **أوَّل نبى نزل عليه (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم):** "سليمان" - عليه السَّلام - وورد عن ابن عباس ، رضى الله عنهما : أغفل النَّاس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النَّبى ﷺ إلا أن يكون "سليمان بن داود" . . وفى الحديث : "لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى"[٢] .

* **أوَّل ما نزل الوحى:** فى شهر رمضان ، كما ورد فى الأخبار ؛ أنزل على "آدم" عشر صحف فى أوَّل ليلة من شهر رمضان .

وأنزل على "موسى" لست خلون من شهر رمضان .

وأنزل الإنجيل على "عيسى" لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

أنزل الزَّبور على "داود" لثمان عشرة خلت من شهر رمضان .

وأنزل القرآن على "محمَّد" - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم - لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان فى العشر الأوَّاخر .

روى المحدثون أنَّ عدد الكتب المنزلة مائة كتاب ، وأربع كتب ، وقالوا : خص نزول الكتب بشهر رمضان ؛ لأنَّه أفضل الشُّهور عند الله ، وأوَّل من اختص بصومه : أمة محمَّد ، ﷺ ، وعلى جميع الأنبياء[٣] .

* * * * * * *

---

(١) تفسير أبى اللَّيث .
(٢) إتقان ، ٣٩/١ ، أخرجه الدارقطنى من حديث بريدة .
(٣) كذا نقل ، فى : "كنز الأسرار" .

الفصل العاشر
فى الأوَّائل المختصة بحضرة الإبراهيمية الخليلية، وأهل بيته عليهم السَّلام

* **أوَّل من هاجر فى سبيل الله ، وفرَّ بدينه إلى الله تعالى:** "إبراهيم الخليل" - عليه السَّلام - وكان مولده على أرجح الأقوال بـ "كوثى" من إقليم "بابل" من أرض العراق .

وهاجر معه "لوط" نبى الله ، وهو ابن أخته ، خرج معه تابعًا له على دينه ، مهاجرًا معه إلى الشَّام ، وكان يحبه حبًّا شديدًا ؛ ولذا سمى "لوط" لأنَّه ليط حبّه ، أى : تعلق ولصق بقلبه . . نزل "إبراهيم" بفلسطين ، ونزل "لوط" الأردن ، عليهما السَّلام[١] .

* **أوَّل من جعله الله أبا الأنبياء:** "إبراهيم الخليل" ، اختاره الله بخمسة أشياء جعلته أبا الأنبياء ؛ لأنَّه روى أنَّه خرج من صلبه ألف نبى من زمانه إلى زمان رسول الله ﷺ ولذا قال: "أنا دعوة إبراهيم" . . واتَّخذه خليلاً ، وأنجاه من النَّار ، وجعله للناس إمامًا ، وابتلاه بكلمات ، فوفقه حتى أتمهن[٢] .

* **أوَّل من هاجر عن وطنه فى ذات الله ؛ حفظًا لإيمانه:** "إبراهيم" ؛ لذلك جازاه الله بأن جميع الملل يسعون نحو حضرته ومشهده من جميع الأقطار ، حتى قال له نمرود ، عدو الله ، حين رأى جميل فعل الله تعالى معه حينما خرج مع حشمه وخدمه لينظر ما جرى لإبراهيم فى النَّار بعد ثلاثة أيام . . فلمَّا نظر ، رأى مع إبراهيم - عليه السَّلام - شخصًا ، فقال: يا إبراهيم ، من الذى رأيته معك فى صورتك . فقال ملك الظُّلم[٣]: أرسله ربِّى ليؤنسنى فيها ، فقال: إنِّى مقرِّب إلى إلهك قربانًا لما رأيت من

---

(١) تاريخ القدس .
(٢) تفسير أبى الليث .
(٣) لعلَّه خطأ مطبعى ، والصَّواب: "ملك الظِّل" ، قال ابن إسحاق ، وغيره: وبعث الله ملك الظِّل فى صورة إبراهيم - عليه السَّلام - فقعد فيها إلى جنب إبراهيم ، وهو يؤنسه .

حسن صنيعه بك ، وقدرته ، فقال: لا يقبل الله منك ما لم تفارق دينك إلى ديني .

قال: لا أستطيع ترك ملكي ، ولكن أذبح أربعة آلاف بقرة ، فذبحها ، فكفَّ عنه ، وقال: أسألك الخروج من أرضي إلى حيث شئت ، فأجابه ، فخرج مع أهل بيته[1] ، ينتقل من "الرّها" إلى "حلب" ، ثمَّ إلى "الشّام" ، ثمَّ إلى "بيت المقدس" ، ثمَّ إلى "مصر"[2] .

وجرى له مع ملكها من طلب سارة منه حين وصف له جمالها ، وشلل يده حين مدّها لها ، ثمَّ أكرمه ، ووهبها هاجر - أم إسماعيل - عليه السَّلام[3] .

= قال السّدي: كان معه أيضًا ملك الظّل ، وصار إبراهيم - عليه السَّلام - في ميل الحوبة حول نار ، وهو في روضة خضراء ، والنَّاس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول ، ولا هو يخرج إليهم .
(ابن كثير: "قصص الأنبياء" ص١٤٨ ، وانظر: الثّعالبي: "عرائس المجالس" ص٨٩)

(١) خرج من أرض "بابل" هو وابن أخيه "لوط" ، وأخوه "ناحور" ، و"سارة" ، وامرأة أخيه . . ملكا فنزلوا "حران" ، فمات "نارخ" أبو إبراهيم بها .
(المصدر السَّابق ، ص ١٥٤)

(٢) ذكر أهل الكتاب أنَّه لمّا قدم الشّام ، أوحى الله إليه "إنِّي جاعل هذه الأرض لخلفك من بعدك" .
فابتنى إبراهيم مذبحًا لله ؛ شكرًا على هذه النِّعمة ، وضرب قبته شرقي بيت المقدس ، ثمَّ انطلق مرتحلاً إلى اليمن ، وأنَّه كان جوع ؛ أي: قحط وشدة وغلاء ، فارتحلوا إلى مصر .
(المصدر السَّابق ، ص ١٥٥)

(٣) قال البخاري ، عن أبي هريرة ، قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ؛ اثنتان منهن في ذات الله : قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ .
وقال: بينا هو إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له: إنَّ هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن النَّاس ، فأرسل إليه ، وسأله عنها ، فقال: من هذه؟ قال: أختي .
فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وعن هذا سألني ، فأخبرته أنَّك أختي فلا تكذبيني .فأرسل إليها ، فلمَّا دخلت عليه ، ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق ، ثمَّ تناولها الثَّانية مثلها أو أشد ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق ، فدعا بعض حجبته . فقال: إنَّكم لم تأتوني بإنسان ، وإنَّما أتيتموني بشيطان ، فأخدمها هاجر .
فأتته - أي إبراهيم - وهو قائم يصلي ، فأومأ بيده ، مهيم؟ فقالت: ردَّ الله يد الكافر - أو الفاجر - في نحره ، وأخدم هاجر .
قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السَّماء .
وعلّق ابن كثير قائلاً ، تفرَّد به من هذا الوجه موقوفًا .
(الحديث رواه: البخاري ، في صحيحه ، ٣٣٥٧/٨/٦٠ . ورواه: مسلم ، في صحيحه ، ١٥٤/٤٣ . ورواه: أبو داود ، في سننه ، ١٥/١٣ . ورواه: التِّرمذي ، في سننه ، ٩/١٧/٤٤ . ورواه: أحمد ، في=

ثمَّ أذن لـه بالرَّحيل من مصر(١) ، إلى مقامه المشهور إلى الآن ، عليه وعلى نبينا أفضل الصَّلاة والسَّلام(٢) .

* **أوَّل مـن أضـاف الضِّـيفان :** "خليل الـرَّحمن" ، وهـو أوَّل مـن سمـى بـأبى الضِّيفان ؛ قال الإمام الغزالى ، فى الإحياء : "إنَّ إبراهيم - عليه السَّلام - كان إذا أراد الأكل خرج ميلاً ، أو ميلين يلتمس من يأكل معه ، فيصدق بنيته ، دامت ضيافته فى مشهده إلى يومنا هذا ، فلا ينقضى يوم ولا ليلة إلا ويأكل ضيف عنده"(٣) .

* **أوَّل من بنى داراً للأضياف ، وجعل لها بابين :** "خليل الرَّحمن" - عليه السَّلام - أخرجه العسكرى ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : "إنَّ الله تعالى وسَّع على خليله فى المال والخدم . فاتَّخذ بيتًا للضيافة ، له بابان ؛ يدخل الغريب من أحدهما ، ويخرج من الآخر ، ووضع فى ذلك البيت كسوة الشِّتاء ، وكسوة الصَّيف ، ومائدة منصوب عليها طعام ؛ فيأكل الضَّيف ويلبس إن كان عريان ، ويجدده إبراهيم - عليه السَّلام - كلّ حين(٤) .

* **أوَّل من ابتلى من الرُّسل وأولى العزم :** "إبراهيم" - عليه السَّلام - كما أشار سبحانه بقوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ (البقرة : ١٢٤) .

ومدحه بالوفاء بقوله سبحانه ، عزَّ برهانه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (النَّجم : ٣٧) ؛ ومعنى التَّوفية هو الإتمام لما طولب به فى دينه ونفسه وماله وولده ، فأتمَّ الجميع

=مسنده ، ١/٢٨١/٢٩٥ ، ٢/٤٠٣ . ورواه : أبو داود الطَّيالسى ، فى مسنده ، (٢٧١١) .

(١) رجع الخليل من أرض مصر إلى أرض اليمن ، وهى الأرض المقدسة التى كان فيها ، ومعه أنعام وعبيد ومال كثير ، وصحبتهم هاجر القبطية المصرية .

(٢) تاريخ القدس .

(٣) ، (٤) أصول التَّواريخ ، أوائل العسكرى ص٥٩ ، ٦٠ ، ٩١ : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أوّل من أضاف الأضياف إبراهيم عليه السلام" . رواه مالك فى الموطأ ٢/٩٢٢ ، والخطيب فى المشكاة ٤٤٨٨ ، وابن الأثير فى جامع الأصول ٤/٧٧٦ ، وابن الجوزى فى تلقيح فهوم الأثر ٤٦٤ ، والأوائل لابن أبى عاصم النبيل ص٣٠ ، وأوائل السيوطى ٩١ ، وقال : أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ، والمحاضرة ٩٠ ، وكشف الخفاء ١/٣١٣ ، ولطائف المعارف للثعالبى ٧ .

على الوجه المطلوب . ولما ألقى فى النَّار ، استغاثت الملائكة ، وقالوا : يا ربَّنا قد نزل بخليلك ما أنت أعلم ، فقيل لجبريل : أغثه ، فتعرض له ، فقال : هل لك من حاجة ، فقال : أمَّا إليك ، فلا ، وأمَّا إلى ربِّى فبلى ، حسبى عن سؤالى علمه بحالى . ثمَّ جاءت الطُّيور تمد أجنحتها إليه ، فأبى ؛ متوكلاً على ربّه فى مقام الشّهود الكلى ، غائبًا بوحدة المسبب عن الأسباب ، فأبت الطُّيور عن تلاطم أمواج النِّيران ، فدخل "البلبل" معه ، ففداه بنفسه ، فحماه الله تعالى بالعصمة الخليلية عن نيران الأعداء ، وعوَّضه حسن الصَّوت والصِّياح فى موسم الورد . لأنَّه نبت شجر الورد عند دخوله ، فباض وفرّخ ، وأطرب بأصوات المحبة والاشتياق إلى الحضرة الخليلية ، لا إلى موسم الورد كما يظنّه أكثر الخلق ، ممَّا لا معرفة لهم بحقائق الأشياء .

وفى الأخبار : امتنعت الدَّواب عن حمل الحطب إلا "البغال" ، فجوزيت بالعقم ، وهمت حشرات الأرض بإطفاء النِّيران إلا "الوزغ" سام أبرص ، فجوزى قاتله فى لسان الشَّرع بأن يكون كأنَّما قتل مشركًا[١] .

* **أوَّل من لبس السَّراويل:** "إبراهيم" - عليه السَّلام - كان كثير الحياء ، حتى كان يستحى أن ترى الأرض مذاكيره ، فاشتكى إلى الله تعالى ، فهبط إليه "جبريل" بخرقة من الجنَّة . ففصلها "جبريل" سراويل ، وقال : ادفعه إلى سارة تخيطه ، فلبسه ، وقال : ما أحسن هذا ، وأستره يا جبريل ، نعم السُّترة للمؤمن ، إذا مت فاغسلونى من تحته . . فكانت سارة أوَّل من خاطت من النِّساء ، ثمَّ صار الغزل أفضل الحرف للنساء ، والخياطة للرجال ، كما ورد فى الخبر النَّبوى[٢] .

* **أوَّل من قاتل بالسَّيف ، ورفع الأعلام ، والألوية ، وقسَّم الفئ فى سبيل الله**

---

(١) كذا فى : "حياة الحيوان" ، و"تاريخ القدس" ؛ عن أم شريك - رضى الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ ، وقال : كان ينفخ على إبراهيم ، عليه السَّلام . (مسلم ، ٢٢٣٧ - مختصر صحيح البخارى ، ١٣٥٠ ، ص٣٣٠)

(٢) تاريخ القدس . أوائل السيوطى ٧٩ ، أخرجه وكيع عن أبى هريرة .

تعالى: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[١] .

* **أوَّل من كسَّر الأصنام ، وضرب بالسَّيف من الرُّسل الكرام: خليل الله ، عليه السَّلام[٢] .**

* **أوَّل من رفع يديه فى الصَّلاة ، وصلى أوَّل النَّهار أربع ركعات: "إبراهيم" -** عليه السَّلام - جعلهن على نفسه ، فسماه الله وفيًّا[٣] .

* **أوَّل من اختتن: "إبراهيم" ، اختتن بموضع يسمى القدوم ، وهو ابن ثمانين سنة[٤] .**

وختَّن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وختَّن إسحاق وهو ابن سبعة أيام .

وأمَّا سبب ختانه ، فإنَّه أمر بقتال العمالقة ، فقاتلهم ، فقُتل خلق كثير من الفريقين ، فلم يعرف أصحابه ليدفنهم ، فأمر بالختان ليكون علامة للمسلم ، وختن نفسه بالقدوم جميع غرلته ، وضرب قدومه بعود كان معه ، فندرت بين يديه بلا ألم ولا دم ، صلوات الله وسلامه عليه[٥] .

* **أوَّل من اختتن من النِّساء ، وأوَّل من جرَّ ذيله: "هاجر" جاريته ، فصارت سنة** فى النِّساء ، فغارت "سارة" من جرِّ ذيلها ، وحلفت أنَّها تخضب يدها من دمها .

فقال "إبراهيم" - عليه السَّلام - خذيها فاختنيها ، كى تكون سنة من بعدكم وتتخلصين من يمينك ، ففعلت ، فكانت "هاجر" - رضى الله عنها -

---

(١) تاريخ القدس . أوائل السيوطى ص٧٢ ، ابن عساكر عن حسان بن عطية .
(٢) تاريخ القدس .
(٣) تاريخ القدس .
(٤) عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله ، ﷺ :
اختتن إبراهيم - عليه السَّلام - وهو ابن ثمانين سنة بالقَدُوم ، وعنه فى رواية: "بالقَدُوم" مخففة . (مسلم ، ٢٣٧٠ - مختصر البخارى ، ١٣٤٨ ، ص ٣٥٩) . وأخرجه البيهقى عن أبى هريرة مرفوعاً ، أوائل السيوطى ص ٢٠ .
(٥) تاريخ القدس .

أوّل من اختتن من النِّساء[1] .

* أوّل من شاب: خليل الرَّحمن ، فقال: يا ربّ ما هذا؟ . . فقال تعالى: هذا وقار ، فقال إبراهيم: ربّ زدني وقارًا ، فما برح حتى ابيضت لحيته الشَّريفة المنيفة . . وعن على - رضى الله عنه - كان الرَّجل يبلغ الهرم ولم يشب ، وكان فى القوم والد ، وولد فلا يعرف الابن من الأب .

فقال إبراهيم: يا ربّ اجعل لى شيئًا أعرف به ، فأصبح رأسه المبارك ولحيته الشَّريفة أبيضين ، أزهرين ، أنورين[2] .

* أوّل من لبس النَّعلين ، وفرّق الشَّعر: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[3] . .

* أوّل من قلّم الظّفر ، وقصَّ الشَّارب: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[4] .

* أوّل من استنجى بالماء ، ونتف الإبط: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[5] .

* أوّل من استاك ، وحلق العانة: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[6] .

* أوّل من ثرّد الثَّريد ، وأضاف الأضياف: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[7] .

* أوّل من تمضمض ، واستنشق الماء: "إبراهيم" ، عليه السَّلام[8] .

* أوّل من صافح وعانق: "إبراهيم - عليه السَّلام - حكى بعض الثِّقات من

---

(١) كذا ذكره السُّيوطى فى أوَّائله ، ص٢٠ ، قال: أوّل امرأة (خفضت) وثقبت أذناها ، هاجر أم إسماعيل . غارت منها سارة ، فحلفت أن تقطع منها ثلاثة أشراف ، فخاف إبراهيم أنْ تمثل بها فأمرها بذلك ، وانظر أوائل العسكرى ٣٩٣ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) تاريخ القدس ، أوائل السيوطى ٢٠ أخرجه وكيع فى تفسيره عن أبى هريرة .

(٣) تاريخ القدس ، أوائل السيوطى ٢٠ .

(٤) تاريخ القدس ، أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ، والبيهقى فى الشعب عن سعيد بن المسيب .

(٥) ، (٥) تاريخ القدس ، لطائف المعارف للثعالبى ص ٦ ، أوائل السيوطى ص٢٠ .

(٧) تاريخ القدس ، أوائل السيوطى ٩١ ، أخرجه بن سعد عن الكلبى ، وابن أبى شيبة عن الدى .

(٨) تاريخ القدس .

المؤرخين أنَّه اجتمع في الحرم المكي مع اسكندر ذي القرنين الكبير ، وعانقه وصافحه ، وأعطاه الرَّاية ، وتشرَّع بشريعته ، ودخل ملته ، ودعا النَّاس إلى أحكام شرعه[١] .

* **أوَّل من أقام مناسك الحج ، وضحى:** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[٢] .

* **أوَّل من خطب على المنبر:** "إبراهيم" - عليه السَّلام - كما ورد في حديث معاذ- رضي الله عنه - عن رسول الله ، ﷺ: "إنِّي اتَّخذت المنبر ، فقد اتَّخذه إبراهيم ، عليه السَّلام"[٣] .

* **أوَّل من سماه الله تعالى حنيفًا ، وبرأه من دعاوى اليهود والنَّصارى:** "إبراهيم" ، عليه السَّلام ، لقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا** ﴾ (آل عمران : ٦٧)[٤] .

* **أوَّل من ألقى في النَّار في ذات الله ، فكانت بردًا وسلامًا ، وأحيى له الموت بدعائه:** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[٥] .

* **أوَّل من تكفَّل بصبيان المسلمين ؛ تسلية ، وتربية ، ورحمة إلى يوم القيامة:** "إبراهيم" مع زوجته "سارة" عند سدرة المنتهى ، يرضعون لبن الجنَّة ، لكلٍّ واحد ثدى .

وبقرب سدرة المنتهى ، جبل من الكثيب الأبيض ، فيه بيوت عليها ملائكة يعلمونهم القرآن إلى يوم القيامة ، وعليه إبراهيم الخليل ، وهو الأب الثَّاني[٦] .

* **أوَّل من يكسى حُلَّة بيضاء يوم القيامة ، ويوضع له منبر على يسار العرش:** "إبراهيم" ، عليه السَّلام ؛ إذ هو أوَّل من خطب على المنبر من الأنبياء ، صلوات الله

---

(١) تاريخ القدس . أوائل السيوطي ١٤٢ أخرجه ابن أبي الدنيا عن تميم الداري مرفوعا .
(٢) تاريخ القدس . أوائل السيوطي ٤٨ .
(٣) تاريخ القدس . أوائل السيوطي ص٣٣ أخرجه ابن أبي شيبة عن إبراهيم بن سعد .
(٤) تاريخ القدس ، أوائل السيوطي ١٥١ ، أخرجه الشيخان عن ابن عباس مرفوعاً .
(٥) تاريخ القدس .
(٦) كذا ذكره السُّيوطي .

عليهم وعلى نبينا وعليهم أجمعين[١] .

* **أوَّل من قبَّل بين العينين عند المصافحة والمعانقة :** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[٢] .

* **أوَّل من اغتسل للجمعة ، وهاجر فى سبيل الله :** خليل الله ؛ قيل : لكلِّ نبى هجرة ، وله هجرتان ، وهو سيد المهاجرين ، وقدوتهم[٣] .

* **أوَّل من أذّن فى النَّاس بالحج :** "إبراهيم" ، أذّن فى النَّاس بالحج ، فأجابه كلّ شئ سمعه ، ورجع إلى الشَّام ، فتوفاه الله به ، وهو ابن مائتى سنة .

فأوَّل من أجاب "جرهم" قبل العمالقة ، ثمَّ أسلموا الأوَّل فالأوَّل أجابه ، وحجا ، وأسلاما ؛ فكلُّ من سارع إلى إجابة "إبراهيم" فهو المسارع إلى إجابة بلى[٤] ، لقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف : ١٧٢) . . فافهم سر الإجابة والمسارعة إليها[٥] .

* **أوَّل من سمى المسلمين حنفاء :** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[٦] .

* **أوَّل من يكسى يوم القيامة :** بخلته ، ثمَّ أنا بصفوتى ، ثمَّ على بن أبى طالب ، يزف بينى وبين إبراهيم زفًا إلى الجنَّة[٧] .

* **أوَّل من يكسى "إبراهيم" - عليه السَّلام - يوم القيامة :** قبطية ، والنَّبى ﷺ حبرة ، وهو عن يمين العرش[٨] .

* **أوَّل من يكسى "إبراهيم" : يقول الله تعالى :** "اكسوا خليلى" ، فيؤتى بربطتين

---

(١) تاريخ القدس .
(٢) تاريخ القدس .
(٣) كذا فى تاريخ الأنبياء ، عليهم السَّلام .
(٤) هكذا وردت .
(٥) كذا ذكره المؤرخون ، فى : "أخبار مكة" . للأرزقى ص١٠ ، ٣٧ .
(٦) تاريخ مكة .
(٧) رواه : ابن عباس ، رضى الله عنهما . (تاريخ القدس)
(٨) عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه . (تاريخ القدس)

بيضاوين ، فيلبسهما ، ثمَّ يقعد مستقبل القبلة ، ثمَّ أوتى بكسوة فأكسى ، فاقوم عن يمينه مقامًا لا يقومه أحد ، فيغبطنى فيه الأولون والآخرون[١] .

* أوَّل من تجلى لـه الحق تعالى بهويته الذَّاتية ، السَّارية فى المظاهر الكونية كلّها : خليل الله - صلوات الله وسلامه عليه - وهو أوَّل من خلع الله عليه صفاته الثُّبوتية الحقيقية من أولاد آدم - عليه السَّلام - بعد الفناء فيه ، والبقاء به . كما وردت به الإشارة فى الحديث الصَّحيح ، أنَّ إبراهيم أوَّل من يكسى يوم القيامة ؛ ليكون الآخر مطابقًا للأوَّل ، والظَّاهر للباطن . . فافهم[٢] .

* * * * * * *

(١) الحديث بتمامه ، فى "تاريخ بيت المقدس" ، للشيخ/ شهاب الدِّين المقدسى ، رحمه الله
(٢) "شرح الفصوص" للقيصرى .

الفصل الحادى عشر

فى الأوائل المتعلقة بالحج، والبيت الشَّريف والطواف والمسجد الحرام، وما يتعلق به من المناسك والمشاعر

* أوَّل من أتى للحج ، وطاف بالبيت البكى: الملائكة عليهم السَّلام[(١)] .

* أوَّل من سعى بين الصَّفا والمروة: "هاجر" أم إسماعيل[(٢)] .

* أوَّل بيت وضع للعبادة والبركة: "مكةّ" وقيل أوَّل بيت بناه آدم ، واتَّخذ قبلة ، ورد فى الخبر: لَّما وصل آدم عليه السَّلام إلى مكة ، استقبلته الملائكة وقالوا يا آدم بر حجك ، وطف فقد طفنا قبلك بألفى عام .

قال المفسرون ، أنَّه أوّل بيت وضع للناس ، يحجون إليه ، ويعبدون الله فيه ، وكانت قبلة بيوت كثيرة ؛ قال الإمام النَّووى: والجمهور على أنّه أوّل بيت وضع للناس مطلقًا[(٣)] .

---

(١) ❖ [أ] كذا فى تاريخ مكة ، أوائل السيوطى ٤٨ .
❖ [ب] عن ابن عباس ، قال: قال اليمانى: قال رسول الله ، ﷺ: "كان البيت قبل هبوط آدم - عليه السَّلام - ياقوتة من يواقيت الجنَّة ، والبيت المعمور الذى فى السَّماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ، ثمَّ لاْ يعودون إليه إلى يوم القيامة ، حذاء الكعبة الحرام . وأنَّ الله تعالى أهبط آدم - عليه السَّلام - إلى موضع الكعبة ، وهو مثل الفلك من شدة رعدته ، وأنزل عليه الحجر الأسود ، وهو يتلألأ كأنَّه لؤلؤة بيضاء ، فأخذه آدم ، فضمه إليه ، استئناسًا به .
أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى الحجر ، ثمَّ أنزل الله تعالى على أدم العصا ، ثمَّ قالْ يا آدم تخطى ، فتخطى ، فإذا هو بأرض الهند ، فمكث هناك ما شاء الله أن يمكث ، ثمَّ استوحش إلى البيت .
فقيل له: حج يا آدم ، فأقبل يتخطى ، فصار كلّ موضع قدم قرية ، وما بين ذلك مفاوز ، حتى قدم مكة ، فلقيته الملائكة ، فقالت: برّ حجك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام" .
(الثَّعلبى ، قصص الأنبياء ، المعروف بـ "عرائس المجالس" ، ص ٩٨)

(٢) ذكره السُّيوطى ، فى الأوَّائل ص٤٨ ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - يقول السُّيوطى: "أوَّل من طاف بين الصَّفا والمروة هاجر أم إسماعيل ، عليه السَّلام" أخرجه بهذا اللَّفظ ابن أبى شيبة ، عن ابن عباس ، والخطيب فى "التَّلخيص" عن سعيد ابن جبير . والقصة مبسوطة ، فى الصَّحيح . وفى المستدرك ، عن ابن عباس: أنَّه رآهم يطوفون بين الصَّفا والمروة ، فقال: هذا ممَّا أورثتكم أم إسماعيل .

(٣) تاريخ مكة .
قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ (آل عمران: ٩٦)
وأخرجه الشَّيخان ، عن أبى ذَر ، قال: قلَت يا رسول الله ، أى مسجد وضع أولُ (بضم اللام ، وهى ضمة=

* **أوّل من أجاب نداء إبراهيم - عليه السَّلام - حين أذّن بالحج :** أهل اليمن . . وقيل أوّل من أجاب "جرهم" وهم أيضًا من اليمن(١) .

* **أوّل من أهدى البدن إلى البيت :** "إلياس بن مضر" ، وكان يسمع تلبية النَّبى ﷺ من صلبه ، وهو أوّل من وضع مقام إبراهيم - عليه السَّلام - للناس بعد الطُّوفان ، ولم تزل العرب تعظمه ؛ وقال رسول الله ، ﷺ: "لا تسبوا إلياس بن مضر ، وهو من مؤمنى أهل الفترة(٢) .

* **أوّل من نصب نصاب الحرم :** "إبراهيم" - عليه السَّلام - أراه ذلك جبريل . فلمَّا انتهى مع إبراهيم إلى عرفة ، وهى آخر المشاعر ، قال له : عرفت يا إبراهيم؟ قال : عرفت ، فسمى جبريل "عرفات" بها لتعرف المناسك من صوب جبريل ، عليهما السَّلام(٣) . فلمَّا كان أوَّل يوم الفتح ، بعث رسول الله ﷺ "تميم بن أسيد الخزاعى" فجدد المشاعر .

* **أوّل من بنى البيت على القواعد الأوَّلية الملكية الآدمية :** "إبراهيم" - عليه السَّلام- و"إسماعيل" - عليه السَّلام - وكان موضعه بعد الطُّوفان ، أكمة حمراء ، لا

=بناء لقطعه عن الإضافة ، مثل : قبل ، وبعد) ، قال : المسجد الحرام .

وأخرج البيهقى فى "دلائل النُّبوة" من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : بعث الله جبريل إلى آدم وحواء ، فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ، ثمَّ أمر بالطَّواف به ، وقيل له : أنت أوَّل النَّاس ، وهذا أوَّل بيت وضع للناس .

وأخرج البيهقى ، فى "الشّعب" ، وابن عساكر من طريق "عطاء بن عباس" مرفوعًا : أوَّل بقعة وضعت من الأرض موضع البيت ، ثمَّ مدَّت منها الأرض .

وأوَّل جبل وضعه الله تعالى على وجه الأرض : "جبل أبو قبيس" ، ثمَّ مدَّت منه الجبال . (الحديث فى الجامع الصَّغير ، ج ١ ، ص١١٢ ، ورمز لضعفه) .

قال ابن عساكر : فى إسناده مجهول ، وإنَّما يحفظ من قول عطاء .

وأخرج الأزرقى ، عن الحسن ، أنَّه سئل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴾ ، قال : هو أوَّل مسجد عبد الله فيه فى الأرض .

(انظر : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١٥ ، ١٦)

(١) تاريخ مكة . (أخرجه الأزرقى ، عن زهير بن محمَّد) ص ١٠ ، ٣٢ .

(٢) حكاه الدّميرى . (السُّيوطى : "الأوَّائل" ، ص ٤٩)

(٣) تاريخ مكة .

تعلوها السُّيول ، وكان يأتيها المظلوم ، ويدعو عندها المكروب .

وعن جعفر الصَّادق - رضى الله عنه - قال : لمَّا قالت الملائكة : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ ، غضب الرَّب عليهم ، فلاذوا بالعرش المجيد ، مستنجدين ، يطوفون حولـه ، يسترضـون ربَّ العـالمين ، فرضـى سبحانه عـنهم ، وقـال : ابنوا لى بيتًا فـى الأرض ، يعوذ به كلُّ من سخطت عليه ، كما فعلتم أنتم بعرشى[1] .

* **أوّل من أخرجت لـه زمزم :** "إسماعيل" - عليه السَّلام - حين سعت أمه بين الصَّفا والمروة ؛ تلتمس ماء لولدها ، فكانت أوّل من سعى بين المروتين ، فلمَّا أشرفت فى المرة السَّابعة من جبل "الصَّفا" رأت ماء يجرى عند قدم إسماعيل ، عليه السَّلام .

وفـى الخبر النَّبوى : زمـزم هـزمة جبريل ، وسقيا إسماعيل ، ماؤها طعام طعم ، وشفاء سقم . . الحديث[2] ؛ وكـم أبرأ الله بـه مـن سقم عجزت عنه الأطباء . . وفـى الخبر ، لو تركته أم إسماعيل حين سألت كان عينًا جارية .

وتواتر الخبر عن أهل مكة ، أنَّ فى قعره ثلاث عيون :

❖ عين من تحت الكعبة ، قيل هى من الجنَّة ، فى لون اللَّبن وطعمه .

❖ وعين من صوب الصَّفا فى طعم الماء العذب .

❖ وعين من نحو المروة ، فى طعم الماء المالح .

قال أهل التَّحقيق : ففي العيون الثَّلاثة أسرار وإشارات لدنية ، عرفانية[3] .

* **أوَّل من قام بالرِّفادة :** "عبد المطلب" ، وهى صنع الضّيافة للوفود من الحجاج ، وهى علـى مرتبة المشيخة المكية القرشية ، سنَّها أولاً : عبدالمطلب حين حفر بئر زمزم ،

---

(١) خريدة العجائب .

(٢) عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ماء زمزم لما شرب به ، إن شربته تستقى شفاك الله ، وإن شربته لشعبك ، أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ضمئك ، قطعه الله وهى هزمة جبرائيل ، وسقيا الله إسماعيل" . رواه الدراقطنى ، والحكم ، وزاد : "وإن شربته مستعيذا أعاذك الله" سيد سابق - فقه السنة ١/٥٠٤ .

(٣) الفتوحات .

وكانت مطمومة ، مستورة ، فاستخرج منها : غزالين من الذّهب ، عليهما الدّر ، والجوهر ، وسبعة أسياف ، وخمسة أدرع سوابغ . . فضرب من الأسياف باب الكعبة ، ومن أحد الغزالين : صفائح الذّهب ، وجعل الآخر للكعبة وقفًا(١) .

* **أوّل من كنز الكنز المخزون فى الغار تحت البيت الحرام : "إبراهيم" - عليه السّلام-** رواه البيهقى ، فى شعب الإيمان ، أو غيره ، وتاريخ مكة . . والكنز إلى الآن مكنون ومكتوم .

روى أنّ إبراهيم - عليه السّلام - لمّا بنى البيت ، لم يجعل له سقفًا ، وكان النّاس يلقون فيه الحلى من الذّهب ، وأنواع الجواهر الجليلة ، والألواح الجوهرية عليها أقلام وخواص ، تبركًا بحضرة المقام ، وتقربًا إلى ربّه ومحبة لبانيه ، فامتلأ البيت . فكلُّ من قصد أن يسرق شيئًا منه ، سقط على رأسه ، فهلك كثير من النّاس فى طلبه ، وبعث الله تعالى عند ذلك حيّة بيضاء ، سوداء الرّأس والذّنب ، فحرست البيت خمسمائة عام ، لا يقربه أحد إلا هلك . فأراد رسول الله ﷺ أن يخرجه ، وينفعه ، ثمّ بدا له فى ذلك مصلحة إلهية ، فتركه ، ثمّ أراد عمر - رضى الله عنه - فامتنع اقتداء بالرّسول ، ﷺ.

وذكر الشّيخ الأكبر فى الفتوحات المكية : أنّ الله تعالى أكرمني بلوح من ذلك الكنز ، جئ به إلىّ وأنا بتونس ؛ سنة ثمانية وتسعين وخمسمائة ، فيه شق غلظ إصبع ، عرضه شبر ، وطوله شبر ، مكتوب فيه بقلم لا أعرفه ، فسألت الله أن يرده إلى موضعه . ولو أخرجته للناس لثارت فتنة عمياء ، فتركته لتلك المصلحة ، واتباعًا لسنة الرّسول ﷺ وأدبًا معه ، فإنّه ما تركه سدًا ، وإنّما تركه ليخرجه الخليفة الذى يكون فى آخر الزّمان ، يملأ الدُّنيا عدلاً ، كما ملئت جورًا ، وهو المهدى ، خاتم الخلافة المحمدية ، فافهم .

* **أوّل شارب : ابن السّبيل** - يعنى من زمزم - وجرت السُّنة النّبوية لأهل مكة ، أن يقدموا القادمين ، ويؤثروا الوافدين فى شرب ماء زمزم عند قدومهم مكة . . ورد

---

(١) تاريخ مكة .

ذلك في الحديث: ابن السَّبيل أوَّل شارب من ماء زمزم.

*** أوَّل من سُقى من ماء زمزم:** "إسماعيل" - عليه السَّلام - طعام طعم، وشفاء سقم؛ وعن ابن العباس - رضى الله عنه - ما سميت زمزم لأنَّها زمت بالتُّراب لئلا يسيح الماء يمينًا وشمالاً، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كلَّ شئ، وهى هزمة جبريل، وسقيًّا لإسماعيل.

حكى بعض العلماء، فى تاريخ مكة: لَّما ترك إبراهيم الخليل إسماعيل مع أمه، معها شن؛ أى جلد فيه ماء، فلمَّا فرغ ماؤها سعت بين الصَّفا والمروة لطلب الماء، فجاء جبريل، وضرب برجله مكان البئر، فظهر الماء، فجمعت التُّراب عليه خشية فوات الماء، قبل أن تأتى بشنها فجلبت فسقت أولاً ابنها إسماعيل، ثمَّ سكن قوم من العرب حول زمزم، فعصوا، وتهاونوا بحرمة الكعبة، فأخذ الله تعالى زمزم منهم، فسميت مضنونة لأنَّه ضنَّ بها على غير المؤمنين.

*** أوَّل من حفر بئر زمزم:** "عبدالمطلب"، قيل له فى المنام: احفر المضنونة، ضننت بها على النَّاس، لا عليك.. فاستيقظ، ولم يدر موضعه، ثمَّ قيل له فى الثَّالث: احفر زمزم بين الفرث والدَّم، عند نقرة الغراب الأعصم. فقعد من الغد متفكرًا فى الحرم فى رؤياه، فجاءت بقرة انفلتت من جازر، فسقطت فى موضع، فماتت، فجاء غراب، فوقع بين الفرث والدَّم، عند قرية النَّمل، فحفر هناك حتى وصل الماء، فوجد كنزًا، كما مرَّ فى تاريخ مكة.

*** أوَّل من حمل ماء زمزم:** عند رجوعه من حج البيت تبركًا واستشفاءً؛ لَّما ورد فى الحديث الصَّحيح: "ماء زمزم لَّما شرب له"، وفى الخبر: شفاء سقم.. وعلى هذا جرت أكابر الصَّحابة، والصُّلحاء يشربونه ويحملونه، والدُّعاء عند شربه من مواضع الإجابة؛ روى عن أبى حنيفة، أنَّه شرب للعلم والفقاهه، فكان أفقه أهل زمانه، ففى هذا أخبار مجربه عن السَّلف[1].

---

(١) تاريخ مكة.

* أوَّل ما حدث بعد الطَّواف: رمى الجمار ؛ حين عرض الشَّيطان لإبراهيم حين أمر بذبح إسماعيل ، فرماه حين تمثل له ، وقلع إحدى عينيه ، كان يمنعه من الذَّبح ، فيما كان من أمر الرُّؤيا[١] .

* أوَّل من عمل الرُّخام على زمزم ، وفرش أرضها بالمرمر: "أبو جعفر المنصور" ، ثانى الخلفاء العباسية[٢] .

* أوَّل من ركب عند رمى الجمار ، ذاهبًا وراجعًا: "معاوية" ، وكان النَّاس يمشون[٣] .

* أوَّل من خلع الخف والنَّعل ؛ لدخول الكعبة إعظامًا لها: "الوليد بن المغيرة" ، فجرى ذلك سنة[٤] .

* أوَّل من كسا الكعبة: تبع ملك اليمن ، ثمَّ كسا الاقطاع ؛ أى: العرب فى الجاهلية . ثمَّ كساه رسول الله ﷺ بالثِّياب اليمانية ، ثمَّ كساه عمر وعثمان - رضى الله عنهما - القباطى ، ثمَّ كساه ابن الزُّبير ، ثمَّ عبدالملك كان يبعث كلّ سنة بالدِّيباج لكسوة الكعبة[٥] .

---

(١) تاريخ مكة:
يقول السُّيوطى: "أوَّل ما حدث رمى الجمر ، حين عرض الشَّيطان لإبراهيم ، فرماه بها" ، أخرجه ابن خزيمة والحاكم ، وصححه البيهقى ، عن ابن عباس مرفوعًا . (أوَّائل السُّيوطى ، ص ٤٨)

(٢) تاريخ مكة .

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٤٨ . يقول: أوَّل من رمى الجمر ذاهبًا وراجعًا معاوية بن أبى سفيان ، وكان النَّاس يمشون . (أخرجه البيهقى ، فى سننه ، عن القاسم) .

(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٤٩ . (أخرجه الأزرقى ، من طريق الواقدى ، عن أشياخه) .

(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٤٩ . أوَّل من كسا الكعبة: "أسعد الحميرى" ، وهو "تبع" . أخرجه الأزرقى "أخبار مكة" ، ص ١١٨ - وابن عدى ، عن أبى هريرة مرفوعًا . وأخرج الأزرقى "أخبار مكة" ، ص ١٧٣ ، عن ابن جريج ، قال: "أوَّل من كسا الكعبة كسوة كاملة (تبع) كساها القصب ، وجعل لها بابًا يغلق" . وأخرج عن ابن إسحاق ، مثله ، وزاد أنَّ أسعد الحميرى ، قال:

وكسونا البيت الذى حرَّم الله ::: ملاءً معصبًا وبرودًا
وأقمنا به من الشَّهر عشرًا ::: وجعلنا لبابة إقليدًا
وخرجنا منه نؤو سهيلاً ::: قد رفعنا لواءنا معقودًا =

* أوَّل من كسا البيت بالدّيباج: والدة العباس بن عبدالمطلب ، حين أضلت العباس صغيرًا ، فنذرت إن وجدته لتكسون الكعبة ، فوجدته ففعلت(١) .

* أوَّل من أجرى الزَّيت لقناديل المسجد من بيت المال ، وطيب الكعبة بالخلوق والمجمر: "معاوية"(٢) .

= وأخرج الأزرقى ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن ابى حبيبة ، عن أبيه ، قال: "كسا البيت فى الجاهلية (الأنطاع) ، ثمَّ كساه النَّبى ﷺ الثِّياب اليمانية ، ثمَّ كساه عمر وعثمان القباطى ، ثمَّ كساه الحجاج الدّيباج" .
قال الأزرقى: ويقال أوَّل من كساه الدّيباج (يزيد بن معاوية) ، ويقال (ابن الزّبير) ، ويقال (عبدالملك بن مروان) .
وعن أبى هلال العسكرى ، فى الأوَّائل: "أخبرنا أبو أحمد ، قال: أخبرنا عبدالله ابن العباس ، قال: حدثنا الفضل بن عبدالعزيز ، قال: حدثنا إبراهيم الجوهرى ، قال: قال الواقدى: حدثنا حزام بن هشام ، عن أبيه ، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسب (أسعد الحميرى) وهو (تبع) ، وقال:
"إنَّ أوَّل من كسا البيت ، وزاد غيره ، فقال: هو أبو كرب ، وهو أوَّل من جعل للبيت مفتاحًا ، وقال:

وكسونا البيت الذى حرَّم الله ::: ملاءً معصبًا وبرودًا
ونطاعًا من الحضاف فرشنا ::: وجعلنا لبابة إقليدًا

(الملاء: ربطة ذات لفقين - البرود: جمع برد ، وهو ثوب مخطط ، أو كساء من الصُّوف الأسود يلتحف به - النّطع: بساط من الجلد ، ولكنَّه هنا مصنوع من الخوص - إقليدًا: مفتاحًا) .
وقال: هاتان منقبتان لليمن ليس فى العرب لها أخذ ولا سنة .
يقول الطَّبرانى: "حدثنا بإسناده عن الواقدى ، قال: حدثنى إسماعيل بن إبراهيم ابن أبى ربيعة ، عن أبيه قال: كسا البيت فى الجاهلية (الأنطاع) ، ثمَّ كساه النَّبى ﷺ الثِّياب اليمانية ، ثمَّ كساه عمر وعثمان" . القباطى وهى: ثياب من الكتان ، نسبة إلى القبط ، يجئ من مصر ، ثمَّ كساه الحجاج ديباجًا ، وهو الحرير الخالص . . والصَّحيح أنَّ أوَّل من كساه الدِّيباج (ابن الزُّبير) ، وأوَّل من أحرمه (يزيد بن معاوية) ، وهم الذين كانوا يسترون البيت . انظر: أبا هلال العسكرى: "الأوَّائل" ، ص٥٤ ، ٥٥ .

(١) فى المؤتلف للدارقطنى: أنَّ نفيلة بنت حيان ، والدة العباس بن عبدالمطلب ، أضلت العباس صغيرًا ، فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الدِّيباج ، وفعلت ذلك (أوائل السيوطى: ٤٩) .
وأخرج الأزرقى ، عن هشام بن عروة ، أنَّ عبدالله بن الزُّبير كسا الكعبة الدِّيباج .
وأخرج عن أبى جعفر محمَّد بن على ، قال: كان النَّاس يهدون إلى الكعبة كسوة ، فلمَّا كان يزيد بن معاوية كساها الدِّيباج الخسروانى ، فلمَّا كان الزُّبير اتبع أثره .
وأخرج من طريق الواقدى ، عن أشياخه ، قال: كان عبدالملك بن مروان ، يبعث كلَّ سنة بالدِّيباج لكسوة الكعبة . .وأخرج الأزرقى ، عن ابن أبى مليكه ، قال: أوَّل من ظاهر للكعبة بكسوتين: (يعلى ابن منبه) عامل (عثمان) على اليمن بأمره ، أوائل السيوطى ٥٠ .

(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٠ .
أخرج الأزرقى عن ابن جريج ، قال: كان معاوية أوَّل من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر ، وأجرى الزَّيت لقناديل المسجد من بيت المال . (أخبار مكة ، ص ١٧٦)

* أوَّل من اتَّخذ القناديل للمساجد : "معاوية"(١) .

* أوَّل من جرَّد الكعبة ، وكشفها ، وطرح عنها كسوة الجاهلية ، وكانت قبل ذلك لا تجرَّد ، بل يخفف عنها بعض كسوتها : "معاوية"(٢) .

* أوَّل من كسا الكعبة بكسوتين : "يعلى بن منبه" ، عامل عثمان على اليمن ، فعل ذلك بأمره(٣) .

* أوَّل من أسرج وأنفط ليالى الحج بين المأزمين فى طريق عرفة : "المعتصم بالله" ، فى سنة تسع عشرة ومائتين ، فجرى ذلك إلى اليوم ، وكانوا يضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السرّاق(٤) .

---

(١) المرجع السّابق ، نفس الصّفحة .

(٢) عن عطاء بن ياسر ، قال : كانت الكعبة لا تجرد ، وإنَّما تخفف عنها بعض كسوتها ، ويترك عليها حتى كان شيبة بن عثمان ، فكتب إلى معاوية بن أبى سفيان ، وهو بالشّام : لو طرحت عنها ما عليها من كسا الجاهلية ، فخفف عنها حتى لا تكون عليها مماسّه المشركون بشئ . . فكتب إليه : أن جردها ، وهو أوَّل من جردها وكشفها .

وأخرج ابن أبى شيبة فى "المصنف" من طريق محمَّد بن إسحاق ، عن عجوز من أهل مكة ، قالت : أصيب عثمان بن عفّان ، وأنا ابنة أربع عشرة سنة ، قالت : ولقد رأيت البيت وما عليه كسوة إلا ما يكسوه النّاس الكساء الأحمر ، يطرح عليه ، والثّوب الأبيض والكساء الصُّوف ، وما كسى من شئ علق عليه ، ولقد رأيته وما عليه ذهب ولا فضة .

قال محمَّد : إنَّ البيت لم يكس على عهد أبى بكر ، ولا عمر ، وإنَّ عمر بن عبدالعزيز كسا البيت الوصائل والقباطى ، والوصائل ثياب يمانية .

وأخرج بن شيبة ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر يجلل بُدنه قبل أن تكسى الكعبة الحلل والأنماط والقباطى ، ثمَّ ينزعها ، فيرسل بها إلى خزنة الكعبة ، فلمَّا كسيت الكعبة ترك ذلك (أوائل السيوطى ٥٠ ، ٥١) .

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٠ .

أخرجه الأزرقى ، عن ابن أبى مليكة . (أخبار مكة ، ص ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥١ - وانظر : "أخبار مكة" ، ص ٢٠٠ .

الرَّاوى : الأزرقى ، عن جده - النَّفاطات : ضرب من السَّرج يستصبح به .

المازمان : مضيق بين عرفة والمزدلفة . (انظر : معجم ما استعجم) .

إضافة من أوَّائل السُّيوطى : جاء فى صدر هذا الكلام : "أوَّل من استصبح بين الصَّفا والمروة ، خالد بن عبدالله القسرى ، فى خلافة سليمان بن عبدالملك ، فى الحج ، فى رجب" . (انظر : الأوَّائل ، ص ٥٠)

أخرج الأزرقى عن عطاء بن أبى رباح ، قال : قال عمر بن عبدالعزيز : أوَّل من أمر النَّاس ليلة هلال المحرم ، يوقدون النَّار فى فجاج مكة ، ويضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السَّرق . (انظر : أوَّائل السُّيوطى ، ص٥١ =

* أوّل من استلم الرُّكن الأسود عن الثمة ، قبل الصَّلاة وبعدها : "ابن الزُّبير" زمان خلافته ، فاستحسنت ذلك الولاة بعده ، فاتبعوه(١) .

* أوّل من فرّق بين الرِّجال والنِّساء فى الطّواف ، وكانوا يطوفون مختلطين : "خالد بن عبدالله القسرى" ، حين ولى مكة ، فى زمن "عبدالملك" ، وأجلس عند كلّ ركن حرسًا معهم السّياط ، يفرقون بين الرِّجال والنِّساء ، فاستمر ذلك إلى اليوم .

وسبب ذلك أنّه بلغ خالدًا قو ل الشّاعر :

يا حبذا الموسم من موفد ::: وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتى يزاحمننا ::: عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد : أمَّا إنَّهن لن يزاحمنك بعد هذا ، فأمر بالتَّفريق بين الرَّجال والنِّساء فى الطّواف(٢) .

* أوّل من أدار الصُّفوف حول الكعبة : "خالد بن عبدالله القسرى"(٣) .

=أخبار مكة ، ص ٢٠٠ ، وما بعدها)
وأخرج الأزرقى ، عن مسلم بن خالد الزّنجى ، قال : بلغنا أنّ أوّل من استصبح لأهل الطّواف فى المسجد الحرام : "عقبة بن الأزرق بن عمر الغسانى" ، وأوّل من أجرى للمسجد زيتًا ، وقناديل : "معاوية بن أبى سفيان" .

(١) أخرجه الأزرقى ، عن ابن أبى مليكة . (أخبار مكة ، ٢٤٥ - وأوائل السُّيوطى ، ٥٢)

(٢) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٢ - الأزرقى : "أخبار مكة" ، ص ٢٦٥)
أخرجه الأزرقى ، عن سفيان بن عيينة .

(٣) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٣ - وانظر : الأزرقى ، ص ٣٠٤ .
أخرجه الأزرقى ، عن سفيان بن عيينة .
وأخرج عن حسن بن القاسم بن عقبة بن الأزرق ، قال : كان النَّاس يقومون قيام شهر رمضان فى أعلى المسجد الحرام ، تركز حربة خلف المقام ، فيصلى الإمام خلف الحربة ، والنَّاس وراءه ، فمن أراد صلى مع الإمام ، من أراد طاف ، وركع خلف المقام .
فلمَّا ولى "خالد بن عبدالله القسرى" مكة لـ "عبدالملك بن مروان" ، وحضر شهر رمضان ، أمر خالد القراء أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام ، وأدار الصُّفوف حول الكعبة ؛ وذلك أنّ النَّاس ضاق بهم أعلى المسجد فأدارهم حول الكعبة ، فقيل له : تقطع الطّواف لغير المكتوبة ؟ قال : فأنا آمرهم يطوفون بين كلّ ترويحتين سبعا .
فقيل له : فإنَّه يكون فى مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائف من مصل وغيره ، فيتهيأ للصلاة . فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة يقولون : الحمد لله ، والله أكبر ، فإذا بلغوا الرُّكن الأسود فى الطّواف السَّابع ، سكتوا بين التّكبيرتين سكتة حتى يتهيأ النَّاس ؛ من فى الحجر ومن فى جوانب المسجد من=

* أوَّل من نقل أساطين الرُّخام ، وسقفه بالسَّاج المزخرف ، وزخرف فى بنائه ، وعمل للمسجد شراريف : "الوليد بن عبدالملك" ، فى خلافته ، وكان العلماء الأعلام فى زمانه لا ينكرون ذلك(١) .

* أوَّل من عمل مظلة للمؤذنين التى على سطح المسجد يؤذنون فى يوم الجمعة ، والإمام على المنبر: "هارون الرَّشيد" ، فى خلافته . وكانوا يجلسون فى الشَّمس ، صيفًا وشتاءً ، والأمير يومئذ على مكة : "عبدالله بن محمَّد بن عمر"(٢) .

* أوَّل من حفر بئرًا بمكَّة : "قصى بن كلاب" ، وقيل حفرت امرأة بئرًا ، يقال لها : "اليسرة" خارج الحرم(٣) .

* أوَّل من خطب بمكة على المنبر: "معاوية" ، حين قدم من الشَّام ، وبنى منبرًا على ثلاث درجات ، وكان الخلفاء وولاتهم يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قيامًا فى

=صل أو غيره ، فيعرفون ذلك بانقطاع التَّكبير ، ويخفف المصلى صلاته ، ثمَّ يعودون إلى التَّكبير حتى يفرغوا من السَّبع ، ويقوم مسمع ، فينادى : "الصَّلاة ، رحمكم الله" .

قال : وكان عطاء بن أبى رباح ، وعمرو بن دينار ، ونظراؤهم من العلماء ، يرون ذلك ولا ينكرونه .

(الأزرقى ، ص ٣٠٤)

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٤ .

وروايته : قال الأزرقى : قال لى جدى : إنَّ الوليد بن عبدالملك ، كان إذا عمل المساجد زخرفها .

وهو أوَّل من نقل إلى المسجد الحرام أساطين الرُّخام ، وسقفه بالسَّاج المزخرف ، وجعل على رؤوس الأساطين الذَّهب على صفائح السَّبة من الصّفر ، وأزر المسجد بالرُّخام من داخله ، وجعل فى وجوه الطِّيقان فى أعلاها الفسيفساء .وهو أوَّل من عمله فى المسجد ، وجعل للمسجد شرافًا .

(انظر : أخبار مكة ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠)

(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٤ .

وصحة الرِّواية : قال الأزرقى : وأوَّل من عمل مظلّة المؤذنين التى على سطح المسجد يؤذن فيها المؤذنون يوم الجمعة والإمام على المنبر: "عبدالله بن محمَّد بن عمران الطَّلحى ، وهو أمير مكة ، فى خلافة هارون الرَّشيد ، وكان المؤذنون يجلسون هنالك يوم الجمعة فى الشَّمس ، فى الصَّيف والشِّتاء .

(أخبار مكة ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠)

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٥ ، وصحة الرِّواية :

❖ [أ]أخرج الأزرقى ، عن محمَّد بن جبير بن مطعم ، قال : كان أوَّل من حفر بئرًا بها لقريش (مُرّة) حفر بئرًا يقال له (اليسرة) خارجة من الحرم ، فكانوا يشربون منها دهرًا . (أخبار مكة ، ص ٤٣٩)

❖ [ب]قال الأزرقى : وقال بعض أهل العلم : وكان قصى بن كلاب حفر بئرًا ، لم يحفر أوَّل منها ، وكان يقال لها (العجول) ، كان موضعها فى دار أم هانى بنت أبى طالب بالحزْورة . (أخبار مكة ، ص ٦٩)

وجه الكعبة ، وفى الحجر الشّريف الذى من البيت(١) .

* **أوّل من بنى جدار الكعبة :** "عامر بن عمرو الأزدى"(٢) .

* **أوّل من نزل مكة :** "مضر بن خزيمة بن مدركة" ، وقال ابن عباس : "أوّل من نزل : قصى بن كلاب"(٣) .

* **أوّل من زار البيت الحرام من البحر :** "نوح" - عليه السّلام - لمّا صنع الفلك ، طاف بها بمن معه ملبيًّا سياحًا(٤) .

* **أوّل من ولد بمكة من العرب النّازلين :** "كعب بن لؤى" ، فأصاب ملكًا أطاع له به قومه ، فكان شريف أهل مكة لا ينازع فيها ، فابتنى دار النّدوة ، وجعل بابها إلى البيت . ففيها كان قريش يجتمعون لما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة ، فيما ينوبهم ؛ تشريفًا له وتيمنًا برأيه ويتبعون أمره كالدِّين المتبع ، لا يعمل بغيره وكانت له الحجابة والسِّقاية واللّواء والنّدوة ، وحكم مكة كلّه(٥) .

* **أوّل من بنى بمكة بابًا :** "عبدالرَّحمن بن سهيل" ، أتى عمر - رضى الله عنه - فقال : إنَّ الرَّجل يترك علينا معه خادم ، فيترك رحله وناقته ، ثمَّ يخرج ، وأنت تضمننا ، وإنَّا نخاف اللُّصوص ، فأذن له ، فتكلفت قريش ،

(١) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٤ - وانظر : الأزرقى : "أخبار مكة" ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٢) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٥ .
وصحة الاسم : عامر ، وهو الجادر بن عمرو بن جعثمه بن مبشر الأزدى .
وجاء فى الأوائل للطبرانى : عن ابن سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ، ﷺ "قصى أوّل من جَدَّر الكعبة بعد كلاب بن مُرّة" .
وجدَّر الكعبة : أى بنى لها جدارًا ، وقصى بن كلاب بن مرّة سيد قريش فى عصره ، كان موصوفًا بالدَّهاء ، ولى الكعبة ، فهدمها ، وجدَّر بنيانها ، فحاربته القبائل ، وجمع قومه من الشّعاب ، وأسكنهم مكة ؛ ليقوى بهم ، وهو الجد الخامس للنبى .
(أوائل الطّبرانى ، ص١١٠)
(٣) تاريخ مكة .
(٤) أوائل السُّيوطى ، هكذا ذكر المؤلف ، ولم أجد ذلك فيه .
(٥) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٦ - وانظر : ابن سعد : "الطّبقات" ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٩ .

فجعلوا الأبواب تفتح وتغلق[١] .

* **أوّل من بنى بالأبطح سقاية للحاج :** "قصى" ، قبل أن يحفر عبدالمطلب بئر زمزم[٢] .

* **أوّل من اتَّخذ المحامل :** "الحجاج" ، وكانوا يحجون على الرَّواحل ، قال الشَّاعر[٣] :

أوّل عبد عمل المحاملا ::: جزاه الله عاجلاً وآجلاً

* **أوّل من اتَّخذ الرّحال :** "علان بن زيات"[٤] .

* **أوّل من حيطت ، وسترت له الرَّواحل فى طريق الحج :** "عثمان بن عفان" ، رضى الله عنه[٥] .

* **أوّل من كسا مسجد المنبر النَّبوى :** قبطية عثمان ، رضى الله عنه[٦] .

* **أوّل ما اختلف أصحاب رسول الله ، ﷺ :** حين أهل "عثمان" بحجة ، و"على" بعمرة ، رضى الله عنهما[٧] .

* **أوّل من حلق ، وأخذ من شعره :** رسول الله ﷺ لَمّا حج ، فأخذ من شعره

---

(١) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٦
جاء فى الأوائل : "أوّل من بوّب لها بابًا (حاطب بن بلتعة) الصَّحابى - رضى الله عنه - قلت - السُّيوطى - أخرج ابن أبى شيبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، قال : أوّل من بنى بمكة بابًا (عبدالرَّحمن بن سهل)" ، فى المسامرات (سهيل) .
(٢) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٦ .
(٣) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
وتكملته من الأوائل : "أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل ، فى : زوائد الزُّهد ، عن سفيان ، وقال المبرد ، فى الكامل : أوّل من اتَّخذ المحامل الحجاج ، ففى ذلك يقول الرَّاجز . . ثمَّ ذكر البيت .
(٤) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٧ . وصحة الاسم : (علان ، وهو : جرم بن ذبيان) .
(٥) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٧ ، وجاء بلفظ "أوّل من ربطت له الرَّواحل . ."
أخرجه الزُّبير بن بكار ، فى الموفقيات ، عن مالك بن أنس .
(٦) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٨ . ذكره ابن النَّجار ، فى تاريخ المدينة عن الواقدى ، عن أبى زياد .
(٧) أوائل السُّيوطى ، ص ٥٨ . ومتنه به ، هو : "أوّل ما رأيت اختلاف أصحاب محمَّد ﷺ حين أَهَّلَ "عثمان بحجة ، وأهَّل "على" بحجة وعمرة .

المبارك ، ثمَّ قام النَّاس ، فأخذوا(١) .

* **أوَّل من قصَّر من شعره:** رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، لما ورد فى صحاح المصابيح ، قال ابن عباس ، رضى الله عنهما . . قال لى معاوية ، إنِّى قصَّرت من رأس النَّبى ﷺ عند المروة بمقص . فكان معاوية أوَّل من قصَّر من شعره الشَّريف ، ومعمر بن عبدالله القرشى ، أوَّل ما حلق رأسه الشَّريف ، صلوات الله وسلامه عليه ، ما زار زائر البيت الحرام ، بمرور الأيام . (كذا فى شرح المصابيح) وأخذ حلاقة شعره الشَّريف ، وقسَّمه أبو طلحة الأنصارى ، بأمر رسول الله ﷺ دعانى حجه بالحلاق ، وناول الحلاق شق رأسه الأيمن ، فحلقه ، ثمَّ دعا أبا طلحة ، فأعطاه - إياه أى : شعره المبارك - فقال : أقسمه بين النَّاس ، وإنَّما قسَّمه شعره الشَّريف فى أصحابه ؛ ليكون بركة باقية بين أظهرهم ، وتذكرة لهم ، ومعجزة باقية حيث يوجد شعره ، ويدعى أنَّه من شعره لأنَّه لم تحرقه النَّار إذا ألقى فيها ، وإنَّما خصَّ أبا طلحة بالقسمة لأنَّه حفر قبره المنوَّر ، ولحده ، وبنى فيه باللَّبن(٢) .

* **أوَّل من حلق:** جبريل ، حلق رأس آدم ، لما خرج من الجنَّة ، وساح فى الأرض ، ونبت شعره ، واشتكى منه ، فجاء جبريل بياقوتة من الجنَّة ، فحلق رأسه(٣) .

* **أوَّل ما يرفع من آثار الجنَّة من وجه الأرض:** الرّكن ؛ لأنَّه خرج من الجنَّة(٤) .

* **أوَّل من جدد بناء الكعبة بعد إبراهيم:** "قصى بن كلاب" ، وسقفها بخشب الرُّوم ، وجريد النَّخل ، ثمَّ بنتها قريش بعده ، ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة ، وكان باب الكعبة لاصقًا بالأرض ، فى عهد إبراهيم - عليه السَّلام - وفى عهد

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٨ .واخرج ابن سعد ، عن محمَّد بن سيرين ، قال : "لَّما حج النَّبى ﷺ حلق ، فكان أوَّل من قام ، فأخذ من شعره أبو طلحة ، ثمَّ قام النَّاس ، فأخذوا" .

(٢) شرح المصابيح .

(٣) كذا ورد بمعناه ، فى الخبر النَّبوى ، ذكره السُّيوطى .

(٤) تاريخ مكة .

"جرهم" ، ومن بعدهم إلى أن بنت قريش ، فرفعت بابه ، وجعلت له سقفًا ، ولم يكن لها سقف ، وتنافسوا فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الرُّكن ، واتفقوا بأن يضعه أوَّل من يشرف من باب السَّلام ، فطلع رسول الله ﷺ فقالوا : هذا محمَّد الأمين ، فوضعه موضعه ، عليه السَّلام[1] .

* أوَّل من اتَّخذ الجدار للمسجد : "عمر" - رضى الله عنه - دون القامة ، وكانت المصابيح توضع عليه ، فلمَّا استخلف "عثمان" ابتاع منازل حوله ، ووسعه ، وبنى المسجد الحرام والأروقة ، فهو أوَّل من اتَّخذها ، ثمَّ أنَّ "الرَّبيع بن الزّبير" وسع المسجد ، واشترى دورًا . ثمَّ عمره "عبدالملك" ولم يزد فيه ، لكن رفع جداره ، وسقفه بالسَّاج ، وعمَّره عمارة حسنة ، ثمَّ أنَّ الوليد بن عبدالملك وسَّع المسجد ، وحمل إليه أعمدة الحجارة والرُّخام ، ثمَّ أنَّ "المنصور العباسى" زاد فى المسجد ، وبناه ، وجعل فيه عمد الرُّخام ، وزاد فيه المهدى بعده مرتين ؛ مرة بعد سنة ستين ومائة هجرية ، وأخرى سنة سبع وستين ومائة هجرية ، وفيها توفى المهدى ، واستقر بناؤه إلى يومنا هذا .

قال النَّووى ، فى كتبه : ثمَّ جدَّد بعض مواضعه ملوك مصر ؛ من الفاطمية ، والصَّالحية ، والتركيه ، عصرًا بعد عصر ، حتى انتهى إلى وقتنا هذا ، فجدده فاتح جزيرة قبرص "السُّلطان سليم خان" العثمانى ، فى سنة تسعمائة وثمانين هجرية .

ومات قبل إكماله ، فأتمه بعده ولده ؛ فاتح بلاد العراق ، وقامع عروق الرّفض والنِّفاق ، إمام الملة الحنفية ، السُّنية ، أعلى الله أعلام فتوحاته شرقًا وغربًا ، أعنى السُّلطان "مراد خان" ، عليهما الرَّحمة .

* أوَّل من بنى القباب حوالى حرم المسجد الحرام : سلطان الحرمين الشَّريفين ، وخاقان الحرمين ، السُّلطان "مراد خان العثمانى" أيده الله بعين عنايته ، أتمَّ الحرم الشَّريف بأحسن الإتمام ، بناه مقببا ، وكان قبل مسقفًا بشراريف ، وفتح بابًا عند باب السَّلام ، زاد فى أعمدته .

---

(١) تاريخ مكة .

وهو أوَّل من فتح جبل الفتح ، واستولى عليه بنصب الوزراء فى مكة ، وهو أوَّل من جمع الله له بين العراقين ، وأيّده بالقوة القدسية فى قتال الطَّائفة الرَّافضة .

واستمر على جهادهم ، وإزالة فسادهم ، وإفسادهم من البلاد العراقية والخراسانية ، لا زال إلى يومنا هذا سنة سبع وتسعين وتسعمائة من ابتداء دولته المؤيدة بفضل الله وعونه هو وذريته مؤيدًا منصورًا .

* * * * * * *

الفصل الثّانى عشر
فى الأوَّائل المتعلقة بالجهاد وأحواله من الأبطال، والسِّلاح، وما يتعلق به

* أوَّل من قاتل أولاد آدم من أولاد آدم: "شيث" - عليه السَّلام - أوَّل الأنبياء والأوصياء ، أمره الله تعالى أن يقاتل أولاد قابيل ، فقتل منهم خلقًا كثيرًا ، وأسر خلقًا كثيرًا .

كانوا يأسرون ولا يغنمون ، لم تحل الغنائم لأحد سوى خاتم الأنبياء ، وهى من خصائصه - كما سيجئ إن شاء الله - وقال أكثر المؤرخين: أوَّل أصل النّسل من شيث دون سائر ولد آدم ، وغير ذلك[1] .

* أوَّل من استحق القتل ، وعدل عن الحق ، وأحدث الملاهى ، وابتدع البدع: "قابيل" قاتل "هابيل" أخيه[2] .

* أوَّل من اتَّخذ السَّلاح والسَّيف ، وجاهد واسترق: "إدريس" - عليه السَّلام - قاتل أولاد "قابيل" ، ومنه أخذ الملوك صنائع الجيوش والحروب ، وتعمير البلاد وسياستها لأهلها ؛ فأوَّل من اتَّخذ منه السَّيف والحكمة ، وقلد أمور السّلطنة "هوشنك" شاه ثانى ملوك بنى آدم[3] .

* أوَّل من قاتل وأغار على الأعداء ، واستنقذ الأسارى ، وعقد الألوية ، ورفع الأعلام: "إبراهيم" ، صلوات الله عليه[4] .

* أوَّل من رتب العساكر ميمنة وميسرة ، وقلبًا وخلفًا ، وقدام وخفية ، وسمى الجند خميسًا: "إبراهيم" - عليه السَّلام - حيث أُسِرَ ابن أخيه "لوط" فى يد الرُّوم ، فغزاهم حتى استنقذه ، فهو أوَّل من استنقذ أسيرًا من أيدى العدو .

---

(١) كذا فى أصول التّواريخ .
(٢) تاريخ الجوهر الثّمين .
(٣) ذكره السُّيوطى ، فى تاريخه ، أوائل السيوطى ص٧٢ ، لطائف المعارف للثعالبى ص ٦ .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٢ .

والاستنقاذ ؛ إمَّا بالسَّيف ، وإمَّا بالفداء من أجل الفضائل المحمَّدية ، لمَّا ورد في الخبر النَّبوي: "من فدى أسيرًا من أيدي العدو فأنا ذلك الأسير" ، وقال: "لأن أفدي أسيرًا من أيدي العدو من المشركين ، أحبُّ إليّ من جزيرة العرب"(١) .

* **أوَّل من عمل القسي:** "إبراهيم" - عليه السَّلام - قاله ابن عباس ، - رضي الله عنهما(٢) .

* **أوَّل من عمل الدُّروع:** "داود" ، وكانت قبل ذلك صفائح(٣) ؛ وذلك أنَّه سمع رجلين يتذاكران من أحواله ، يقول أحدهما لصاحبه داود عيب إن لم يكن فيه ذلك ، لكان أفضل أهل زمانه ، وهو أنَّه لا يأكل من كسب يده ، فسأل الله تعالى أن يعلمه حرفه ، فأجابه كما أخبره سبحانه في كتابه: (وعلمناه صنعة لبوس)(٤) (الأنبياء: ٨٠) .

* **أوَّل من ركب الخيل:** "إسماعيل" ، وكانت قبل ذلك وحشًا كسائر الوحوش ، فلمَّا أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت ؛ قال تعالى: إنِّي معطيكما كنزًا . . ثمَّ أوحى الله تعالى إلى إسماعيل أن اخرج فادع بذلك الكنز ، فخرج إسماعيل إلى أجياد مكة ، فألهمه الله تعالى الدُّعاء ، فلم يبق على وجه الأرض قدس بأرض العرب إلا أجابته ، فأمكنته من نواصيها ، وذللها له(٥) .

* **أوَّل ما خلق الله الفرس:** خلقه من الرِّيح الجنوب ، لمَّا ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "لمَّا أراد الله تعالى أن يخلق الخيل ، أوحى إلى ريح الجنوب ، إنِّي خالق منك خلقًا ، فاجتمعي . فأتى جبريل فأخذ منها قبضة ، فخلق فرسًا كميتا ، فهو أوَّل جنس خلق من أجناس الخيل . . يقال: فرس كميت بين الحمرة والسَّواد ، وإذا

---

(١) أخرجه السُّيوطي ؛ وجاء في: أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٢: أخرجه ابن عساكر ، من طريق جعفر بن محمَّد ، عن أبيه جابر . . وأخرجه أيضًا ، عن حسان بن عطية .

(٢) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٢ . أخرجه ابن أبي الدُّنيا ، في كتاب "الرّمي" ، عن ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ، عن قتادة ، الأوَّائل ، ص ٧٢ .

(٤) كذا في التَّفاسير الشَّريفة .

(٥) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٢ ، ٧٣ . أخرجه أبو بكر النَّجار ، في "جزئه" المشهور عن ابن عباس .

غلبت الحمرة يسمى أشقرًا ، وفيه يمن بين الخيل(١) .

* أوَّل ما اختار "آدم" - عليه السَّلام - من الحيوان: الفرس ، ورد فى الخبر المشهور: "لَمَّا خلق الله تعالى آدم ، قال له: يا آدم ، اختر ؛ أى الدَّابتين أحببت ، يعنى: الفرس ، أو البراق ، على صورة البغل ، لا ذكر ولا أنثى ، فقال جبريل: اختر أحسنها وجهًا ، وهو الفرس ، فقال تعالى: اخترت عزك وعز أولادك ما داموا(٢) .

* أوَّل ما خلق بعد آدم" ، عليه السَّلام: يوم الجمعة ، وخلق الخيل قبله بيومين ، فآدم آخر الخلق ، والخيل آخر الدَّواب ، وبآدم تمَّ كمال الوجود ، وما سواه هو له ؛ من حيوان وجماد ؛ ولذا كان الخيل أحبُّ الأشياء إلى الأنبياء ، لقرب عهده بعهده .

ويسمى الخيل بحب الخير ؛ لأنَّ الخير معقود بنواصي الخيل ، وخلق الله الحياة فى صورة الفرس ، والموت فى صورة الكبش ، فيذبح الموت ، ويدخل فرس الحياة الجنَّة ، وكان جبريل يركب فرس الحياة(٣) .

* أوَّل فرس غزا عليه رسول الله ، ﷺ: فرس أدهم ؛ اشتراه من أعرابى بعشرة أواق من فضة ، سماه "سكبا" ، وسبق عليه فسبق ، ففرح به ﷺ(٤) .

* أوَّل بغلة شهباء رؤيت بالمدينة: البغلة التى أهداها "فروة بن عمرو الخذامى" للنبى ﷺ وكانت "دلدل" بغلة النَّبى ﷺ أوَّل بغلة أهداها له "المقوقس" ملك مصر ، وكانت قد بقيت إلى زمن معاوية(٥) .

* أوَّل من أنتج البغال: "قارون" ، وقيل: "إفريدون" ، وهو الأصح(٦) .

* أوَّل جيش: يغزون مدينة قيصر ، مغفور لهم ؛ ورد فى الحديث الصَّحيح فى

---

(١) حياة الحيوان ، للدميرى .
(٢) حياة الحيوان ، للدميرى .
(٣) حياة الحيوان ، للدميرى .
(٤) حياة الحيوان ، للدميرى .
(٥) الأوَّائل ، ص ٧٣ . أخرجه ابن سعد ، عن محمَّد بن إبراهين التَّيمى ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٧٥ .
(٦) حياة الحيوان ، للدميرى - وانظر: أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٣ .

المشارق: "وأوَّل جيش يغزون القسطنطينية مغفور لهم" (حديث صحيح).

* **أوَّل من رمى بسهم فى سبيل الله:** "سعد بن أبى وقاص"، رضى الله عنه[(١)].

* **أوَّل ما أراق دمًا بالسَّيف فى سبيل الله، وسلَّ السَّيف:** "الزُّبير بن العوام"، فقال رسول الله، ﷺ: "بارك الله عليك وعلى سيفك"[(٢)].

---

(١) جاء فى الأوَّائل، للعسكرى ذلك، يقول: أخبرنا أبو أحمد، عن الجوهرى، عن أبى زيد، عن عمر بن عون، عن خالد بن أبى عبدالله، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، قال: "سمعت سعدًا، يقول: إنِّى لأوَّل رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشَّجر، حتى إنَّ أحدنا ليضع كما يضع البعير ما له خلط. ثمَّ أصبحت بنو أسد تغمرنى على الدِّين، لقد خبت إذا، وضل عملى، وكانوا وشوا به إلى عمر، وقالوا لا يحسن أن يصلى.

وأمَّا أوَّل من رمى من عسكر المسلمين يوم أحد: "قزمان"، وكان من المنافقين، وعظم بلاؤه يومئذ، وجرح، فقيل له: لتهنك الشَّهادة، فقال: والله ما قاتلت للشهادة، ولكن للحفاظ.. فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله ليؤيد دينه بالرَّجل الفاجر.

ومما يجرى مع هذا، ما أخبرنا به أبو القاسم، عن العقدى، عن أبى عرفة، عن عيسى ابن يونس، عن عبدالرَّحمن بن زيد، عن جابر، عن أبى سلام الدِّمشقى، عن خالد بن يزيد الجهنى، قال: أخبرك بما قال لى رسول الله، ﷺ؟.. فأتيته، فقال: قال رسول الله ﷺ يدخل بالسَّهم الواحد ثلاثة نفر الجنَّة؛ صانعه محتسب فى صنعته الخير، والرَّامى به، ومناوله، فارموا واركبوا، وإن نزلوا أحبَّ إلىّ من أن تركبوا.

وليس اللهو إلا فى ثلاث: تأديب الرَّجل فرسه، وملاعبته امرأته، ورميه بنبله.. ومن ترك الشَّئ بعدما علمه رغبة منه، فإنَّها نعمة كفرها. (أبو هلال العسكرى: "الأوَّائل"، ص ٢١٤).

وجاء فى "الأوَّائل" للطبرانى:

"حدَّثنا عبيد بن غنام، حدَّثنا محمَّد بن أبى عبيدة ابن معن، عن أبيه، عن الأعمش، عن أبى خالد الوالبى، عن جابر بن سمره؛ قال: أوَّل من رمى بسهم فى سبيل الله (سعد بن أبى وقاص).

وسعد هو أبو إسحاق القرشى الزّهرى سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف، فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد السّتة الذين عينهم عمر للخلافة، وأحد العشرة المبشرين بالجنَّة، مات فى قصره بالعقيق.

انظر: الطّبرانى، ٣٠١/١ - والطّبرى، ٤٠٤/٣ - ومسلم، رقم ٢٩٦٦ - والتّرمذى، رقم ٢٣٦٦، ٢٣٦٧ - وجامع الأصول، ١٧١٩ - والمشكاة، ٦١٠٤ - وتلقيح فهوم الأثر، ٤٦٥ - والبخارى، ٨٣/٧، ٥٤٩/٩، ٢٨٢/١١ - والمحاضرة، ٤٥ - الوسائل، ٦٤ - والطّبرانى، ٢٢٩/٢، ٢٣٠(١٨٥٤ - ١٨٥٥)، ١٧١/١٠ - ومسند أحمد، ١٠٣/٤ - وابن ماجه، ١٤٢/٦ - ومجمع الزَّوائد، ١٥٥/٩، ٢٧١/١٠ - والسِّير، ٩٨/١، ٩٩ - كنز العمال، ١٣ (حديث رقم ٣٧١٠٧) - ولطائف المعارف، ١٢ - والأوَّائل لابن أبى عاصم النَّبيل، ٣٨ - عيون الأثر لابن سيد النَّاس، ج ١، ص ٢٧١ - ابن سعد: "الطَّبقات" ج ٣، ص ١٣٠.

(٢) أوَّائل السُّيوطى، ص ٧٣، ٧٤.

ونصه: أوَّل من شهر سيفًا فى الإسلام: "الزُّبير بن العوام"، وقيل له: قد قتل رسول الله ﷺ فخرج بسيفه يسعى، وهو غلام. أسنده العسكرى، عن الشَّعبى، وأخرجه الحاكم فى المستدرك، عن عروة، وفيه أنَّ "الزّبير" كان ابن إحدى عشرة سنة، وأخرجه السِّلفى فى "الطِّيوريات" عن: سعيد بن المسيب. =

* **أوَّل من شهر سيفه فى الإسلام: "الزُّبير بن العوام"** ، قيل له : قتل رسول الله ﷺ فخرج يسعى ، وهو غلام ، ابن إحدى عشرة سنة ، وهو يقول: لا أترك مشركًا إلا قتلته[1] .

* **أوَّل من قال فى حقه: "لا فتى إلا على" ، رضى الله عنه:** يوم أحد ؛ ذلك أنَّه ﷺ أعطى الرَّاية لعلى ، حين قاتل هو ورجال من الصَّحابة الكرام ، وروى أنَّه لَّما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى على أن قدم الرَّاية . فتقدم ، ونادى بين الصُّفوف: أنا أبو القصم ، وقاتل وبارز حتى قيل فى حقه:

=وأخرج الطَّبرانى ، فى الكبير ، عن عروة قال : "أوَّل من سلَّ سيفًا فى سبيل الله : الزّبير ابن العوام ، فقال النَّبى ﷺ صلى الله عليك ، وعلى سيفك" .

وأضاف العسكرى ، فى الأوَّائل ، ص ٢١٢ : "فلمَّا قتله ابن جرموز ، جاء عليًا ، فقال على - عليه السَّلام - بشر قاتل ابن صفية بالنَّار (يقصد الزّبير ؛ فأمه : صفية بنت عبد المطلب ، عمة الرَّسول ، ﷺ) ، ونظر إلى سيفه ، فقال : كم كشفت به الغماء عن وجه رسول الله .

فلمَّا ورد مصعب البصرة ، استخفى "ابن جرموز" ، فقال مصعب : ليظهرن سالًما ، وليأخذ عطاءه موفورا ، أيظن أنِّى أقتله بأبى عبدالله ، وأجعله ندًا له؟ فكان هذا من الكبر المستحسن . وكان "ابن جرموز"يدعو لدنياه ، فقيل له : هلا دعوت لآخرتك !؟ فقال : أيست من الجنَّة بقتل زبير . أ . هـ .

ورواية أخرى ، أوردها السُّيوطى (الأوَّائل : ٧٤) .

أخرج ابن عساكر ، عن الزّبير بن بكار ، قال : أوَّل من دمّى مشركًا فى رسول الله ﷺ طليب بن عمير بن وهب لن قصى ، من المهاجرين الأوَّلين ، وأمه أروى بنت عبدالمطلب بن هاشم ، سمع مشركًا يشتم النَّبى ﷺ فأخذ لحى جمل ، فضربه ، فشجه ، فقيل لأمه : ألم ترى ما صنع ابنك؟ . . فقالت :

إنَّ طليبًا نصر ابن خاله ::: آساه فى دمه وماله

وأضاف السُّيوطى بعد هذه الرِّواية رواية أخرى ، هى : "أوَّل من أراق دمًا فى سبيل الله ، سعد بن أبى وقاص" . (أخرجه العسكرى عنه)

وهو أوَّل من رمى سهمًا فى سبيل الله . (أخرجه ابن سعد ، فى الطَّبقات ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٠٠) ، وابن أبى شيبه عنه ، وأنَّه قال فى ذلك :

ألا هل أتى رسول الله أنِّى ::: حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها عدوهم ذيادًا ::: بكلِّ حزونة وبكلِّ سهل
فما يعتد رام من معد ::: بسهم مع رسول الله قبلى

وانظر : العسكرى : "الأوَّائل" ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ - الطَّبرانى : "الأوَّائل" ، ص ٨٩ .

(١) انظر : العسكرى ، ص ١٢ ، والحديث رواه الطَّبرانى "الكبير ٢٢٣ ، ٢٢٤" و ٥٢١/٩ ، ٨٩٦١ - والحاكم ، فى المستدرك ، ٣٦٠/٣ - وابن سعد ١٤٠١٣ - والذَّهبى ، فى السِّير ، ٤٢١١ - وتلقيح فهوم أهل الأثر ، ٤٦٥ - وغاية الرَّسائل ، الورقة ١٣٧ - ومجمع الزّوائد ، ١٥٠١٩ - والأوَّائل ، لأبى عاصم النَّبيل ، ص ٦١ .

"لا فتى إلا على" ، وزيد بعد ذلك لمَّا انتقل إليه وصاية ووراثة السَّيف الشَّهير المسمى بـ "ذى الفقار" ، قول الأخيار العلوية: لا سيف إلا "ذوالفقار" ، وهو كان اسم سيف النَّبى ﷺ أهداه له المقوقس ، وفى بعض الأخبار: أصابه فى غنيمة خيبر[١] .

* أوَّل ما بعث به رسول الله ، ﷺ: بالدُّعاء إلى الإسلام من غير قتال ، وأقام على ذلك بمكة عشر سنين ، ثمَّ نزل: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤) ، وقوله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ (المائدة: ١٣) .

فلمَّا هاجر إلى المدينة أذن له وللمؤمنين بقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (التَّوبة: ٢٩) ، إلى غير ذلك من الآيات[٢] .

* أوَّل لواء عقده رسول الله ، ﷺ: حين قدم المدينة لـ "حمزة" ، بعثه بسرية فى ثلاثين راكبًا ، حتى بلغوا قريبًا من سيف البحر ، يعترض عير قريش ، وهى منحدرة إلى مكة ، وقد جاءت من الشَّام وفيها "أبو جهل" ، فى ثلاثمائة راكب ، فانصرف حمزة - رضى الله عنه - ولم يكن بينهم قتال[٣] .

* أوَّل من بارز قرنه من الأنبياء: "داود" - عليه السَّلام - بارز "جالوت" ، فقتله بشرط من "طالوت" بتزويج ابنته له ، وتملكه نصف ممالكه ، والقصة مبسوطة فى الكتب ، وعرضنا بيان جهة الأوَّلية[٤] .

* أوَّل من بارز من الأصحاب: قيل "على" ، وقيل "حمزة" ، رضى الله عنهما ،

---

(١) فردوس المجاهدين .
(٢) فضل الجهاد .
(٣) أخرجه ابن سهد ، عن يزيد بن رومان: "الطَّبقات" ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٤ :
حجز بينهم "مجدى بن عمر الجهنى" ، وكان موادعًا للفريقين جميعًا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .
قال ابن إسحاق: "وبعض النَّاس يقول: كانت راية حمزة أوَّل راية عقدها رسول الله ﷺ وذلك أن بعثه ، وبعث عبيدة .
(بعثه رسول الله فى ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين ، ولقى جمعًا كبيرًا من قريش ، أسفل ثنية المرة ، ولم يكن بينهم قتال) . كانا معًا فشبه ذلك على النَّاس . ابن سيد النَّاس ، عيون الأثر ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
(٤) زبدة التَّواريخ - أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٤ .

ونزل فيهما: ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] فكان فن المبارزة قديمًا وحديثًا من سنن الرِّجال ، وشيم الأبطال[١] .

* **أوَّل من اتَّخذ ركب الحديد:** "المهلب بن أبى صفرة" ، وكانت ركب العرب من الخشب[٢] .

* **أوَّل من جلبت[٣] له السُّيوف:** "سعد بن سبيل"[٤] .

* **أوَّل من ذلل الفيلة ، وقاتل عليها الأعداء:** "أفريدون شاه" ملك الفرس ، والد "بزرجمهر" ، الذى كان ظهوره فى بعثة موسى ، عليه السَّلام[٥] .

* **أوَّل من اتَّخذ أسنة الحديد:** "ذو يزن الحميرى" ، وكانت أسنة العرب قبل: "قرون البقر الوحشية"[٦] .

* **أوَّل من اتَّخذ القسى الفارسية:** "نمروذ"[٧] ، **وأوَّل من اتَّخذ القسى من العرب:** "ماسخة" رجل من الأزد ؛ فلذلك قيل للقسى ماسخية[٨] .

* **أوَّل من وضع المنجنيق:** "جذيمة بن مالك"[٩] .

* **أوَّل من استشهد فى الإسلام:** "الحارث بن أبى" ، وقيل: "سمية بنت عمار" ، طعنها أبو جهل ، حين أظهرت الإسلام[١٠] .

---

(١) فضل الجهاد .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٣ .
(٣) فى متن مسامرات الأوَّائل: "جلب" ، وفى أوَّائل السُّيوطى: "جلبت" ، والاسم فى المسامرات: "سعد بن سبيل ، وفى أوَّائل السُّيوطى: "سعد شبيل" ، والمسامرات أصح .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٣ .
(٥) أفريدون ، هو سادس ملوك الفرس .
ابن فضل الله: "المسالك" ، وانظر: "الأوائل" ، ص ٧٣ .
(٦) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٣ .
(٧) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٢ .أخرجه ابن أبى الدُّنيا ، عن ابن عباس .
(٨) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٢ . فى "الغريب المصنف" لـ: أبى عبيدة ، عن ابن الكلبى .
(٩) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٣ . هو: جذيمة بن مالك الأبرش .
(١٠) ❖ تحقيق الخبر ، كما جاء فى: أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٤:

* **أوَّل من رمى مشركًا فى حق رسول الله ، ﷺ:** "طليب بن عمير بن وهب" ، سمع مشركًا يشتم رسول الله ﷺ فأخذ لحى جمل ، فضربه ، فشجه ، أى: شج رأسه(١) .

* **أوَّل امرأة قتلت رجلاً من المشركين:** "صفية" عمة رسول الله ﷺ قتلت رجلاً من اليهود ، الذين طاف بهم فى الحصن حول الخندق ، وقد جبن عنه حسان ، رضى الله عنه(٢) .

* **أوَّل فرس عقر فى الإسلام:** فرس جعفر بن عبدالرَّحمن ، فى غزوة مؤتة(٣) .

= أوَّل من استشهد فى الإسلام: "الحارث بن أبى هاله" (أسنده العسكرى ، عن "شرقى بن القطامى" بفتح الشِّين والرَّاء ، وضم القاف وفتح الميم ، الخلاصة ، ص١٦٩)

وقيل: "سمية أم عمار" طعنها أبو جهل فى فرجها بحربة ، حين أظهرت الإسلام . (أخرجه: ابن سعد ، وابن أبى شيبة ، والبيهقى ، فى الدَّلائل ، عن مجاهد)

❖ تحقيق الخبر ، كما جاء فى: "الأوَائل" لأبى هلال العسكرى ، ص ٢١٤ :

عن شرقى بن القطامى ، قال: أوَّل قتيل فى الإسلام ، الحارث بن أبى هالة ، وكانت أمّه خديجة ، وقد ولدت الحارث وهند ابنى أبى هالة . وذلك أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا أمر أن يصدع بما يؤمر ، قام فى المسجد الحرام ، فقال: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، فوثبت عليه قريش ، فأتى الصَّريخ أهله ، فكان أوَّل من أتاه: "الحارث بن أبى هالة" ، فضرب فى القوم ففرقهم عنه ، ثمَّ عطفوا عليه ، فضربوه حتى قتلوه .

وقال غيره: أوَّل من استشهد فى الإسلام: "سمية أم عمَّار" طعنها "أبو جهل" فى فرجها ، فقتلها حين أظهرت الإسلام .

(١) أوائل السُّيوطى ، ص ٧٤ .

هو: "طليب بن عمير بن وهب بن قصى" ، من المهاجرين الأوَّلين ، وأمَّه: "أروى بنت عبدالمطلب بن هاشم" .

(٢) أوائل السُّيوطى ، ص ٧٥ .أخرجه البيهقى ، فى الدَّلائل ، عن عروة .

(٣) أوائل السُّيوطى ، ص ٧٥ ، رواه: المدائنى ، عن رجاله .

جاء فى أوائل العسكرى ، ص ٢٢٨ : أخبرنا أبو القاسم ، عن العقدى ، عن أبى جعفر ، عن المدائنى ، عن رجاله ، قال: وجه رسول الله ﷺ جعفر بن أبى طالب ، سنة ثمان إلى مؤتة فى جيش ، فنزلوا "معان" ، فلقوا جمعًا للروم ، معهم قوم متعربة من لخم ، وخزام ، ونهد (فى مختصر السِّيرة ، ص ٢٢٨ : من لخم ، وخزام وبلى . .وفى الكامل لابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ زاد: وبلقين) أو غيرهم ، عليهم مالك بن زافلة ، فالتقوا ، فعقر جعفر فرسه ؛ ليعلم المشركين أنَّه الموت أو النَّصر ، ثمَّ قتل "جعفر" ، وأخذ الرَّاية "عبدالله بن رواحة" ، فقتل ، وقتل قطبة بن قتادة ، مالك بن زافلة ، فقال:

طعنت ابن زافلة الرَّائش ::: برمح مضى فيه، ثمَّ انحطم

ضربت بسيفي شرى سيفه ::: فمال كما مال غصن السُّلم

واجتمع الجيش إلى: خالد بن الوليد ، وانصرف ففتح الله عليه .

* أوَّل رأس حمل في الإسلام ، ونقل من بلد إلى بلد: رأس: "محمَّد بن أبي بكر" ، في زمان "معاوية" ، و"عمرو بن العاص" ، رضي الله عنهما(١) .

* أوَّل رأس علق في الإسلام: رأس "أبو عزة الجمحي" ، ضرب رسول الله ﷺ عنقه ، ثمَّ جعل رأسه على رمح ، ثمَّ أرسل به إلى المدينة ، فكان أوَّل رأس أهدى في الأرض(٢) .

* أوَّل من سنَّ حمل الرَّأس في الإسلام: "ابن الزُّبير بن العوام" ، رضي الله عنهما ؛ حمل إليه رأس زياد وأصحابه ؛ قال السُّيوطي ، في الأوَّائل: نقلاً صحيحًا عن الثِّقات ، لم يحمل رأس إلى المدينة ، ولا إلى غيرها ، ولا يوم بدر في زمن رسول الله ، ﷺ .

---

(١) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٥ .
وشكك في الرِّواية السُّيوطي ، بقوله: إن صح حمله إلى معاوية ، ثمَّ ذكر أيضًا ، ص ٧٥: "وأخرج ابن سعد ، عن الشَّعبي أيضًا ، قال: رأس الحسين أوَّل رأس حمل في الإسلام" .

(٢) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٥ .
❖ أخرج السَّلفي ، في "الطُّيوريات" ، عن ابي سعيد الخدري ، قال: أوَّل رأس علق في الإسلام ، رأس: أبو عزة الجمحي . ضرب رسول الله ﷺ عنقه صبراً ، ثمَّ جعل رأسه على رمح ، ثمَّ أرسل بها إلى المدينة .
وفي نسخة "فليج" ، من طريق ابن شهاب ، عن سالم بن عبدالله ، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ لم يحمل رأساً قط إلى المدينة ولا غيرها ، ولا يوم بدر .
❖ أخرج عبدالرَّازق ، في المصنف ، عن ابن شهاب ، قال: لم يؤت النَّبي ﷺ برأس ولا يوم بدر ، وأتى أبو بكر برأس عظيم . فقال: مالي ولجيفهم تحمل إلى بلدة رسول الله ﷺ ثمَّ لم تحمل بعده في زمان الفتنة إلى "مروان" ، ولا إلى غيره ، حتى كان زمان ابن الزُّبير ، فهو أوَّل من سنَّ ذلك ، حمل إليه رأس "زياد" وأصحابه .
❖ وأخرج ابن أبي شيبة ، عن هنيدة بن خالد الخزاعي ، قال: أوَّل رأس أهدى في الإسلام: رأس "عمر بن الحمق" ، أهدى إلى "معاوية" .
❖ وجاء الحديث ، في الأوَّائل للطبراني ، عن إبراهيم بن شريك الأزدي ، حدثنا شهاب بن عباد ، عن ابي إسحاق ، عن هنيدة بن خالد الخزاعي ، وهو عمرو بن الحمق بن كاهل الخزاعي الكعبي: صحابي من قتله عثمان: سكن الشَّام ، وانتقل إلى الكوفة ، ثمَّ كان أحد الرُّؤوس الذين اشتركوا في قتل عثمان .
وشهد مع "علي" حروبه ، وكان على خزاعة يوم صفين ، ورحل إلى مصر ، ثمَّ الموصل ، فطلبه معاوية ، فدخل غارا فنهشته حية ، فمات سنة خمسين هجرية . (تاريخ الإسلام ، ٢٣٤/٢ - الأعلام ، ٧٦/٥)
والخبر ، في: كتاب "الأوَّائل" للطبراني ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ - المعارف ، ص ٥٥٤ - تلقيح فهوم الأثر ، ص ٤٥٦ - ابن سعد ، ٢٤/٦ - الأوَّائل لابن عاصم النَّبيل ، ص ٧٨ - الأوَّائل للسيوطي ، ص ٧٥ .

وأتى مرة أبو بكر برأس عظيم ، فقال: مالي ولجيفهم ، تحمل إلى بلدة رسول الله ﷺ ثمَّ لم يحمل بعده رأس قط إلى زمان الفتنة في عهد ابن الزُّبير ، فحمل إليه رأس زياد وأصحابه ، وهو أوَّل من سنَّ ذلك[1] .

* أوَّل رأس حمل في الإسلام: ابتلاء لبعض الأمة ، وفتنة عمياء بين الملّة ، رأس سيد الشُّهداء ؛ سيدنا "الحسين بن علي" ، رضي الله عنهما ، رؤى النَّبي ﷺ في المنام علي رأس ثلاثين سنة وهو صاعد صوب العرش الأعلى .

فقيل ، والقائل ابن العباس: أين تروح عنَّا ، ومن بين أظهرنا يا رسول الله؟ . . فأجاب مغضبًا: إنَّ طائفة طاغية من أمتي قتلوا ابني حسينا ، ظلمًا وعدوانًا ، زاد الله فتنتهم ، حكاه الغزالي .

وقتل بعده بقصاص لحضرته الشَّريفة مائة وأربعون ألفًا ، وورد في الخبر المشهور ، أخبر "جبريل" - عليه السَّلام - بقتل سبعين ألفًا لقصاص "يحي" - عليه السَّلام - ولقصاص الحسين مائة وأربعون ألفًا ، كما مرَّ ذكر ذلك في أوَّائل النُّبوة أنَّ أهل الشَّقاوة ، ومردة النِّفاق . لَّما قدموا برأسه الشَّريف مرفوعًا على خشبة إلى الكوفة ، داروا بها في الطُّرق ؛ ولذا خرب الله تعالى بلاد الكوفة وطرقها ، وما اجتمع شملها إلى يومنا هذا ، وسلَّط الله عليها الحجاج ، والجبابرة ، وأشار إلى ذلك علي - رضي الله عنه - بقوله: أهل الكوفة أهل الشِّقاق .

وفي تبصرة الأدلة ، ودلائل النُّبوة[2] ، عن زيد بن أرقم الصَّحابي - رضي الله عنه- قال: كنت قاعدًا مختفيًّا في غرفة من بيتي ، فجئ حذائي برأسه الشَّريف ، إذا سمعت الخطاب المستطاب منه - رضي الله عنه - لقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾ (الكهف: ٩) .

فناديت مضطربًا مجيبًا مدهشًا مصابًا ، يا ابن رسول الله ﷺ أمرك أعجب من

---

(١) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٥ .
(٢) للبيهقي .

أعجاب العجائب ، ومصيبتنا فيك من أعظم المصائب ، وأشد النوائب ، فلمَّا جنت اللّيلة الليلاء ، في ذلك اليوم البهيم ، هتف هاتف فى الكوفة ، فسمعه الأعادى والأحباب ، يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا ::: أبشروا بالعذاب والتّنكيل
كلُّ من فى السَّماء يدعو عليكم ::: من نبى وملاك قابيل
قد لعنتم على لسان داو ::: د وموسى وصاحب الإنجيل

وقد سمعت هواتف الجن ، والأرواح الفلكية فى ذلك اليوم من المراثى والأراجيز ، فى سلالة الحضرة الأحمدية ، وقرة الأعين المحمَّدية مرثية ؛ هى:

مسح الرَّسول جبينه ::: فله بريق فى الخدود
أبواه من أعلى قريش ::: وجده خير الجدود

وذكر فى شواهد النُّبوة ، أنَّه أمطرت السَّماء دمًا ، وشوهد الأفق منصبغًا بالدَّم فى ذلك اليوم ، وما رفع حجر من جدار بيت المقدس ، وكانوا فى بنائه ذلك اليوم إلا وجد تحته دم جديد . وفى الخبر: ما نجا من قاتليه أحد إلا ابتلى بمصيبة وبلية فاضحة فادحة قبل موته .

ولد الحسين - رضى الله عنه - فى المدينة المنورة ، فى السَّنة الرَّابعة من الهجرة النَّبوية ، وحملته سيدة النِّساء: "فاطمة الزَّهراء" - رضى الله عنها - ستة أشهر ، وما سمع بمولود فى ستة أشهر إلا "يحيى بن زكريا" ، عليهما السَّلام . وكان له جمال عظيم ، ونور يتلألأ في جبينه ، وخده يضئ جوانبه فى اللّيلة الظّلماء ، وكان أشبه النَّاس برسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين[1] .

* **أوَّل غزوة غزاها رسول الله ، ﷺ:** "غزوة الأبواء" سنة اثنتين هجرية ، وآخرها: "غزوة تبوك" سنة تسع هجرية ، قاتل فى تسع من غزواته ، وبعث من البعوث ، والسَّرايا ، نحو: خمسين ، وأفضل غزواته "بدر" .

---

(١) الأوائل للسيوطى ، ص ٧٥ .

قال مقاتل ، في تفسيره : لم يجتمع جمع قط منذ كانت الدُّنيا أكثر من يوم بدر ، وذلك أنَّ إبليس جاء بنفسه ، وحضره الشَّياطين ، وحضره كفار الجنِّ كلّهم وتسعمائة من المشركين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر من المؤمنين ، وتسعون من مؤمني الجن ، وألف من الملائكة ، وهي أوَّل غزوة حضرها الملائكة .

قال الحسن البصري - رضي الله عنه - في غزوة بدر طوبى لجيش كان قائدهم رسول الله ﷺ ومبارزهم : أسد الله وولي الله ، وجهادهم : طاعة الله ، ومددهم : ملائكة الله ، وجاسوسهم : أمين الله ، وثوابهم : رضوان الله[١] .

* **أوَّل غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه :** كانت في صفر ، ولم يحصل فيها تلاق ، وقال ، ﷺ : قفلت كغزوة ؛ يعني في الأجر ، لأنَّ الأعمال بالنِّيات[٢] .

* **أوَّل غزواته ، ﷺ ، التي فيها القتال :** "غزوة بدر"[٣] .

* **أوَّل من قتل ببدر من المسلمين :** "مولى عمر" ، رضي الله عنه ، **وأوَّل من قتل يوم أحد :** "عبدالله بن عمرو بن حرام" ، والد "جابر" ، رضي الله عنهما[٤] .

---

(١) تفسير أبي اللَّيث - رضي الله عنه - وأخرج ابن سعد ، عن كثير بن عبدالله المزني ، عن أبيه ، عن جده ، قال : غزونا مع رسول الله ، أوَّل غزوة غزاها رسول الله ﷺ الأبواء . وأوَّل غزواته التي وقع فيها القتال : "غزوة بدر" . وأوَّل سراياه : "سرية عبدالله بن جحش" .

(٢) أوَّل غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه : "غزوة ودان" ، من السَّنة الثَّانية قبل بدر ، ولم يحصل فيها تلاق .
رواه : المدائني ، أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٦ .
❖ وجاء في الأوَّائل لأبي هلال العسكري ، ص ١١٩ : أخبرنا أبو القاسم ، عن العقدي ، عن أبي جعفر ، عن المدائني ، عن رجاله ، قال : خرج رسول الله ﷺ النَّصف من صفر ، يوم الاثنين ، من السَّنة الثَّانية من الهجرة ، وقد بلغه أنَّ جمعًا من قريش خرجوا ، فاستخلف على المدينة : عبادة بن الصَّامت ، وقيل غيره ، ولواؤه مع حمزة بن عبدالمطلب .
فلم يلق قريشًا ، ووادعه "مغشي بن عمرو الضَّمري" على بني ضمرة ، فغاب خمس عشرة ليلة ، ثمَّ رجع ؛ وهي "غزوة ودان" .

(٣) الأوَّائل للسيوطي ، ص ٧٦ .

(٤) أوَّائل السيوطي ، ص ٧٦ .
أوَّل من قتل ببدر من المسلمين "مهجع" مولى عمر بن الخطاب ، أخرجه ابن سعد : "الطَّبقات" ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٨٥ - وابن أبي شيبة ، عن القاسم بن عبدالرَّحمن ، وأخرجه ابن سعد ، عن الأزهري ، وداود بن الحصين . . أوَّل من قتل من المسلمين يوم أحد : عبدالله بن عمرو بن حرام ، والد جابر ، ذكره ابن سعد .

* أوَّل جمع من جموع مواطن الجهاد جمعت فيه المجامع: "بدر"[١].

* أوَّل سرايا رسول الله ، ﷺ: سرية "عبدالرَّحمن (عبد الله) ابن جحش" ، فى جمادى الأوَّلى إلى بطن نخلة ، فقتل فيها كثير من المشركين ؛ منهم عمرو بن الحضرمى ، وهو أوَّل قتيل من المشركين[٢].

(١) تفسير أبى اللَّيث .

(٢) على ما يبدو أنَّ الكاتب يقصد أوَّل سرية بعد غزوة بدر الأولى ، وصحة الاسم (عبد الله) .

حيث يسبق هذه السَّرية : سرية حمزة ، وسرية عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب ابن عبد مناف .

وكانت البعْثة فى رجب بعد الرُّجوع من بدر الأوَّلى ، وكان مع عبدالله بن جحش ، ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد .

وكتب الرَّسولﷺ له كتابًا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسيريومين ، ثمَّ ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره أحدًا من أصحابه .

وكان أصحابه :أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعكاشة بن محمصن الأسدى ، وعتبة بن غزوان ، وسعد بن أبى وقاص ، وعامر بن ربيعة من عنز بن وائل حليف بنى عدى ، وواقد بن عبدالله ، أحد بنى تميم حليف لهم ، وخالد بن البكير ، وسهيل بن بيضاء .

فلمَّا سار عبدالله بن جحش يومين ، فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : "إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطَّائف ، فترصد بها قريشًا ، وتعلم لنا من أخبارهم" .

فلمَّا نظر فى الكتاب ، قال : سمعًا وطاعة ، ثمَّقال لأصحابه ، قد نهانى أن استكره أحدًا منكم ، فمضوا لم يتخلف عليه منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع ؛ يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه (يركبه أحدهما مرة ، والآخر الأخرى) .

فتخلفا عليه فى طلبه ، ومضى عبدالله بن جحش وأصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عيرلقريش ، فيها عمرو بن الحضرمى ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة .

فلمَّا رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريبًا منهم ، فأشرف عليهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلمَّا رأوه أمنوا ، وقالوا : عمار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب .

فقال القوم : والله لئن تركتم القوم فى هذه اللَّيلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لنقتلنهم فى الشَّهر الحرام . .فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثمَّ شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم .وأخذ ما معه ، فرمى "واقد بن عبدالله التَّميمى" ، "عمرو بن الحضرمى" بسهم فقتله ، واستأسر : عثمان بن عبدالله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم : "نوفل بن عبدالله" ، فأعجزهم .وأقبل عبدالله بن جحْش ، وأصحابه بالعير ، والأسيرين ، حتى قدموا على رسول اللهﷺ المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش أنَّ عبدالله قال لأصحابه : إنَّ لرسول اللهﷺ ممَّا غنمنا : الخمس ، وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم ، فعزل لرسول اللهﷺ خمس العير ، وقسَّم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحاق : فلمَّا قدموا على رسول اللهﷺ قال : ما أمرتكم بقتال فى الشَّهر الحرام ، فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا .فلمَّا قال ذلك رسول اللهﷺ سقط فى أيدى القوم ، وظنُّوا أنَّهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : إذا لقد استحل محمَّد وأصحابه الشَّهر=

* أوَّل من أسر في الإسلام من المسلمين: "عثمان بن عبدالله" ، و"الحكم بن كيسان" ؛ هما أوَّل أسيرين فى الإسلام ، قال المحققون: والأسر فى يد الكفار من أجل مواطن الجهاد ، بعد الشَّهادة والظَّفر ، إذا كانت الغلبة من الأعداء للمجاهدين أن يقاتل ، ويستشهد ، وله أن يستأسر فى أيديهم .

والشَّهادة أفضل من الأسر ، وللأسير فضل عظيم ، يكتب للأسير المسلم ثواب الجهاد مادام فيه ، وأمَّا الفداء من أيدى الأعداء ، فمن أفضل الفضائل ، وأجل الخصال . لمَّا ورد فى الحديث الصَّحيح: "من فدى أسيرًا من أيدى العدو ، فأنا ذلك

=الحرام ، وسفكوا فيه الدَّم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرِّجال . فقال من يرد عليهم من المسلمين ممَّن كان بمكة: إنَّما أصابوا ما أصابوا فى شعبان ، وقالت يهود: تفاءل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو ابن الحضرمى - قتله واقد بن أبى عبدالله - عمرو: عمرت الحرب ، والحضرمى: حضرت الحرب ، وواقد بن عبدالله: وقدت الحرب ، فجعل الله عليهم ذلك لا لهم . فلمَّا أكثر النَّاس فى ذلك ؛ أنزل الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (البقرة: ٢١٧) . ففرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه ، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، و بعثت إليه قريش فى فداء "عثمان بن عبدالله" ، و"الحكم بن كيسان" فقال رسول الله ﷺ لا نفديكما حتى يقدم صاحبانا ؛ يعنى: "سعد بن أبى وقاص" ، و"عتبة بن غزوان" فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم .

فأمَّا "الحكم بن كيسان" ، فأسلم وحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ ومات فى بئر معونة شهيدًا ، وأمَّا "عثمان بن عبدالله" ، فلحق بمكة ، فمات بها كافرًا .

لمَّا تجلى عن "عبدالله بن جحش" ، وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا فى الأجر ، فقالوا: يا رسول الله ، أنطمع أن يكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ . . فأنزل الله فيهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٨) .

قال ابن هشام:

- هى أوَّل غنيمة غنمها المسلمون .
- و"عمرو بن الحضرمى" أوَّل من قتل المسلمون .
- و"عثمان بن عبدالله" ، و"الحكم بن كيسان" أوَّل من أسر المسلمون .

(ابن سيد النَّاس: "عيون الأثر" ، ج ١ ، ص ٢٧٤ إلى ص ٢٧٧)

ويقال إنَّ رسول الله ﷺ وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائم بدر ، وأعطى كلَّ قوم حقهم ، وفى هذه السَّرية سُمى "عبدالله بن جحش" ، أمير المؤمنين .

(ابن سعد: "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٢ ، ص ١٠)

وأخرج ابن شيبة ، عن سعيد ، أنَّ رسول الله ﷺ أمر "عبدالله بن جحش" ؛ وكان أوَّل أمير فى الإسلام .

(أوائل السُّيوطى ، ص ٧٧ - ابن سعد: "الطَّبقات" ، ج ٢ ، ص ١٠) .

الأسير" . . وفى الخبر أيضًا : "لأن أفدى أسيرًا من أيدى المشركين ، أحبُّ إلىّ من جزيرة العرب"(١) .

* **أوَّل غنيمة غنمها المسلمون:** فى سرية "عبدالله بن جحش"(٢) .

* **أوَّل خمس خمس عند رسول الله ﷺ مغانم:** "عبدالله بن جحش" ؛ قال أهل التَّحقيق : تخمس المغانم ، والأكل منها من خصائص رسول الله ﷺ ما كانت لتحل لنبى قبله . كانوا يغزون ويأسرون ، ويجمعون المغانم الجمادية من : الأمتعة ، والذَّهب ، وغيره ، فتنزل نار من السَّماء ، فتأكله ، وأمَّا إذا أخذ منه أحد ، فلا تنزل ، ولا يقبل منهم جهادهم حتى يلقوه من بينهم ، فبركة سيد المرسلين ، وشفاعته الخاصة ، ورحمته العامة حللت المغانم لأمته(٣) .

* **أوَّل من قتل مشركًا:** "واقد بن عبدالله" ، الصَّحابى البدرى ، رضى الله عنه ، قتل : "عمرو بن الحضرمى" . فقال له رسول الله ﷺ على طريق الفال : واقد ؛ وقدت الحرب ، الحضرمى ؛ حضرت الحرب(٤) ، قال أهل التَّحقيق : إنَّ أعلى المطالب فى طريق الجهاد قتل الكافر ؛ لأنَّه تقليل ظلمات الكفر ، وتقوية الدِّين . ولذا كان أفضل الفضائل فى الأجر ، لَّما ورد فى الصَّحيح : "لا يجتمع كافر وقاتله فى النَّار أبدًا" ، ففى قتله دليل على أنَّ الغازى فدى نفسه من النَّار ، وسائر أهل الجنَّة سيفدون فى الآخرة ، يقال لكلٍّ من دخل الجنَّة : يا مؤمن هذا فداؤك من النَّار ، فيأخذ كافرًا فيرميه فى مقامه المهيأ له فى النَّار ؛ لأنَّه ورد أنَّ لكلٍّ واحد من بنى آدم مقامين : مقام فى الجنَّة ، ومقام فى النَّار ، فيلقى المؤمن الغازى فداءه فى الدُّنيا ، ويرث مقام الكافر فى الأخرى . . فافهم سر ارتباط الحقائق دنيا وآخره ، ظاهرًا وباطنًا .

* **أوَّل يوم عقدت الرَّايات فيه:** "يوم حنين" ، وكان قبل ذلك الألوية ، **وأوَّل من**

---

(١) أخرجه السُّيوطى ، وغيره ، وانظر : الهامش السَّابق .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٦ ، وانظر : الهامش السَّابق .
(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٦ ، وانظر : الهامش السَّابق .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٧ ، وانظر : الهامش السَّابق .

سنَّها: "إبراهيم"، عليه السَّلام[١].

* **أوَّل من ضرب عنقه فى الإسلام:** "النَّضر بن الحرث"، من أسارى يوم بدر[٢].

* **أوَّل جيش خرج من المدينة بعد وفاة النَّبى، ﷺ:** "جيش أسامة"، رضى الله عنه[٣].

* **أوَّل أمير أمر فى سبيل الله للجهاد:** "عبدالله بن جحش"، رضى الله عنه[٤].

* **أوَّل راية رفعت فى الإسلام:** راية "عبدالله بن جحش"[٥].

* **أوَّل سلب خمس فى الإسلام:** سلب "البراء بن مالك"، فى زمن "عمر" - رضى الله عنه - لأنَّه استكثره، وفى اختلاف الأئمة، والأمر فيه لاجتهاد أمير الجيش فى أنواع السَّلب، وما يعد منه عادة، ومالا يعد، والمسائل مبسوطة فى كتب الفقه، فلتطلب ثمة[٦].

* **أوَّل أمير استشهد فى سبيل الله:** "إبراهيم بن حسين المهران"، عند

---

(١) أوَائل السُّيوطى، ص ٧٧، وأخرج الطَّبرانى، عن زد، قال: أوَّل راية رفعت فى الإسلام: راية "عبدالله بن جحش" أوَائل السُّيوطى، ص٧٧.

(٢) أوَائل السُّيوطى، ص ٧٧.
هو أخو النَّضير بن الحارث الصَّحابى، قتله على بن أبى طالب، يوم بدر بالصَّفراء صبرا بأمر رسول الله.
(الزُّبير بن بكار: "جمهرة نسب قريش وأخبارها" - ابن سعد: "الطَّبقات"، ٦/٦٦، ٨/١٠)

(٣) أوَائل السُّيوطى، ص ٧٧.

(٤) أوَائل السُّيوطى، ص ٧٧، ابن سعد: الطبقات ج٢، ص ١٠ وما بعدها، تحقيق الخبر: عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال: أمَّر رسول الله عبد الله بن جحش بن رئاب على سرية، وكان أول أمير فى الإسلام.
انظر: الطبرانى: الأوائل ص ١٥٨، ١٥٩، والاستيعاب ٣/٨٧٩، وابن هشام ٢/٤٩، وأسد الغابة ٣/ ١٥٩، وابن الأثير/ الكامل: ١/١١٤، والبداية والنهاية ٣/٢٥٠، وتفسير ابن كثير ١/٢٥٢، والدر المنثور ١/٢٥١، وأسباب الواحدى ٦٣٠٠٦، ورجال أنزل الله فيهم قرآناً ٢/١٠٣، ١٢٠، والمعارف ١٦٩، والوسائل ٩٩، وإمتاع الإسماع ١/٥٩، ومسند ابن حنبل ١/١٧٨، وتلقيح فهوم الأثر ٤٦٥، والمحاضرة ٤٩، ومجمع الزوائد ٦/٦٧، وكشف الأستار ٢/٣٠٨.

(٥) أوَائل السُّيوطى، ص ٧٧، الطبقات مصدر سابق.

(٦) أوَائل السُّيوطى، ص ٧٧، أخرجه ابن سعد وابن أبى شيبة عن أنس بن مالك.
ابن سعد: "الطَّبقات" ٤/٣٣١.

فتح عسقلان(١) .

* أوَّل من افتتح حرب الفرس في الإسلام : "المثنى بن حارثة الشَّيباني" ، رضي الله عنه(٢) .

* أوَّل يوم جعل الصُّفوف فيه في سبيل الله : "يوم بدر" ، وقيل لهم : تسوَّموا ، فإنَّ الملائكة قد تسوَّمت(٣) .

* أوَّل يوم انتصفت فيه العرب على العجم : يوم "ذي قار" ، في خلافة "أبي بكر" - رضي الله عنه - في جمادى الأولى ، سنة ثلاث عشرة ، وكان على النَّاس يومئذ "عمرو بن العاص"(٤) .

* أوَّل من جمر البعوث : "فرعون" ، والتزم أن يلزم أمير الجيش في الثَّغر ، ولا يأذن لهم في القفول إلا بأمره(٥) .

* أوَّل من قعد على سرير في الحرب : "الحجاج بن يوسف" ، وفيه تثبيت القلوب ، وتقويتها على الحرب(٦) .

* أوَّل من جزَّ ناصية الخيل ، وعقد ذنبها : "الحارث بن عباد" ، من حكام ربيعة وفرسانها(٧) .

---

(١) كذا في : "تاريخ القدس" .
(٢) كذا في التَّواريخ .
(٣) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٧ ، عن ابن أبي شيبة ، عن عمير بن إسحاق .
(٤) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٧ ، أخرجه الطبراني عن بشير بن يزيد الضبعي مرفوعاً ، وانظر : ابن الأثير : أسد الغابة ١/٢٣٦ .
(٥) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٦ .
(أوَّل من جمَّر البعوث : فرعون ؛ والتَّجمير أن يلزم الجيش الثَّغر ، ولا يأذن لهم في القفول) .
(٦) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١٤٣ . أوَّل من حمل إليه الثَّلج ، وهو أوَّل من قعد على سرير في حرب ، وأوَّل من حبس النِّساء مع الرِّجال في قيد واحد" .
(٧) أوَّائل السُّيوطي ، ص ٧٨ . الحارث بن عباد ، ذكره الخطيب التَّبريزي اللُّغوي ، في : "شرح الحماسة" .

* أوَّل من أمر باتّخاذ السُّيوف الحنيفية: "الأحنف بن قيس" التَّابعي، المشهور[1].

* أوَّل من أخذ بركاب المجاهدين عند خروجهم إلى الغزو تبركًا بهم: "ابن عمر"، حكى عن مجاهد رحمه الله - قال: أردت الرُّكوب للغزو، فجاء "ابن عمر" ليأخذ بركابي، فأبيت لجلالة قدره، فقال: تكره لي الأجر، وقد بلغني أنَّ خادم الغزاة في الأرض بمنزلة "جبريل" في السَّماء؟[2]

* أوَّل فرس غزا عليه رسول الله، ﷺ: كان اسمه "السَّكب"، اشتراهﷺ من أعرابي، وكان اسمه عند الأعرابي "الضَّرس"، فسماه رسول اللهﷺ "السَّكب"، وكان له خمسة عشر فرسًا غيره.

سبحة: وهو الذي سابق عليه، فسبق، ففرح به.. والمرتجز، واللّزاز، والظَّرب، واللّحيف، والسَّرحان، واليعسوب، والبحر وكان كميتا.. وهو أوَّل ما خلق، وكان ذكرًا، وكلُّ ذكر أوَّل مخلوق، والأنثى بعده. والطّرف، والسّحا، والمراوح، والمقدام، والمندوب، والورد، والأدهم.

- وللفرس العربي فضيلة: لا يدخل جن بيتًا فيه فرس عربي عتيق.

- وهو أوَّل جنس اختاره "آدم" من الحيوان، وكان وحشيًّا إلى زمان "إسماعيل"، فهو أوَّل من ذللها وركبها؛ أي: الخيل، وكان أحبّ الأشياء إلى رسول اللهﷺ وكان لسليمان - عليه السَّلام - خيل ذوات أجنحة، أخرجها الجن من البحر، وقيل: كان له مائة فرس، جميع خيل الدُّنيا منه تناسل[3].

---

(١) ذكره صاحب القاموس، قال: (حنف) السُّيوف الحنيفة؛ تنسب إليه لأنّه أوَّل من أمر باتّخاذها، وهو غير الأحنف بن قيس الصَّحابي، والذي يكنى بـ: أبي بحر.

(٢) من فردوس المجاهدين.

(٣) ذكر ابن سعد، في طبقاته، ج ١، ص ٤٢١، ذكر خيل رسول اللهﷺ عن أبي حثمة عن أبيه؛ قال: أوَّل فرس ملكه رسول اللهﷺ فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من "بني فزارة"، بعشر أواق، وكان اسمه عند الأعرابي: "الضَّرس"، فسماه رسول الله، ﷺ: "السَّكب"، فكان أوَّل ما غزا عليه أحد ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره، وفرس لأبي بردة بن نيار، يقال له: "ملاوح". وكان "السَّكب" أغرّ محجَّلاً، طلق اليمين. وعن أنس بن مالك، قال: راهن رسول اللهﷺ على فرس؛ يقال لها: "سبحة"، فجاءت سابقة، فهش=

* **أوَّل من خاصم عن رسول الله ، ﷺ:** "أبو بكر الصِّديق" - رضى الله عنه - فهو أوَّل مجاهد فى دين الله ، ودعوة رسوله ، ﷺ(١) .

* **أوَّل زمرة تدخل الجنَّة من أمتى: المجاهدون ، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنَّة ،** ويستفتحون ، فتقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ . . قالوا بأى شئ نحاسب ، وإنَّما كانت أسيافنا على عواتقنا فى سبيل الله ، قال: فتفتح لهم ، فيقيلون فيها أربعين عامًا قبل أن يدخلها النَّاس(٢) .

=لذلك وأعجبه .

وكان لرسول الله ﷺ فرس يدعى: "المُرْتجز" ، وهو الفرس الذى اشتراه من الأعرابى ، الذى شهد فيه "خزيمة بن ثابت" ، وكان الأعرابى من "بنى مرَّة" .

وعن أبى بن عباس ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال: كان لرسول الله ﷺ عندى ، ثلاث أفراس: لِزازُ ، والظَّربُ ، واللُّحيف .

فأمَّا "لِزاز" فأهداه له "المقوقس" ، وأمَّا "اللُّحيف" فأهداه له "ربيعة بن أبى البراء" فأثابه عليه فرائض من نعم بنى كلاب ، وأمَّا "الظَّرب" فأهداه له "فروة بن عمرو الجذامى" .

وأهدى تميم الدَّارى لرسول الله ﷺ فرسًا ، يقال له: "الورد" ، فأعطاه "عمر" ، فحمل عليه "عمر" - رضى الله عنه - فى سبيل الله ، فوجده يباع .

وعن أبى عبدالله واقد أنَّه بلغه أنَّ رسول الله ﷺ قام إلى فرس فمسح وجهه بكم قميصه . . فقالوا: يا رسول الله أبقميصك؟

قال: إنَّ جبريل عاتبنى فى الخيل .

انظر أيضًا: الصَّالحى: "سبل الهدى والرَّشاد فى سيرة خير العباد" ، ج ٧ ، ص ٦٤١ إلى ٦٥١ .

والخبر نقله مؤلف "مسامرات الأوَّائل" من الدَّميرى .

تحقيق الحديث: حدثنى عن مالك عن يحيى بن سعيد ، أنَّ رسول الله ، ﷺ ، رُئى وهو يمسح وجه فرسه بردائه ، فسئل عن ذلك؟ فقال: "إنِّى عوتبت اللَّيلة فى الخيل" .

مرسل ، وصله ابن عبدالبر ، عن طريق عبيد الله بن عمرو الفهرى ، عن مالك ، عن يحيى ، عن أنس . (الموطأ ، كتاب الجهاد ، ص ٣٨٢ ، رقم ٤٧)

السَّكب: من سكب الماء ، كأنَّه سيل . والمرتجز: لحسن صهيله . واللِّزاز: لأنَّه لا يسابق شيئًا إلا لزَّه ؛ أى أثبته . واللُّحيف: كأنَّه يلحف الأرض بجريه ، ويقال "اللُّخيف" بالخاء المعجمة . والطِّرف: بكسر الطَّاء المهملة ، والظَّرب: سمى به لكبره ، وسمنه ، وقوته . انظر: "شرح المواهب" .

(١) فردوس المجاهدين .

(٢) الحديث عن عبدالله بن عمر ، رضى الله عنه: "فضائل الجهاد" .

تحقيق الحديث: حدثنا محمَّد بن زكريا القلابى ، حدثنا أبو همام محمَّد بن مُحَبَّب الدّلال ، حدثنا سفيان بن سعيد الثَّورى ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال: قال رسول الله ، ﷺ: "أوَّل زمرة تدخل الجنَّة على صورة القمر ليلة البدر ، ثمَّ الذين يلونهم ، على أشد نجم فى السَّماء غضاءة ، ثمَّ هم بعدُ=

* **أوَّل قطرة تقطر من الشَّهيد:** يحط الله تعالى خطاياه ، كما يحط الغصن من ورق الشَّجر ، وتبتدره اثنتان من حور العين يمسحان التُّراب عن وجهه ، وتقولان له : إنَّا لك ، ويقول: أنا لكما . فيكسى مائة حلة لو وضعت بين أصبعى هاتين لوسعتاهما ، ليست من نسج بنى آدم ، ولكنَّها من ثياب الجنَّة مكتوبة عند الله بأسمائكم ، وسماتكم[1] .

* **أوَّل دفعة من دم الشَّهيد:** يغفر له ، ويرى مقعده فى الجنَّة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدُّنيا وما فيها ، ويزوَّج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع فى أقاربه[2] .

* * * * * * *

=منازل ، ولا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون ، ولا يتفلون ، أمشاطهم الذَّهب ، ومجامرهم الألُوَّة ، ورشحهم المسك ، وخَلْقُهم على خَلْق رجل واحد على صورة أبيهم "آدم" - عليه السَّلام - ستون ذراعًا" .
رواه: التَّرمذى: ٢٥٣٧ - وشرح السُّنة للبغوى: ٢١١/١٥ ، ٢١٢ - والبخارى: ٢٦٠/٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٦٢ - ومسلم: ٢١٧٨/٤ ، ٢١٧٩ ، ٢١٨٠ - وابن ماجة: ٤٣٣٣ - والدَّارمى: ٣٣٤/٢ - والمشكاة: ٥٦١٩ ، ٥٦٣٥ - والفتن والملاحم: ١٠٢/٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ ، ٣٤٤ - والطَّبرانى: ١٩٨/١٠ - ومجمع الزَّوائد: ٤١١/١٠ - والبزاز: ٢٨٥/١ - والحميدى: ١١٤٣ - وجامع الأصول: ٥٢٥/١٠ ، ٥٢٧ - والسِّير: ٣١٣/١٣ - وكنز العمال: ١٤ ، حديث رقم ٣٩٣٣١ ، ٣٩٢٨٠ ، ٣٩٣٧٠ ، ٣٩٣٠٢ ، ٣٩٣٧٣ ، ٣٩٢٧٩ ، ٣٩٣٧١ ، ٣٩٣٧٢ - وتحفة الأحوذى: ٢٤٢/٧ - وفيض القدير: ٨٥١٣ - والفتح الرَّبانى: ١٩٥/٢٤ - والأوَّائل لأبى عاصم النَّبيل ٤٢ ، ٤٤ .
والألوة: العود الذى يتبخر به . (الأوَّائل للطبرانى ، ص ١٠١ ، ١٠٢) .

(١) فضل الجهاد .

(٢) أخرجه التِّرمذى ، وقال: حسن صحيح .

الفصل الثَّالث عشر

فى الأوَّائل المتعلقة بالخلافة، والسّلطنة، والإمارة والحكام فى الممالك، وما يتعلق بأحوالها

مقدمة سنية :

ذكر الإمام العلامة في كتاب : "محاضرة مصر" في ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسّلطنة من حيث الشَّرع : نقل عن أمير المؤمنين "عمر" - رضي الله عنه - أنَّه قال لبعض الصَّحابة : أملك أنا أم خليفة؟ فقال له : إذا وضعت شيئًا من بيت المال في حقه ، وأخذته من غير موضعه ، مصادرة ، أو غصبًا ، لا خطأ ؛ فأنت ملك غير خليفة .

الخليفة هو الذي يأخذ بحق ، ويضع في حق ؛ والملك هو الذي لا يبالي من أين يأخذ ، يعسف النَّاس ، يأخذ من هذا ، ويعطي هذا .

والسُّلطان هو الذي يكون في ولايته ملوك ، فيكون ملك الملوك ، ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها ، ويملك ممالك متعددة ، كالشَّام ومصر وقرمان .

فإن زاد مملكة أو جيشًا كان أعظم في السّلطنة ، وجاز أن يطلق عليه السُّلطان الأعظم ، وسلطان السَّلاطين ؛ ويشترط أن يخطب له في ممالك متعددة ، أقلها ثلاثة أيام ، وأكثرها ثلاثة أشهر .

* أوَّل من تملّك علي وجه الأرض قبل "آدم" ، عليه السَّلام : طائفة من الجن ، ويقال لأبي الجن "جان" خلق من نار السَّموم ؛ كما أشار سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر : ٢٧)

وفي الخبر أنَّ الله تعالي خلق الملائكة من نور النَّار والجن من لهبها ، والشَّياطين من دخانها .

وقد جاء في الأخبار : أنَّ الجنَّ في قديم الزَّمان قبل خلق آدم كانوا سكانًا في الأرض

قد طنبوا بها وعمروها برًا وبحرًا وسهلاً وجبلاً .

وكان فيهم الملك والنُّبوة والدِّين والشَّريعة وكانوا يطيرون إلي السَّماء ، يسلمون علي الملائكة ، ويستعلمون منهم خبر ما في السَّماء ، وكثرت نعم الله تعالي عليهم إلي أن طغوا ، وبغوا ، وتركوا وصايا أنبيائهم ، فأرسل الله تعالي عليهم جندًا من الملائكة ، فحصل بينهم قتال عظيم ، وغلبوا الجنَّ وطردوهم إلي أطراف البحار ، وأسروا منهم أمما كثيرة ، وكان لكلِّ قبيلة ملك ، وأمير .

وكان إبليس من ملوكهم ، يصعد إلي السَّماء ويختلط بالملائكة ، فبعثه الله بجيوش من الملائكة ، فهزم الجن ، وقتلهم ، وتملك الأرض مدة طويلة إلي أن خلق الله تعالي "آدم" - عليه السَّلام - وانفق له ما انفق ، وأهبط إلي الأرض للخلافة الكاملة والسَّلطنة الجامعة ، وعظم شأنه ، فعند ذلك انتقل إبليس إلي البحر المحيط ، وسكن هناك ، وجعل عرشه علي الماء مقلّدا بجهله عرش الرَّحمن ، يدعي الرُّبوبية بين مردته ، ونحن نستعيذ بالله منه ، ومن مردته[١] .

* **أوَّل خليفة في الأرض:** "آدم" الصَّفي ؛ كما قال تعالي: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (البقرة: ٣٠) ، فهو أوَّل من جمع بين الخلافة والنُّبوة ، وأوَّل من علم الأسماء الإلهية ، وعلمها الملائكة كلّها ، فهو أوَّل معلم أظهر العلوم الإلهية (من علم الأسماء الإلهية) المكنونة في خزانة حضرة الغيب ما اطلعت الملائكة ولا الجن عليها ، اختصه الله تعالي بها واجتباه من المخلوقات كلّها ، فهو خاتم الخلائق شخصًا ، وفاتح الكلّ كمالاً وعرفانًا . وبه ظهرت المحبة ، وتمت المعرفة ، كما أشار في الخبر القدسي: كنت كنزًا مخفيًّا ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فكانت الحقيقة الإنسانية ، مجلي المحبة ومركز العرفان[٢] .

* **أوَّل خليفة ووصي بعد "آدم" الصَّفي:** "شيث" النَّبي - عليها السَّلام - أكبر أولاد

---

(١) كذا في كتب التَّواريخ .

(٢) كذا حقق المحققون ، في كتب المعاني .

"آدم" من جهة النُّبوة والدِّين ، وأمَّا من جهة الملك والسِّياسة البشرية وإقامتها "كيومرث" أوَّل ملوك بني أدم .

حكي الإمام الغزالي - رحمه الله - في كتاب : "سير الملوك" ؛ أنَّ آدم لَّما كثرت أولاده ، وبلغ حدهم أربعين ألفًا ، اختار من جميعهم اثنين ؛ أحدهما شيث ، والآخر "كيومرث" ، وأعطاهم أربعين صحيفة ليعملا بها .

فولي أولاً شيث لحفظ أمور الدُّنيا والآخرة ، وولي أولا "كيومرث" لحفظ نظام الممالك والسِّياسة بالضَّبط ، وتعمير العالم ، وكان ملكه ثلاثين سنة ، وسنذكر إن شاء الله أعداد ملوك الطَّبقات في قسم الأواخر من كتابنا ، والله الموفق .

*** أوَّل من فرق أولاد "آدم" إلى أقطار الأرض :** "مهلابيل بن قينان" ، وهو الوصى الخامس لَّما كثرت أولاد "آدم" ، فى زمانه ، وتضايقوا وتزاحموا ، وكانوا يسكنون فى الكهوف والغابات والجبال .

فنزل "مهلابيل" مع أولاد "شيث"[(١)] ، أرض بابل ، فبنى أولاً مدينة "سوس" و "بابل" ، فهو أوَّل من بنى المدائن . . وكان "شيث" أوَّل من سكن مصر ، نزلها "شيث" مع أولاد أخيه ، وأسكن أولاد "قابيل" أسفل الوادي ، وسكن هو فوق الجبل .

فلما مات وعمره اثنتا عشرة وتسعمائة سنة دفن بقرب أبيه - عليهما السَّلام - ثمَّ انتقلت الوصية والعهد إلي ابنه "أنوش" ، ثمَّ إلي ابنه "قينان" ، ثمَّ إلي ابنه "مهلابيل" ، ثمَّ إلي ابنه "يزد" ، ثمَّ إلي ابنه "أخنوخ" - وهو إدريس النَّبي[(٢)] ، عليه السَّلام ، ثمَّ إلي

---

(١) معنى : شيث" : هبة الله ؛ وسمى بذلك لأنَّ آدم وحواء رزقاه بعد أن قتل "هابيل" .
قال ابو ذر فى حديثه ، عن رسول الله ، ﷺ: إنَّ الله أنزل مائة صفحة وأربع صحف ، على خمسين صحيفة" .
قال محمَّد بن إسحاق : ولَّما حضرت آدم الوفاة ، عهد إلى ابنه "شيث" ، وعلمه ساعات اللَّيل والنَّهار ، وعلَّمه عبادات تلك السَّاعات ، وأعلمه بوقوع الطُّوفان بعد ذلك . قال : ويقال إنَّ أنساب بنى آدم اليوم كلَّها تنتهى إلى "شيث" ، وسائر أولاد "آدم" غيره انقرضوا ، وبادوا . . والله أعلم . (ابن كثير : "قصص الأنبياء" ، ص ٦٣)
وقام بالأمر من بعده ابنه "أنوش" ، ثمَّ "قينان" ، ثمَّ ابنه "مهلاييل" .
(٢) "إدريس" - عليه السَّلام - كان نبيًّا صديقًا ، بعد "آدم" ، و"شيث" - عليهما السَّلام - وهو أوَّل من خط بالقلم .

"متوشلخ" ، ثمَّ إلي ابنه "لامك" ، ثمَّ إلي ابنه "نوح" النَّبي[١] ، عليه السَّلام .

فكانت الوصية تارة تجتمع مع النُّبوة ، وتارة مع الولاية والحكمة والملك ، فهم عشرة آباء من أكابر أولاد أدم ، كانوا علي شرع آدم وعهده ووصيته ، وكان فيهم النُّبوة والولاية والحكمة والملك ، وكان لهم سلاطين وملوك علي شرائعهم إلي آخر أيام نوح ، وكان ملك زمانه فدعا إلى أن جاء الطُّوفان علي قومه .

قال ابن العباس: جاء الوحي إلي نوح - عليه السَّلام - وهو ابن ثمانين وأربعمائة عام ، ودعا الخلق إلي الله تعالي مائة وسبعين عامًا ، وما آمن به في تلك المدة إلا ثمانون نفسًا من أهل بيته ، وأقام الطُّوفان ستة أشهر ، وعاش نوح بعد الطُّوفان ثلاثمائة سنة[٢] .

* **أوَّل مدينة أسست فيه قاعدة الخلافة المحمدية:** المدينة النَّبوية - صلوات الله علي صاحبها ، ومن حلَّ بها - وذلك مدة خلافة أبي بكر الصِّديق الأكمل ، والإمام الأوَّل- رضي الله عنه - ومدة عمر عثمان - رضي الله عنهم - فلمَّا انتهت الخلافة إلي علي - رضي الله عنه - انتقل من المدينة إلي الكوفة ، واتَّخذها قاعدة خلافته .

وربما استوطن البصرة ، وكذلك ابنه الحسن ، وسيتخذها قاعدة الخلافة الخاتمية ، الإمام الخاتم "المهدي" - رضي الله عنه - في آخر الزَّمان ، فتكون الكوفة خاتمة قاعدة الخلافة لخاتم الخلفاء الرَّاشدين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

فلمَّا ولي معاوية انتقلت قاعدة الخلافة إلي دمشق ، ولم تزل إلي آخر الدَّولة

---

(١) هو "نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ (إدريس) بن يزد بن مهلابيل بن قينن ابن شيث بن آدم .
عن أبي أمامه ، قال : إنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ، أنبي كان آدم؟ . . قال : نعم مكلَّم ، قال : فكم كان بينه وبين نوح؟ . . قال : عشرة قرون .
وهو أوَّل رسول بعث لأهل الأرض بعد أن عبدوا الأصنام والطَّواغيت ، وكان قومه يقال لهم : "بنو راسب" ، فيما ذكره ابن جبير ، وغيره .
واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث ، فقيل ابن خمسين سنة ، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة ، حكاها ابن جبير ، وعزا الثَّالثة منها إلى ابن عباس .
(٢) كذا في تاريخ البيضاوي ، وغيره .

الأموية ، فلمَّا انتقلت الدَّولة إلي بني العباس ، سكن السَّفاح مدينة الأنبار ، فلمَّا ولى المنصور بنى بغداد ، وسكنها ، فصارت قاعدة الخلافة له ، ولبنيه إلى أيام المعتصم بالله ، فبنى بلدة "سر من رأى" ، فانتقلت الخلافة إليها ثمَّ عادت إلى بغداد إلى وقعة التَّتار ، ثمَّ انتقلت إلى مصر .

فانظر تغلب قواعد الخلافة من بلد إلي بلد ، بتنقل الزَّمان ، وقد كانت "بخارى" قاعدة السّلطنة زمن "بني ساسان" ، ثمَّ صارت "غزنة" زمن "محور بن سكتكين" ، ثمَّ همدان زمن دولة "السّلجوقية" ، ثمَّ خوارزم زمن "ملوك الخوارزمية" ، ثمَّ "دمشق" زمن الملك العادل "نور الدين الشَّهيد" ، ثمَّ مصر زمن السُّلطان "صلاح الدِّين" ، ثمَّ استقرت قاعدة الخلافة والسّلطنة بمصر إلي أن سلبها الملك المجاهد السُّلطان "سليم خان العثماني" ، فانتقلت إلي القسطنطينية ، أيدها الله تعالي وأبدها فيها إلي يوم القرار .

* **أوَّل طبقة من طبقات ملوك الفرس:** الطَّبقة الأولي الشَّهيرة بلسان العجم بطبقة "دادانيان" ؛ اتفق المحققون من أصحاب التَّواريخ أنَّ ملوك الفرس أربع طبقات : الأولي "دادانيان" ، الثَّانية "يانيان" ، الثَّالثة "أشكانيان" ، الرَّابعة "ساسانيان" .

آخر ملوكهم "يزدجرد بن شهريار" ، وسنذكر في فصل الأواخر عدد ملوكهم ، وأوائلهم ، وأواخرهم ، إن شاء الله تعالي[1] .

* **أوَّل طبقة من الملوك الإسلامية المحمدية:** طبقة الخلفاء الرَّاشدين ؛ أولهم أبو بكر الصديق ، وآخرهم الحسن بن علي - رضي الله عنهما - ذكره البيضاوي ، في تاريخه ، وقال : إنَّ الخلفاء الإسلاميين : ثلاث طبقات ، كلُّهم من قريش ، وهم من نسل إسماعيل - عليه السَّلام - والثَّانية : طبقة الأموية ، والثَّالثة : طبقة العباسية .

وتفرَّقت في خلافة طبقة العباسية من الملوك والسَّلاطين في الممالك الإسلامية تسع طوائف : الصّفارية ، والسّامانية ، والغزنوية ، والدّيالمة ، والسّلجوقية ، والسّلغرية ، والخوارزمية ، والمغولية ، والعثمانية ، أيد الله دولتهم ، ورفع علي أعلام الدُّول

(١) كما ذكره القاضى البيضاوى ، فى نظام التَّواريخ .

رايتهم إلي انقراض الأيام .

وأمّا الدّولة العثمانية فهي مجازة من الدّولة السّلجوقية ، في زمن الملك المجاهد السُّلطان "علاء الدِّين" ، أجاز عثمان الغازي بالدَّعوة والسَّيف والخطبة والسّلطنة ، وخلع عليه ، وناصحه في الله ، وأخذ البيعة منه للخلافة العباسية . فالدَّولة العثمانية علي عهد العباسية إلي يومنا هذا نابت منابها ، واستقرت مقرها - أدامها الله تعالي إلي يوم القرار - ونحن اليوم بحمد الله ومنه في زمان دولة المجاهد قامع عروق الرَّفض ، ورافع أعلام السُّنة شرقًا وغربًا ، فرسًا وعربًا ، في سنة سبع وتسعين وتسعمائة . أعني: السُّلطان مراد خان - ابن السلطان سليم بن سليمان خان - علي أجداده المجاهدين الرَّحمة والرِّضوان .

* **أوّل الخلفاء بالحق المتفق الصَّريح بعد رسول الله ، ﷺ:** "أبو بكر الصديق" ؛ قدمته الأمة المحمدية ، ورضوه إمام الملة الأحمدية ، علي صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام[1] .

* **أوّل من عهد بالخلافة:** "أبو بكر" ؛ لما مرض مرض الموت ، عهد بالخلافة

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ .
قال العسكرى : أوَّل الخلفاء : أبو بكر . . أوَّل خليفة ولى ، وأبوه حى : أبو بكر . . أوَّل خليفة قرض له العطاء رعيته : أبو بكر .
لّما ولى أبو بكر - رضى الله عنه - غدا إلى السُّوق ، فقال المسلمون : أقرضوا الخليفة رسول الله ما يغنيه .
قالوا : رداءاه إذا أخلقهما ، وضعهما ، وأخذ غيرهما ، نفقته على أهله كما كان ينفق قبل ذلك ، وظهره إذا سافر ، فقال : رضيت .
فلمَّا حضرته الوفاة ، أوصى بأن يرد ما أخذه من ذلك إلى موضعه من مال المسلمين .
وعن أبى جعفر المدائنى : قيل لأبى قحافة : استخلف أبو بكر .
قال : أوقرت بذلك بنو قصى؟ . . قالوا : نعم . . قال : يفعل الله ما يشاء .
قال : ولم ولوه؟ . . قالوا : لِسنِّه . . قال : فأنا أسنُّ منه .
ونازع أبو سفيان أبا بكر ، وأغلظ له أبو بكر . . فقال أبو قحافة : وقر أبا سفيان ؛ أى : بجله واحترمه . . فقال : إنَّ الله رفع بالإسلام بيوتًا ، ووضع بيوتًا ؛ فبيتك ممّا رفع ، وبيت أبى سفيان ممّا وضع .
وتوفى أبو قحافة بمكة بعد وفاة أبى بكر بستة أشهر وأيام فى المحرم سنة أربع عشرة ، وله سبع وتسعون سنة .
وكان "المنصور" يدعو "عبدالله بن الحسن" أبا قحافة ؛ لأنَّ ابنه "محمَّدًا" ادعى الخلافة ، وهو حى . (أبو هلال العسكرى : "الأوَّائل" ، ص ١٤٥)

لعمر ، فقيل لـه : وليت ، وعهدت شديدًا علي الأمة ، فقال : إن عدل واستقام فذاك ظني به ، وإلا فلا أعلم الغيب ، وقرأ : ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ (الشُّعراء : ٢٢٧) . ومات أبو بكر - رضي الله عنه - يوم الجمعة ، وعمره : ثلاث وستون سنة ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وسبعة أيام ، ولَمَّا مات ورثه أبو قحافة ، ومات بعده بسنة ، ولم يل الخلافة من أحد وأبوه حي غير أبي بكر ، وكان نقش خاتمه : نعم القادر الله ، وكان في يده خاتم رسول الله ﷺ وكان كاتبه : عثمان[1] .

* **أوَّل مَن ولاه أبو بكر شيئًا من أمور المسلمين :** "عمر" ، رضى الله عنهما .

* **أوَّل خليفة سمى بأمير المؤمنين :** "عمر" - رضى الله عنه - ومات وعمره ثلاث وستون سنة ، وجعل بعده أمر الخلافة شورى بين ستة نفر : عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزُّبير ، وعبدالرَّحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، فاتفقوا على عثمان ، وله الفتوحات الجليلة ، والسِّير السُّنية . . كان نقش خاتمه : كفى بالموت واعظًا[2] .

* **أوَّل من اتَّخذ بيت المال :** "عمر" ، وقيل : "أبو بكر" - رضى الله عنهما - لكنَّه كثر وانتظم فى زمن "عمر"[3] .

* **أوَّل خليفة مصر الأمصار فى الإسلام :** "عمر" - رضى الله عنه - مصَّر "بصرة"

---

(١) كذا فى أصول التَّواريخ .

(٢) كذا فى أصول التَّواريخ ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٨ ، ١٣٩ - تحقيق عبد الله المنشاوى - مكتبة الإيمان بالمنصورة ، أوائل العسكرى ١٥٢ .كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم ، فقدما ، فقالا لعمرو بن العاص : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال : أنتما والله أصبتما اسمه . فدخلا على عمر ، فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لكما فى هذا لتخرجن مما دخلت فيه . . قال : أنت الأمير ، ونحن المؤمنون . فجرى الكتاب بذلك من يومئذ . وقيل أنّ سبب تسميته يا أمير المؤمنين ، أنّه لما ولى كانوا ينادونه : يا خليفة خليفة رسول الله فرأى أصحابه الأمر سيطول ، واستثقلوا ذلك ، فدخل رجل وهو المغيرة بن شعبة وهم يودعون عمر للسفر إلى العراق ، فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين . فنادوه يا أمير المؤمنين من يومئذ (العسكرى : الأوائل ص١٥٠ ، ١٥١ ، محمد حسين هيكل الفاروق ص ١٠٧) .

(٣) أوائل السُّيوطى ، ص ١٠١ .

في الشَّرق ، ثمَّ "فسطاطا" بمصر ، ثمَّ ، وثمَّ . . [١]

* **أوَّل خليفة أرَّخ من الهجرة ، واتَّخذ الدّره : "عمر"[٢] .**

* **أوَّل خليفة رتَّب النَّاس والجنود شرقًا وغربًا : "عمر"[٣] .**

* **أوَّل خليفة حمل الطعام من مصر إلي المدينة : "عمر"** ؛ حفر خليجا من النِّيل إلي بحر القلزم بمكان السِّويس ، كان يحمل منه إلي "ينبع" ، ومنه إلي "المدينة" ، وإلي "جدَّه" ، ومنها إلي "مكة" . استخدم عمرو بن العاص بحفرة وفتحه ، وكان هذا الخليج حفره ملك مصر في زمن إسماعيل - عليه السَّلام - ثمَّ انسد ، ثمَّ جدد في خلافة عمر ، ثمَّ انسد في خلافة الفاطمية إلي يومنا هذا[٤] .

* **أوَّل من اتَّخذ الدَّواوين ، ونصب الكتاب لبيت المال ومواجبه ، وأجري الأرزاق علي العساكر الإسلامية من بيت المال : "عمر"[٥] .**

* **أوَّل من فتح الفتوح من الحصون ، ومسح السَّواد والولاة بالعساكر وسير الأعلام ، ورتب الألوية ، وسير الجيوش شرقًا وغربًا : "عمر"[٦] .**

* **أوَّل من فرض الفرائض ، وعرَّف العرفاء : "عمر"[٧] .**

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ ، اوائل العسكرى ١٥١ ، كتب أبو موسى الأشعرى إلى عمر ، إنَّه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها يعمل ، قد قرأنا صكاً منه محله شعبان ، فما ندرى أى الشعبانين الماضى أم الآتى فرأى أن الأشهر الحرم تقع حينئذ فى سنتين (لا يتصور أن تقع فى سنتين ، ولكن هكذا وجدت العبارة فى المخطوطات ، ولعل المراد أنها تقع فى سنتين حيث كانت السنة عندهم تنتهى فى ذى الحجة) فجعله من المحرم وهو آخرها فصيره أولاً لتجتمع فى سنة واحدة . وقد أرَّخ بنو "إسماعيل" من نار "إبراهيم" إلى بنائه البيت ، إلى تفرق معد ، إلى موت كعب بن لؤى ، ثم أرخوا بعام الفيل ، ثم أخيرا بالهجرة . وكان ذلك فى ربيع الأولى سنة ١٦هـ (أوائل العسكرى ص ١٥١) .

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ .

(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ ، ابن سعد الطبقات ٢٥٤/٣ وما بعدها .

(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٩ .

(٦) تاريخ الخلفاء ، للسيوطى ص ١٣٩ وما بعدها .

(٧) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠١ .

* **أوّل خليفة ولي في حياة أمه :** "عثمان"[١] .

* **أوّل من اقتطع الأرضين للمجاهدين :** "عثمان" - رضي الله عنه - قال أهل الضّبط : لم يقتطع غيره من قبل ، بل هو أوّل من أقطع القطائع من المزارع والقرى[٢] .

هنا قطع المؤلف كلامه عن الأوّائل، وذكر حادثة وقعت له أثناء تأليف الكتاب، ص ٨١؛ يقول:

في اليوم السَّابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ، وقعت لي حادثة غريبة ، وقعت تحرير هذا العمل ، وانتهي خطي لهذا الكتاب إلي آخر هذه الصحيفة ، ففكرت في شهادة عثمان لأي سبب طرأ عليه من جرأة الخلق . فعزم خاطري إلي خروج بلدة نجوى في تلك الصَّبيحة ، فشرعت في مطالعة : تاريخ الجوهر الثَّمين في سير الخلفاء الرَّاشدين ، وأنا راكب علي العجلة المسماة بالتُّركي بـ (قوجي) ؛ فبينما أنا ناظر في التَّاريخ المذكور ، وصلنا مع نفر إلي محل فيه خيمة الأعداء ، وخاطري متعلق بحقيقة شهادته . إذ طلعت سرية أهل الحرب من الكمين ، فنشروا البنادق علينا من غير تردد وتوقف ، واستشهد رجل منا ، شهير بالإقدام في تلك السَّاعة ، في ذلك المحل ، وخرج منا صاحب رايته ، ووقع بيننا حرب عظيم ، وحصل الظَّفر ، وقتلنا منهم نفوسًا وأسرنا نفوسًا ، وأنا مستمد من الحضرة العثمانية الشَّهادة ، ونسأل الله ، ونستمد به أن يرزقنا شهادة كاملة ، وخاتمة خالصة ، أمين . . اللهم أمين . أ . هـ .

* **أوّل وهن وبلاء نزل بالأمة :** قتل عثمان وهو خليفتهم حقا[٣] .

* **أوّل خليفة من بني هاشم :** "علي بن أبي طالب" - رضي الله عنه - وهو ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهو أوّل إمام من الأئمة الاثني عشر من أهل البيت المحمدي ،

---

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠١ ، تاريخ الخلفاء - فصل فى أوليات عمر ص ١٣٩ وما بعدها .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ .أسنده عن جابر ، وأخرج ابن أبى شيبة ، عن الشَّعبى ؛ قال : لم يقطع النَّبى ﷺ ولا أبو بكر ، ولا عمر . . وأوّل من أقطع القطائع : "عثمان" .
(٣) ذكره صاحب كتاب : "حياة الحيوان" .

صلوات الله عليه وسلامه ، وعلي أهل بيته[١] .

* أوَّل من بايع "عليًّا" : طلحة ، وكانت أصبعه مشلولة ، فقال بعض النَّاس تشاؤمًا : يد شلاء ، وأمر لا يتم ، فجري ما قدَّره الله تعالي من خروج الفئة الباغية وغيرها من الفتن حتى استشهد يوم الجمعة سابع عشر من رمضان ، ومات بعد يومين[٢] . وصلي عليه ابنه الحسن ، ودفن بدار الإمارة وغيب قبره ليلاً ، سترًا من الخوارج والأموية ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . . وكان نقش خاتمه : "الملك لله الواحد القهار" كان قاضيه : "شريح" ، وحاجبه : "قنبر" ، غلامه[٣] .

* أوَّل الخلفاء ورودًا علي الحوض : "علي" - رضي الله عنه - لمَّا روي عن رسول الله ، ﷺ: "أوَّلكم واردًا ، أوَّلكم إسلامًا علي ، وهو ولي كلّ مؤمن ومؤمنة من بعدي"[٤] .

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، السيوطى ١٦٧ ، إلى ١٨٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٢٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، السيوطى ١٦٧ إلى ١٨٦ .

(٤) أوَّائل السُّيوطى ، هكذا أشار المؤلف ، ولم أجده ؛ أمَّا الأوَّائل التى كتب عنها ، فهى :

❖ أوَّل من يدخل الجنَّة من الأغنياء : "عبدالرَّحمن بن عوف" .
حديث ضعيف ، انظر : الجامع الكبير ، ج ١ ، ص ٣٢٢٤ ، ص ١٥٣ .

❖ أوَّل من يدعى إلى الجنَّة : الحمادون فى السَّراء والضَّراء . أخرجه الطَّبرانى ، عن ابن عباس ، مرفوعًا . الحديث فى الجامع الصَّغير ، ج ١ ، ص ١١٣ - ورمز السُّيوطى لحسنه (ص ١٥٣) .

❖ أوَّل من يدخل الجنَّة : التَّاجر الصَّدوق .
أخرجه ابن أبى شيبة ، عن أبى ذر مرفوعًا . الجامع الكبير ، ج ١ ، ص ٣٢٤٢ ، (ص١٥٣) .

❖ أوَّل من يدخل الجنَّة من هذه الأمة : أبو بكر . أخرجه أبو داود ، عن أبى هريرة مرفوعًا . (ص ١٥٢) .

❖ أوَّل من يرد الحوض من فقراء الأمة : الشُّعث رءوسًا ، الدّنس ثيابًا ، الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السّدد . أخرجه التّرمذى ، عن ثوبان مرفوعًا . (ص ١٥١) .

❖ أوَّل من يرد الحوض : المتحابون فى الله . أخرجه الدّيلمى ، عن أبى الدرداء مرفوعًا . (ص ١٥١) .

❖❖ وجاء فى الأوَّائل للطبرانى ص١١٤ : عن الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "أوَّل من يرد حوضى أهل بيتى ، ومن أحبنى من أمَّتى" .
رواه ابن أبى عاصم ، فى كتاب السّنة ، ٢/٣٤٨ - وكنز العمال ، ١٢ ، حديث رقم ٣٤١٧٨ - والأوَّائل لأبى بكر الحنبلى ، ص ١١١ .

=

* **أوَّل من فرَّق بين الخصوم:** "علي" ، رضي الله عنه[١] .

* **أوَّل من اتَّخذ بيتًا تطرح فيه النَّاس القصص:** "علي"[٢] ، وهو المسمي اليوم عند الملوك العثمانية : "الدّفترخانة" .

* **أوَّل خليفة خلع نفسه من الخلافة ، وجاد بها إصلاحًا بين المسلمين:** "الحسن بن علي" - رضي الله عنهما - اقتداءً بقول جدِّه رسول الله ، ﷺ: "إنَّ ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

وذلك لَّما تولي الخلافة بالكوفة ، سار إلي الشَّام ليأخذها من معاوية ، وسار جيش الشَّام إليه ، فلمَّا تقارب الجيشان رأي المصلحة في جمع الكلمة ، والصُّلح ؛ فترك القتال وأرسل معاوية إليه لينزل عن الخلافة ، وأن يكون ولي عهده ، وأن يمكنه من بيت المال ، فقبل الصُّلح .

= ❖❖ وفى باب أوَّل من يرد الحوض بعد هذه الطَّبقة :

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺقال: قال رسول الله ، ﷺ: "حوضى ما بين عدن إلى عمان البلقاء - سميت بذلك لقربها من البلقاء ؛ والبلقاء بلدة بفلسطين ، فهو يقصد عمان الأردن - أحلى من العسل ، وأطيب من المسك ، وأبيض من اللّبن ، أكوابه عدد نجوم السَّماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا .

أوَّل النَّاس يرد عليه : فقراء المهاجرين ، الشُّعث رءوسًا ، الدّنس ثيابًا ، الذّين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السّدد" .

اللُّغة : الدّنس ثيابًا : ثيابهم عليها لطخ الوسخ . السّدد : جمع سُدَّة ، وهى باب الدَّار ؛ والمراد أنَّ أصحاب الشَّأن والجاه فى الدُّنيا ، لا يسمحون لهم بالدُّخول عليهم لفقرهم ، واتساخ ثيابهم وأجسادهم ، ورداءة هيئتهم .

رواه : "أبو عاصم النَّبيل" ، فى كتاب السّنة ، ٣٢٥/٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ - والأحاديث الصَّحيحة ، ١٠٨٢ - والشَّريعة ، لأبى بكر الأجرى ، ٣٥٣ - ومشكاة المصابيح ، ٥٥٩٢ ؛ وفيه : " . .وأوَّل النَّاس ورودًا ؛ فقراء المهاجرين" . ومسند أحمد ، ٢٧٥/٥ - والتِّرمذى ، ١٥٤/٧ - وابن ماجه ، ١٤٣٨/٢ - والحاكم ، فى المستدرك ، ١٨٤/٤ - ومسند عمر بن عبدالعزيز ، ١٣٨ ، ٦٧ - وتذكرة القرطبى ، ٣٦٦ - والفتن والملاحم ، ٣٤٣/١ ، ٢١٦/٢ - وجامع الأصول ، ٤٦٥/١ - وكنز العمال ، ١٤ ، حديث رقم ٣٩١٤٥ - والوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ١٥١ - والسِّير ، ٤٥٦/٤ - ومجمع الزَّوائد ، ٢٦٠/١٠ - وتحفة الأحوذى ، ٧ /١٢٥ ، ١٢٦ .

وقال : أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم ، وصححه . الأوَّائل لأبى عاصم النَّبيل ، ص ٨١ - والأوَّائل لأبى بكر الحنبلى ، ص ١١١ .

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ .

(٢) كذا ذكره السُّيوطى ، فى الأوَّائل ، ص ١٠٢ .

فكان الحسن أوّل خليفة خلع نفسه باختياره ، وأوّل ولي عهد ، وأوّل من جاد بالخلافة ، ما سمحت بمثلها نفس سامح . . قال له معاوية ، حين رضي بالصُّلح : يا أبا محمَّد سمحت بشئ ما سمح بمثله ، لله درك ! أيقظت بالجود دهرًا .

الحسين - رضي الله عنه - آخر خليفة خلع النَّاس الخلافة عنه ظلمًا ؛ لأنَّ أهل العراق كانوا قد أعطوه العهد والبيعة له ، فسار عازمًا لمقام الخلافة ، فقطع القطاع الباغية ، والأشراء الطَّاغية طريقه إليها . واستشهد ، فصار سيد شهداء الأمة المحمدية ، فما أحسن في الحسنين جمعية : أوَّلية الخلافة ، وآخريتها . . بهم تمَّ الكمال ، وختم الوجود ، صلوات الله علي جدِّهم ، وأبيهم ، وأمهم ، وعليهم ، وعلي آلهم أجمعين[١] .

* **أوَّل مخلوع من الخلفاء الرَّاشدين :** "الحسن بن علي" - رضي الله عنهما - وهو السَّادس للخلافة النَّبوية . . والمخلوع السَّادس من العباسين : محمد بن هارون . . والسَّادس من المروانية ، فليس بمخلوع ، وهو : سليمان بن عبد الملك .

أقول الخلع في السَّادس ، تبعًا لأهل البيت ، والمروانية ليسوا على طريقة المودة لأهل البيت ؛ فذلك ما جري فيهم الخلع في السَّادس . . والمخلوع السَّادس من الغرنوية : علي بن مسعود . . والسَّادس من السَّلجوقية : معز الدِّين أبو الحارث . . والمخلوع السَّادس من التُّركية : السُّلطان : سلامش بن الظَّاهر بيبرس . والمخلوع السَّادس من الأيوبية بمصر : الملك الصَّالح ؛ مات مخلوعًا علي سرير السَّلطنة .

والخلع في الأكثر جري لا في الكلِّ ، فيعطي حكم الأكثر للكلِّ عند الذِّكر .

وهذا الخلع تبعا للسلالة الأحمدية ؛ أعني : الإمام الحسن عقوبة للمتغلبين بعده ، وتشريفًا له ؛ فافهم سر الخلع بين الملوك الإسلامية إلي يوم القيامة ، فكلُّ سادس بعده مخلوع تبعًا له وتشريفًا ، وهذا سر في الخلافة[٢] .

---

(١) كذا ذكره ، في : "سير الخلفاء الرَّاشدين" .
(٢) قال غير واحد من المحققين ، ودريد وغيره .

* أوَّل الملوك الإسلامية: "معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ابن أمية" تولَّي الخلافة ، واجتمع لـه الأمة بعد الصُّلح الحسني ، في سنة إحدي وأربعين من الهجرة ، ولعلَّه تاب ممَّا فعل في حق أمير المؤمنين سيدنا "علي" ، رضي الله عنه .

لأنَّه قال: ما زلت أطمع في الخلافة مذ قال رسول الله ، ﷺ : "يا معاوية إذا ملكت فأحسن"(١) ، وقال يدعو: "اللهم اجعله هاديًا مهديًّا ، واهد به . (ذكره الترمذي في صحيحه)(٢) وكان كاتب وحية ومهره ، وأقام خليفة تسع عشرة سنة ، ونائبًا للخلفاء عشرين سنة . . اجتمع تحت حكمه من حدود بخاري من المشرق ، إلي حد القيروان من المغرب . . وكان نقش خاتمه: لكلِّ عمل ثواب(٣) .

* أوَّل خليفة جلس بين الخطبتين ، وسنَّ ذلك: "معاوية" ، رضي الله عنه(٤) .

* أوَّل خليفة وضع البريد في الإسلام: "معاوية" ، رضي الله عنه(٥) .

* أوَّل من اتَّخذ صاحب حرس وحجب: "معاوية" ، رضي الله عنه(٦) .

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/٤٤٦ وفى سنده إسماعيل بن إبراهيم وهو ضعيف .

(٢)أخرجه الترمذى وحسنه عن عبد الرحمن بن أبى عميرة الصحابى عن النبىﷺ .

(٣) تاريخ سير الخلفاء .

(٤)تاريخ الجوهر الثَّمين ، وأخرج ابن شيبة ، عن طاووس ، قال: خطب رسول اللهﷺ قائمًا ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان .

وإنَّ أوَّل من جلس على المنبر: معاوية بن أبى سفيان . (أوَّائل السُّيوطى ، ص ٣٥)

وأخرج البيهقى فى سننه ، عن عبدالرَّحمن بن القاسم ، عن أبيه ، أنَّه أوَّل من ركب عند رمى الجمار ، ذاهبًا وراجعًا . (أوَّائل السُّيوطى ، ص ٤٨)

وأخرج الأزرقى (أخبار مكة ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣) عن حسن بن القاسم ، قال: أوَّل من خطب بمكة على منبر "معاوية بن أبى سفيان"؛ قدم به من الشَّام ، سنة حج فى خلافته ، منبر صغير على ثلاث درجات ، وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قيامًا فى وجه الكعبة ، وفى الحجر . (أوَّائل السُّيوطى ، ص ٥٤)

❖أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن أبى زيد ، عن رجاله ، عن غبراهيم ، عن الشَّعبى ، قال: "أوَّل من خطب جالسًا: معاوية ، حين كثر شحمه ، وعظمت بطنه ، وهو أوَّل من نقص التَّكبير ، وكان إذا قال: سمع الله لمن حمده ، انحط إلى السُّجود ولم يكبر ، فعد النَّاس خطبته جالسًا من البدع" . (العسكرى: "الأوَّائل" ، ص ٢٤٠)

(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ .

(٦) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ . أخرجه: ابن عساكر ، عن طريق الوليد بن هشام ، عن أبيه ، عن جدِّه .

* **أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته:** "معاوية" ، رضي الله عنه[١] .

* **أوَّل من اتَّخذ ديوان الخاتم:** "معاوية" ؛ وسببه أنَّه أمر لرجل بمائة ألف ، ففك الكتاب ، وجعله مائتي ألف ، فلمَّا رفع الحساب إلي معاوية أنكر ذلك ، واتَّخذ ديوان الخاتم من يومئذ ، واستمر في الخلفاء إلي وقتنا هذا . . وكان علي فصه : لكلٍّ عمل ثواب[٢] .

* **أوَّل من بني دار العدل لكشف الظُّلامات:** السُّلطان الصَّالح نور الدِّين الشَّهيد ؛ بسبب ما جري لـه بدمشق ، لمَّا ظلم بعض أمرائه النَّاس ، فكان ينتصف من وزرائه وأمرائه للرعية ، وهو: محمود بن زكي بن آق سنقر ، وهو الذي أنشأها .

قال الإمام في تاريخه : سمعت من جماعة من أهل دمشق أنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جرب ذلك فصح ، وكانت دولته ثمانية وعشرين سنة ، أبطل جميع المكوس من مملكته ، وأخذ من الإفرنج نيفًا وخمسين مدينة . . وكان يقاتل بنفسه ويتعرض للشهادة ، ويسأل الله تعالي أن يحشره من بطون السِّباع والطُّيور ، ولـه سند ورواية في الحديث ، وكان كثير المطاردة ، مليح الخط ، قال السُّيوطي في تاريخه نقلا عن بعض الثِّقات : أنَّه كان من الأولياء ، وكذلك السُّلطان محمود بن سبكتكين[٣] .

* **أوَّل خليفة ركب البحر وغزا فيه:** "معاوية" - رضي الله عنه - فتح قبرص ، وبني بها جامعًا وسير في سفره ألف مركب[٤] .

* **أوَّل من قيل لـه السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته:** "معاوية"[٥] .

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ . ووَّلى معاوية : عبيد الله بن أوس الغسانى . (ديوان الخاتم)
(٣) تاريخ الخلفاء .
(٤) تاريخ الجوهر الثَّمين .
(٥) أوَّائل السُّيوطى ١٦٢ ، ٢٨ ❖ أوَّل من أمر المؤذن أن يشعره ويناديه ، فيقول: السَّلام على أمير المؤمنين ، الصَّلاة يرحمك الله : معاوية بن أبى سفيان . ذكره الباجى ، فى: "شرح الموطأ" ، وابن عبد البر ، فى: "الاستذكار" .
قال ابن عبد البر: وقيل إنَّ المغيرة بن شعبة أوَّل من فعل ذلك . . قال: والأوَّل أصح . =

* **أوَّل من انتقش علي خاتم الخلافة تزويرًا ، وأصاب به مالاً من الخراج :** "معن بن زائدة" ، في أيام "عمر" - رضي الله عنه - فضربه وحبسه(١) .

* **أوَّل من استحلف الجند :** "معاوية" ، استحلفهم بالله والعتاق(٢) .

* **أوَّل من عهد بالخلافة في صحته :** "معاوية" ، عهد لـ "يزيد" ، وكان "يزيد" أولي بالسِّياسة من الخلافة ، وكان أوَّل الأشرار من الملوك(٣) .

= *أوَّل من قيل له السَّلام عليكم يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته ، الصَّلاة يرحمك الله ، معاوية بالشَّام ، ومروان بالمدينة .أسنده العسكري ، عن الزُّهري . (الأوَّائل ، ص ١٠٢)
ورواية العسكري : أخبرنا أبو أحمد ، عن أبي زيد ، عن عبدالله بن عبدالصَّمد ابن خداش ، عن الوليد بن مسلم ، قال : سألت الأوزاعي عن التَّسليم على الأمراء ، فقال : أوَّل من فعله معاوية .
وأقره عمر بن عبدالعزيز ، قال الأوزاعي : إنِّي لأكره لأنَّه مفسدة لقلوبهم .
(أبو هلال العسكري : "الأوَّائل" ، ص ٢٤١)

(١) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١٠١ . أسنده عن : خالد بن سمير .

(٢) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١٠٢ . نصه : أخرج الزُّبير بن بكار ، في : "الموفقيات" ، عن محمَّد بن عبدالله بن أخي الزُّهري ، قال : قلت للزهري : من أوَّل من استحلف على البيعة؟ فقال : معاوية ، استحلفهم بالله ، فلمَّا كان عبدالملك بن مروان ، استحلفهم بالطَّلاق والعتاق .

(٣) تاريخ الملوك ، وانظر : أوَّائل السُّيوطي ، ص ١٠٢ .
كتب أبو هلال العسكري ، في الأوَّائل ، ص ٢٣٥ :
أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهري ، عن أبي زيد ، عن سعيد بن عامر ، عن جورية ابن أسماء ، قال : لمَّا أراد "معاوية" البيعة لـ "يزيد" ، كتب إلى "مروان" ، وهو على المدينة ، فقرأ كتابه على النَّاس . فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد كبر سنه ، ورقَّ عظمه ، وخاف أن يأتيه أمر النَّاس ، فيدع النَّاس حيارى كالغنم ، لا راعي لها ، فأحب أن يعلم علمًا ، ويقيم إمامًا بعده . فقيل : وفق الله أمير المؤمنين ، وسدده ، فليفعل ، فكتب "مروان" إليه بذلك ، فكتب ، أنْ سَمِّ "يزيد" ، فسماه .
فقال عبدالرَّحمن بن أبي بكر : كذبت والله ، وكذب "معاوية" ، لا يكون ذلك أبدًا ، أشِبْهَ الرُّوم؟ كلما مات هرقل ، قام هرقل .
فقال "مروان" : هذا الذي قال فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا ﴾ (الأحقاف : ١٨) .
فأنكرت "عائشة" عليه ذلك ، وكتب "مروان" إلى "معاوية" بذلك .
فأقبل - أي "معاوية" - فلمَّا دنا من المدينة استقبله أهلها ، وفيهم : عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزُّبير ، والحسين بن علي ، وعبدالرَّحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهم - فلمَّا رآهم سبهم واحدًا ، واحدًا .
قال للحسين : مرحبًا بسيد شباب المسلمين . . وقال لعبدالرَّحمن بن أبي بكر : مرحبًا بشيخ قريش وسيدها . . وقال لابن عمر : مرحبًا بصاحب رسول الله . وقال لابن الزُّبير : مرحبًا بابن حواري رسول الله ، ﷺ ، ودعا لهم بدواب ، فحملهم عليها . (العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١٣٢ ، مطبعة الاستقامة ، بالقاهرة)
ودخل "معاوية" إلى المدينة ، وخرج هؤلاء الرَّهط معتمرين ، ثمَّ خرج "معاوية" حاجًا ، فاستقبلوه ، فلمَّا=

* **أوَّل من اتَّخذ المغاني والنُّدماء للخمر ومجلس الفسوق:** "يزيد" ، عليه من الله ما يستحق[١] .

* **أوَّل من لعن من الملوك وأهان أهل البيت ، والصُّحب الكرام ، ورميت الكعبة في زمنه بالمنجنيق حتي انهدم جدارها ، ونهبت المدينة ، وقتلت الصحابة في عهد:** "يزيد" ، عليه ما يستحق[٢] .

* **أوَّل ملك جبار من بني آدم ، ولبس تاج الكبر:** "نمرود بن كنعان"[٣] .

* **أوَّل خليفة أحدث الرُّكوب علي حلية الذَّهب:** "المعتز بالله"[٤] .

* **أوَّل ملك نال الملك:** من ولد "النَّضر بن كنانة" ، "قصي" ، وهو الذي بني دار النَّدوة ، لمَّا استوي أمر مكة له[٥] .

=خلوا عليه ، رحب بهم وألطفهم ، ثمَّ أرسل إليهم يومًا ، فقالوا لابن الزُّبير ، أنت صاحبه فكلمه ، فلمَّا دخلوا عليه ، دعاهم إلى بيعة "يزيد" ، فسكتوا ، فقال: أجيبوني .
فقال ابن الزُّبير ، اختر خصلة من ثلاث: إمَّا أن تفعل فعل رسول الله ﷺ فلا تستخلف . .أو فعل أبى بكر ؛ نظر إلى رجل من أعراض قريش (أحسنهم نسبًا وشرفًا) . .أو فعل عمر ؛ جعلها شورى فى ستة .
فقال "معاوية" : ألا تعلمون أنِّى كنت قد عودتكم من نفسى عادة ، أكره أن أمنعكم إياها حتى أبين لكم؟ . . أنِّى كنت أتكلم بالكلام ، فتعرضون فيه ، وتردون على ، وإياكم أن تعودوا ، وإنِّى قائم ، فقائل مقالاً لا يعارضنى فيه أحد إلا ضربت عنقه .ثمَّ وكَّل بكلٍّ واحد منهم رجلين ، وقام خطيبًا ، فقال: إنَّ عبدالله بن عمر ، وابن الزُّبير ، والحسين بن على ، وعبدالرَّحمن بن أبى بكر ، قد بايعوا ، فبايعوا - أى: "يزيد" - فابتدر النَّاس يبايعون ، حتى إذا فرغ ركب نجائبه ، ومضى إلى الشَّام .أقبل النَّاس على هؤلاء يلومونهم . .فقالوا: والله ما بايعنا ، ولكن فعل بنا ما فعل .

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ولم أجده .وانظر السيوطى ، تاريخ الخلفاء ٢٠٣ إلى ٢٠٧ .
(٢) أوَّائل السُّيوطى - المرجع السابق .
(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٨١ .والنَّمرود بن كنعان: هو أوَّل من وضع المكس والعشور ، وسنَّ الأسر والحبس ، واتَّخذ القوس الفارسية ، وخبز الرِّقاق ، وملك الأرض شرقها وغربها ، وأوَّل من تغنى له من الملوك .
(انظر: الأوَّائل: ٤٥ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٤٤)
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٨١ - تاريخ مكة .
وتصحيح الخبر: "أوَّل خليفة أحدث الرُّكوب بحلية الذَّهب المعتز بالله" .
(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٢ .
نقل ابن سعد ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال: كان قصى بن كلاب ؛ أوَّل ولد كعب بن لؤى ، أصاب ملكًا أطاع له به قومه ، فكان شريف أهل مكة لا ينازع فيها ، فابتنى دار النَّدوة ، وجعل بابها إلى البيت ، ففيها يكون أمر قريش كلّه ، ما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم .وكانوا يتبعون=

* أوَّل من عقد الرَّايات السُّود ، وسوَّد ثيابه ، وخرج من خراسان : "أبو مسلم الخراساني" ، فوطأ السُّلطان للدولة العباسية ، والخلافة الهاشمية ، جزى الله سعيه خيرًا(١) .

* أوَّل الخلفاء العباسية : "عبد الله السَّفاح" ، ابن محمد بن علي ابن عبد الله ابن العباس - رضي الله عنهم - ولقب بالسَّفاح لكثرة ما سفح من دماء المبطلين ، وأظهر الله تعالي بني هاشم علي الأموية ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها .

وكانت بيعة "عبد الله السَّفاح" بالكوفة العلوية ، فصعد المنبر ، وخطب قائمًا ، وكان بنوا أمية يخطبون قعودًا ، فنادي النَّاس يا ابن عم رسول الله ، أحييت السُّنة ، أحياك الله(٢) .

* أوَّل من لقب بالوزير في الإسلام : "أبو سلمة حفص بن سليمان" ، وزير الخليفة السَّفاح ، أوَّل خلفاء بني العباس . . قال السيوطي ، في المحاضرات المصرية : لم تكن رتبة تعرف بالوزارة مدة بني أمية ، بل كان من أعان الأمراء علي أمرهم يسمي بالعامل ، والحاكم .

=أمره كالدِّين المتبع لا يعمل بغيره فى حياته وبعد موته ، وكانت إليه الحجابة ، والسِّقاية ، والرِّفادة ، واللواء ، والنَّدوة ، وحكم مكة كلّها ، وكان يَعْشر من دخل مكة سوى أهلها . وإنَّما سميت دار النَّدوة ؛ لأنَّ قريشًا كانوا ينْتَدُون فيها ؛ أى : يجتمعون للخير والشَّر .

وقطع قصى مكة رباعًا بين قومه ، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم التى أصبحوا فيها اليوم .

ضاق البلد "مكة" ، وكان كثير الشَّجر العضاة والسّلَم ، فهابت قريش قطع ذلك فى الحرم ، فأمرهم قصى بقطعه . وقال : إنَّما تقطعونه لمنازلكم ، ولخططكم ، بَهْلَةُ الله - أى : لعنة الله - على من أراد فسادًا .

وسمى قصى مجمعًا لما جمع من أمر قريش ، وتيمنت به وبأمره ، وشرفته قريش وملّكته ، وأدخل "قصى" بطون قريش كلّها الأبطح ؛ فسموا قريش البطاح .

وبقصى سميت قريش ، قريشًا ، وكان يقال لهم قبل ذلك : "بنو النَّضر" .

(انظر : ابن سعد ، ج ١ ، ص ٥١ ، ٥٢ - ابن هشام : "السِّيرة النَّبوية" ، ص ١٢٥ - النّويرى : "نهاية الأرب" ، ج ١٦ ، ص ٢٩ - الطَّبرى : "تاريخه" ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، نقلاً عن : ابن سعد)

(١) وهو أوَّل من اشتهر باللعب بالصُّقور ، ذكره الدَّميرى ، فى : "حياة الحيوان" .
انظر : الأوَّائل ، للسيوطى ، ص ٩٢ .

(٢) كذا فى : "تاريخ سير الملوك" .

* **أوَّل من فخم الملك في هذه الأمة ، وعظَّم قواعد السَّلطنة : "عبد الملك بن مروان"** ، إذ لم يستتب لأحد الأمر بعد "عثمان" - رضي الله عنه - كما استتب له .

فأوَّل من دعي علي لسان العامة والخاصة بالوزير: "أبو سلمة" في دولة السَّفاح ، فكانت للوزارة رتبة خاصة تجري لها القوانين ، وتنتظم بها الدَّواوين ، وإن كانت الوزارة وظيفة قديمة كانت للملوك قبل الإسلام ، بل من قبل الطُّوفان ، وكان للأنبياء- عليهم السَّلام - الوزراء ، كما أخبر سبحانه وتعالي عن موسي ، عليه السَّلام: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ [طه: ٢٩].

وقال رسول الله ، ﷺ: إنَّ الله أيدني بأربعة وزراء ، اثنين من أهل السَّماء: جبرائيل ، وميكائيل . . واثنين من أهل الأرض: أبو بكر ، وعمر" . . وفي الباب أخبار كثيرة[١] .

* **أوَّل خليفة لقب نفسه ، وهو أبو الخلفاء العباسية إلي اليوم: "أبو جعفر المنصور"** ، أخو السَّفاح ، بويع بالخلافة بعهد أخيه ، وهو الذي عمَّر بغداد ، وهدم دار كسري ، والمدائن . . وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، وكان يخالط زينة الملك بزي الفقراء[٢] .

* **أوَّل من لقب بالسُّلطان في الإسلام: "محمود بن سبكتكين"** ، لقبه: "القادر بالله" ، وكان يلقب بـ "يمين الدولة" ، فلمَّا عظم أمر الديلم ، وشرورهم حتي خشي علي الخليفة منهم ، أظهر الله عليهم السُّلطان "يمين الدُّولة: محمود بن سبكتكين" .

وأمكنه من رقابهم وسلط عليهم السَّيف ، وصلب أعيانهم من الرَّوافض والزَّنادقة والمجوس والدَّهرية ، فأيد الله الإسلام به ، وهو أوَّل من سلَّ السَّيف علي المجوس ،

---

(١) "محاضرة مصر" للسيوطى .والحديث رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى فى المناقب ٣٦٨ ، وانظر صحته فى السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ٦٠ .

(٢) تاريخ الخلفاء ٢٦٢ .

وخرب بيوت الأصنام ، وجري له ما يملأ الكون دفاتر تاريخه[١] .

* **أوَّل السَّلاطين الأيوبية بمصر:** السُّلطان "صلاح الدين يوسف ابن أيوب" ، كان هو ووالده وعمه من أمراء السُّلطان العادل نور الدين الشَّهيد ؛ كان ملكًا مجاهدًا عادلاً .

وكان صلاح الدِّين أوَّل من تسمي بالسُّلطان من ملوك مصر ؛ لأنَّ الملوك الفاطمية كانوا يسمون ملكهم بـ "الإمام" علي قاعدة الشِّيعة[٢] .

* **أوَّل سلاطين الديالمة:** "عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه" ، وهو أوَّل من لقب بالدَّولة ، لقَّبه المكتفي بالله ، وكان يدعو له في بغداد ، وكان ناصر الدَّولة العباسية ومحيها[٣] .

* **أوَّل سلاطين العثمانية سمي بالسُّلطان الغازي:** "الملك المؤيد المنصور عثمان خان" ، كان محبًا للمشايخ ومسمدًا[٤] منهم ، وكان في زمنه شيخ شهيد باده بالي[٥] .

بات ليلة في زاويته وكان مجاب الدَّعوة ، وله كرامات مشهورة ، فرأي رؤيا كأن القمر طلع من حرم الشَّيخ ، ودخل في حضنه ، فاستضاءت منه الأطراف ، وعند ذلك نبتت من سرته شجرة قد سدَّت الآفاق أغصانها ، والأنهار تجري من تحتها ، والنَّاس ينتفعون من حواليها . فقص رؤياه علي الشَّيخ ، فقال الشَّيخ - قدَّس الله سره - معبرًا لرؤياه: نلت الدَّولة المنصورة ، والسَّلطنة المؤيدة بالقوة القدسية ، فزوَّج الشَّيخ ابنته من عثمان ، فكان من أمرهما ما كان عليه ، وعلي أجداده الرَّحمة والرِّضوان ، وأيد دولتهم ، وأصلح سيرتهم ، إلي انقضاء الأزمان ، والله المعين المستعان[٦] .

* **أوَّل من تجبَّر وطغى ورفض أحكام الشَّرع ، وغوى ، وخان الملَّة الإسلامية**

---

(١) تاريخ الخلفاء .
(٢) تاريخ الخلفاء .
(٣) ذكره البيضاوى ، فى تاريخه .
(٤) هكذا فى الأصل ، وقد يكون خطأ مطبعيًا ، وصحته: "مسندًا" .
(٥) هكذا فى الأصل: شيخ شهيد باده بالى ، وصحته: شيخ سهيد واسمه باده بالى .
(٦) كذا نقل ، فى: تاريخ آل عثمان .

خيانة لم يسمع بمثلها من الفراعنة ، وقهر ملوك العراقين ، وأبطل الخطب في الجوامع كلّها ، ومنع الأنكحة في محال القضاء ، وأفشى متعة النّكاح ، بل عدل عنها إلي الزّنا ، وأباح فروج النّساء حتي بالجمع بين الأخوات والخالات ، واللواطة لمردته الأشقياء : الملك الشقي الغوي الشّهير بـ "شاة إسماعيل بن حيدر ابن جنيد بن إبراهيم بن الشّيخ خواجي بن صدر الدّين بن الشّيخ صفي الدّين الأردبيلي" ، قطع الله أعراقهم من العراق وجميع ممالك الآفاق ، وأشياعهم الشّيعة المجوسية الدّهرية ، بل هم أخبث من جميع الفرق الضّالة المضلة ، أهلك الله أشرارهم ، ومحا من وجه الأرض آثارهم بسيوف الملوك العثمانية السُّنية المؤيدة بالقوة القدسية . . أمين .

* **أوّل من بغي وتمرد من الطّائفة القزلباشية :** "الشّيخ جنيد مريد الشّيخ النّجدي الشّيطاني" ، وهو أوّل من أشتهر بالبغي لأهل الإيمان وتملك العراق بمكيدة وحيلة لم يسمع بمثلها ، وهو أنّه شبّه نفسه بمشايخ أهل السُّنة ، وأظهر السُّمعة والرِّياء ، وتعلّم من أقوال الصُّوفية واصطلاحهم ، فاجتمع بخواص السُّلطان "حسن خان بن علاء الدِّين الباسدري"[1] . وأخذ البيعة منهم ، وعلمهم التّوحيد والأذكار إلي أن تزوّج بنت السُّلطان ، وسلك طريق الإمارة ، وتجبّر ، وادعي السّلطنة ، وأظهر البدع ، فخذله الله - تعالي - علي الملك الصّالح "خليل خان الشّرواني" . ثمّ بعد هلاكه فرت الزّنادقة بولده حيدر ، ومكث زمانًا إلي أن بلغ وسعي في صورة الصُّوفية ، وقصد بذلك كيدًا ، وجمع الأشقياء من أعوان أبيه واتّخذ التّاج من الجوخ الأحمر باثنتي عشرة رقعة ، وسمي بتاج حيدرية ، وهجم علي أهل شروان بالقتال والحرب ، ثمّ خرج شروان شاة مع سليمان خان البيجالي . فهزموا الملاحدة ، وقتل حيدر الشّقي في المكان الذي قتل أبوه فيه ، ثمّ أخذ بعض مردته ابنه الشّقي الشّهير "شاه إسماعيل" وفروا به وأخفوه بين النّصاري ، ثمّ ظهر بعد سنين ، وجمع الملاحدة ، واغتنم فرصة واستولى علي العراق ، وقتل الملوك والأمراء والعلماء إلي أن قهره وهزمه الغازي السُّلطان : "سليم

---

(١) لم ينسب الخبر لمصدر .

خان العثماني" ، عليه الرَّحمة .

ثمَّ مات حتف أنفه إسماعيل الشَّاه الشَّقى ، ثمَّ جلس ابنه الغوى "طهاسب" مكانه ، ونشر الرَّفض فى ممالك "خراسان" ، إلى أن قهره السُّلطان : "سليمان خان - رحمه الله - ثمَّ جرى ما جرى بين الرَّافضة من الفتنة والشَّر إلي أن انتقم منهم بعساكر الإسلام في دولة السُّلطان : "مراد خان" ، أعلي الله أعلام نصرته . . أمين .

* **أوَّل من دخل مصر ، وفتح ممالكها قهرًا ، وفرَّق جنود الجراكسة ، وأمات ملكها "الغوري" يوم المصاف حتف أنفه ، وسمي سلطان الحرمين : "السُّلطان سليم** خان العثماني" ، وهو أوَّل من دخل العراق من ملوك العثمانية وفرق جنود الرَّافضة .

* **أوَّل وزير في الدَّولة العثمانية غزا جبل الفتح ، وباب الأبواب واستولي عليه :** "عثمان باشا بن أوزدمور" . وهو الذي قهر ممالك العراق ، واستأصل عروض الرَّوافض من ممالكها ، وبني حصونًا علي جبل الفتح ، وغلب علي بلاد "شمخال" ، وسيمون ولوند ، وتزوَّج من بناتهم ، وتمكَّن منهم بالقوة القاهرة ، والجنود المؤيدة ، عفا الله عنه .

وكان في الدَّولة العثمانية كـ "محمود بن سبكتكين" في الدَّولة العباسية ، هكذا سمعت من بعض العارفين(١) .

* **أوَّل خليفة بخل :** "عبد الملك بن مروان" . . وأوَّل من نهي عن الكلام بحضرة الخلفاء ، وكان النَّاس قبله يراجعون الخليفة ، ويعترضون عليه(٢) .

* **وأول من غدر في الإسلام :** غدر بـ "عمرو بن سعيد بن العاص" ، وكان "مروان" جعله ولي العهد بعد ابنه ، فقتله عبد الملك . . وهو أوَّل من كتب في صدور الطَّوامير : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] .

* **وأوَّل من نقل الدِّيوان من الفارسية إلي العربيَّة :** نقله : "صالح ابن عبد الرَّحمن أبو الوليد" ، كاتب عبد الملك .

---

(١) لم ينسب الخبر لمصدر .
(٢) أوائل السُّيوطى ، ص ١٠٤ . وقد تمَّ تصحيح الخبر كله بالكتاب ، ص ٨٧ .

* وأوَّل من نقل الدِّيوان من الرُّومية إلي العربيَّة: "سليمان بن سعد الخشنى"، كاتب عبد الملك، والوليد وسليمان، وعمر(١).

* أوَّل ما تفرقت الدَّعوة: في دولة السَّفاح، رحمه الله.

* وهو أوَّل من أوقع الفرقة بين ولد العباس: وولد علي، رضي الله عنهما.

* وهو أوَّل خليفة قرَّب المنجمين: وعمل في أحكام النُّجوم.

* وهو أوَّل خليفة ترجمت له الكتب من السُّريانية، والعجمية بالعربيَّة: ترجمت له؛ كليلة ودمنة، وكتاب: أقليدوس، وغيرها من الحكميات(٢).

* أوَّل خليفة عمل البريد من الحجاز إلي العراق: "المهدي العباسي".

* أوَّل من سُمِّي بخليفة الله: الإمام "المعتصم بن الرَّشيد"، كان يقال له الإمام المثمن؛ لأنَّ دولته كانت ثمان سنين، وثمانية أيام.. وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، وفتح ثمان فتوحات. ومات وهو ابن ثمانية وأربعين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، ووقف ببابه: ثمانية ملوك، وخلَّفه ثمانية بنين، وثماني بنات.. وخلف من أنواع الأموال: الثَّمانيات.. وكان أميا لا يقرأ، ولا يكتب، شجاعًا، مهيبًا(٣).

* أوَّل من اتَّخذ الأتراك واستعملهم علي الأعمال، وترك العرب: "المنصور العباسي"(٤).

* وأوَّل من أدخل الأتراك الدِّيوان، وأكثر من جلبهم، وشرائهم: "المعتصم".

وهو أوَّل من تزيا بزي الأتراك، ولبس لباسهم، ورفض زي العرب، وترك سكني "بغداد"، وانتقل إلي "سر من رأي".

---

(١) تاريخ الصَّلاح الصَّفدى. وأضاف السُّيوطى إلى الخبر الأخير: وهو أوَّل مسلم ولى الدَّواوين كلّها: حولها بالعربيَّة. وهو الذى عزله عمر، لمَّا قال له: كان فلان كافرًا. الأوَّائل، ص ١٠٤.

(٢) أوَّائل السُّيوطى، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) ذكره السُّيوطى، فى: "تاريخ الخلفاء" ص٣٣٠.

(٤) أوَّائل السُّيوطى، ص ١٠٥.

وهي مدينة حسنة بناها "المعتصم" مع مدينة القاطول في العراق(١) .

* **أوَّل من أدخل من الخلفاء المذهب الشَّافعي:** "المتوكل علي الله"(٢) ، ابن : "المعتصم بن الرَّشيد" . . وهو أوَّل خليفة غيَّر زي النَّصارى ، واليهود(٣) ، وأمرهم بشد الزّنار ، وأن ينقشوا علي أبوابهم صور الشَّياطين ؛ كيلا يتشبهوا في اللباس والمسكن بزي المسلمين هم ونساؤهم . وأخرجهم من خدمة الدِّيوان ، وأمرهم أن يسووا قبورهم ، ولا يعلموا أولادهم في مكاتب المسلمين ، وكتب بذلك إلي الآفاق ، ورفع المحنة ، والقول بخلق القرآن ، وأظهر السُّنة الحنيفية ، والعقائد الأشعرية .

* **أوَّل من قتل أباه من الخلفاء العباسية:** "المنتصر بالله" ، ولمَّا تولي الخلافة ، رأي أباه في المنام ، وهو يقول: ويلك يا محمد قتلتني وظلمتني ، والله لا تمتعت بالخلافة إلا أيامًا قلائل يسيرة ، ثمَّ مصيرك إلي النَّار ، ولم يزل منكسرًا ، إلي أن مات ، أصابته علة الخوانيق(٤) .

* **أوَّل خليفة قهر ، وحجر عليه ، ووكِّل به:** "المعتمد" ؛ قيل: قتل ، وقيل: سُمَّ ، وقيل: حبس في البئر ، ومات غمًا(٥) .

* **أوَّل خليفة سملت عيناه ، وكحل بمسمار محمي بالنَّار ، فسالت عيناه:** "القاهر بالله" ، فاجتمع ببغداد ثلاث خلفاء عميان في الحياة ، في سنة ثلاثمائة وثمانية وثلاثين(٦) .

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٥ . . وانظر: الصَّلاح الصَّفدى ، فى تاريخه .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٥ .
(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ٨٢ .
(٤) تاريخ الخلفاء ، للسيوطى . ص٣٥١ ، ٣٥٢ هو محمد أبو جعفر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .
(٥) تاريخ الخلفاء ، للسيوطى ص٣٥٩ إلى ٣٦٣ والأوَّائل للسيوطى ، ص ١٠٥ ، وهو أبو العباس أحمد بن المتوكل . .
وقال هو فى ذلك:
أليس من العجائب أنَّ مثلى ::: يرى ما قلَّ ممتنعًا عليه
وتؤخذ باسمه الدُّنيا جميعًا ::: وما من ذاك شيئًا فى يديه
(٦) تاريخ الخلفاء ، للسيوطى ص٣٨١ ، هو أبى منصور محمد بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل .

* **أوَّل من ملك العراق من ملوك الدّيلم:** "معز الدَّولة" ، في خلافة المستكفي[١] .

* **أوَّل من ذكر بالسّلطنة علي منابر بغداد:** "السُّلطان أبو شجاع" ، الملقب بـ "عضد الدَّولة" ، وهو مفخر السَّلاطين من آل بويه من الديالمة ، كان عالمًا حليمًا ، بطلاً ، سخيًّا ، مجاهدًا . . وهو أول من عبر الفرات[٢] .

* **أوَّل من أتخذ من الملوك "الدِّيوان المفرد" ؛ المسمي اليوم بـ: "يت مال الخاصة" :** "الحاكم بأمر الله العبيدي الفاطمي" ، جعله الله لقبض أموال من يغضب عليهم[٣] .

* **أوَّل من ولي بيت المال:** "أبو عبيدة بن الجراح" - رضي الله عنه - لأبي بكر الصِّديق ، رضي الله عنه[٤] .

* **أوَّل الأمراء علي مكة:** "عتاب بن أسيد" - رضي الله عنه - ولاه رسول الله ﷺ حين رجع من حجة الوداع بعد الفتح المكي[٥] .

* **أوَّل الأمراء علي المدينة:** "سهل بن حنيف" ، ولاه: علي ابن أبي طالب ، حين خرج إلي البصرة لقتال أصحاب الجمل والفئة الباغية من المروانية[٦] .

* **أوَّل الأمراء علي الكوفة:** "سعد بن أبي وقاص" ، ولاه: "عمر" ، رضي الله عنه[٧] .

* **أوَّل الأمراء علي الشَّام:** "أبو عبيدة بن الجراح" ، ولاه: "عمر" ،

---

(١) أوَائل السُّيوطي ، ص ١٠٥ . هو أحمد بن بُوَيه .
(٢) تاريخ البيضاوي : هو السُّلطان أبو شجاع محمَّد بن جخرى بك بن سلجوق ، وهو أوَّل من عبر الفرات ، وحاصر حلب . (ذكره الصَّفدى ، في تاريخه)
(انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ - أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٥)
(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٦ .
(٤) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٦ .
(٥) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .
(٦) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .
(٧) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .

رضي الله عنه[١] .

* **أول الأمراء علي مصر:** "عمرو بن العاص" ، ولاه : "عمر" ، رضي الله عنه[٢] .

* **أوّل من سلم عليه بالإمارة ، فقيل: السَّلام عليك أيها الأمير:** "المغيرة بن شعبة" ، وكانوا قبل ذلك يقولون للأمراء كلهم السَّلام عليكم كغيرهم[٣] .

* **أوّل من ملك مصر من الجراكسة:** "الملك الظّاهر برقوق" ، بويع سنة سبعمائة وأربع وثمانين[٤] .

* **أوّل من تملك مصر ممّن جرى عليه الرِّق من الأتراك:** "شجرة الدُّر" زوجة "الملك الصَّالح" ، ثمَّ تزوجها "المعز أيبك" مملوك "الصالح"[٥] .

* **أوّل من جمع العراقان ؛ البصرة والكوفة:** "زياد بن أبيه"[٦] .

* **أوّل أمير مات بالبصرة:** "بشير بن مروان" ، **وبالكوفة:** "المغيرة"[٧] .

* **أوّل من اتَّخذ العسس ، وسير بين يدية بالضّرب: ومشي بين يديه بالأعمدة:** "زياد بن أبيه"[٨] .

---

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .
(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .
(٤) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٦ .
(٥) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٦ .
(٦) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ . أخرجه ابن عساكر ، عن ابن عباس .
(٧) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ .
(٨) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
أوّل من سير بين يديه بالحراب ، ومشى بين يديه بالعمد ، واتَّخذ الحرس والعسس ، وجلس بين يديه على الكراسى .وأوّل من عرف العرفاء ، وجعل عليهم المناكب ، وأوّل من شدد أمر السُّلطان ، ووكد أمر الملك .
قلت - السُّيوطى -أخرج ابن عساكر ، عن الأصمعى ، قال: "أوّل من مشى بين يديه وخلفه بالأعمدة: الأشعث بن قيس" .
وأخرج عن ثابت ، قال: أوّل من أخذ النَّاس بملك الأعاجم: "زياد" .
وأخرج ابن أبى شيبة ، عن مجاهد ، قال: أوّل من أخذ من السُّوق أجرًا: "زياد" . أ . هـ .

* أوَّل من اتَّخذ النَّاس بقانون العجم: "زياد" ، وأخذ من أهل السُّوق أجرًا من جهة العسس[١] .

* أوَّل من سمي الكتاب بالزِّمام: "عبد الملك"[٢] ؛ لضبطه ما فيه ، كما تضبط الدَّابة بالزِّمام ، وكان يعرف بديوان المحاسبة عند الملوك[٣] .

* أوَّل من عرف العرفاء علي النَّاس ظلمًا: "ملك مصر" ، قبل زمان فرعون[٤] .

* أوَّل من شرط الشَّرط في الإسلام: "عمرو بن العاص" ، لمَّا ولي إمارة مصر لتوسع القرى[٥] .

* أوَّل ملوك الأرض من بني آدم باتفاق أهل التواريخ: "كيومرث" ، ابن آدم الصَّفي - عليه السلام - وكان ملكه ثلاثين سنة .

فأوَّل الخلافة ثلاثون سنة ، وآخرها ثلاثون ، كما ورد في الخبر ، الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، انختمت بموت "علي بن أبي طالب" ، رضي الله عنه . . فافهم[٦] .

قال الغزالي في "سير الملوك": لمَّا كثر أولاد أدم - عليه السَّلام - اختار منهم اثنين: أحدهما "شيث" ، والآخر "كيومرث" ، وأعطاهما أربعين صحيفة ؛ ليعملا بما فيها من الأحكام ، ثمَّ ولي آدم "شيثًا" أمور الدِّين ، وولي "كيومرث" أمور نظام الدُّنيا ، وكان بعده "هوشنج" ، ثمَّ "طهمورث" ، ثمَّ "جمشيد" .

* أوَّل ملك في الأرض حارب الجنَّ والعفاريت المتجسدة: "طهمورث" ، وهو الثَّالث من ملوك بني آدم ، وهو أوَّل من بني البلاد العالية ؛ ك: "نيسابور" و "مرد" .

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) هو: "عبدالملك النُّصيرى" ، أمير مصر ، من جهة مردان الحمَّار .
(٣) ذكره ابن عساكر ، فى تاريخه ، وفى شرح التَّسهيل لبى حيان: سمى الكتاب بالزِّمام ؛ لضبط ما فيه كما تضبط الدَّابة بالزِّمام . (انظر: أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٤)
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٦ . . ذكره ابن فضل ، فى المسالك .
(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٣ . . أخرجه ابن أبى شيبة ، عن عمرو بن مرَّه .
(٦) كتب مصحح الكتاب تعليقًا على هذا الخبر:
المشهور فى كتب السِّير أنَّ آخرها مدة إمارة الحسن بن على ، وهى ستة أشهر" .

وفي زمانه ظهر القحط لبني آدم وحدث الوباء في الأرض ، وابتدعت عبادة الأصنام . . والسَّبب في ذلك ؛ أنَّه لمَّا حصل القحط ، كان رجل صالح متعبد قد مات من قبل ، فاتَّخذ النَّاس الأصنام ، صنمًا علي صورته ، فكانوا يتضرعون إليه ، ويسجدون عنده توسلاً به .

و"طهمورث" كان أخا "جمشيد بن أبي جهان" ، وهو الأصح عند أهل التَّواريخ .

* **أوَّل ملك من ملوك الأرض أظهر السُّروج ، والسِّلاح ، واستنبط الصَّنائع ، وأعدَّ آلات الحروب ، وسيَّر الجيوش ، وعمَّر الأمصار :** "جمشيد" ، وهو الرَّابع من ملوك بنى آدم ، وكان حكيمًا ، منجمًا ، عادلاً ، فى غاية الحسن والجمال . أطاعه ملوك الأرض ، بنى ستائر عالية في "اصطخر" ، لم يبن مثلها على وجه الأرض ، فلمَّا وصلت الشَّمس إلى نقطة الاعتدال الرَّبيعى ، جلس على سرير العدل ، وأظهر زينته ، وسمى العجم ذلك اليوم بـ: "توروز" ، فلمَّا وصل ملكه وعمره إلى سبعمائة سنة ، تجبر وطغى ، و أمر باتخاذ الأصنام على صورته ؛ لتعظيمه بين الخلق ، واتَّخذ خمرًا مسكرًا .

وهو أوَّل من اتَّخذه ، فكان سبب طغيانه ؛ ولذا ورد في الخبر النَّبوي : "شارب الخمر كعابد الوثن" ، فسلط الله عليه : "الضَّحاك العلوانى" ، فقتله شر قتله[١] .

* **أوَّل من سمى بملك الملوك العادلة :** اسكندر ، الملقب بـ: "ذى القرنين" ؛ لقب بملك الملوك ، لمَّا أهداه ملك الهند قدحًا كان يشرب منه جميع عسكره ، وكان قدح آدم- عليه السَّلام - محكمًا بالجواهر الحكمية ، معجونًا مركب الخواص الملكية ، منقوشًا بالخطوط القدسية والأشكال الاسمائية الوقفية ، وأهدى له من الهدايا النَّادرة ما يبهر العقول ، وأهدى حكيم فاضل يعرف لسان الحال والإشارة ، كما سيجيء في فصل العلم إن شاء الله تعالى .

قال القاضي في تاريخه : اختلفوا في الإسكندر ؛ الذي بنى السد ، وسماه الله تعالى

---

(١) كذا ذكرهن فى : "أصول التَّواريخ" .

في كتابه بـ "ذي القرنين" ، قال السُّيوطي في كتاب "محاضرة مصر" : حدثني شيوخ الأحاديث ، عن الأعاجم ، فيما توارثوا من علم التَّواريخ ، أنَّ ذا القرنين رجل من أهل مصر ، من ولد يونان بن يافث ابن نوح ، عليه السَّلام .

وقال بعضهم أنَّه ملك مثل "هاروت" و "ماروت" ، ابتلاه الله بإصلاح العالم ، برًا وبحرًا ، سدًّا وفجًا ، وهو المروى عن عمر ، رضى الله عنه .

قال السُّيوطى : سمع عمر - رضى الله عنه - رجلاً ينادى بذي القرنين فمنعه ، وقال تسمون بأسماء الملائكة ، إنَّه منهي شرعًا . . وفي تقسير الشَّيخ في سورة الكهف ، قيل إنَّه كان نبيًّا ، وهو المروي أيضًا في تفسير ابن حاتم ، عن بعض الصَّحابة - رضي الله عنهم - وقيل كان ملكًا .

سئل رسول الله ﷺ عنه ، فقال : لم يكن نبيًّا ، ولا ملكًا ، ولكن كان عبدًا صالحًا ، أحبَّ الله فأحبَّه الله ، وناصح الله فناصحه الله .

قيل : ملكه الله الأرض ، وأعطاه العلم ، والحكمة ، والهيبة ، وسخر له النُّور والظُّلمة من ورائه ، فإذا أسرى يهديه النُّور من أمامه والظُّلمة من ورائه .

قيل : سمى بـ "ذى القرنين" لبلوغه قرنى الشَّمس ؛ مشرقها ومغربها . . وقيل : لدخوله عالم النُّور والظُّلمة .

وقيل : كان له ذؤابتان حسنتان . . وقيل : كان له قرنان تواريهما العمامة ، وهو أوَّل من تعمم ، وكان يخفى قرنيه ؛ خشية أن يطلع أحد عليهما .

دخل الحمام يومًا ، ودخل كاتب سره عليه ، فرآهما ، فعاتبه ، ونهاه أن يكشف سره ، ووعده بالقتل ، فاضطرب كاتبه ، وخرج يومًا - الكاتب - إلى الصَّحراء ، ووضع فمه على الأرض ، وهو يقول : إن للملك قرنين ، فنبت فى ذلك المكان قصب ، فقطعه راع (من) [1] للغنم ، واتَّخذ منه مزمارًا ، كان يخرج منه صدى ؛ أنَّ

---

(١) نرى أنها زائدة .

للملك قرنين ، ففشا الخبر ، وأطلع الخلق ، وقيل فى ذلك : كلُّ سر جاوز الاثنين شاع[1] .

وقيل : سمى بـ "ذى القرنين" لأنَّه رأى فى المنام أنَّه أخذ بقرني الشَّمس ، وكان رجلاً متدينًا بدين إبراهيم - عليه السَّلام - فأمر قومه بتقوى الله ، فضربوه على قرنه الأيمن ، فمات ، فبعثه الله تعالى ، ثمَّ أمرهم ثانيًا ، فضربوه على قرنه الأيسر ، فمات ، فأحياه الله تعالى ، وعاش بعد ذلك ألفًا وستمائة سنة ، وقيل : ألف سنة .

اجتمع مع إبراهيم - عليه السَّلام - فى سفره ، بقرب الحرم المكى ، فأعطاه الرَّاية ، وعانقه وصافحه ، وقبله بين عينيه ؛ فلذلك جرت السُّنة فى ذلك عند قدوم المسافر .

وذكر صاحب مرآة الزَّمان فى تاريخه : أنَّ ذا القرنين مات بأرض بابل ، وجعل فى تابوت ، وطلى بالصَّبر والكافور ، وحمل إلى الإسكندرية ، فخرجت أمه لاستقباله ، حتى وقفت على تابوته ، وأمرت بدفنه .

وكان الإسكندر من الهرامسة الأوَّل ، جمع بين الحكمة ، والسَّلطنة ، والنُّبوة كإدريس - عليه السَّلام - وانتهى عمره إلى آخر طبقة ملوك الكيانية ، وساح وجه الأرض شرقًا وغربًا ، شمالاً وجنوبًا ، برًا وبحرًا .

وبنى مدائن كثيرة ؛ كدمشق ، وهراة ، وأصفهان ، وبخارى ، وسمرقند ،

---

(١) ذكره البيضاوى . أوَّائل السُّيوطى ، ص ٧٩ ؛ قال :
أوَّل من لبس العمامة : ذو القرنين ، أخرجه أبو الشَّيخ ابن حيان ، فى كتابه : "العظمة" (أبو الشَّيخ محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن جعفر بن حيان الأصبهانى الحيانى ، وكتابه : "العظمة" يقع فى مجلد ضخم ، ذكر فيه عظمة الله تعالى ، وعجائب الملكوت العلوية ، وأخبار النَّوادر) .
عن وهب بن منبه ، قال : وذلك أنَّه طلع له فى رأسه قرنان كالظّلفين يتحركان فلبسها من أجل ذلك ، ثمَّ أنَّه دخل الحمام ، ومعه كاتبه ، فوضع العمامة ، وقال لكاتبه : هذا أمر لم يطّلع عليه غيرك ، فإن سمعت به من أحد قتلتك . فخرج الكاتب من الحمام ، فأخذه كهيبة الموت ، فأتى الصَّحراء فوضع فمه بالأرض ، ثمَّ نادى : ألا إنَّ للملك قرنين ، فأنبت الله من كلمته قصبتين . فمرَّ بهما راع فقطعهما ، واتَّخذهما مزمارًا ، فكان إذا زمر خرج من القصبتين : ألا إنَّ للملك قرنين ، فانتشر ذلك فى المدينة ، فقال ذو القرنين : هذا أمر أراد الله أن يبديه .

ومرو ، عند أكثر المؤرخين ، وبنى سد يأجوج ومأجوج مكان الخضر فى عسكره ، ودخل معه الظُّلمة ، وشرب من عين الحياة ، وجرى لهما ما اشتهر فى كتب التَّواريخ ، والله أعلم بحقيقة الحال . . فلمَّا رجع من سفر السَّد ، وصل إلى رحمة الله ، فى مدينة شهر زورذ[١] .

* **أوَّل من ملك الأرض شرقها وغربها:** "نمرود بن كنعان" . . قيل : ملك الأرض كلها ؛ مؤمنان ، وكافران . . فالمؤمنان : سليمان والإسكندر - عليهما السَّلام - والكافران : نمرود وبختنصر[٢] .

* **أوَّل ملك وصل فى سيره:** جبل "قاف" ، وأخبر عنه ذو القرنين لَمَّا أشرف على جبل قاف ، قال أخبرنى بشىء من عظمة الله تعالى قال قاف : إنَّ ورائى أرضًا مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عامٍ بين جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضًا لولا هى لاحترقت من حر نار جهنم[٣] .

* **أوَّل ملك اختار السَّياحة على وجه الأرض بالجنود ، وسخر الممالك:** هو الشَّيخ ، رحمه الله[٤] .

* **أوَّل ملك تفرَّد على وجه الأرض بالملك ، وسخرت له الشَّياطين ، ونفرهم من العمران إلى الفيافى ، والبدارى ، والجبال:** هو الشَّيخ شاه[٥] .

* **أوَّل ملك من ملوك الدَّاوانية اختار التَّجرد ، والتَّعبد فى الجبال:** هو شيخ قتل فى جبل ، كان يتعبد فيه ، وهو فى سجوده . فأظهر الله قاتليه لـ "طهموث" ، فانتقم منهم ، وأفناهم ، وبنى بلد "بلخ" فى مقام قاتليه ، وكان تلميذ إدريس ؛ جمع بين

---

(١) المرجع السَّابق ، نفس الصَّفحة .
(٢) ص ١٠٦ ، أوَّائل السُّيوطى .
أوَّل من ملك الأرض شرقها وغربها : "نمرود بن كنعان" ، أخرجه : ابن أبى حاتم ، عن السُّدى .
(٣) ذكره الغزالى ، فى : "البدور السَّافرة" .
(٤) بهجة التَّواريخ .
(٥) بهجة التَّواريخ .

الحكمة والملك ، وقيل : إنَّه نبى ، فيكون "هرمس" مثلًا كـ "إدريس" - عليه السَّلام - ولقب بـ : "بيس داد" ، يعنى صاحب العدل ، وهو أوَّل من أخرج الحديد من الحجر ، واتَّخذ السِّلاح منه(١) .

* **أوَّل من ملك مصر قبل الطُّوفان :** "نقراوس بن مصر" ، وصل فى سبعين رجلاً ، فلمَّا نزل على النِّيل أقام ومن معه ، وبنوا أبنيه ، وقالوا : هذا بلد زرع .. فسماه مصر باسم أبيه تبركًا به(٢) .

* **أوَّل آل ساسان :** "أزدشير بابك" ، هو أوَّل من رتب الرَّعية على طبقات ، ووضع لهم الكتب من الآداب الملوكية فى أحوال الدِّين والدُّنيا ، وعلم مراتب الخلق فى الدِّيوان والدُّول ، ونصب الموبذان : يعنى كبير القضاة ، وكانا رجلين يدبران مناصب علمائهم(٣) .

* **أوَّل من قاس النِّيل ، وحفر الخلجان ، وبنى القناطر على النِّيل ، ووضع مقياسًا بعلم الهندسة ، ولم يكن النَّاس يعرفونها من قبل ذلك :** "يوسف الصِّديق" - عليه السَّلام - فى زمن الملك "الرَّيان بن الوليد" ، حين امتحنه ، فقال ملك مصر : هذا من ملكوت السَّماء(٤) .

* **أوَّل امرأة ملكت مصر :** "حبروباء بنت طيطيس" ، التى وهبت "هاجر" لـ "سارة" امرأة "إبراهيم" - عليه السَّلام - وملكت أيضًا "دلوكا" ، بعد غرق فرعون .

وكانت ساحرة ماهرة ، فعملت قصرًا بالفيوم ، وصورت أشكال ملوك الأرض

---

(١) ذكره القاضى ، فى تاريخه .

(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٦ . وصحة الاسم : بقراوس بن مصر بن براكيل بن رازيل بن عريان بن آدم . وقد وصل فى نيف وستين رجلاً ، لمَّا بغى بعض بنى آدم على بعض ، فطلب موضعًا ينقطع فيه .
فلمَّا نزل على النِّيل ، أقام هو ومن معه عليه ، وبنوا فيه الأبنية ، وقالوا : هذا بلد زرع ، فبناه وسماه باسم أبيه تبركًا به . ذكر ذلك : إبراهيم بن القاسم الكاتب ، فى مختصر العجائب .

(٣) لم ينسب هذا الخبر إلى أى مرجع .

(٤) المُسبحِّى - أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ ، ٤١٥) هـ تحقيق : وليم ج ، ميلورد . الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ .

وعساكرها ، كلمّا أراد ملك سوء ، فعلت بصور الجند من الجرح والقتل فيتأثر بذلك الجند بالخارج[1] .

* **أوّل ملك من ملوك الكيانية عزل نفسه عن السّلطنة بالاختيار:** "اسكندر" ، ونزل عن الخلافة ، وتخلى للعبادة ، وطوى عن الملك بساط الرّغبة ؛ وذلك أنّه لمّا رجع من سد يأجوج ومأجوج ، ومرّ ببابل ، فأخبر بغار هناك وبه آثار عظيمة . فلمّا وقف على بابه ، فإذا مكتوب على بابه بالسرياني "من نال المنى ، وأمن الفناء ، ووصل إلى هنا ، اقرأ وافتكر ، وادخل الباب ، واعتبر ، واعلم أنّي ملكت البلاد ، وحكمت على العباد ، وما نلت من الدُّنيا المراد .

فلمّا دخل رأى شخصًا عظيم الهامة ، طويل القامة ، على سرير من الذّهب ، ويده اليمنى مقبوضة ، واليسرى مفتوحة ، ومفاتيح خزائنه عند رأسه مطروحة ، ولوح مكتوب فيه عند رأسه : "قد ملكنا المال وجمعناه" ، وعلى يساره "ثمّ رحنا وتركناه" .

وعند رأسه لوح مكتوب فيه :

لقد عمّرت في الزّمن السّعيد ::: وكنت من الحوادث في أمان
وقاربت الثُّريا في علوّ ::: فصرت على السّرير كما تراني

فلمّا شاهد "اسكندر" ذلك قال: سبحان الملك الباقي ، الذي لا عزل له ، ووقع الوجل والخوف والوله في باله ، فترك كلّ ما كان له ، وتخلى للعبادة ، ولبس الخشن والمسوح ؛ رغبة في ملك الأبد ، ففاز بالسّعادة وظهر بالفضيلتين ، شكر الله سعيه ، وجزاه خيرًا ، وعليه سلام الله ورحمته[2] .

* * * * * * *

---

(١) تاريخ مصر ، للمسبحي .
(٢) كذا في : "خريدة العجائب" .

الفصل الرابع عشر

فى الأوَّائل المتعلقة : بالقضاء والاستقضاء، والرّشا والارتشاء، والإفتاء والاستفتاء، وما يتعلق بالفصل

* **أوّل من اجتهد فى حكم القضاء فى صدر الإسلام:** "أبو بكر الصِّديق" ، الذى حاز أوَّائل الفضائل ، وقاتل مانعى الزَّكاة ، وقال: لو منعونى عقالاً أو عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها .

فقال عمر ، رضى الله عنه: قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت إنَّه الحق ، وبالحق قضى ، فهو أوَّل من قضى ، وفاز - رضى الله عنه - بفضل السَّبق بكلِّ فضيلة تليق بالأمة المحمدية ، والملة الأحمدية ، صلوات الله على صاحبها ، وناصريها ، ومحبيها من الأوَّائل والأواخر ، من أهل البواطن والظَّواهر[1] .

* **أوّل من أفتى من الصَّحابة الأمجاد ، رضى الله عنه:** "أبو بكر الصِّديق" - رضى الله عنه - قال الإمام: "أبو إسحاق الفيروز أبادى" ، فى: "تاريخ الفقهاء": لم يكن يفتى أحد بمحضر رسول الله ﷺ غير أبى بكر - رضى الله عنه - روى أنَّه لمَّا أقرَّ "ماعز" بالزِّنا ثلاث مرات ، قال الصِّديق: إنْ أقررت رابعًا رجمك رسول الله ، ﷺ .

* **أوَّل قاض فى الإسلام:** "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - قضى لأبى بكر حين استقضاه ، فهو أوَّل مستقضى ، رضى الله عنهما[2] .

* **أوَّل من استقضى:** عمر - رضى الله عنه - حتى إذا كان فى آخر زمانه ، قال لـ "يزيد بن أخت النَّمر" اكفني بعض الأمور - يعنى صغارها - وردّ عنى النَّاس فى الدِّرهم والدِّرهمين .

---

(١) ذكره الإمام الفيروز أبادى أبو إسحاق ، فى: "تاريخ الفقهاء" .

(٢) الفيروز أبادى: "تاريخ الفقهاء" ، وانظر: أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، وجاء فى أوائل العسكرى ص ٣٥٧: "عن محارب بن دينار ، قال: لما ولى أبو بكر قال أعينونى ، فولى عمر القضاء ، وأبا عبيدة بيت المال ، فمكث عمر سنة لا يأتيه أحدٌ فى قضية . ." .

حكى عن الزُّهرى ، وابن المسيب قالا : ما اتَّخذ رسول الله ﷺ قاضيًا ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، حتى كان فى وسط خلافة عمر - رضى الله عنه - قال لعلى : اكفنى بعض الأمور ؛ لأنَّ عليًّا ، رضى الله عنه ، كان أقضى الصَّحابة وأعلمهم ، رضى الله عنه[1] .

* **أوَّل من فرض رزقا للقاضى من بيت المال:** "عمر" - رضي الله عنه - استعمل زيدًا بن ثابت على القضاء ، وفرض له رزقًا[2] .

* **أوَّل قاض بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن:** "على بن أبى طالب" ، **فقال** يا رسول الله أتبعثنى إلى كهول اليمن ، ولا علم لى بالقضاء ، فقال رسول الله ﷺ انطلق إلى اليمن ، فإنَّ الله سيهدى قلبك ، ويثبت لسانك .

فكان "عمر" يقول فى خطبته : على أقضانا ، وقالت أم المؤمنين عائشة : رضى الله عنها : على أعلم النَّاس بالسُّنة ، وقال ابن عباس ، رضى الله عنه : أعطى على تسعة أعشار العلم ، وهو أعلمهم بالعشر الباقى[3] .

* **أوَّل من استقضى ، واختلف العلماء فيه:** قال العراقيون : "عمر" - رضى الله عنه - بعث شريحًا إلى الكوفة قاضيًا ، واستقضى بالمدينة : يزيد بن أخت النّمر ، وقال الإمام ، فى : "سيرة الخلفاء" : أوَّل من استقضى أبو بكر - رضى الله عنه - وكان نقش خاتمه : "نعم القادر الله" .

وقيل : كان نقش خاتم عمر ، رضى الله عنه : "كفى بالموت واعظًا" . . وكان نقش خاتم عثمان ، رضى الله عنه : "محمَّد رسول الله" . . وقيل : كان فى يده خاتم رسول الله ﷺ فسقط من يده فى البئر بقباء .

وقيل : كان خاتمه ، خاتم على ، وكان نقش خاتم على ، رضى الله عنه : "الملك لله

---

(١) السَّابق ذكره .
(٢) السَّابق ذكره .
(٣) السَّابق ذكره .

الواحد القهار" ، وكان قاضيه : شريح بن الحرث ، رضى الله عنه(١) .

* **أوَّل من استقضى :** قال مالك ، رضى الله عنه : "معاوية" ، رضى الله عنه(٢) ، والأصح عند الثِّقات ؛ أمير المؤمنين : عمر ، رضى الله عنه ، وسبب الاستقضاء ، أنَّ عمر اشترى فرسًا ، فركبه ، فعطب ، فقال لصاحبه : خذ فرسك .

فقال الرَّجل : شريح ، فتحاكما إليه ، فقال شريح : يا أمير المؤمنين : خذ ما ابتعت ، أو رد كما أخذت ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هكذا . سر إلى الكوفة ، فبعثه قاضيًا . . قال : وإنَّه أوَّل يوم عرف فيه شريح ؛ يعنى : عرَّفه النَّاس بعلم القضاء(٣) .

* **أوَّل قاض فى الإسلام :** قال أبو هريرة ، رضى الله عنه : عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، استقضاه : معاوية ، سنة اثنتين وأربعين بالمدينة ؛ يعنى اشتغل بالقضاء(٤) .

* **أوَّل من قضى بالكوفة :** "سليمان بن ربيعة الباهلى" ، جلس أربعين يومًا لا يأتيه خصم(٥) .

---

(١) السَّابق ذكره .

(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .

(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .

(٤) أخرج ابن سعد . (الطَّبقات ، ج ٥ ، ص ١٣) عن طريق أبى الغيث ، قال : سمعت أبا هريرة لَّما ولى مروان بن الحكم المدينة لمعاوية بن أبى سفيان ، سنة اثنتين وأربعين ، فى الإمرة الأوَّلى ، استقضى : عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بالمدينة ، فسمعت أبا هريرة يقول : هذا أوَّل قاض رأيته فى الإسلام .
أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٧ ، أوائل العسكرى ص ٣٥٧ .

(٥) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .
أخرجه ابن أبى شيبة ، عن الحاكم .
وذكر أبو هلال العسكرى ، فى الأوَائل ص ٣٥٧ : أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن أبى زيد ، قال : أوَّل من قضى بين أهل الكوفة : جبير بن القشعم بالقادسية ، ثمَّ قضى بينهم : سليمان بن ربيعة .
أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن أبى زيد ، عن الحسن بن عثمان ، عن أبى زيادة ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبى عبدالرَّحمن ، قال : ضرب رجل دابة ، فنفحت رجلاً (ضربته بحد حافرها) فقطعت أذنه .
فاختصموا إلى سليمان بن ربيعة ، وهو على القضاء بالقادسية ، فقضى أنَّ الضّمان على الرَّاكب ، فبلغ ذلك=

* **أوَّل قاض بالبصرة:** "أبو مريم بن صبيح الحنفى"[(١)] .

* **أوَّل قاض بالكوفة:** "جبير بن القشعم" ، رحمه الله[(٢)] .

* **أوَّل قاض بالشَّام:** أبو الدَّرداء ، رضى الله عنه[(٣)] .

* **أوَّل قاض بفلسطين:** "عبادة بن الصَّامت" ، رضى الله عنه[(٤)] .

* **أوَّل قاض بمصر:** "قيس بن أبى العاص السَّهمى"[(٥)] .

=ابن مسعود ، فقال: الضّمان على الضَّارب ؛ لأنَّه إنَّما أصابته النَّفحة من ضربته .

وقالوا: أوَّل من قضى بين أهل الكوفة: أبو قرة الكندى .

(١) الأوَائل ، ص ١٠٨ .

وصحة الاسم: أبو مريم ، إياس بن صبيح بن محرس الحنفى .

وذكره العسكرى ، فى أوَائله ، ص ٣٥٨: وهو أياس بين صبيح بن محرس ، يقول: أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن أبى زيد ، عن الحسن بن عثمان ، عن أبى عبيدة ، قال:

أوّل من قضى بين أهل البصرة أبو مريم الحنفى لعتبة بن غزوان ، عند قدومه البصرة ، سنة أربع عشرة ، فلم يزل قاضيًا حتى مات عتبة ، سنة خمس عشرة ، وولى المغيرة بن شعبة ، فأقره ، حتى عزل ، فلم يقض بعده إلا يسيرًا ، حتى شكا إلى عمر ضعفه ، فعزله .

وكان أبو مريم قتل زيد بن الخطاب ، أخا عمر يوم اليمامة ، وكان لعمر شدة عليه .

أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن أبى زيد ، عن أبى عاصم ، عن أبى عون ، عن محمَّد ، قال: خرج عمر من الخلاء ، وهو يذكر شيئًا من القرآن ، فقال له أبو مريم: إنَّك خرجت من الخلاء ، قال عمر: أمن فتيا مسيلمة هذا ؛ لأنَّ أبا مريم كان من أنصار مسيلمة .

وقالوا: أوَّل من قضى بالبصرة لعمر: سليمان بن ربيعة ، وقيل: بلنجر من أرض التُّرك ، فى خلافة عثمان - رضى الله عنه - وعظامه عند أهلها يستسقون بها . .

وقالوا أوَّل من قضى بالبصرة: "كعب بن سور" .

(٢) ذكر المؤلف المرجع: أوَائل السُّيوطى ، ولم أجده ، وانظر هامش (٤) ص ١٧٥ .

وذكر فى ص ١٠٧: قال ابن عبد البر ، فى "التَّمهيد": اختلف فى أوَّل من استقضى .

فقال العراقيون: عمر ، وأنَّه بعث شريحًا إلى الكوفة قاضيًا ، وبعث كعب بن سور إلى البصرة قاضيًا .

وأخرج ابن عساكر ، عن ابن عباس ، رضى الله عنه: أوَّل من قضى بالكوفة: سلمان بن ربيعة الباهلى .

وأخرج بن أبى شيبة ، عن الحاكم ، قال: كان أوّل من قضى بالكوفة ، سلمان بن ربيعة الباهلى ، جلس أربعين يومًا لا يأتيه خصم ، وانظر: أوَائل العسكرى ، ص٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .

(٤) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .

أخرجه: أبو زرعة ، فى تاريخه - وابن عساكر ، عن الأوزاعى .

(٥) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .

* **أوَّل من ولى قضاء مصر:** "كعب بن يسار العبسى" ، وهو صحابى ، كان قاضيًا فى الجاهلية ، وقيل إنَّه أبى عن القضاء حين كلَّفه "عمر" ، رضى الله عنه[١] .

* **أوَّل قاض فى الدَّولة المنصورة العثمانية:** "القاضى طورثون" ، نصبه الغازى "عثمان" ، أوَّل سلاطين العثمانية - أيدها الله بعونه - والقاضى المذكور خطب أوَّل خطبة حين فتح قراحصار[٢] .

* **أوَّل من ولى قضاء قسطنطينية بعد الفتح العثماني المحمَّدى السُّلطانى ، أيدَّ الله تعالى دولتهم:** "القاضى مجد الدِّين" ، كان عالمًا فاضلاً - رحمه الله - وكان معيد تدريسه "ملاخيالى" و"خواجه زاده" بـ "برصة" ، حرسها الله تعالى[٣] .

* **أوَّل من تولى تدريس المدارس العثمانية:** مولانا "محى الدِّين" ، الشَّهير بـ "خطيب زاده" ، له تأليفات رائعة ، وتصنيفات فائقة مقبولة بين العلماء ، رحمه الله[٤] .

* **أوَّل من خوطب بـ "قاضى القضاة":** "أبو يوسف القاضى" ، وهو أوَّل من غيَّر لباس العلماء بهذا الزِّى ، فى خلافة الرَّشيد .

وهو أوَّل من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة ، وقيل: لولا أبو يوسف القاضى ، ما ذكر أبو حنيفة ، رضى الله عنه[٥] .

* **أوَّل من قلَّد القضاة من أصحاب الشَّافعى:** الإمام أبو العباس ابن شريح ، فعاب عليه الأصحاب ، وقالوا: هذا أمر كان فى أصحاب أبى حنيفة ، فأدخلته فينا[٦] .

---

(١) من محاضرة مصر .
(٢) كذا فى: تاريخ آل عثمان .
(٣) تاريخ آل عثمان .
(٤) تاريخ آل عثمان .
(٥) من تاريخ الخلفاء من ٢٨٤ إلى ٢٩٦ .
(٦) أوائل السُّيوطى ، ص ١٠٨ .
وصحة الاسم به: "الإمام: أبو العباس بن السّريج" .

* **أوّل من جعل القضاة أربعة ؛ من كلِّ مذهب قاض:** "الملك الظّاهر بيبرس" ، بمصر ، سنة ستمائة وثلاث وستين[1] ؛ وسبب ذلك أنّه سأل القاضى "تاج الدِّين بن بنت الأعز" فى أمر ، فامتنع من الدُّخول فيه ، وقال له: مر نائبك الحنفى ، وكان القاضى هو الشّافعى يستنيب من يشاء من المذاهب الثّلاثة ، فامتنع من ذلك أيضًا ، فولى من كلِّ مذهب قاضيًّا .

وأنشد الإمام البوصيرى فى ذلك[2]:

غـدًا جامع ابن العاص كهف أئمة ::: فلله كهف للأئمة جامع
لقد سرَّنا أنَّ القضاة ثلاثة ::: وأنَّك تاج الدِّين للقوم رابع
بهم نبية الإسلام صحت وكيف ::: لا تصح وهم أركانها والطّبائع
فكم رخص أبدو لنا وعزائم ::: هدينا بها فهى النُّجوم الطّوالع
فلا نلتبس أن وسع الله فى الهدى ::: مذاهبنا بالعلم والله واسع
تفرَّقت الآراء والدِّين واحد ::: وكلّ إلى رأى من الحق راجع
فهذا اختلاف جرَّ للخلق راحة ::: كما اختلفت فى الرَّاحتين الأصابع

* **أوّل قاض جار فى الإسلام:** "بلال بن أبى بردة" ، كان أمير البصرة وقاضيها ، وكان يقول: إنَّ الخصمين يتقدمان إلى ، فأجد أحدهما أخف على قلبى من الآخر ، فأقضى له[3] .

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٩ . وانظر: بدائع الزُّهور ، ج ١ ، ق ١ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٢) وصحة النَّص ، كما جاء فى أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٩٠ :

لقد سرنا أنَّ القضاة ثلاثة ::: وأنَّك تاج الدِّين للقوم رابع
غدا جامع ابن العاص كهف أئمة ::: فلله كهف للأئمة جامع
بهم نبية الإسلام صحت وكيف لا ::: تصح وهى أركانها والطّبائع
فلا تيأسن قد وسع الله فى الهدى ::: مذاهبنا بالعلم والله واسع
تفرَّقت الآراء والدِّين واحد ::: وكلُّ إلى رأى من الحق راجع
فهذا اختلاف جرٌ للناس رحمة ::: كما اختلفت فى الرَّاحتين الأصابع

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٩ .

قال أبو هلال العسكرى: أخبرنا أبو أحمد بإسناده: أنَّ رجلاً قدم إلى "بلال" رجلاً فى دين له عليه ، فأقرَّ الرَّجل به - وكان بلال يعنى بالرَّجل - فقال المدعى: يعطينى حقى ، أو تحبسه بإقراره .

* **أوَّل من قال القاضى كالغريق فى البحر الأخضر إلى متى يسبح ، وإن كان سابحًا:** "الإمام أبو حنيفة" ، قاله بعدما ضربه "ابن هبيرة" أمير البصرة ؛ لأنَّه أبى أن يتولى القضاء ، فضربه بالسِّياط حتى انتفخ وجهه ، فقال: ضرب السِّياط علىّ أهون من مقاطع الحديد فى الآخرة ، ومن أن أكون للناس جسرًا يوم القيامة ، كما ورد فى الخبر: "القضاة جسور للناس يوم القيامة ، يمرون على ظهورهم"(١) .

* **أوَّل من سأل فى السِّر ؛ يعنى الجرح:** "شريح" ، فقيل له: يا أبا أمية: أحدثت ، فقال: إنَّ النَّاس أحدثوا ، فأحدثت(٢) .

* **أوَّل من قضى بشهادة الغلمان:** "مروان بن الحكم"(٣) .

* **أوَّل من سأل الطَّالب البينة إن غريمه مات ، ودينه عليه:** "عثمان بن عفان" ، رضى الله عنه(٤) .

* **أوَّل من نسى وجحد:** "آدم" - عليه السَّلام - لَّما وهب من عمره لـ "داود" أربعين سنة ، حين أشهده الله تعالى بالمشهد الأعلى فى عالم الذّر ، فشاهد أعمار ذرياته بإخراجهم من المقام البرزخى المثالى ، فمن ثمة أمر بالكتابة والشُّهود ، فكان هذا أوَّل سبب من أسباب التَّسجيل والإشهاد(٥) .

قال القاضى: وما حاجته إلى ذكره وأنا عالم به؟ فإن شئت أحبسه ، فالتزم نفقة عياله .
قال: فانصرف الرَّجل وترك خصمه ، وكان بلال معروفًا بالجور .
أخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهرى ، عن ابى زيد ، عن محمَّد بن أيوب ، عن عقيل ، عن أبى عمرو الضَّرير ، قال: أمر بلال داود بن هند ، أن يحضره عند تقدم الخصوم إليه . فإن حكم بخطأ رمى بحصاة ، فيرجع بلال ، قال: فتقدَّم إليه مولى له ينازع رجلاً ، فحكم لمولاه ظلمًا ، فرمى داود بحصاة ، فلم يرجع ، ثمَّ بأخرى ، فقال له بلال: ليس هذا ممّا يرمى له الحصاة ، هذا مولاى .
وانظر أخبار أخرى له ، فى: أبى هلال العسكرى: "الأوَّائل" ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(١) الأبشيهى ، المستطرف ، ص١١٣/ت إبراهيم أمين ، التوفيقية مصر .
(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١٠٩ . أخرجه: ابن سعد ، فى: "الطَّبقات" ج ٦ ، ص ٩١ ، عن ابن سيرين .
(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١٠ . أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن الزّهرى .
(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١٠ . أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن الحسن .
(٥) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١٠ . أخرجه أحمد عن ابن عباس ، مرفوعًا .
قال أبو هلال العسكرى: حدثنا على بن عبدالعزيز ، حدثنا حجاج بن المنهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن=

* **أوَّل من فرَّق الشُّهود:** "دانيال" ، عليه السَّلام[١] .

* **أوَّل من عيَّن الشَّهادة ببغداد لقوم بأعيانهم ، وحظر على غيرهم:** القاضي "إسماعيل المالكي" ، صاحب "أحكام القرآن" ، وقال: إنَّ النَّاس قد فسدوا ، ولا سبيل إلى ضبط الشَّهادة إلا بهذا[٢] .

* **أوَّل من قال "البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر":** "قس بن ساعدة" ، كان من حكماء العرب ، وهو أوَّل من أظهر التَّوحيد بمكة وحواليها ، وكان من أهل الفترة[٣] .

* **أوَّل من ضمن القضاء:** "معز الدَّولة" ، ولي عبدالله بن الحسين بن أبي الشَّوارب قضاء القضاة على أن يؤدي كلّ سنة مائتي ألف درهم[٤] .

* **أوَّل من ولي القضاء من الخصيان:** "جوهر" ، خازن دار الملك الأشرف ، ولاه قضاء دمياط ، ولم يل القضاء خصي قبله[٥] .

* **أوَّل قاض حلَّف الجند بالطَّلاق من نسائهم أن لا يهربوا:** "سنان بن سلمة" ، في

=على بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ، ﷺ: "أوَّل من جحد آدم ، فجحدت ذريته" .

رواه: أحمد في مسنده ، ١/٢٥١ ، ٣٧١ - والبيهقي ، في السُّنن الكبرى ، ١٠/١٤٦ وانظر: بلوغ الأماني شرح الفتح الرَّباني ، على مسند الإمام أحمد ، ٢٠/٢٩ - وكنز العمال ، ٦/١٣٤ ، ١٣٥ حديث رقم: ١٥١٥١ ، والحديث أورده الهيثمي ، في: مجمع الزَّوائد ، ٨/٢٠٦ . وقال الهيثمي: رواه أحمد والطَّبراني ، وفيه: "علي بن زيد" ، وضعفه الجمهور ، وبقية رجال ثقات .

وانظر: ما يشبه الحديث: تحفة الأحوذي ، ٨/٤٥٧ - والمستدرك ، ٢/٣٢٥ - وتفسير ابن كثير ، ٣/١٦٧ .

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة ، عن أبي إدريس ، أنَّ "دانيال" أوَّل من فرَّق بين الشُّهود .

(٢) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١١٠ .

(٣) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١١٠ ، ذكره الميداني ، في: "الأمثال" ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٤) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١١٠ .

وصحة الاسم كما جاء في أوَّائل السُّيوطي: (ولي عبدالله بن الحسن بن أبي الشَّوارب)

(٥) أوَّائل السُّيوطي ، ص ١١٠

وهو: "جوهر القنقهي" خاز ندار الملك "برسباي" ، ذكر الحافظ "ابن حجر" في: "أنباء الغمر" أنَّه سأله أن يفوض إليه قضاء دمياط ، فولاه إياه ، وقال: إنَّه لم يل القضاء خصي قبله .

أيام معاوية - رضى الله عنه - حين أتى الثُّغور ومصرها ، وأقام بها ، وضبط البلاد[١] .

* **أوَّل قاض سأل عن الشُّهود فى السِّر:** "غوث بن سليمان" ، وكانت القضاة إذا شهد عند أحدهم شاهد وكان معروفًا بالسَّلامة ، قبل . . وإن كان غير معروف بها ، وقف . . وإن كان مجهولاً سأل عنه جيرانه ، فإذا ذكروه بخير أو شر ، عمل به[٢] .

* **أوَّل القضاة بمصر سجَّل سجلاً بقضائه:** "سليم بن غز" ، قضى فى ميراث ، أشهد فيه ، وكتب كتابًا بالقضاء فيه ، وأشهد فيه شيوخ الجند ، فكان أوَّل القضاة تسجيلاً ، وكانت ولايته من سنة أربعين إلى موت معاوية - رضى الله عنه - سنة ستين[٣] .

* **أوَّل قاض نظر فى أموال اليتامى:** "عبدالرَّحمن بن معاوية بن حُديج" بمصر ، فى زمن "عمر بن عبدالعزيز بن مروان" ، وكتب بذلك كتابًا ، فجرى الأمر على ذلك[٤] .

* **أوَّل من فرَّق بين الشُّهود:** "دانيال" - عليه السَّلام - جيئ بشاهدين ، فقال

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١١ .وهو سنان بن سلمة بن المحبق ، وكان عاملاً على كرمان ، فقال الشَّاعر:

إنَّ هذيــــلاً أحدثـــــت فى قضـــائهـــا ::: طـــلاق نســـاء لم يســـوفوا مهورهـــا

أخرجه "وكيع" فى "الغرر" ، عن عبيد الله بن محمَّد الجشمى .

وفى "تذكرة" "الصَّلاح الصَّفدى" ، قال ياقوت فى كتاب "أحمد بن يحيى بن جابر" . (انظر: فتوح البلدان ، ص ٥٣٢) ولىَّ "زياد بن أبى سفيان" ، فى أيام "معاوية" سنان بن سلمة بن المحبق الهذلى" ، وكان فاضلا .

وهو أوَّل من أحلف الجند بطلاق نسائهم أن لا يهربوا ، فأتى الثَّغر ، وفتح كرمان ، ومصرها عنوة ، وأقام بها ، وضبط البلاد ؛ وفيه قيل:

رأيـــت هذيـــلاً أمنعـــت فى يميـــنهـــا ::: طـــلاق نســـاء نســـوة مـــا لهـــا مهـــرًا

لـــهـــان عـــلى حلفـــة ابـــن محـــبـــق ::: إذا رفعـــت أعـــناقها حلقًـــا صـــفرًا

(٢) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١١ .

(٣) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١١ .

وتصحيح الاسم ، كما جاء عنده هو: "سليم بن عتر" .

أخرج ابن عساكر ، عن عبدالله بن عبدالرَّحمن بن حجيرة ، قال: اختصم إلى "سليم بن عتر" فى ميراث ، فعادوا إليه ، فقضى بينهم ، وكتب كتابًا بقضائه . .وكانت ولايته من سنة أربعين إلى موت معاوية بن أبى سفيان ، سنة ستين . (انظر: الكندى: "الولاة والقضاة" ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠)

(٤) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١٢ ، وذكر أنّ ولايته القضاء بمصر من عبد العزيز بن مروان .

لأحدهما: ما الذى تشهد به؟ . . فقال: أشهد أنِّى رأيت "سوسن" تزنى فى البستان ، برجل شاب . . قال: فى أى مكان؟ . . قال: تحت شجرة الكمثرى .

ثمَّ دعا بالآخر ، فقال: بم تشهد؟ . . قال: أشهد أنِّى أبصرت "سوسن" تزنى تحت شجرة التّفاح فى البستان ، فتناقضا فى شهادتهما ، فدعا الله عليهما ، فجاءت نار من السَّماء ، فأحرقتهما ، وبرَّأ الله "سوسن" ؛ وهو اسم امرأة(١) .

* **أوَّل قاض أتاه الحكم من قبل الإمام ، وأوَّل قاض رأى الهلال ، مع الشُّهود**(٢) : "أبو الحسن على بن نعمان" ، وهو أوَّل من سمى بقاضى القضاة فى الدِّيار المصرية ، وما كان قبل إلا ببغداد .

* **أوَّل قاض كلِّف القضاء فأبى ، وحبس ، وضرب بالسِّياط** : الإمام الأعظم "أبو حنيفة" الكوفى - رحمه الله - كلَّفه "المنصور" بالقضاء ، فقال: يا أمير المؤمنين ، لا أصلح له ، فقال الخليفة: كذبت ، فقال الإمام: قد حكم على أمير المؤمنين بأنِّى لا أصلح له - أى القضاء - لأنه نسبنى إلى الكذب ؛ فإن كنت كاذبًا فلا أصلح ، فردّه إلى السِّجن(٣) .

* **أوَّل من أعرض عن القضاء** : "نصر بن على" أرادوه بالبصرة على القضاء ، واجتمع النَّاس إليه ، فكان لا يجيبهم ، فلمَّا ألحوا عليه ، دخل بيته ، ونام على ظهره ، وقال: اللهم إن كنت تعلم أنِّى لهذا الأمر كاره فاقبضنى إليك ، فقبض من

---

(١) أوَّائل السُّيوطى ، ص ١١٢ ، الخبر أخرجه البيهقى ، فى سننه ، عن أبى إدريس .
(٢) السُّيوطى ، الأوَّائل ، ص ١١٢ .
فى الأصل (فى الشُّهور) وصحتها كما فى أوَّائل السُّيوطى (**مع الشُّهود**) .
وتصحيح الخبر: ذكر ابن ميسر ، فى: "قضاء مصر" ، ص ١١٢ :
❖ [أ] أنَّ "ابن لهيعة" أوَّل قاض أتاه الحكم من قبل **الإمام** ، **وأوَّل قاض رأى الهلال مع الشُّهود** .
❖ [ب] أنَّ أبا الحسن على بن النُّعمان المغربى ، أوَّل قاض نعت بقاضى القضاة بالدِّيار المصرية ، وكان لا يدعى بقاضى القضاة إلا فى بغداد .
(٣) تاريخ بغداد . وُلد سنة ٨٠هـ ، وتوفى فى سجن أبى جعفر المنصور سنة ١٥٠ هـ .

ساعته ، رحمة الله عليه[١] .

* **أوّل من أفتى ، وقضى من الصُّحب الأمجاد بعد الخلفاء الأربعة :** سيد العبادلة "عبدالله بن عباس" ، رضى الله عنهما . . والعبادلة - رضى الله عنهم - طائفة من الصَّحابة كانوا يفتون بالحق ، ويقضون بين النَّاس مجتهدين .

أفضلهم "عبدالله بن عباس" - رضى الله عنهما - ثمَّ "عبدالله بن عمر" و"عبدالله بن عمرو بن العاص" و"عبدالله بن الزُّبير" ، وكلُّهم صحب أبناء صحب ، ذووا الفضيلتين ، رضى الله عنهم[٢] .

* **أوَّل القضاة فى صدر الإسلام :** قاضى أبى بكر : "عمر" - رضى الله عنهما - وقاضى عمر : "يزيد بن أخت النّمر" ، و"شريح" . . وقاضى عثمان : "كعب بن سوار" . . وكان قاضى على : "شريح بن الحارث" ، رضى الله عنهم .

* * * * * * *

(١) تاريخ قعنان .
(٢) تاريخ الفقهاء .

الفصل الخامس عشر

فى الأوَّائل المتعلقة بالكتب، وتصنيفها من أنواع: العلوم والفنون، ومن صنفها أولاً، ودونها من الكتب الإسلامية والحكمية قبل الإسلام وبعده

* أوَّل من جمع القرآن وسماه مصحفًا: "أبو بكر الصِّديق"، رضى الله عنه(١).

* أوَّل من جمع اللُّغات فى القرآن على لغة واحدة بلغة قريش عند ظهور الاختلاف فى اللُّغات السَّبعة: "عثمان"، رضى الله عنه(٢).

* أوَّل كتاب أنزله الله تعالى على "آدم": كتاب المعجم؛ كما ورد فى الخبر عن سيد البشر - صلوات الله عليه وسلامه - عن أبى ذر البخارى - رضى الله عنه - قال: سألت النَّبى ﷺ فقلت يا رسول الله: أى كتاب أنزل الله على أبينا "آدم"؟.

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّل"، باب العلم، ص ١١٣:
أوَّل من جمع القرآن: أبو بكر، أخرجه ابن سعد، وابن أبى شيبة، وأبو يعلى، عن على، رضى الله عنه.
وأوَّل من سمى المصحف مصحفًا: "أبو بكر"، رضى الله عنه. (أخرجه ابن أبى شيبة، فى كتاب المصاحف)
يقول أبو هلال العسكرى، فى الأوَّائل، ص ١٤١:
"والمصحف بالكسر لغة أهل الحجاز، وهى رديئة؛ لأنَّه أخرج مخرج ما يتبادل ويتعاطى باليد، والمصحف أكرم من ذلك.
وأهل نجد يقولون: مصحف من قولك أصحفته، فهو مصحف إذا جعلت بعضه على بعض، وهى أعجب اللُّغتين إلىّ.
وقالوا: أوَّل من جمع القرآن عمر، وكان لا يقبل من أحد شيئًا منه حتى يشهد شاهدان، فمات عمر قبل أن يجمع". أ. هـ
والصَّحيح أنَّ عمر أوَّل من أشار بجمع القرآن، خاصة بعد أن استشهد كثير من القراء - سبعون - فى معارك الرِّدة.. وأبا بكر أوَّل من جمع بعد أن اقتنع برأى عمر.
(٢) أوَّائل السُّيوطى، ص ١١٣. (أخرجه البخارى)
عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: لمَّا أصيب المسلمون باليمامة، خاف أبو بكر أن يهلك طائفة من أهل القرآن، وإنَّما كان من العسب، والرِّقاع. فأمر النَّاس فأتوه بما كان عندهم، فأمر به فكتب فى الورق، فلمَّا كان أيام عثمان كثر اختلاف النَّاس فى القراءات، فقالوا: حَرْف عبدالله، وحرف أبى موسى. فاستشار الصَّحابة، فأشاروا عليه بأن يجمع النَّاس على مصحف واحد، فجمع ما كان بأيدى النَّاس من المصاحف وأحرقها - أو قالوا غسلها - وأمر سعد بن العاص - وكان أفصح النَّاس - فأملى على زيد بن ثابت، فكتب مصاحف، وفرقها فى البلدان.
فأبو بكر: أوَّل من جمع القرآن، وعثمان: أوَّل من جمع النَّاس على مصحف واحد.
(العسكرى: "الأوَّائل"، ص ١٤٣)

قال: كتاب المعجم . . فقلت: يا رسول الله: كم حرفًا؟ . . قال: تسعة وعشرون حرفًا . . قلت: يا رسول الله إنِّى عددت ثمانية وعشرين حرفًا ، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرّت عيناه ، ثمَّ قال: يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحق نبيًّا ما أنزل الله على "آدم" إلا تسعة وعشرين حرفًا .

قلت: يا رسول الله: أليس فيها ألف ولام . . فقال - عليه السَّلام - لام ألف حرف واحد ، قد أنزله الله تعالى على "آدم" فى صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك . . من خالف فى لام ألف فقد كفر بمَّا أنزل علىّ ، من لم يعد لام ألف من الحروف فهو برئ منى ، وأنا برئ منه ، من لم يؤمن بالحروف ، وهى تسعة وعشرون حرفًا ، لا يخرج من النَّار أبدًا . . قال: يا محمَّد: هذه الحروف ، ذلك الكتاب الذى أنزلته على أبيك[1] .

* **أوَّل من نقط المصحف:** "أبو الأسود الدُّؤلى" ، بأمر من: "عبدالملك بن مروان" ، وقيل: أوَّل من نقط: "الحسن البصرى" ، و"يحيى بن يعمر" ، وقيل: "نصر بن عاصم اللَّيثى"[2] .

* **أوَّل من جمع القراءة ، وألفها:** "حفص بن عمرو الدّوردى"[3] .

* **أوَّل من تتبع وجوه القراءات ، وألفها ، وتتبع الشَّاذ منها ، وبحث عن إسناده ، وجمع القراءات السَّبع الموجودة الآن:** "هارون القارئ الأعور" ، رحمه الله[4] .

* **أوَّل من برز فى علم القرآن والسُّنن بالمدينة:** "الأعرج بن عبدالرَّحمن" ، قال السُّيوطى ، نقلاً عن طبقات الذَّهبى ، قال: كان الأعرج أوَّل من وضع العربيَّة ، أخذ

---

(١) ذكره: العارف أحمد البونى ، قدَّس الله سره .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص ١١٣ .
(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص ١١٣ . وصحة الاسم: حفص بن عمر الدّورى .
ذكره: الذَّهبى: "معرفة القراء الكبار" ، ص ٣٩٦ ، ياقوت: "معجم الأدباء" ، ج٧ ، ص ٢٣٥ ، ابن الجزرى: "طبقات القراء" ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .
(٤) أوَائل السُّيوطى ، ص ١١٣ . وصحة الاسم: هارون بن موسى القارئ الأعور .

عنه أبو الأسود ، كان وافر العلم من أنواع الفنون ، خرج إلى الإسكندرية ، فمات بها سنة سبع عشر ومائة[١] .

* **أوَّل من صنَّف في تفسير القرآن:** "مالك بن أنس" ، بالإسناد على طريقة "الموطأ" ، ثمَّ تتبعه الأئمة الحفاظ ، فقلَّ حافظ إلاّ وله تفسير مسند[٢] .

* **أوَّل من صنَّف غريب القرآن:** "أبو عبيدة معمر بن المثنى" ، أخذ ذلك من أسئلة "نافع بن الأزرق" لـ "ابن عباس" ، رضى الله عنهما[٣] .

* **أوَّل من صنَّف أحكام القرآن:** "الإمام الشَّافعي"[٤] .

* **أوَّل من أحدث رواية القرآن بدمشق:** هشام بن إسماعيل - عليه رحمة الله - **وبفلسطين:** "الوليد بن عبدالرَّحمن" ، رحمه الله[٥] .

* **أوَّل من ألَّف التَّفسير ، وروى بمصر:** شيخ الإسلام: "عز الدِّين بن عبد السَّلام" ، رحمه الله[٦] .

* **أوَّل طبقة من المفسرين:** "طبقة الصَّحابة" - رضى الله عنهم - قال السُّيوطى ، فى الإتقان ، فى النَّوع الثَّمانين ، فى طبقات المفسرين:

أشتهر بالتَّفسير من الصَّحابة عشرة: الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبدالله بن الزُّبير .

وأكثر من رُوى عنه: على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال فى خطبه: سلونى

---

(١) السُّيوطى ، محاضرة مصر .
(٢) السُّيوطى ، الأوَّائل ، ص ١١٣ .
(٣) السُّيوطى ، الأوَّائل ، ص ١١٣ .
(٤) السُّيوطى ، الأوَّائل ، ص ١١٤ .
(٥) السُّيوطى ، الأوَّائل ، ص ١١٤ .
وصحة الاسم: هشام بن إسماعيل المخزومى . والوليد بن عبدالرَّحمن الجرشى .
أخرجه: ابن عساكر ، عن طريق الأوزاعى ، عن خالد بن دهقان .
(٦) السُّيوطى ، الأوَّائل ، ص ١١٤ .
ذكره: الصَّلاح الصَّفدى ، فى تذكرته ، والإسنوى ، فى: "المهمات" .

عن كتاب الله تعالى ، فوالله ما من آية تسألونى عنها إلا أخبرتكم ، وما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم فى سهل أو جبل؟

وقال ، رضى الله عنه : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن أنزلت؟ وأين نزلت؟ . . إنَّ ربِّى وهب لى قلبًا عقولاً ، ولسانًا سؤولاً .

وأمَّا طبقة التَّابعين ، قال السُّيوطى : أعلم النَّاس بالتَّفسير بعد الصَّحابة أهل مكة ؛ لأنَّهم أصحاب عبدالله بن عباس ، كمجاهد ، وعطاء ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وطاووس .

ثمَّ بعد طبقة التَّابعين ، أكمل التَّفاسير : تفسير أبى جعفر بن جرير الطَّبرى ، لم يؤلف مثله ، فكتابه أجل التَّفاسير ، ثمَّ تفسير أبى حيان ، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن حيان .

ثمَّ ألَّف فى التَّفسير خلائق ، كلٌّ منهم يقتصر فى تفسيره على الفن الذى يغلب عليه ، من الفقه ، والقصص ، والأخبار ، والنَّحو ، وأقوال الحكماء ؛ كالفخر الرَّازى : ذكر فى تفسيره أشياء كثيرة لا تعلق لها بالتَّفسير .

والكشاف ذكر فى تفسيره أشياء من أقوال الفلاسفة والمعتزلة ، وتمذهب بها ، حتى قال بعض الأئمة : استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش[١] .

* أوَّل من دوَّن الحديث : "ابن شهاب" ، فى خلافة "عمر بن عبدالعزيز" ، بأمره ، رحمه الله[٢] .

---

(١) السُّيوطى : "الإتقان فى علوم القرآن" ، ١٨٧/٢ وما بعدها .

(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١٤ .

وهو ابن شهاب الزّهرى ؛ ذكره الحافظ بن حجر ، فى شرح البخارى .

وأخرج أبو نعيم الأصبهانى ، فى : "حلية الأولياء" ، عن مالك بن أنس ؛ قال : "أوَّل من دوَّن العلم : ابن شهاب" .

وقال مالك ، فى : "الموطأ" رواية محمَّد بن الحسن : أخبرنا يحيى بن سعيد ، نَّ عمر بن عبدالعزيز ، كتب إلى أبى بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم : أن أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته ، أو حديث عمر ، أو نحو هذا ، فاكتبه لى ، فإنِّى قد خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء .

* **أوَّل من دوَّن علوم الأحاديث:** "ابن شهاب" ، قال مالك ، فى: "الموطأ" : إنَّ عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - كتب إلى أبى بكر بن محمَّد ابن حزم ، أن انظر فيما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته ، أو حديث عمر ، أو أخبار الخلفاء الأربعة ، وفقهاء الصَّحابة ، أو نحو ذلك ، اكتبه لى فإنِّى قد خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ، فدوّن كثير من العلوم فى خلافته ، رحمه الله وجزاه الله خير الجزاء ، ورفع الله درجاته[١] .

* **أوَّل من صنف فى علم الحديث ، ورتبه على الأبواب:** "مالك " بالمدينة ، و"ابن جرير" بمكة ، و"الرَّبيع ابن صبيح" ، أو غيره بالبصرة ، و"سفيان الثَّورى"بالكوفة ، و"الأوزاعى" بالشَّام ، و"هشيم" بواسط ، و"معمر" باليمن ، و"جرير بن حميد" بالرّى ، و"ابن المبارك" بخرسان . . قال الحافظان "العراقى" و"ابن حجر" : وكلُّ هؤلاء فى عصر واحد ، فلا يدرى أيُّهم أسبق ، وذلك فى بضع وأربعين ومائة سنة[٢] .

* **أوَّل من أفرد الأحاديث المسندة دون الموقوفات والمقاطيع على رأس المائتين:** "عبيد الله بن مرسى" بالكوفة" ، و"مسدد" بالبصرة "وأسيد بن موسى الأموى" بمصر ، "ونعيم بن حماد الخزاعى" [٣] .

* **أوَّل من صنف فى الصَّحيح المجرد:** "البخارى" ، واحترز بالمجرد الذى زاده عن الموطأ ، فإنَّه أيضًا صحيح ، لكنَّه محتو على الموقوفات والمقاطيع من الأحاديث النبوية[٤] .

---

(١) انظر الهامش السَّابق .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل" ١١٤ ، وصحة "ابن جرير" بمكة : ابن جريج .
وقال : والرّبيع بن صبيح ، أو سعيد بن أبى عروبه ، أو حماد بن سلمة ، بالبصرة.
انظر : تدريب الرَّاوى للسيوطى ، ص ٢٤ - د/ عبدالله شحاته : "علوم الدِّين الإسلامى" ، ص ١٦١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٤ .
(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ ، ذكره : ابن الصَّلاح .

* أوَّل من تكلم من الرُّواة جرحًا وتعديلاً : "شعبة"[١] .

* أوَّل من كذب على رسول الله : ﷺ : "عبدالله بن سبأ" ، الذى تنسب إليه السَّبئية ، وهم من غلاة الرَّوافض من اليمن ، كان يهوديًّا ، أظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ؛ ليمنعهم عن طاعة الأمة المحمدية ويدخل بينهم الشَّر والفتنة .

وقد دخل الشَّام لذلك فى زمن عثمان - رضى الله عنه - فلم يوافقه أحد ، فخرج إلى مصر ، وذكر عنه كلامًا كثيرًا ، وكذب الملعون على رسول الله ﷺ ثمَّ طعن على الصّديق الأكبر ، والإمام الأقدم الأزهر - رضى الله عنه - فهمَّ "على" ، رضى الله عنه ، بقتله ، ففرَّ ، وأخذ ، وقتل شر قتلة ، عليه اللَّعنة[٢] .

* أوَّل من صنف فى غريب الحديث : "النَّضر بن شميل" ، وقيل غيره[٣] .

* أوَّل من تكلم فى مختلف الحديث ، وصنَّف فيه : الإمام الهمام ، والحبر الفهام ؛ أعنى : الشَّافعى ، رحمه الله[٤] .

* أوَّل من رتَّب أنواع الحديث ، ونوَّعها الأنواع المشهورة الآن : "ابن الصَّلاح" فى مختصره المشهور[٥] .

* أوَّل من رتَّب أنواع الحديث على حروف التَّهجى ، وأشار بالحروف المركبة والبسيطة إلى المستخرجات من الكتب : الإمام الهمام ، والجهبذ الحبر الفهام ، الأستاذ المتقن : جلال الدِّين السُّيوطى .

رتب الجامع الصَّغير وخاتمته ترتيبًا ما سبقه أحد فيه من الأوَّائل ، وما يلحقه فرد من الأواخر ، وهو خاتم المجتهدين ، كما يدلُّ عليه أكثر تصانيفه الفريدة ؛ كـ :

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ ، وذكر معه : أبو عبيدة ابن معمر بن المثنى .
(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ ، وأضاف : أوَّل من صنَّف فى علوم الحديث : الرامهرمزى ، صاحب "المحدث الفاصل" .
(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ .

الإتقان ، والمزهر فى عجائب اللُّغة ، وتفسير الدُّر المنثور ، وجمع الجوامع ، وغيرها من أنواع الفنون .

* أوَّل من صنف فى علم البدء والأوائل : "الإمام العسكرى" ، صنف رسالة فى الأوَّليات ، ثمَّ لخصها السُّيوطى ، وزاد عليها نحو ثلاث كراريس ، وأنا الفقير (المؤلف : على دره السّكتوارى) رتبت كتابى هذا وزدت فيه من أخبار الأوَّائل والأواخر أصنافًا كثيرة ، ممَّا لا تجده فى غيره .

* أوَّل من أدخل علم الحديث فى المغرب فى القرن الثَّانى : "صعصعة بن سلام الدِّمشقى" ، رحمه الله(١) .

* أوَّل من أخرج الأربعين حديثًا عن البلدان : "الحافظ أبو الطَّاهر السَّلفى" ، رحمه الله(٢) .

* أوَّل من بنى دار الحديث على وجه الأرض : "نور الدِّين الشَّهيد" ، بدمشق ، ثمَّ : "الملك الصَّالح" ، بمصر(٣) .

* أوَّل من سنَّ تخريج الفوائد ، وسمع الرِّجال والصّحيح بهراة : "الحافظ أبو الفضل الهروى" ، مات سنة ثلاث عشرة وأربعمائة(٤) .

* أوَّل من صنف فى المغازى : "عروة بن الزُّبير" رحمه الله(٥) .

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٥ ، وخصَّ الأندلس دون المغرب ، وأسند الخبر إلى ابن يونس .

(٢) السُّيوطى : "الوسائل" ١١٦ ؛ وصحة الاسم : الحافظ أبو طاهر السَّلفى ، ذكره الذَّهبى ، فى : الأربعين البلدانية ، المخرجة من معجم أبى الحسين ابن جميع .

(٣) محاضرة مصر .

(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٦ .
وصحة الخبر : أوَّل من سنَّ بهراة قراءة تخريج الفوائد ، وشرح الرِّجال ، والتَّصحيح : الحافظ أبو الفضل محمَّد بن أحمد الجارودى الهروى . مات سنة ثلاث عشرة وأربعمائة .

(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٦ .
ذكره الذَّهبى ، فى تاريخه ، وقال ابن سعد فى طبقاته : كان محمَّد بن إسحاق .

* **أوَّل من جمع مغازى رسول الله ، ﷺ:** "محمد بن إسحاق" ، رحمه الله[١] .

* **أوَّل طبقة من الصَّحابة:** طبقة السَّابقين بالإسلام ؛ ك: أبى بكر ، وعثمان ، وعلى ، وحمزة ، وبلال . . قال الأستاذ ابن حجر فى طبقات الصِّحابة الكرام ، رضوان الله عليهم . وأمَّا عدد طبقاتهم ، فبالنَّظر إلى السَّبق بالإسلام والهجرة ، وشهود المشاهد ، فطبقاتهم اثنتا عشرة طبقة:

الأولى: قوم أسلموا بمكة ؛ كأبى بكر وعلى . **والثَّانية:** أصحاب دار النَّدوة الذين بايعوا الرَّسول ، ﷺ ، من أهل مكة . **والثَّالثة:** الذين هاجروا إلى مكة . **والرَّابعة:** الذين بايعوا عند العقبة الأولى ، يقال: فلان عقبى . **والخامسة:** أصحاب العقبة الثَّانية من الأنصار . **والسَّادسة:** أوَّل من صلى بقباء من المهاجرين . **والسَّابعة:** أهل بدر . **والثَّامنة:** مهاجرو بدر والحديبية . **والتَّاسعة:** أهل بيعة الرّضوان . **والعاشرة:** المهاجرون بين الفتح والحديبية . **والحادية عشرة:** صحب أسلموا قبل الفتح . **والثَّانية عشرة:** أطفال وصبيان رأوا رسول الله ، ﷺ ، - يوم الفتح وحجة الوداع .

وأمَّا عدد الصَّحابة ممَّن رأى ، وصحب وسمع ، ونقل: فمائة ألف ، وأربعة عشرة ألفًا - رضى الله عنهم - من طبقات الصَّحابة .

* **أوَّل طبقة من الفقهاء العظام:** طبقة الصَّحابة ؛ فمنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . . ومن فقهاء الصَّحابة: العبادلة ؛ عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزُّبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهم - فلمَّا ماتوا صار الفقه فى البلدان إلى الموالى .

قال مالك بن أنس: أفتى عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، وتوفى وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وكان فى الصَّحابة فقهاء مجتهدون كأم المؤمنين عائشة ، وعبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم - رضى الله عنهم - ثمَّ انتقل الفقه فى الأمصار إلى طبقة التَّابعين ،

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٦ .

ثمَّ إلى تابعى التَّابعين رضوان الله عليهم أجمعين[١] .

* **أوَّل من بعث بعد المائة الأولى من المجتهدين الفقهاء :** "عمر بن عبدالعزيز" ، رأى بعض الأولياء من أهل مصر قائلاً يقول : "إنَّ الله تعالى يبعث على رأس كلِّ مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، بدئت بعمر وختمت بعمر ؛ يعنى عمر البلقينى من أهل مصر كان على رأس المائة الثَّامنة ، وعمر بن عبدالعزيز على رأس المائة الأولى[٢] .

* **أوَّل من صنف فى الفقه بعد المائة الأولى :** "أبو حنيفة النُّعمانى" ، رحمه الله[٣] .

* **أوَّل من صنف فى أصول الفقه :** الإمام الشَّافعى ، رحمه الله[٤] .

* **أوَّل من وضع علم الخلاف ، وأبرزه إلى الوجود :** "أبو يزيد الدَّبوسى من أئمة الحنفية ، مات فى سنة ثلاثين وأربعمائة[٥] .

* **أوَّل علم ينزع من هذه الأمة :** "الفرائض" ، الحديث عن أبى هريرة[٦] .

* **أوَّل من أظهر علم الفقه بمصر :** "يزيد بن أبى حبيب" ، رحمه الله[٧] .

* **أوَّل من أدخل فقه مالك مصر :** "عبدالرّحيم بن خالد" ، رحمه الله[٨] .

* **أوَّل من وضع علم النَّحو :** على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال أبو الأسود الدُّؤلى ، رحمه الله : دخلت على أمير المؤمنين "على" - رضى الله عنه - فرأيته مطرقًا ، متفكرًا . فقلت : فيم تفكر يا سيدى؟ فقال : إنِّى سمعت ببلدكم هذا لحنًا ، فأردت أن أضع كتابًا فى أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هذا حببتنا ، وبقيت فينا

---

(١) تاريخ الفقهاء .
(٢) السُّيوطى : "حسن المحاضرة" .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٦ .
(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٧ .
(٥) السُّيوطى : "الوسائل"١١٧ ، وأبو زيد الديوسى ، اسمه : "عبدالله بن عمر" .
(٦) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٧ . أخرجه ابن ماجة ، عن أبى هريرة مرفوعًا .
(٧) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٧ . ذكره الذَّهبى ، فى تاريخه .
(٨) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١١٧ .
هو عبد الرَّحيم بن خالد الجمحى ، ذكره الذَّهبى ، فى تاريخه .

هـذه اللُّغـة العربيَّة . ثـمَّ أتيته بعـد ثـلاث ، فـألقى إلى صحيفة فيها (بسـم الله الـرَّحمن الرَّحيم) ؛ الكـلام : اسـم وفعـل وحـرف ، فالاسـم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عـن حـركة المسـمى ، والحـرف مـا أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل . ثمَّ قال لى : تتبعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود أنَّ : الأشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشئ ليس بظاهر ولا مضمر .

قـال أبـو الأسـود : فجمعـت منه أشيـاء ، وعرضـتها عليـه ، فكان من ذلك حروف النَّصـب ، فذكـرت مـنها : إنَّ ، وأنَّ ، وليـت ، ولعـلَّ ، وكـأنَّ . . ولم أذكـر "لكـنَّ" ، فقـال لى : لم تركـتها؟ . . فقلـت : لم أحسـبها مـنها ، فقـال : بـلى هـى مـنها ، فـزدها فيها[١] .

* أوَّل مـن وضـع العربيَّة : "أبـو الأسـود الـدُّؤلى" ، جـاء إلى زيـد بالبصرة ، فقال : أصلـح الله الأمـير ، إنِّـى أرى العرب قـد خالطـت هـذه الأعـاجم ، فتغيَّرت ألسـنتهم ، أفتأذن لى أن أضع للعرب علمًا يقيمون به كلامهم؟

فقـال : لا ، ثـمَّ جـاء إلى زياد رجل ، فقال : أصلح الله الأمير ، توفى أبانا ، وترك بـنون ، فقـال زياد : اصنع للناس ما نهيتك عنه ، فوضع لـهم النَّحو ، فقيل لـه : من أين لك هذا العلم - أى النَّحو - فقال : أخذت حدوده عن على ، رضى الله عنه[٢] .

* أوَّل بـاب وضـعه أبـو الأسـود الـدُّؤلى فى النَّحو : التَّعجب ، ثمَّ وضع النَّحو بعد

---

(١) السُّيوطى : "الأوَّائل" ، ص ١١٩ .
وانظر : أبا القاسـم الزَّجاجى : "الأمـالى" - أبـا الفـرج الأصبهانى : "الأغانى" - أبا طاهر عبدالواحد بن عمر بن هاشم : "أخبار النَّحويين" - ابن عساكر : "تاريخ دمشق" .

(٢) السُّيوطى : "الأوَّائل" ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
أخرج هـذا الخبر : أبـو الفرج الأصبهانى ، فى : "الأغـانى" . وأبـو طاهر عبدالواحد بن عمر بن هاشم ، فى : "أخبار النَّحويين" . ابن عساكر ، فى : "تاريخ دمشق" ، عن : عاصم بن أبى النَّجود .
وانظر : الشَّيخ محمَّد الطَّنطاوى : "نشأة النَّحو ، وتاريخ أشهر النُّحاة" ، ص١٦ ، ١٧ ، ١٨ - الطَّبعة الثَّانية ، القاهرة ، مطبعة السَّعادة ، ١٩٦٩م .
وروى أنَّ سبب وضـع "عـلى" - عليه السَّلام - لـهذا العلم : أنَّه سمع أعرابيًّا يقـرأ : "لا يأكله إلا الخاطئين" (الحاقة : ٣٧) ، فوضع النَّحو .

أبى الأسود: "ميمون الأقرن" ، ثمَّ: "عبدالله بن إسحاق" ، وقيل غيره(١) .

* **أوَّل من وضع كتابًا فى النَّحو من أهل الكوفة:** "أبو جعفر الدّوسى" ، أستاذ الكسائى(٢) .

* **أوَّل من وضع التَّصريف:** "معاذ بن مسلم"(٣) - رحمه الله - مات سنة سبع وثمانين ومائة ، بعد أن عَمَّر كثيرًا ، ومات أولاد أولاده ، وهو باق ، قال الشَّاعر:

إنّ معاذ بن مسلم رجلٌ ::: قد ضج من طول عمره الأبد(٤)

---

(١) السُّيوطى: "الأوَّائل" ، ص ١٢٠ .

وصحة الخبر كما أتى به السُّيوطى: قال السِّيرافى ، فى: "طبقات النَّحويين": روى محبوب البصرى ، عن خالد العذاء ، قال: أوَّل من وضع العربيَّة: اصر بن عاصم .

وروى ابن لهيعة ، عن أبى النَّضر ، قال: كان عبدالرَّحمن بن هرمز . . أوَّل من وضع العربيَّة .

وأخرج أبو طاهر ، فى: "أخبار النَّحويين" ، عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال: أوَّل من وضع النَّحو: أبو الأسود الدؤلى ، ثمَّ ميمون الأقرن ، ثمَّ عنبسة الفيل ، ثمَّ عبدالله بن إسحاق .

(٢) البصريون هم الذين وضعوا النَّحو ، وتعهدوه بالرِّعاية قرابة قرن ، كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما يشغلها من رواية الأشعار والأخبار ، والميل إلى التَّندر بالطَّرائف من الملح والنَّوادر ، ثمَّ تكاتف الفريقان على استكمال قواعده .

وأبو جعفر الدُّوسى ، صحة اسمه: "أبو جعفر محمَّد بن الحسن الرُّؤاسى" ، وكتابه هو: "الفيصل" .

روى ابن النَّديم: وقال الرُّؤاسى: بعث الخليل إلى يطلب كتابى ، فبعثت إليه ، فقرأه ، وكلّ ما فى كتاب سيبويه ، وقال "الكوفى" كذا ، فإنَّما يعنى "الرُّؤاسى" .

انظر: نشأة النَّحو ، ص ٣٠ ، ٣١ - السُّيوطى: "الأوَّائل" ، ص ١٢١ .

وأورد الخبر ، عن ابن الأكفانى ، فى كتاب: "تقسيم العلوم" .

(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

وهو معاذ بن مسلم الهراء ، جلس إليه بعضهم ، فسمعه يقول لرجل: كيف تقول من: (تؤزهم أزًّا) (مريم: ٨٣) يا فاعل افعل؟ . . فأنكره ، وقال:

قد كان أخذهم فى النَّحو يعجبنى ::: حتى تعاطوا كلام الزِّنج والرُّوم

لمَّا سمعت كلامًا لست أفهمه ::: كأنَّه زجل الغربان والبوم

تركت نحوهم والله يعصمنى ::: من التَّقحم فى تلك الجرائيم

فأجابه معاذ هذا:

عالجتها أمرد حتى إذا ::: شبت ولم تحسن أبا جادها

سميت من يعرفها جاهلاً ::: يصدرها من بعد إيرادها

سهّل منها كلّ مستصعب ::: طود علا أقران أطوادها

(٤) أورد السُّيوطى ، فى أوَّائله بيتًا ثانيًا:

* **أوَّل من أفرد التَّصريف ، وميزه من النَّحو بالتَّصنيف والتَّبويب :** "أبو عثمان المازنى"[(١)] .

* **أوَّل من وضع اللُّغة على الحروف :** "الخليل بن أحمد" ، رحمه الله[(٢)] .

* **أوَّل من صنَّف فى المعانى والبيان :** "الشَّيخ عبدالقاهر الجرجانى"[(٣)] .

* **أوَّل من صنَّف فى البديع ، وألَّف فيه ، وسماه بهذا الاسم :** "عبدالله بن المعتز" ، بل هو أوَّل من اخترع البديع ، وألَّف فيه كتابًا مستقلاً فى سنة أربع وسبعين ومائتين ، ولم يضمنه غير خمسة أنواع من البديع ؛ وهو: الاستعارة ، ورد العجز على الصَّدر ، والتَّجنيس ، والمطابقة ، والمذهب الكلامى ، وهو أوَّل من عقد المعنى اللَّطيفة ، واستخرجها بالقوة الذِّهنية من لغة العرب[(٤)] .

* **أوَّل من وضع المثلث :** "قطرب" ، رحمه الله[(٥)] .

* **أوَّل لحن سمع بالعراق :** قولهم : عصاتى[(٦)] .

* **أوَّل من قصَّ :** "عبيد بن عمير" ، على عهد "عمر" - رضى الله عنه - قال عطاء : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة ، رضى الله عنها ، فقالت : من هذا؟ . . فقال : أنا عبيد بن عمير . . فقالت ، رضى الله عنها : قاص أهل مكة؟ . . قال نعم . .

= يا نسر لقمان كم تعيش وكم ::: تأكل طول الزمان يا لبد

انظر : السُّيوطى أيضًا : "بغية الوعاة" ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، (العلم) ص١٢١

(٢) مصدر سابق ، ص ١٢١ .

(٣) مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

(٤) المصدر السَّابق ، ص ١٢٤ .

انظر : النَّواجى : "روضة المجالس" ، ابن الأثير : "جوهر الكنز" ، الأصفهانى : "الأغانى" .

قال : مسلم بن الوليد ، مولى الأنصار يلقب : صريع الغوانى . .وهو فيما زعموا أوَّل من قال الشِّعر المعروف بالبديع ، وتبعه جماعات أشهرهم ؛ أبو تمام الطائى . وقال المبّرد : هو أوَّل من عقد المعانى اللَّطيفة واستخرجها .

(٥) مصدر سابق ، ص ١٢١ .

(٦) المصدر السَّابق .

قالت: خفف فإنَّ الذّكر ثقيل .

وأخرج الإمام السُّيوطى فىالأوَّائل عن الثِّقات ، قالوا: لم يقص أحد فى زمان النَّبى ﷺ ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر - رضى الله عنهما - وإنَّما القصص أحدثت فى زمان معاوية ، حين كانت الفتنة بين الصَّحابة[1] .

* **أوَّل من قصَّ بمكة:** "عبيد الله بن عمير" "اللَّيثى" ، وقيل: الأسود بن السَّريع الصَّحابى ، رضى الله عنه[2] .

* **أوَّل من قصَّ بمصر:** "سليم بن غفر" ، سنة تسع وثلاثين[3] .

* **أوَّل من تكلَّم بمصر فى ترتيب الأحوال ، ومقامات الأولياء ، قدس الله شرهم:** "ذو النُّون" المصرى ، قدَّس الله سره ، ونفعنا بعلومه ، آمين[4] .

* **أوَّل من تكلَّم ببغداد فى مذهب الصُّوفية من صفاء الفكر ، والشَّوق ، والذَّوق ، والقرب ، والأنس ، والمحبة ، والمعرفة ، والمنازل:** "أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادى الصُّوفى" ، من أقران السَّرى السَّقطى ، ومات سنة تسع و ثمانين ومائتين[5] .

* **أوَّل من سمى بالصُّوفى ، وتكلَّم فى علم القلوب:** "أبو هاشم الصُّوفى" ،

---

(١) المصدر السَّابق ، ص ١٢٦ ؛ وقال العسكرى ، فى: "الأوَّائل" ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ : "عن ابن شهاب قال: أوَّل من قص فى مسجد رسول الله ﷺ تميم الدَّارى ، استأذن عمر أن يذكر بالله ، فأبى . ثمَّ استأذن أخرى ، فأبى ، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر للصلاة ، فكان عمر يمر به ، فيشير إلى حلقة هذا الذَّبيح ، ثمَّ توفى عمر فاستأذن "عثمان بن عفان" . فأذن له أن يذكر يومين فى الأسبوع ، فكان يفعل ذلك ، وقد روى غير ذلك .
وقالوا: أوَّل من قصَّ: "عبيد بن عمير الليثى" بمكة .
ويقال: أوَّل من قصَّ: "الأسود بن سريع التَّميمى" ، وهو صحابى .
انظر: ابن سعد: "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٩ ، ص ٤١ .

(٢) المصدر السَّابق ، نفس الصَّفحة .انظر الهامش السابق .

(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ص ١٢٦ ، وهو: سليم بن عتر التَّجيبى .

(٤) مصدر سابق ، ص ١٢٦ ، ذكره السّلمى ، فى كتاب: "المحل" .

(٥) مصدر سابق ، ص ١٢٦ ؛ أخرجه الخطيب فى تاريخه ، عن أبى سعيد الزِّيادى ، ومات أبو حمزة سنة تسع وستين ومائتين ، وقيل سنة ٢٨٩هـ .

كوفيّ المولد ، شامي المقام . . قال أبو هاشم : لقلع الجبال بالإبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب .

وقال الثّوري : لولا أبو هاشم الصُّوفى ما عرفت دقيق الرِّياء ، وما كنت عرفت من الصُّوفى لو لم أر أبا هاشم ، قدَّس سره ، من طبقات المشايخ[1] .

* **أوَّل من تكلَّم من الأحوال بالعراق فى بلدة مرو فى الأحوال الصُّوفية ، وكان فقيهًا محدثًا إمامًا :** "أبو العباس المرزوى" ، شيخ التَّصوف فى زمانه ، مات سنة ثلاثمائة[2] .

* **أوَّل شرط فى طريق الصُّوفية :** تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريمة من الصَّلاة : استغراق القلب بذكر الله ، وأخرها الفناء فى الله ، قاله الغزالى ، رحمه الله .

* **أوَّل من تكلَّم على علم الفناء والبقاء :** "أبو سعيد الحزاز البغدادى" ، شيخ الفقراء الصُّوفية ، تلميذ : "ذى النُّون المصرى" ، رحمهم الله[3] .

* **أوَّل بدايات الأنبياء ، عليهم السَّلام :** آخر نهايات الأولياء الكرام[4] .

* **أوَّل حال رسول الله ، ﷺ :** الخلوة ؛ حيث تبتل إلى جبل حراء حين كان يخلو بربه ، ويتعبد ، حتى قالت العرب : إنَّ محمدًا عشق ربَّه[5] .

* **أوَّل من آثر العزلة والوحدة من الصَّحابة الكرام :** "أبو ذر الغفارى" ، كما جاء فى الخبر الصَّحيح فى حقه ، يمشى فى الأرض بزهد : "عيسى بن مريم" - عليهما

---

(١) المصدر السَّابق .

(٢) المصدر السَّابق ، ص ١٢٧ .

وهو أبو العباس القاسم بن مهدى المرزوى السّيارى ، ابن بنت الحافظ أحمد بن سيار المرزوى ، وذكر السُّيوطى وفاته فخالف لما أثبته المؤلف ، فقال : مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

ذكره الصَّفدى ، فى تاريخه .

(٣) مصدر سابق ، ص ١٢٧ . واسمه : أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز البغدادى ، مات سنة ٢٨٦هـ .

(٤) قاله الغزالى .

(٥) قاله الغزالى .

السَّلام - وهو سيد أهل الخلوة من الصُّوفية ، وفى الحديث المشهور أنَّه يأتى قدام العلماء يوم القيامة(١) .

* **أوَّل موضع انفجرت منه ينابيع العلوم والحكم:** "الهند" ، ثمَّ: "الحرم المكى" ، على لسان المعلم الأول أبى البشر "آدم " الصَّفى ، صلوات الله على نبينا ، وعليه ، وعلى جميع الأنبياء(٢) .

* **أوَّل من دوَّن منافع الأشجار ، وأمر بكتابة الطّب:** "سليمان" - عليه السَّلام - لما روى عن بن عباس ، قال: قال رسول الله ، ﷺ : كان سليمان نبى الله إذا قام فى مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول ما اسمك؟ . . فتقول: كذا . . فيقول: لأى شئ أنت؟ فقالت لخراب هذا البيت . . فقال سليمان - عليه السَّلام - عند ذلك: اللهم عم على الجنّ موتى ، حتى يعلم الإنس أنَّ الجنَّ لا تعلم الغيب .

قال: فنحتها عصا ، وتوكأ عليها ، فأكلتها الأرضة حين قام فى محرابه قائمًا متعبدًا ، فسقط بعد سنة ، فحسبوه ، فوجدوه حولاً كاملاً لحكمة مقتضية لذلك ؛ فتبينت الإنس أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً فى العذاب المهين . . قال ابن عباس: فشكرت الجنّ الأرضة ، فكانت تأتيها بالماء حيث كانت(٣) .

* **أوَّل من دلَّ على ترتيب الأفلاك ، وقدَّر مسير الكواكب ، وكشف عن وجوه تأثيراتها ، وتكلَّم فى الجواهر العلوية والحركات النّجومية ، ونظر فى الطّب ، وخواص العقاقير النَّباتية ، وركب من أنواع الأشربة ، والمعاجين ما يلائم الأمزجة الإنسانية ممَّا يعدل الطبائع البشرية ويصفيها من الكدورات العنصرية الطّبيعية ، فانسلخ من الهيكل الجسمانى الظّلمانى ، وتعلّقت نفسه العنصرية النَّاطقة الكلية بفلك الأفلاك ، فدارت بها ، فتحقق بحقائق الأشياء الكونية وخواصها ، وتأثيراتها ، فرسم**

---

(١) المصدر السَّابق ، ص ١٢٧ .وقال أبو نعيم ، فى: "معرفة الصَّحابة" ، فى ترجمة أبى ذر ، رضى الله عنه: وسيد من آثر العزلة والوحدة ، وأوَّل من تكلم فى علم الفناء والبقاء .

(٢) ذكره الشَّيخ الأكبر ابن العربى قدَّس الله سره .

(٣) من حياة الحيوان الكبرى .

العلوم الحكمية حرصًا على تخليدها ، كما رسم "آدم" - عليه السَّلام - أنواع الأقلام والكتب فى الصَّحائف اللِّبنية والحجرية ، والجوهرية ، فأصاب بعده بعض الطَّوائف بعض الكتب ، فأصاب إسماعيل ، عليه السَّلام: كتاب العربيَّة ، ففتق الله لسانه بالعربيَّة المبينة ، معجزة له ، وآية دالة على كمال نبوته عليه السَّلام[١] .

* أوَّل من أسس الهياكل ، ومجدَّ الله تعالى فيها ، وبنى الأهرام والمنائد ، وصوَّر فيها جميع الصَّنائع ، والآلات ، ورسم فيها صفات العلوم ؛ حرصًا على تخليدها لمن بعده ، لما شاهد وقوع الطُّوفان: "إدريس" - عليه السَّلام - وسمى "إدريس" ؛ لكثرة درسه للعلوم العلوية ، وهو "الهرمس" الأوَّل والعقل المجرَّد المكمل ، خصه الله تعالى بالعلوم القدرية الملكية ، والفلكية ، وهو المسمى بالهرمس المثلث ؛ لأنَّه جمع بين النُّبوة ، والحكمة ، والسّلطنة[٢] .

* أوَّل من نظم فى الطب: "أفريدون" ، وكان ملكًا حكيمًا عادلاً ، من ملوك الدّادانية ، فرَّ أبوه من "الضَّحاك" ، وكان من أسباط "جمشيد" ، وهو قاتل الضَّحاك الظَّالم ، ومهلك الطَّائفة الطَّاغية العادية ، وعَمَّر خمسمائة سنة[٣] .

* أوَّل من أحدث الفلسفة ، والحكميات: الرُّوم فى عهد "موسى" ، عليه السَّلام ؛ المراد ما يخالف حكميات الهرمس الأوَّل ، وهو "إدريس" ، عليه السَّلام[٤] .

* أوَّل من ترجمت له كتب الطِّب والنُّجوم: "خالد بن يزيد بن معاوية" - رضى

---

(١) كذا ذكره السُّيوطى ، وغيره من المؤرخين .

(٢) كذا ذكره السُّيوطى ، فى: "محاضرة التَّواريخ" ، ولم أجده للسيوطى ، وقد يقصد: "تاريخ الصَّحابة" ، أو: "حسن المحاضرة" .

(٣) ذكره الغزالى ، وغيره ، وانظر: السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ١٣٠ .

(٤) الوسائل إلى الأوَّائل ، ص ١٣٣ .
وانظر: "الملل والنِّحل" للشهرستانى ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، يقول: "وأوَّل من تفلسف منهم - الرُّوم - تاليس المالطى ، وأوَّل من شهر بالفلسفة ، ونسبت إليه الحكمة: فلوطرخيس ، بمصر .
(نفس المصدر ، ص ٩٦)

الله عنه - وقيل: "المنصور العباسى"، عفا الله عنه[١].

* أوّل ما ظهرت منفعة "الأطريفل"، ويعرف بالدّيار المصرية بـ: "رجل الغراب"، وهو نبت يشبه الشّبت بالمغرب الأوسط، من قبيلة بالبربر تعرف بـ: "بنى وجهان" من أعمال "بجاية"، وكانوا يقصدونه لمداواة البهق، والوضح بها، وكانوا يبخلون به ويخفونه عن النّاس إلى أنْ أظهر الله عليه بعض النّاس، فعرفوه، وانتشر ذكره، وعرف بين النّاس عظيم نفعه[٢].

* أوّل من أدخل علم المنطق وسائر العلوم اليونانية فى الملة الإسلامية، وأحضرها من جزيرة قبرص: "المأمون العباسى"، فترجم له كتب كثيرة[٣].

* أوّل من أخرج علم المنطق: "أرسطاليس"، الحكيم فى عهد: اردشير بن دارا[٤].

* أوّل من تكلّم فى هيئات الفلك، وأخرج علم الهندسة: "بطليموس الحكيم"[٥].

* أوّل من تكلّم بالرياضيات وأفرد فيها علمًا: "أقليدس" الحكيم[٦].

* أوّل من شهر بالفلسفة، ونسبت إليه الحكمة: "فلوطرخيس" بمصر[٧].

---

(١) "الوسائل إلى الأوائل"، ص ١٣١، ابن عساكر: "تاريخ دمشق" ١٠٩/٢.
(٢) مصدر سابق، ص ١٣١، وانظر: ابن البيطار: "المفردات".
(٣) مصدر سابق، ض ١٣٤.
(٤) مصدر سابق، ص ١٣٤.
وصحة الاسم كما فى السُّيوطى: أرسطوطاليس، من أهل أسطخر.
وانظر: "الملل والنّحل" ١١٩/٢.
(٥) من تاريخ الحكماء.
وانظر: السُّيوطى: "الأوائل"، ص ١٣٤، الملل والنّحل ١١٦/٢.
(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوائل"، ص ١٣٣، ١٣٤.
الشهرستانى: "الملل والنّحل" ١١٤/٢.
(٧) مصدر سابق، ص ١٣٣.
وانظر: الملل والنّحل ٩٦/٢. وأوّل من تفلسف منهم - أى من الرُّوم - "تاليس" المالطى.

* **أوَّل من تفلسف فى الكلام والجدال مع أهل السُّنة والجماعة:** "أبو حذيفة واصل بن عطاء" ، وهو أوَّل من سمى معتزليًّا ، اعتزل من مجلس "الحسن البصرى" ، فسمى بذلك(١) .

* **أوَّل هرمس من الهرامسة الأوَّل صنَّف علم المنطق بأنواعه ، وبيَّن موضوعه ، وصنَّف فى علم الحساب ، والهندسة ، وأصول الألحان:** "فيثاغورث الحكيم" ، قيل إنَّه ولد من بكر كـ: "عيسى" ، عليه السَّلام . ووصل إلى مرتبة انسلاخ البشرية ، واستمع حركات الأفلاك ، وعمل من العلوم الفلكية ثمانين كتابًا ، وتكلَّم فى أسرار الأعداد والحروف والأسماء ، ووضع الطِّلمسات والعجائب .

وذكر "السُّيوطى" فى: "محاضرة مصر" إنَّ فيثاغورس تلميذ هرمس الأوَّل ، وله من العلوم صنعة الكيمياء والنُّجوم ، وذكر الشَّيخ الأكبر ، والنُّور الأزهر ، والمسك الأذفر- رضى الله تعالى عنه - فى: "الفتوحات المكية" ، فى: "باب مراتب الأولياء" ، قال: ومنهم رجل واحد مركب ممتزج بين الروح والبشر .

كما يحكى عن بلقيس ، تولدت بين الإنس والجنِّ ، وقال: ومن الرِّجال من لا يعرف له أب بشرى مخلوق من ماء أمه كـ: "سطيح ، وجرهم" ، خلافًا لأهل الطَّبائع ؛ لأنَّ عندهم لا يتكوَّن ولد من ماء المرأة ، بل الله تعالى على كل شئ قدير .

وذكر "الدِّميرى" فى كتاب: "حياة الحيوان" ، أنَّه ذكر رجل عند عمر - رضى الله عنه - باسم الإسكندر ، فقال: ما لكم تسمون بأسماء الملائكة ، وذكر فى كتابه أيضًا .

وقال: كان فى الزَّمن الأوَّل بعض الملائكة يبتلون بالتَّناسل ، وذكر منهم: "جرهما" و"بلقيس و"إسكندر" ، وفيه خلاف بين العلماء ، والله أعلم .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى الأوَّائل" ، ص ١٣١ .
وهو أوَّل من قال: الحق يعرف من وجوه أربعة ؛ كتاب ناطق ، وخبر مجتمع عليه ، وحجة عقل ، وإجماع الأمة . وأوَّل من قال الخبر خبران ؛ خاص وعام .
وأخرج ابن عدى ، فى: "الكامل" ، عن إسماعيل بن عليَّة ، قال: أوَّل من تكلَّم فى الاعتزال: "واصل الغزال" ، فدخل معه فى ذلك: "عمرو بن عبيد" .

* **أوّل من وضع علم الوفق ، وعمل صداند رصد ، ووضع (هزار اندر هزار):** "فيثاغورث" المذكور ، وله فى الأوفاق العددية عجائب(١) .

* **أوّل من اتخذ الشراب المسكر ، والمسك المعمول ، وأنواع الطيب ، والاسفيراج ، واستخرج الدر والمرجان من البحار:** فيثاغورث ، وهو أوّل من اتخذ الحمام(٢) .

* **أوّل من وضع الكتب فى أنواع الطّب والتّشريح وخواص العروق والعقاقير الأرضية من النّبات والأشجار وأوراقها:** "بقراط الأوّل" الإلهى الإشرافى ؛ لأنّ المسمى "ببقراط" أربعة . وهذا المذكور ، وهو مصنف الحقنة ، تعلمها من طير قرب النّيل ، يدخل الماء فى دبره من كثرة ما أكل من لحوم السّمك ، فأسهله ذلك . . قيل: هذا الطّير كان ملكًا يعلمه علم الحقنة والحكمة ، فيكون حكيمًا ملهمًا إلهيًّا ، إن صح ذلك .

وقيل كان تابعه الموكل به من الجنّ ، يتمثل فى صورة الطّير ؛ لأنّ التّمثل من عادة الجنّ ، وهو الأشبه ، لأنّه مطعون فى اعتقاده ، كما قال الغزالى ، رحمه الله(٣) .

* **أوّل من صنّف العلاج المشهور "بدارو" وعمل الفصد ، حين سمع هاتفًا عند مرضه فى بعض عضوه ، يقول له: اعمل الفصد على الخنصر ، والبنصر:** "جالينوس" الحكيم ، كان حكيمًا إلهيًّا فى زمن "عيسى" - عليه السّلام - أرسل ابن أخته إلى صحابة "عيسى" - عليه السّلام - وكان اسمه "فولوس" ، قالت النّصارى: "فولوس" نبى بعد "شمعون" ، وفى إيمان "جالينوس" أقوال ذكرها المؤرخون(٤) .

* **أوّل من وضع فى خواص الأحجار كتابًا ، وأظهرها للخلق:** "أرسطو" ، تلميذ "أفلاطون" الإلهى . . قيل لأرسطو: أهو عقل مجرد ، وهو من أساتيذ "ذى القرنين" فى بدء الحكمة ، وفى نهايتها . . كان الإسكندر" أعلم منه فى العلوم كلّها .

---

(١) "تاريخ الحكماء" .
(٢) من تاريخ الحكماء .
(٣) تاريخ الحكماء .
(٤) تاريخ الحكماء .

قيل: اجتمع له نبوة شرعية على ملة: إبراهيم، أو نوح - عليهما السَّلام - وحكمة، وسلطة.. وهو أيضًا ك: "إدريس" مثلث اختلف فيه؛ لأنَّ "إدريس" - عليه السَّلام - متفق على حكمته ونبوته.

نكتة شريفة:

ذكرها السُّيوطى فى: "الإتقان فى علوم القرآن"، فى: "طبقات الوحى"[1]، قال: وكّل بذى القرنين ملك يقال له "ريا"، قيل: الذى يطوى الأرض؛ ولذا كان يسير الجيوش، فوق الأرض، وتحتها، وأوتى من كلِّ شئ سببًا، يتوصل به إلى مراده فى سفره.

* أوَّل من صنَّف فى خواص الأثمار، والأشجار، والأوراق، والأزهار، والبذور، والعروق النَّباتية: "ديقوس بن بهروس" الحكيم[2].

* أوَّل من صنَّف فى منافع الحيوان وخواصها: "بقراطيس"، وهو الذى استخرج خواص الحيَّات والأفاعى، وصنَّف فيه كتابًا، وعمل التّرياق الأكبر.

وأمَّا التِّرياق الفاروق، فحدث فى الإسلام، عمله: محمَّد بن محمَّد المقدسى، وفى سبب عمله حكاية مشهورة[3].

* أوَّل من عمل اللّعب بالنَّار، والنّفط، والبارود: "أرشميدس"، من فلاسفة

---

(١) جاء هذا الخبر متضمنًا الخبر التَّالى: أخرج الإمام أحمد، فى تاريخه، من طريق داود بن أبى هند، عن الشّعبى، قال: أنزل على النَّبى ﷺ النُّبوة، وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته "إسرافيل" ثلاث سنين، فكان يعلمه الله الكلمة، والشَّئ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه.
فلمَّا مضت ثلاث سنين، قرن بنبوته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.
قال ابن عساكر: والحكمة فى توكيل إسرافيل به أنَّه الموكل بالصّور الذى فيه هلاك الخلق، وقيام السَّاعة، ونبوته ﷺ مؤذنة بقرب السَّاعة، وانقطاع الوحى، كما وكل "ذى القرنين" "ريافيل" الذى يطوى الأرض، و"بخالد بن سنان"، "مالك" خازن النَّار.
السُّيوطى: "الإتقان فى علوم القرآن" ١/ ٤٥.
وبذلك تكون صحة الاسم: "ريافيل" وليس: "ريا".
(٢) بهجة التَّواريخ.
(٣) تاريخ الحكماء.

المجوسية ، وصنَّف فيه كتابًا[١] .

* أوَّل من وضع آلات الأرغول : "سورطيس" الهرمس ، كانت تسمع من ستين فرسخًا . . قيل : وصل إلى مرتبة الانسلاخ عن الطَّبيعة ، واستمع أصوات الأفلاك[٢] .

* أوَّل من صنَّف علم الفراسة : "هرمس أقليمون" ، روى أنَّه جئ إليه برسم صورة "بقراط" ، فلمَّا نظر صورته ، قال : صاحب هذه يحب الزِّنا ويفعله ، فقيل له : إنَّه صورة "بقراط" ، فلمَّا سمع "بقراط" بذلك ، قال : صدق ، كنت أحبه فتركته ، ومنعتنى الحكمة الآن[٣] .

* أوَّل من سخرت له روحانية الشَّمس ، وشاهد بين القطبين أشكالاً من الأدوار الفلكية ، والأطوار النُّجومية لم يشاهده أحد من الحكماء الإشراقية : "زواما بت هرمس"[٤] .

* أوَّل من وضع علم الأشكال النُّجومية ، وفرَّق بين الثَّوابت فى الدَّوائر ، وطول الأفلاك ، والأعراض : "أقراطيس" الحكيم[٥] .

* أوَّل من اتَّخذ الإسطرلاب : "بطليموس" ، وعبره (هكذا) باليونانى ، أراد صعود الأفلاك ، وعمل مرقاة من الهندسة بطريق انسلاخ الطَّبيعة النَّفسية ، وليس للحكماء قدم إلى انسلاخ الملكية الرُّوحية القلبية القدسية ، ذلك من شعائر النُّبوة والولاية[٦] .

* أوَّل من اتَّخذ الطِّلمسات الرَّوحانية ، ووضع الكتب فى الرَّوحانية :

---

(١) تاريخ الحكماء .
(٢) تاريخ الحكماء .
(٣) تاريخ الحكماء .
(٤) تاريخ الحكماء .
(٥) بهجة التَّواريخ .
(٦) الاسطرلاب : جهاز استخدمه المتقدمون فى تعيين ارتفاعات الأجرام السَّماوية ، ومعرفة الوقت ، والجهات الأصلية . وهو من الألفاظ التى أقرها مجمع اللُّغة العربيَّة (المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١٧) .

"بقراطيس"[١] .

* **أوَّل من وضع الدُّولاب ، والطَّواحين :** "أقليمون" ، فى عهد "موسى" ، عليه السَّلام[٢] .

* **أوَّل من وضع "النّارنجات" :** "كيناش" الحكيم[٣] .

* **أوَّل من قاس أمر الدِّين برأية :** "إبليس" ، وما عبدت الشَّمس والقمر إلا بالمقاييس . . وعبدت الحكماء العنصر الأعظم ؛ يعنون النَّار ، التي هي روح الشَّمس عندهم بالمقاييس الفلكية ، والتَّأثيرات النُّجومية القياسية ، فاستدرجوا استدراجًا من حيث لا يعلمون ، عصمنا الله وإياكم من زخرفات الفلاسفة ، آمين[٤] .

فائدة جليلة :

قال حجة الإسلام "الغزالى" ، فى : "المشكلات" : الحكماء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : الدَّهربون ، والطَّبيعيون ، والإلهيون .

❖ أمَّا الدَّهرية ، فكفرة المجوس ، جحدوا صانع العالم وعبدوا النِّيران ، وكان أكثر ملوك العجم ، وفراعنة مصر منهم . . وكانوا يرون الرَّجعة إلى العالم ، فادخروا الكنوز لذلك ، وبنوا المنائر والأهرام .

❖ وأمَّا الطَّبيعية ، فكفرة زنادقة ، اعترفوا بصانع العالم ، لكنَّهم أنكروا الحشر ، والآخرة ، وذهبوا إلى قدم العالم .

❖ أمَّا الإلهيون ؛ فقسمان : منهم متقدمون : فى القرن الإدريسى ، كان فى

---

(١) بهجة التَّواريخ .

(٢) بهجة التَّواريخ .

(٣) النَّارنجات أو البارنجات ؛ حيث جاءت فى المتن غير منقوطة ، وقد يقصد بـ "النَّارنجات" النَّبات المعروف . أمَّا "البارنجات" فقد يقصد به "البرنامج" .

(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ١٣١ .
والخبر أخرجه ابن ابى شيبة ، عن ابن سيرين .
وأخرج أبو نعيم فى الحلية مرفوعًا ، قال : أوَّل من قاس أمر الدِّين برأيه : إبليس .

صحبته منهم طائفة ، فنجوا ببركة صحبة النُّبوة . . ومنهم متأخرون: كـ "سقراط" ، وهو أستاذ "أفلاطون" ، وهو أستاذ "أرسطاليس" . وهو الذى رتَّب لهم المنطق ، وهذَّب العلوم الفلسفية ، وخمَّر لهم ما لم يكن مخمرًا ، ثمَّ ردَّ "أرسطاليس" على "سقراط" و "أفلاطون" ، وعلى أكثر الإلهيين بأسرهم ، وتبرَّأ منهم .

قال الإمام الغزالى: وأمَّا متفلسفة الإسلاميين كـ "ابن سينا" و"الفارابى" و "ابن الخيام" ما قام أحد كقيامهم فى إحياء مذهبهم . . وبدعتهم تنحصر فى أربعة أقسام:

قسم يجب التَّفكير به .

وقسم يجب التَّبديع به .

وقسم لا يجب تصديقه ، ولا يجب إنكاره .

وقسم يجب تصديقه ولا يجب إنكاره .

فكفَّر الإمام فى كتبه الفرق الثَّلاث ؛ من الدَّهرية والطَّبيعية والإلهية من الحكماء ، إلا من نجا منهم ببركة صحبة الأنبياء ، وصدَّق النُّبوة وأحكامها ؛ عملاً واعتقادًا .

لأنَّ منهم من صحب هرمس الأوَّل "إدريس" و"ذا القرنين" و"سليمان" و"داود" و"موسى" و"عيسى" ، وغيرهم من الأنبياء - صلوات الله على نبينا ، وعليهم - فأخذوا الحكمة من معدن النُّبوة .

فليحفظ ذلك من أراد تفاصيل عقائدهم ، فليطلبها من كتب الغزالى ، رحمه الله .

* **أوَّل من تكلَّم فى الاعتزال:** "واصل بن عطاء" ، فدخل معه فى ذلك "عمرو بن عبيد"(١) .

* **أوَّل من تفوَّه بكلمة خبيثة فى الاعتقاد:** "الجعد بن درهم" مؤدّب "مروان" الحمار ، آخر ملوك المروانية ، بئسما قال بأنَّ الله لا يتكلم ، وأنَّه تعالى وتقدَّس مخلوق على العرش ، تعالى عمَّا يقول الظَّالمون .

---

(١) مصدر سابق ، ص ١٣١ . أخرجه: "ابن عدى" فى الكامل ، عن إسماعيل بن عليَّة .

أخذ مذهب اليهودية بالوسائط من المتشيطنة السَّحرة من مذهب لبيد بن أعصم ، السَّاحر اليهودى الذى سحر النَّبى ﷺ وكان يقول بخلق التَّوراة(١) .

* **أوَّل من خالف أهل السُّنة والجماعة :** "الجعد بن درهم" ، فأنكر عليه "خالد بن عبدالله القسرى" - رحمه الله - خطب بواسط يوم عيد الأضحى ، فقال : ارجعوا أيّها المؤمنين ، فضحوا ضحاياكم ، تقبل الله منكم ، فأتى مضح بـ "الجعد بن درهم" الزّنديق ، ثمَّ نزل فذبحه ، فأخذ الجهم منه مذهبه(٢) .

* **أوَّل من قال : القرآن مخلوق :** "جهم" ، فى زمن بنى أميّة ، فقتل ، ولم يقل بذلك أحد فى زمن الصَّحابة والتَّابعين(٣) .

* **أوَّل من قال بالقدر :** "معبد الجهنى" ، بالبصرة ، فقتله : "عبدالملك"(٤) .

* **أوَّل من تكلَّم فى القدر :** "أبو الأسود الدُّؤلى" ، وقيل : "سيبويه" النّقال(٥) .

* **أوَّل من تكلَّم فى القدر حين حرقت الكعبة :** فقال قائل هذا من قضاء الله ، وكان النَّاس قبل ذلك على طريق الأدب من الخوف ، والتوكل ، والتَّسليم لأمر الله تعالى ، والتَّفويض إليه(٦) .

* **أوَّل من بحث عن القدر وتعمق وانحرف :** رجل من أهل القرآن يقال له

---

(١) أخرج البخارى فى تاريخه ، والبيهقى ، فى : "الأسماء والصِّفات" ، عن عبدالرَّحمن بن حبيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : شهدت خالد بن عبدالله القسرى ، وقد خطبهم فى يوم عيد الأضحى بواسط .
فقال : ارجعوا أيها النَّاس ، فضحوا ، تقبَّل الله منكم . . فأتى مضح "بالجعد بن درهم" قائلاً : إنَّه زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلّم الله موسى تكليمًا .سبحانه وتعالى عمَّا يقول الجعد بن درهم ، ثمَّ نزل فذبحه .
قال أبو رجاء : وكان الجهم يأخذ هذا الكلام من "الجعد بن درهم" .
المصدر السَّابق ، ص ١٣٢ .

(٢) انظر الهامش السَّابق .

(٣) مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

(٤) المصدر السَّابق ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، وانظر : اللالكائى فى السُّنة ، ومسلم فى صحيحه ، عن يحيى بن يعمر ، وأبى داود فى : "كتاب القدر" ، وابن عساكر ، فى : "تاريخ دمشق" .

(٥) انظر الهامش السَّابق .

(٦) انظر الهامش السَّابق .

"سوسن" ، كان نصرانيًّا فأسلم ، ثمَّ تنصر فأخذ منه معبد الجهنى ، وأخذ "غيلان" عن "معبد" ، وأمَّا غيره فقال: سويس[١] .

* **أوَّل من أظهر الرَّفض:** "ابن سبأ" ، فى أيام "على" - رضى الله عنه - حين حكم الحكمين فى صفين[٢] .

* **أوَّل من تكلَّم فى الإرجاء ومقامه:** "الحسن بن محمد بن الحنيفة ابن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم أجمعين[٣] .

* **أوَّل من أظهر مذهب الأدب:** أبونا "آدم" - عليه السَّلام - بقوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا... ﴾ الآية ، فاجتباه الله تعالى[٤] .

* **أوَّل من أحدث مذهب الجبر:** "إبليس" ، بقوله: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾[٥] ، فرَّده الله تعالى من قربه ، وخذله من بحر عميق .

* **أوَّل من أظهر علم التَّوحيد:** فى الفترة قبل عهد الأحمدية بمكة المشرفة ، وحواليها فى الأشعار والقصائد: "قس بن ساعدة" ، و"ورقة بن نوفل" ، و"زيد بن عمر" - رضى الله عنهم - والتَّوحيد فى الفطرة منج كاف فى دخول الجنَّة .

* **أوَّل من اتَّخذ الدَّفاتر ، وعين علم الحساب للخلق:** "يوسف" ، عليه السَّلام .

لما روى عن "ابن عباس" - رضى الله عنهما - فى تفسير الآية: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٥) ، قال: وولنى على كنوز الأرض ، فإنِّى كاتب حاسب .

---

(١) نقلت من أوَّائل السُّيوطى ؛ لاضطراب الخبر فى كتاب ابن دده .

(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١٣٣ .

(٣) جاءت فى المتن "الرَّجاء" .
والتَّصحيح من السُّيوطى ، قاله: الزُّبير بن بكار ، وابن سعد ، وغيرهما ، وأخرجه "ابن جرير" فى: "تهذيب الآثار" عن مغيرة .

(٤) القائل آدم وحواء ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٣) .

(٥) ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩) .

قال "الغزالى" فى: "سيرة الكاتب" نقلا عن "ذى القرنين"، قال: الدُّنيا تحت شيئين: السَّيف والقلم، والسَّيف تحت القلم، وبه يعرف رأى كلِّ إنسان، من قريب وبعيد.

وقالت الحكماء: السَّيف والقلم حاكمان فى جميع الأشياء لولاهما لما قامت الدُّنيا، وما انتَّظم أمرها من المعاش؛ ولذلك قال "يوسف الصّديق": ﴿ **إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾؛ أى: كاتب حاسب، صلوات الله على نبينا وعليه[1].

* **أوَّل من وضع علم الحال:** الذى هو أنطق من لسان المقال بلسان الحكمة، والعبرة، والإشارة، "إسكندر"؛ لَّما ارتحل إلى بلاد الهند، فبلغ فى أقصاه ملكًا حكيمًا عادلاً معمر مئين من السِّنين، وهو قاهر لطبعه، ذو حكمة إلهية، وخلق حسن، فكتب إليه "الإسكندر" بإطاعته، ومجيئه بسرعة.

فكتب إليه الجواب، بألطف خطاب، وسماه بـ: "ملك الملوك العادلة" وأرسل له من عجائب الهدايا، قدحًا يشرب منه عسكره كلّه، وهو كان قدح "آدم" - عليه السَّلام - معمول من الجواهر العلوية، والخواص الملكية، وأهدى له بنتًا، لم تطلع الشَّمس على أحسن منها، وأرسل نحوه فيلسوفًا، طبيبًا، حاذقًا.

فلمَّا ورد ذلك، أمر بإنزاله دار الضِّيافة والكرامة، فأعجبه القدح حين شرب منه جميع عسكره، ولم ينقص منه شئ، وسير فى الحال إلى الفيلسوف يمتحنه بلسان الحال والحكمة، أن يملأ إناء من السَّمن بحيث لا يمكن أن يزاد فيه قطرة، فلمَّا وصل إلى حضرة الفيلسوف تأمله معتبرًا، فأخذ إبرًا صغارًا كثيرة وغرزها فى السَّمن حتى صار وجه السَّمن كالقنفد، فسيرها الى الإسكندر.

فلمَّا شاهد ذلك، جعل من الإبر كرة من حديد، فسيرها إلى الفيلسوف، فلمَّا شاهد ذلك، ضرب منها مرآة ترى فيها صورة النَّاظر لشدّة صفائها، فردَّها الى الإسكندر، فلمَّا شاهدها جعلها فى طشت فيه ماء، فنقّب إسكندر الطّشت، وملأه ترابًا، فردها إلى الفيلسوف، فلمَّا رآها الفيلسوف، تغيَّر لونه، ودمعت عيناه،

---

(١) ذكره الغزالى.

فسيرها إلى الإسكندر على حالها من غير تغيير .

فلمَّا كان الغد ، أمر بإحضار الفيلسوف ، وكان شابًا حسنًا ، فتعجب من حسنه ، فحط الفيلسوف يده على أنفه ، ثمَّ أدَّى تحية الملوك ، فأشار إليه بالجلوس بين يديه ، فقال الإسكندر : لِمَ وضعت يدك على أنفك عند الوصول؟ . . فقال : استحسنت صورتي لَمَّا نظرت إليَّ ، وخطر ببالك : هل حكمة الشَّاب على قدر صورته؟ . . فوضعت إصبعي على أنفي ، أخبر الملك أنَّه لم يكن مثلى فى الهند . . فقال : صدقت ، قد خطر ذلك ببالى .

ثمَّ قال الإسكندر : حدثنى ما جرى بيننا من لسان الحال . . فقال الفيلسوف : علم الحال ولسانه أنطق من لسان المقال وبيانه ؛ أمَّا الإناء المملوء بالسَّمن ، تخبرنى بامتلائك من الحكمة لا يزاد على حكمتك ، فأخبرتك أنَّ عندى من دقائق الحكم ما ينفذ فى حكمتك ، كما نفذت الإبر فى السَّمن ، ثمَّ إرسالك بالكرة من الإبر ، تخبرنى أنَّ على نفسك من وسخ الصّدأ بقتل العدو ، وسفك الدِّماء ، كما على الكرة من الصّدأ ، فأخبرتك أنَّ عندى من الحيلة والملاطفة ما يجعل نفسك مثل صفاء المرآة عند استعدادها ، حتى نشرت على الموجودات .

ثمَّ أعلمتني بالطّشت والماء ، وأنَّ اللَّيالى والأيام قد قصرت عن ذلك ، فأخبرتك أنِّى سأعمل فى الحيلة إلى إيصالك الى العلم الكثير ، فى العمر القصير ، كما أشرفت الجديد الذى من طبعه الرُّسوب فى الماء على وجهه ، فثقبت المقمر ، وملأته ترابًا تخبرنى بالموت ، والقبر ، فلم أغتر مخبرًا للملك أن لا حيلة فى الموت .

فتعجب الإسكندر ، فقال : والله ما تركت ممَّا فى خاطرى وبالى ، ثمَّ أمر له بخلعة فاخرة ، وأموال كثيرة ، فأبى ، وقال : إنِّى راغب فيما يزيد فى عقلى ، فكيف فيما ينقصه ، ولكن أيُّها الملك الكامل العادل ، أحسن إلى الهند ، وكف عن معارضة أهله . . فقبل شفاعته ، وأكرم أهل الهند وملوكهم[1] .

(١) خريدة العجائب .

* **أوَّل من أوصى بعلم الحال ، وأوصى بلسان الاعتبار : الإسكندر الأكبر** ، لَّما رجع من سفره مريضًا ، متيقنًا بارتحاله ، كتب كتابًا إلى أمه يصور حاله ، وأوصاها أن تعمل وليمة عجيبة الأسلوب ، لا يحضرها إلا من لا أصيب بخليل ، ولا محبوب .

فلمَّا مات ، حمل نحو أمه فى التَّابوت ، فلمَّا ورد عليها ، شرعت فى عمل وليمة من أنواع الأطعمة والأشربة ، ونادت بأن لا يحضرها أحد إلاَّ من لم يفقد محبوبًا ، ولا فارق خليلاً ، وليس أحد إلاَّ وقد أصيب بذلك مرارًا ، فلم يحضر وليمتها أحد ، فلمَّا سمعت بذلك ، خفَّ بعض ما عندها من الحزن ، وتسلت بعض تسلية ، وقالت : رحم الله ولدى "إسكندر" ؛ لقد نصحنى أحسن نصيحة ، (حالا) وعزانى بألطف تعزية ، وسلانى بأشرف تسلية ، فزال عنها حر المصيبة .

خاتمة الفصل الخامس عشر

فى ذكر ذى القرنين، وإسكندر :

هما رجلان : اعلم أنَّ أهل التَّحقيق ، من أهل التَّواريخ قديمًا وحديثًا ، اختلفوا فى وجودهما زمانًا ومكانًا ؛ قال المحققون منهم : المذكور فى القرآن هو "ذو القرنين" من العرب العاربة اسمه "الصَّعب بن ذى مراث" ، كان تبَّعاً ، متوَّجًا بعد "نوح" من ملوك حمير ، وهم العرب العرباء الخلص من اليمن ، فولى الملك وتجبَّر وطغى ، ثمَّ تواضع وعدل فى ملكه ودعا الخلق الى الله تعالى . واجتمع بالخضر ، وكان على مقدِّمة عسكره ، فبلغ نهر الحياة ، وشرب منه ، وهو حىٌّ إلى الآن ، وسار معه مشارق الأرض ومغاربها ، وبنى السَّدين على "يأجوج" و"مأجوج" ، وأوتى من كلِّ شئ سببًا ، كان يتوصل إلى مراده .

وكان الملك الموكل به "روقاييل" ، الذى له طى الأرض وبسطها برًّا وبحرًا ، وكان يسير الجيوش تحت الأرض ، وفوقها وتطوى له الأرض والبحار والهواء . كان ذلك من معجزاته ومن كراماته ، وقد غلط من قال إنَّه الإسكندر "المقدونى" الرُّومى بن فيلقوش ، فإنَّ لفظة "ذو" كلمة عربيَّة ، و"ذو القرنين" من ألقاب العرب ملوك اليمن .

وأمَّا "الإسكندر" فلفظ رومى يونانى ، كان رجلاً صالحًا حكيمًا ، أخذ أرض الرُّوم ، وأتى بحر المغرب وأكثر عليه الآثار من المنائر والمدن ، ومما يدلُّ على صلاح حاله ، ما ورد فى الحديث النَّبوى الذى أخرجه السُّيوطى فى جامعه ، ومحاضراته: أنَّه كان غلامًا ، أوتى ملكًا . وكان من الرُّوم ، فسار حتى وصل إلى ساحل البحر من أرض مصر ، فابتنى عنده مدينة يقال لها: "الإسكندرية" ، فلمَّا فرغ من بنائها ، أتاه ملك فعرج به ، فقال: انظر ما تحتك . . قال: أرى مدينتى ، وأرى مدائن معها .

قال المقريزى فى تاريخه: ورجال "الإسكندر" أدركوا عهد "المسيح بن مريم" - عليه السَّلام - منهم: "جالينوس ، وأرسطاليس" ، وكان أرسططاليس يأمره فيأتمر ، وينهاه فينتهى ، واعتقاده مشهور ، و"ذو القرنين" نبى ، فكيف يقتدى نبى بكافر؟ ومن ذلك إشكال ونظر .

سئل "ابن عباس" - رضى الله عنهما - عن "ذى القرنين" ، ممن كان؟ فقال: من "حِمْيَر" ، وهو "الصَّعب بن مراثد" ، وكذا قال "كعب" ، وهو الصَّحيح عن أسلافنا .

وعن على - رضى الله عنه - أنَّ "ذا القرنين" ملك أمرط ؛ يعنى كان صاحب ذؤابتين من الشِّعر ، وهو المروى عن عمر - رضى الله عنه - ومرَّ بعض أوصافه وأحواله فى فصل: "أوائل الخلافة والملك" .

وخاتمة الفصل أصح ما قيل فيه ، والله أعلم بحقيقة الحال[1] .

* * * * * * *

(1) تلخيص من المراجع الآتية: تاريخ المقريزى ، محاضرات السُّيوطى ، بعض التَّفاسير .

الفصل السادس عشر
فى الأوائل المختصة بالأسماء والألقاب والأعلام قبل الإسلام وبعده

* **أوَّل من سمى بـ: "آدم"** : "آدم" - عليه السَّلام - عند خلقه من التُّراب ؛ لأنَّه خلق من أديم الأرض ، فسماه "الله" بذلك ، وسُمِّىَ بإنسان لأنَّه نسى ما عهد إليه من أكل الشَّجرة ، أو هبته أربعين سنة من عمره لابنه "داود" ، عليهما السَّلام(١) .

* **أوَّل ما خلق الله "آدم" ، عليه السَّلام:** خلقه فى جنَّة عدن ، وأسكنه فيها ، وألقى عليه النَّوم ، فكان بين النَّوم واليقظة ، فخلقت من ضلع من أضلاعه اليسرى: حواء ، فلمَّا استيقظ قيل له: يا "آدم" ما هذه؟ . . قال امرأة ؛ لأنَّها خلقت من المرء ، فقيل له ما اسمها؟ . . قال: حواء ؛ لأنَّها خلقت من حى(٢) .

* **أوَّل من سمى "محمَّدًا" رسول الله ، ﷺ:** سماه "عبدالمطلب" بإلهام من الله تعالى ؛ لكثرة خصاله المحمودة ، رجاء أن يحمده أهل السَّماوات والأرضين .

وقد حقق الله تعالى رجاءه ؛ رأى فى منامه أنَّ سلسلة خرجت من ظهره لها طرف بالسَّماء ، وطرف بالمشرق ، وطرف بالمغرب ، والعالم متعلقون بها ، فعبرت بمولود يعظمه ويحمده جميع الخلق ، وسمعت أمه آمنة - رضى الله عنها - عند ولادته من الملائكة ، والحور العين والأرواح ، خاطبوها معاينة: بأن سميه يا أم محمَّد ، محمَّدًا ، فسمته بذلك ، فوافقت تسميتها رؤيا جدِّه عبدالمطلب .

قال القاضى فى كتاب: "الشّفا بتعريف حقوق المصطفى ، ﷺ: أمَّا الاسمان الشَّريفان - أعنى: محمَّدًا ، وأحمد - فمن عجائب خصائصه ، وبدائع آياته أنَّ الله جلَّ جلاله ، حمى أنْ يسمى بهما أحد قبله ، ولم يسم بها أحد من العرب ولا غيرهم ، إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده عن رؤيا عبدالمطلب .

ومن مستخرجات أهل الكتاب والكهان: أنَّ نبيًّا يبعث اسمه محمَّد ؛ فسمى قوم

---

(١) من كنز الأسرار .
(٢) من كنز الأسرار .

من العرب في تلك السَّنة ؛ رجاء أن يكون أحدًا منهم لما سمعوا رؤياه[١] .

ثمَّ حمى الله تعالى كلَّ من تسمى به ، أن يدعى النُّبوة ، أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه له سبب يتشكك أحد في أمره حتى تحققت له السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما ، وسمى الله تعالى أمته في كتب الأنبياء بالحمادين ، فحقيق أن يسمى هو "محمدًا" و"أحمد" ، ﷺ .

أخرج بن حجر[٢] ، في شرح الشَّمائل ، قال ، قال تعالى : وعزتي وجلالي لا أعذب أحدًا تسمى باسمك في النَّار ، ولا يدخل النَّار من اسمه أحمد أو محمَّد .

وعن علي - رضي الله عنه ، قال : "ما من مائدة وضعت ، فيحضر عليها من اسمه أحمد أو محمَّد إلاَّ قدَّس الله ذلك المحل كلّ يوم مرتين ، وما شاور أحد من اسمه محمد إلا بورك في مشورته .

وفي الحديث : من ولد مولودا ، فسماه محمَّدا حُبًّا لي وتبركًا باسمي ، كان هو

(١) عن أبي القاسم السُّهيلي ، قال : لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمَّد ﷺ وبقرب زمانه ، وأنَّه يبعث بالحجاز أن يكون ولدًا لهم .
ذكرهم "ابن فورك" ، في كتاب : "الفصول" ؛ وهم :
"محمَّد بن سفيان بن مجاشع" جد الفرزدق الشَّاعر .
والثَّاني : "محمَّد بن أحيحه بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف ابن عمر بن عوف بن مالك بن الأوس" .
والثَّالث : "محمَّد بن حمران" ، وهو من ربيعة ، وذكر معهم محمَّدًا رابعًا أنسيته .
وكان آباء هؤلاء الثَّلاثة قد وفدوا على بعض الملوك الأوَّل ، وكان عنده علم بالكتاب الأوَّل .
فأخبرهم بمبعث النَّبي ﷺ وباسمه ، وكان كلُّ واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً ، فنذر كلُّ واحد منهم إنْ ولد له ولد ذكر أن يسميه محمَّدًا ، ففعلوا ذلك .
ثمَّ ذكر عن القاضي أبي الفضل عياض إضافة إلى ما سبق "محمَّد بن سلمة الأنصاري" ، و"محمَّد بن براء البكري" ، و"محمَّد بن خزاع السَّلمي" ، لا سابع لهم .
انظر : ابن سيد النَّاس : "عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسِّير" ، المجلد الأوَّل ، الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطَّبعة الثَّانية ، ١٩٨٠م .
وقد جمع ابن حجر من سمى بـ "محمَّد" قبل النَّبي ، فبلغوا خمسة عشر .
(الأوَّائل للسيوطي ، ص ٨٦)

(٢) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ، وكتابه : "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" تحقيق : محب الدِّين الخطيب ، الطَّبعة الرَّابعة ، القاهرة .

ومولوده فى الجنَّة ، وقال ، ﷺ: "من ولد لـه ثلاث أولاد ولم يسم أحدهم محمَّدا ، فقد جهل .

وفى الخبر: إذا سميتم محمَّدًا ، فعظموه ، ووقروه ، وقال ﷺ: لا يدخل الفقر بيتًا فيه اسمى ، وفى كتاب: "الشَّرف المخلد" ، نقلاً عن بعض الفتاوى: "من شتم رجلاً اسمه محمَّدا أو أحمد فقد كفر" .

وعن جعفر الصَّادق ، رضى الله عنه: إذا كان يوم القيامة ، ناد منادٍ ، ألا ليقم من اسمه محمَّد ، فليدخل الجنَّة ؛ لكرامة اسمه الشَّريف . . قال حسان بن ثابت - رضى الله عنه - فى اسمه الشَّريف :

وشق لـه مـن اسمه ليجلـه ::: فـذو العـرش محمـود وهذا محمَّد

وللشيخ الأكبر - ابن العربى - فى اسمه الشَّريف :

فيا خير خلق الله بل خير مرسل ::: لقـد طبـت الأعـراق نشأ ومحتدا
ويا خير مبعوث إلى خير أمـة ::: حبيـبًا ، وسماك الحميد محمَّـدا
بأسمائـه الحسـنى دعـاك تفضـلاً ::: وخصَّك بالـنَّعمى وسماك سيدا

* أوَّل من سُمِّى "أحمد": محمد[١] ، رسول الله ﷺ ولم يسم بهذا الاسم أيضًا أحد قبله ، قال "القاضى" فى "الشِّفاء"[٢]: منع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف العقل .

أمَّا اسمه أحمد فأفعل تفضيل ، مبالغة فى كثرة الحمد ، فهو أجل من حمد ، وأكثر النَّاس حمدًا ، فهو أحمد المحمودين ، وأحمد الحامدين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم لـه كمال الحمد ، ويشتهر فى العرصات بصفة الحمد ، ويبعثه ربُّه هناك

(١) جاء فى الموطأ: حدثنى مالك بن شهاب ، عن محمَّد بن جبير بن مطعم: عنَّ النَّبى ﷺ قال: "خمسة أسماء ؛ أنا محمَّد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر النَّاس على قدمى ، وأنا العاقب" ٧٨٨/٢ .

(٢) هو أبو الفضل عيَّاض ، وكتابه: "الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى" .

مقامًا محمودًا كما وعده ، فيغبطه فيه الأوَّلون ، والآخرون ، بشفاعته لهم ﷺ وبما يفتح عليه من المحامد .

عن ابن عباس ، رضى الله عنهما : اسمى فى القرآن "محمَّد" ، وفى الإنجيل "أحمد" ، وفى التَّورة" أحيد" ، وإنَّما سميت "أحيدا" ؛ لأنِّى أحيد أمتى عن نار جهنم .

وللمحققين إشارات ، وأسرار فى أسمائه - عليه السَّلام - ممَّا لا تسعه الأقلام ، كتبت كتب ، ورسمت رسائل فى أسمائه ﷺ وحقائق اسمى "محمَّد وأحمد" ، اللَّذين هما فى أسمائه بمنزلة لفظ الجلالة والرَّحمة ، وجمع بعضهم من أسمائه ثلاثمائة وستين اسمًا ، وبعضهم ألف اسم ، وبعضهم تسعة وتسعين اسمًا بمقابلة الأسماء الحسنى .

ولله در الشَّيخ الأكبر (ابن العربى) القائل فى اسميه الشَّريفين :

ادع النَّبى محمَّدًا أو أحمدا ::: فبأيِّما ترعوه كنت ممجدا
لكليهما جمعية وإحاطة ::: فإذا دعوت به تكون على هدى
أكرم بها من أحرف أبدت لنا ::: سرًا تجلى مطلقًا ومقيدا
كلُّ الكمال له ، فليس بمثله ::: شئ تعالى مجده أن يجددا
من لم يوحده ، فذلك ملحد ::: فاحذر تكن فى وصف أحمد ملحدا
دع ما ادعوه فى المسيح ومريم ::: واحكم بما قد شئت فيه مؤيدا
واحذر من إطراء اليهود عزيرهم ::: وانسب لما شئت النَّبى محمدا

* أوَّل من سُمِّى "يحي" : "يحي بن زكريا" - عليهما السَّلام - بنص القرآن ، قال تعالى فى حقه : ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّـهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[1] .

* أوَّل من سُمِّى الخليفة أبو بكر الصِّديق ، رضى الله عنه : كانت الصَّحابة

(١) الآية : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّـهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (مريم : ٧)
وأخرج ابن سعد : "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٥ ، ص ٥٢ : عن على بن يحيى بن خلاد ابن رافع الزّرقى ، قال : "لمَّا ولد يحيى بن خلاد ، أتى به النَّبى ﷺ فحنكه ، وقال : لأسمينه اسمًا لم يسم به بعد "يحيى بن زكريا" ، فسماه "يحيى" .
السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٦ .

يسمونه: خليفة رسول الله ﷺ تولى الخلافة فى شهر ربيع الأوَّل. فقال عمر، رضى الله عنه: وددت أنِّى شعرة فى صدر "أبى بكر"، وقال على، رضى الله عنه: من فضلنى على أبى بكر جلدته حد المفترى.

وكان يأخذ من بيت المال كلَّ يوم ثلاثة دراهم، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وسبعة أيام، وعمره ثلاث وستون سنة، ويلتقى نسبه بالأب السَّابع من نسب رسول الله ﷺ وهو: "أبو بكر بن أبى قحافة بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة"(١).

* **أوَّل من لقب فى الإسلام بالعتيق:** أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، قال رسول الله، ﷺ: من سرَّه أن ينظر إلى عتيق من النَّار فلينظر إلى أبى بكر(٢).

* **أوَّل من سمى أمير المؤمنين:** عمر، رضى الله عنه(٣)..

أخرج الطَّبرانى فى المعجم الكبير، والحاكم فى المستدرك، من طريق أبى شهاب: أنَّ "عمر بن عبدالعزيز" سأل "أبا بكر بن أبى حثمة": لأى شئ كان يكتب: من خليفة رسول الله ﷺ فى عهد أبى بكر؟.. ثمَّ كان عمر يكتب أوَّلاً من خليفة أبى بكر، فمن أوَّل من كتب: من أمير المؤمنين؟

فقال: حدثتنى الشّفاء، وكانت من المهاجرات، أنَّ "أبا بكر" كان يكتب من خليفة رسول الله ﷺ و"عمر": من خليفة رسول الله، حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله. فبعث إليه "لبيد بن ربيعة" و"عدى بن حاتم"، فقدما المدينة، ودخلا المسجد، فوجدا "عمرو بن العاص"، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه!

---

(١) تاريخ الخلفاء ص٣٩.
وانظر: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، للسيوطى، ص ٨٤.
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٨٤، أخرج أبو يعلى فى مسنده، وابن سعد، والحاكم، وصححه: عن عائشة قالت: والله إنى لفى بيتى ذات يوم ورسول الله وأصحابه فى الفناء والستر بينى وبينهم، فقال النبى ﷺ: من سره.. الحديث. (السيوطى/ تاريخ الخلفاء ص ٤٠، ٤١).
(٣) نقلت الرِّواية من السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، وذلك لأنَّ بها بتر كثير فى المتن.

فدخل عليه عمرو ، فقال: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين . . فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجن ممَّا قلت ، فأخبره ، وقال: أنت الأمير ، ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ ، وقيل غير ذلك[١] ، والأصح المذكور .

إسلام وخلافة عمر :

أسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلاً ، وهو خاتم الأربعين من المؤمنين الأوَّلين ، ولي الخلافة بعد أبي بكر - رضي الله عنه - بوصية منه باتفاق الصَّحابة ، وفي أيامه كثرت الفتوحات ، ومصرت الأمصار في الإسلام .

ولَّما قتل شهيدًا كان عمره ثلاثًا وستين سنة ، وخلافته عشر سنين وستة أشهر ، وأوصى أن تكون الخلافة شورى بين المهاجرين الأوَّلين ، وكان يلتقي نسبه إلى نسب رسول الله ﷺ في الأب التَّاسع ، وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد القوي بن رباح ابن قرط بن رواح بن عدي بن كعب[٢] .

* **أوَّل من لقب بالشَّهيد والأذواء في حياته من الصَّحابة :** ذو النُّورين الشَّهيد عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - لَّما كان على جبل أحد مع النَّبي ﷺ وأبي بكر . فتحرك من شوقه تحت قدمه ، فقال له ﷺ اسكن أحد ، فإنَّما عليك نبي وصديق وشهيدان .

وسمي بذي النورين ؛ لأنَّه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ وقال له: لو كانت لنا ثالثة لزوجتك[٣] . . وقال ﷺ: سألت ربِّي أن لا يدخل النَّار أحدًا صاهر إلي أو صاهرت إليه .

---

(١) قيل: أخرج ابن عساكر ، عن معاوية بن قرة ، قال: كان يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله . فلمَّا كان عمر بن الخطاب ، أرادوا أن يقولوا: خليفة خليفة رسول الله ، قال عمر: هذا يطول . قالوا: لا ، ولكنَّا أمرناك علينا ، فأنت أميرنا . قال: نعم ، أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم . . فكتب: أمير المؤمنين .

(٢) ذكره الطَّبري ، والسُّيوطي ، وغيرهما من الأعلام ، انظر تاريخ الخلفاء ص١١٤ إلى ١٤٨ .

(٣) أخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال: "لما ماتت بنت رسول الله ﷺ تحت عثمان قال رسول الله ﷺ زوجوا عثمان ، لو كان لي ثالثة لزوجته وما زوجته إلا بالوحي من الله" قال الهيثمي في المجمع ٨٣/٩ فيه الفضل بن المختار ضعيف . ورواه الطبراني في الكبير ١٨٤/١٧ رقم ٤٩٠ .

ويلتقى نسبه مع نسب النَّبى ﷺ فى الأب الخامس ، وهو عثمان بن عفَّان بن العاص بن أمية بن عبد شمس ابن هاشم .

وقتل فى ذى الحجة ، وعمره ثمانون سنة ، وخلافته اثنتا عشرة سنة ، ولمَّا استشهد ، وُجد قبره محفورًا ، صلى عليه "جبير بن مطعم" ، ورثته الهواتف عند شهادته ، رضى الله عنه[١] .

* **أوَّل من لُقِّب فى صباه بالأسد من الصَّحابة الكرام ، وهو الحيدر من أسماء الأسد :** سيدنا "على بن أبى طالب" - رضى الله عنه - كان أبو أمه غائبًا حين ولدته داخل الكعبة وهى "فاطمة بنت أسد" ، لقبته أمه تفاؤلاً باسم أبيه ، وكان من أعيان بنى هاشم .

وهى أول هاشمية ولدت هاشميًّا ، وهو أقرب الخلفاء نسبًا إلى رسول الله ﷺ ابن عمه ، وزوج أفضل بناته ، رضى الله عنهن[٢] .

* **أوَّل من سمى الحسن والحسين ولدا : رسول الله ، ﷺ** ، أخرج السُّيوطى عن بعض الثِّقات - ابن سعد ، عن عمران ابن سليمان - أنَّ الاسمين الشَّريفين من أسماء أهل الجنَّة لم يكونا فى الجاهلية .

وفى الصَّحيح عن "سلمان الفارسى" - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ سمى "هرون" ابنيه "شبرا ، وشبيرا" ، وإنَّما سميت ابنى "حسنا ، وحسينا" ، كما سمى "هرون" ابنيه[٣] .

* **أوَّل من سمى عبدالرَّحمن : أوَّل ولد لآدم وحواء ، عليهما السَّلام**[٤] .

---

(١) ذكره الإمام الطَّبرى ، وغيره .
(٢) كذا فى : "تاريخ الجوهر الثَّمين" .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوائل" ، ص ٨٧ .
(٤) المصدر السَّابق ، ص ٨٧ .
قال "عبد بن حميد" ، فى تفسيره ، حدثنا "قبيصة" ، عن "سفيان" ، عن "السُّدى" ، قال : إنَّ أوَّل اسم سماه آدم وحواء "عبدالرَّحمن" ، فمات ، ثمَّ سميا صالحًا ، فمات .

* **أوَّل اسم سماه آدم وحواء:** عبدالرَّحمن فمات، ثمَّ سمياه صالحًا فمات، قيل ثمَّ عاش بعدهما قابيل وهابيل، وجرى لهما ما حكى الله سبحانه وتعالى، والاختلاف فى الولد الأوَّل الذى عاش، فذكر أكثر المؤرخين أنَّ اسمه قائن، وقيل قابيل، وهو الأشهر.

وفى أصول التَّواريخ: أنَّ آدم مات عن أربعين ألفا من ولده، وولد ولده، رحمة الله على المؤمنين منهم.

* **أوَّل من سمى محمَّدًا فى الإسلام:** "محمد بن حاطب"، حكاه السُّيوطى فى الأوائل[1]، وفى الحديث: من ولد له ولد فسماه محمَّدًا تبركًا بى كان هو ومولوده فى الجنَّة، وفى رواية لا يدخل الفقر بيتًا فيه اسمى، وفى رواية: لم يزالوا فى بركة، وفيه أخبار لا تحصى.

* **أوَّل من سمى أحمد فى الإسلام:** والد "الخليل"، صاحب النَّحو واللُّغة والعروض، وهو شيخ سيبويه، وعن الحسن البصرى: يوقف عبد يوم القيامة اسمه أحمد من أهل الذُّنوب، فيغفر له ببركة اسمه، ﷺ[2].

* **أوَّل من لقِّب بلقب من الصَّحابة الكرام فى الإسلام:** "خالد بن الوليد"، لقب بسيف الدَّولة، لقبه رسول الله ﷺ بإلهام من الله تعالى[3].

* **أوَّل من لقِّب بالسُّلطان فى الإسلام:** "محمود بن سبكتكين"[4]، كان أوَّل ملوك

---

(١) المصدر السَّابق، ص ٨٧.

(٢) المصدر السَّابق، ص ٨٦.

يقول **السُّيوطى**: كذا جزم به العسكرى: "**الأوَّائل**، ص ٣٧"، **وقاله** أيضًا خلائق؛ منهم "المبرد"، فى: "**الكامل**".. وذكر ابن عساكر: "أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبى لهب"، قال: ذكر "محمَّد بن عمران" أنَّه ولد **على عهد** "عبدالملك بن مروان".. **قال**: ولم أر له ذكر فى كتاب: "النَّسب" للزبير، وقال الحافظ ابن حجر: **فإن صح وجوده، فهو** وارد على من زعم أنَّ والد الخليل **أوَّل من سمى فى الإسلام** "أحمد".

(٣) من تفسير: "عين الحياة".

(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٨٥.

ذكره: أبو الحسن البستى، فى كتاب: "مشارب التَّجارب".

الغزنوية من أفراد الرِّجال ، قال ذلك الإمام الشَّافعى ، وغيره من العلماء الأعلام ، وظهر فى خلافته : القادر بالله ، وفتحت الهند والسِّند على يده . وقتل من الرَّوافض ، والمعتزلة ، والزَّنادقة أعيانهم ، وهدم بيوت الأصنام وكسرها ، وأعز الله تعالى به الدِّين ، وقتل ملوك الهند وأعيانهم وعظمائهم ، وكان لقبه "يمين الدَّولة" ، خرج من غزنة سنة تسع وأربعمائة ، وله مناقب جليلة لا تحصى إلا فى مجلدات .

* **أوَّل ما حدثت الألقاب فى الإسلام :** "عبدالله السَّفاح العباسى" ، وقيل : بل كانت الألقاب لبنى إسرائيل[(١)] .

* **أوَّل من لقِّب من الخلفاء بالموفَّق بالله :** "عبدالملك بن مروان"[(٢)] .

* **أوَّل من لقب بلقبه على المنبر ، وكتب له به فى مراسمه :** "محمد الأمير بن هارون الرَّشيد" ، وهو أوَّل خليفة أبواه هاشميان من "بنى العباس" ، فلمَّا بويع استناب أخاه "المأمون" على ممالك خرسان ، ثمَّ خرج عليه "عبدالله المأمون" أخوه ، فظفر به ، وقتله ، وشال رأسه على رمح ، وكان لا يصلح للخلافة .

وهو أوَّل خليفة قتل ، وشيل رأسه على الرُّمح من بنى العباس ، والخلفاء كلُّهم - العباسيون - من نسل المأمون ، وله مناقب جليلة حتى قيل : هو أجل الخلفاء العباسية ، وأعلمهم ، وكان مجاهدًا غازيًّا ، جوادًا ، أمره نافذ فى أقصى بلاد الهند والعرب ، وكان محبًا لأهل البيت ، رضى الله عنهم .

وهو أوَّل من اتَّخذ ولى العهد من أهل البيت ، وهو "على بن موسى الرِّضا" ،

---

(١) المصدر السَّابق ، ص ٨٤ .
وصحة الخبر ، كما جاء فيه : أوَّل ما حدثت الألقاب للخلفاء من "السَّفاح" ، قيل : بل كانت "لبنى أمية" أيضًا ، حكاه : "ابن فضل الله" ، فى : "المسالك" .
وقد كتبت فى المتن : "بنى إسرائيل" بدلاً من "بنى أمية" ، وهذا خطأ ، حسب المصدر الأصلى لرواية الخبر .
(٢) المصدر السَّابق ، ص ٨٥ .
وقد اعتمد السُّيوطى فى رواية هذا الخبر على "الثَّعالبى" ، فى كتابه : لطائف المعارف" ، ص ١٨ .

فمات قبل المأمون ، وإلاَّ كان تولى الخلافة بعده ، ولكن لا مرد لقضاء الله تعالى[1] .

* **أوَّل من لقِّب بقاضى القضاه:** "أبو يوسف" صاحب "أبى حنيفة" ، قاضى "هارون الرَّشيد" ، رحمهم الله[2] .

* **أوَّل من لقِّب بالوزير فى الإسلام:** "أبو سلمه (حفص بن سليمان الخلال) وزير "السَّفاح" . ولقب الخليفة العباسى بالسَّفاح لكثرة ما سفك من الدِّماء ، كان سديد الرَّأى ، كريم الأخلاق ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر[3] .

* **أوَّل وزير لقِّب:** وزير "المأمون" ، "الفضل بن سهل" ، اجتمع له اللَّقب ، والوزارة ، والتَّأمير[4] .

* **أوَّل من لقِّب بالملك:** "عضد الدَّولة " رابع ملوك الدَّياملة ، وهو أجلهم وأقدمهم ، يقال له : أبو شجاع ، كان فى زمنه جمع من أعيان العلماء ؛ كـ : "البيضاوى ، والباقلانى ، وشيخ الشُّيوخ "أبى عبدالله بن حنيف" ، وكان يكرم أهل العلم . . له مناقب جليلة ، وخيرات سنية فى بغداد ، وبلاد فارس[5] .

* **أوَّل من لقِّب بالأتابك:** "نظام الملك" سنة خمس وستين وأربعمائة ، وأصله "الأطابك" بالتُّركى ؛ ومعناه : الأمير الوالد[6] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ص٢٩٧ إلى ٣٠٤ .

(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٥ .
ذكره ابن الأثير ، فى : "الأنساب" .

(٣) من تاريخ الخلفاء ص ٢٥٨ إلى ٢٦١ .

(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٥ .
وتتمة الخبر: وفى تلقيبه : "بذى الرِّياستين" يقول "إبراهيم بن العباس" :

من يلقب بغير معنى فقد ::: لقبت يا ذا الرِّياستين بحق
وإذا ما الخطوب حلت وكاع الـ ::: ـقوم عنها فى رتق أمر وفتق
بذهم ذو الرِّياستين برأى ::: واعتزام منه بحزم ورفق

(٥) السُّيوطى ، والبيضاوى ، فى تاريخهما .

(٦) السُّيوطى : "الوسائل" ، ص ٨٥ ، ذكره "البستى" فى كتاب : "مشارب التَّجارب" .

* **أوَّل من لقّب بالأمير الكبير فى مصر:** "شيخو"[١].

* **أوَّل من لقّب كاتم السِّر:** "القاضى فتح الدِّين بن عبدالظَّاهر" ؛ وسبب ذلك أنَّ "الملك الظَّاهر" رفع إليه مرسوم فأنكره "فتح الدِّين" ، وأنكر عليه ، فقال يا خوند ، هكذا .

فقال السُّلطان : ينبغى أن يكون للملك كاتب يتلقى المرسوم منه شفاها ، وكان قلاوون حاضرًا من جملة الأمراء ، فوقرت هذه الكلمة فى صدره ، فلمَّا تسلطن اتَّخذ كاتب السِّر ، فكان "فتح الدِّين" ، أوَّل من اشتهر بهذا الاسم[٢] .

* **أوَّل من سمى عبدالرَّحمن:** "عبدالرِّحيم بن ميمون المدنى" ، ولم يكن فى الصَّحابة والتَّابعين من سُمِّى بـ : "عبدالرِّحيم" ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة[٣] .

* **أوَّل من سمى عبدالصَّمد:** مؤدب "آل مروان"[٤] .

* **أوَّل من سمى عبدالملك وعبدالعزيز:** "ابنا مروان" ، وذكر الإمام أنَّ "الفارعة بنت أسعد" ، زوجة "نُبيط بن جابر" ، ولدت له ولدًا ، فجاء أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : سمه ، فسماه "عبدالملك" ، وبارك فيه .

وذكر أيضًا : أنَّ عمرو بن حزم ولد له غلام فسماه "محمَّدًا" ، وكناه : "أبا سليمان" ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال سمه "محمَّدًا" ، وكنِّه "أبا عبدالله" ، ففعل[٥] .

* **أوَّل من منع النَّاس أن ينادوه باسمه:** "الوليد بن عبدالملك" ، تولى الخلافة بعد

---

(١) تاريخ الكرمانى .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوائل" ، ص ٨٦ .
والخبر عن : "الصَّلاح الصَّفدى" ، فى أعيان العصر .
(٣) من تاريخ الذَّهبى .
وانظر : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٨٧
(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٨٧ .
(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٨٧ .

أبيه (عبدالملك بن مروان)، وكان أكبر أولاده، وهو عند أهل الشّام، أفضل الخلفاء المروانية، وأكثرهم فتوحًا، وأعظمهم نفقة.

وهو الذى بنى جامع "بنى أمية" بدمشق، وعَمَّر مسجد النّبى ﷺ وعمل المنابر، وأغنى المجذوبين عن السُّؤال، وعيَّن لكلِّ أعمى قائدًا يقوده، وله من أنواع الخيرات كثير. كان شديد البطش، شجاعًا، مهيبًا، كثير التّلاوة للقرآن، يختم فى كلِّ ثلاثة أيام، وكان نائبه على العراق: "الحجاج بن يوسف الثّقفى".

وعبدالملك يقال له: "أبو الخلفاء"، ويعرف بـ: "أبى الملوك"، تملك من أولاده أربعة: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام.. وخلّف سبعة عشر ولدًا، وله من أنواع التّصرفات فى الملك والسّلطنة، وحوّل الدّواوين إلى العربيّة، وكانت قبل رومية، وفارسية[1].

*** أوّل من كنى "أبا هريرة"**: اختلف فيه، قيل: كناه النّبى ﷺ وقيل: كناه أهله فى صغره، كانت له هرّة يلعب بها، وهو الأصح عند أئمة المحدثين[2].

*** أوّل من كنى بأبى تراب**: على بن أبى طالب - رضى الله عنه - كناه به رسول الله ﷺ حين وجده راقدًا، وعلى جنبه التُّراب، فقال له ملاطفًا: قم يا أبا تراب، فكان أحب ألقابه، وكان بعد ذلك له كرامة ببركة النّفس المحمدى، كان التُّراب يحدثه بما يجرى عليه إلى يوم القيامة، وبما جرى.. فافهم سرًا جليًّا[3].

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل"، ص ٨٧، ١٠٤، وانظر: تاريخ الخلفاء.

(٢) قاله النّووى، وغيره.

وجاء فى الطّبقات الكبرى، لابن سعد، عن عبدالله بن رافع، قال: قلت لأبى هريرة: لِمَ كنّوك أبا هريرة؟.. قال: أمَّا تَفْرَقُ منى؟.. قال: قلت؛ بلى والله إنّى لأهابك! قال: كنت أرعى غنمًا لأهلى، وكانت لى "هريرة" صغيرة، فكنت إذا كان اللّيل وضعتها فى شجرة، فإذا أصبحت أخذتها فلعبت بها، فكنّونى: أبا هريرة.

❖ ابن سعد: "الطّبقات الكبرى"، ج ٥، ص ٢٣٤.

❖ الذّهبى: "سير أعلام النُّبلاء"، ج ٢، ص ٥٨٨.

(٣) دلائل النُّبوة، وانظر: السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل"، ص ٨٨.

ذكره ابن الصّلاح، فى: "أماليه"، والنّووى، فى: "التّهذيب".

* **أوَّل مـن سمـى الغالـية : غالـية :** معاويـة - رضـى الله عـنه - شمها من عبدالله بن جعفـر - رضـى الله عـنهما - وسأله عنها فوصفها لـه ، فقال عبدالله : إنَّها غالية ، وقيل غير ذلك[١] .

* **أوَّل مـن عملـت لـه الغاليـة :** النَّجاشى ، وأهدى قارورة منها إلى النَّبى ﷺ وكان أوَّل مـن عمـل لـه الغالية ، والنَّجاشى أوَّل ملك جمع الله لـه دولـة دنيوية ، وأخروية ؛ لأنَّه أوَّل من آمن من الملوك ، وأوَّل من صلى على جنازته فى الغيبة رسول الله ، ﷺ .

وهـو أوَّل صـحابى مـن الملـوك لـه رتـبة فى الصَّحابة كـ : "ورقة بن نوفل" ، ابن عم خديجـة الكـبرى - رضـى الله عـنهما - أثبته بعـض النُّقاد مـن الجهـابذة الحفـاظ من جملة الصَّحابة . . وللصحب - رضى الله عنهم - عند أهل الضَّبط سبعون رتبة[٢] .

* **أوَّل مـن سمـى الأوعية ظروفًا :** "الخلـيل بـن أحمـد" ، النَّحوى اللُّغـوى مؤلـف العروض[٣] .

* **أوَّل مـن سمـى العطية جائزة :** "عـثمان بـن عفَّـان" ، قلـت : أخرج "ابن عساكر" عـن "الأصـمعى" ، قـال : استعمل "ابـن عامر ، "قطن ابن عوف الهلالى" على كرمان ، فأقـبل جـيش مـن المسـلمين مكونـا مـن أربعـة آلاف ، وجـرى الـوادى ، فقطعهـم عـن طـريقهم ، وخشـى "قطـن" الفـوت ، فقـال : مـن جـاز الـوادى فلـه ألف درهم . فحملوا أنفسـهم علـى العظـم ، فكـان إذا جـاز الـرَّجل منهـم ، قال قطن : أعطوه جائزته ، حتى جازوا جميعًا ، فأعطاهم الجوائز .

فـأبى "ابـن عامر" أن يحسبها لـه فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان أنْ احسبها لـه . . . فإنَّـه إنَّمـا أعـان المسلمين فى سبيل الله ؛ ففى ذلك اليوم سميت الجوائز

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٨ . وقيل : شمها من مالك بن أسماء بن خارجة .
(٢) ذكرها ابن الجوزى ، والسُّيوطى ، وغيرهما .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٨ .

لإجازة الوادى[١] .

* أوَّل من سُمِّى بإسرائيل: يعقوب بن إسحاق ، عليهما السَّلام[٢] .

* أوَّل من سمِّى سؤال الملوك زورا: "خالد بن برمك"[٣] .

* أوَّل من سمِّى السّباء بالسّباء: "سبأ بن يشجب القحطانى" ؛ لأنَّه أوَّل من سبأ ، وهو أوَّل من تتوج من ملوك اليمن ، وكان "سبأ" رجلاً من العرب ، ولد له عشرة أولاد ينسب إليه أكثر قبائل العرب العاربة[٤] .

* أوَّل من لقب بالملك الأشرف: "موسى بن العادل" ، من الملوك الأيوبية[٥] .

* أوَّل من لقب بالملك الصَّالح: "إسماعيل بن نور الدِّين الشَّهيد" ، هو: "محمود بن زنكى بن آق سنقر" . كان ملكًا عادلاً عابدًا محدثًا ، متمسكًا بالشَّريعة ، مجاهدًا بطلاً ، بنى المدارس فى أكثر البلاد الإسلامية ، وأخذ من الفرنج نيفًا وخمسين مدينة ، وكان يقاتل بنفسه ، ويتعرض للشهادة ؛ ولذا سمى شهيدًا . والدُّعاء مستجاب عند قبره فى الشَّام ، وكان يسأل الله تعالى أن يحشره من بطون السِّباع ، وحواصل الطَّير ، وكان مليح الخط ، كثير المطالعة ، يكتب أنواع الخطوط ، رأيت بخطه كتاب "الشّفاء" فى خزانة الكتب ، فى الحرم النَّبوى المدنى . وكتبت منه نسخة ، وشاهدت عند كتابته من بركاته مدة مجاورتى فى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، نفعنا الله به ، فهو من أجل الكتب المصنفة فى الحقائق الأحمدية ، له خواص شريفة مجربة من طالعه ، انشرح

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٨ .
(٢) كنز الأسرار .وعند أهل الكتاب ، أن يعقوب هو الذى أسس المسجد الأقصى بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة ، (ابن كثير/١٧٦ ، ١٧٧) .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٨٨ .
(٤) شرح من نفس المتن (قوله: "السّباء ككتاب الخمر" ، وسبأ الخمر: شراها ؛ كما فى القاموس) .
سأب السّقاء: وسعه ، سَئِب من الشَّراب سَأَبًا: رَوِىَ . السَّأبُ: الزِّقُ ، الجمع: سُؤوب .
حياة الحيوان للدميرى .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٨ .
ذكره: الحافظ بن حجر ، فى كتابه: "نزهة الألقاب" .

صـدره ، وانبسـط رزقـه ، وحسـن خلقـه ، وفـتح الله عليـه مـن الفـتوحات المكـيَّة ، ونفحات القوة الرَّوحانية ، كما سمعته من بعض الأولياء ، وجربته ، والله الموفق[١] .

* **أوَّل من لقِّب بالملك الظَّاهر:** غازى بن النَّاصر صلاح الدِّين أيوب ، ثمَّ الخليفة ابن النَّاصر العباسى[٢] .

* **أوَّل مـن لقِّب بـالملك الغـازى مـن الملـوك العثمانيـة:** "عـثمان الغـازى" ، الـذى سـارت الرُّكبان بذكـره شرقًا وغربًا ، ومـا أمـدَّ الله تعـالى دولـة بعد الدَّولة العباسية مثل الدَّولة العثمانية ، أيَّد الله ملكهم إلى يوم القيامة .

* **أوَّل ما حصل التَّلقيب بالإضافة إلى الدِّين:** فى القرن الرَّابع ؛ وسبب ذلك: أنَّ التُّرك لما تغلبوا على الخلافة ، سموا إذ ذاك هذا شمس الدَّولة ، وهذا: ناصر الدَّولة ، وهـذا: نجم الدَّولة ، إلى غير ذلك . فتشوَّفت نفوس بعض العوام ممَّن ليس لهم علم إلى تلك الأسمـاء لما فيها مـن التَّعظيم والفخر ، فـلم يجدوا سبيلاً إليها لعدم دخولهم فى الدَّولـة ، فـرجعوا إلى أمـر الدِّيـن ، ثـمَّ فشـا ذلـك وزاد حتى أنس بـه بعـض العـلماء ، فتواطئوا عليه[٣] .

* **أوَّل مـن لقِّب بالدَّولـة:** "أبـو الحسين القاسـم بـن عبيد الله" ، لقبه: المكتفى بالله مـولى الدَّولـة ، ثـمَّ تلقّب عضـد الدَّولـة فـى سـنة تسـع وتسـعين وثلاثمائـة ، وبتاج الملـه مضافًا إلى لقبه ، وصارت الألقاب مثناه .

ثـمَّ تلقّب بهاء الدَّولة ، أوَّل الدَّولة القادرية بلقب ثالث فى الأمة ، فثلثت الألقاب فـى ولايته ، وبعـده تلقّب بـالدِّين ، واستمر الأمر على ذلك ودخل فيه الكتاب والجند والأعوام والأكراد ، وسائر من أراده ، وغيرهم كائنًا من كان[٤] .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٨٨ .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٨٨ .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ٨٩ .
ابن الحاج: "المدخل" ١٢١/١ .وتم تعديل الخبر كما جاء فى السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٨٩ .

* **أوَّل وزير لقِّب بألقاب كثيرة ؛ كالدَّولة ، والدِّين ، وأمين الملة ، وشرف الملك ، وعلم الدِّين ، وشرف الدِّين ، وسعد الملة ، وتاج الملة ، وغير ذلك:** هو "أبو سعيد" ، وزير "جلال الدِّين بن بويه الدَّيلمي" ، بعد الأربعمائة ، وقيل غير ذلك(١) .

* **أوَّل من منع الملوك من الملوك أنْ يسمى أحد تحت دولته من أمير الأمراء ، ووزرائهم بالملك والسُّلطان:** ملوك العثمانية ، وصناديد سلاطينهم ، كما سمى كثير من ملوك الدَّيالمة ، والسَّلجوكية ، والغزنوية ، وغيرهم من الدِّول ، فتكبروا على الخلفاء بسبب ذلك كما ذكر في التَّواريخ .

* **أوَّل من سمى من الجنِّ:** الحارث أبو مرَّة ، فأشقى الله إبليس وذريته به ، فأبلسه ؛ أي طرده من رحمته ، ومنه تفرعت الشَّياطين بأجمعها(٢) .

* **أوَّل ولد آدم ، عليه السَّلام:** سُمِّي عبدالرَّحمن ، فمات ، ثمَّ صالحًا فمات ، وفي صحيح التِّرمذي ، عن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ، ﷺ: لَمَّا حملت حوَّاء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال سميهْ "عبدالحارث" ، فإنَّه يعيش ، فسمته "عبدالحارث" ، وذلك من وحي الشَّيطان(٣) .

* **أوَّل من لقِّب بـ: "هرمس الهرامسة" ؛ أي حكيم الحكماء ، وهو الهرمس الأوَّل:** أعني إدريس ، عليه السَّلام . . قال الحكماء: لهرمس الأوَّل ثلاث مناصب: نبوَّة آدمية ، وحكمة إلهية ، وسلطنة أرضية . وكان له تجرّد ملكي وسياحة فلكية ، عرج الأفلاك ، وشاهد أطوارها وأدوارها . . قد غلبت روحانيته على بشريته ، فصار

---

(١) المصدر السَّابق ، ص ٩٠ .
وأيضًا في: "تاريخ ابن كثير" ، هو: "أبو سعيد بن ماكولا" . وفي تاريخ: "الصَّلاح الصَّفدي" ، "الوافي بالوفيات": بعناية هـ . رينز ، تصحيح رفن كست: استنبول ١٩٣١ ، بيروت ١٩٨٠: ج ٣ ، ص ٨ . "ان عميد الملك" أوَّل وزير لقِّب بألقاب كثيرة بالدَّولة وبالدِّين ، وكان يلقب "شرف الدِّين" مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة .

(٢) الفتوحات المكية .

(٣) أخرجه السُّيوطي: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٧ .
قال "عبد بن حميد" ، في تفسيره ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان السَّدي ، قال: إنَّ أوَّل اسم سماه آدم وحواء ، عبدالرَّحمن ، فمات ، ثمَّ سميا صالحًا ، فمات .

كثير الانسلاخ عن البدن ، وصاحب المعراج الملكى . خالط الملائكة الكرام ، والأرواح المجرَّدة . . وقيل إنَّه لم يتم مدة ستة عشرة سنة ، ولم يأكل حتى بقى عقلاً مجردًا ، وروحانيته فى فلك الشَّمس ، وهو قطب الأفلاك . كما أشار تعالى بقوله : (ورفعناه مكانًا عليًّا)[1] ، تحته سبعة أفلاك ، وفوقه سبعة أفلاك ، كما قاله الشَّيخ الأكبر فى الفص الإدريسى . . وهو أوَّل من كتب الكتب فى أسرار الهياكل ، وأدوار الأفلاك ، وأطوار الأرواح المجرَّدة .

وأوَّل من صنف كتاب " كنز الأسرار فى علم الحروف" ، ولمَّا صنَّف الكتب الكثيرة ، جاء جبريل وأخذها ، فسقط من يده فى البحر أكثرها ؛ لحكمة منه سبحانه ، لما فيها من إظهار أسرار الرُّبوبية ؛ لأنَّه كان حريصًا على تخليد علومه ، فاقتضت الحكمة الإلهية إخفائها من العامة ، فمن كان يريد أخذها بالقوة القابلية القدسية القلبية مما بقى من كتبه على يده . فمنها انبثت أحكام علوم الفلك وأسرار الحروف ، والخواص الفلكية والأرضية ، ثمَّ خالطته طوائف الحكماء من الدَّهرية والطَّبيعية من المزخرفات الفلسفية ما لا يخفى على العقلاء ، فيجب الاحتراز من علومهم المزخرفة ؛ خوفًا من سوء الاعتقاد ، كما ذكره الإمام الغزالى فى مناهجه وبعض كتبه ، وكفَّر فلاسفة الإسلام كـ: "ابن سينا" ، و الفارابى" ، ومن تابعهم[2] .

* أوَّل من سمى ولقِّب بذى القرنين: "الصَّعب بن مرائد" ، كان من ملوك العرب العرباء من اليمن .

وأوَّل من سمى "تبعًا" ؛ لكثرة أتباعه من العساكر ، وأمَّا تسميته بـ: "ذى القرنين" ، فقد سبق تفصيله فى فصل الخلافة .

* أوَّل من سمى القرشى: "قصى" أحد أجداد النَّبى ﷺ لمَّا نزل الحرم ، وتغلَّب

(١) مريم : ٥٢ .
(٢) كذا فى تاريخ الحكماء .

بالمشيخة والرِّياسة ، وفعل أفعالاً جميلة ، فقيل له: القرشى[١] .

سأل عبدالملك[٢] ، بعض الأعيان[٣]: متى سميت قريش ، قريشًا؟ فقال: حين اجتمعت الى الحرف بعد تفرقها ؛ ومعنى التَّقرش: "التَّجمع" ، فقال عبدالملك ما سمعت بهذا ، ولكنِّى سمعت أنَّ قصيًّا كان يقال له القرشى ، ولم يسم قريشى قبله[٤] .

وقيل لما تفرَّقت أبناء "قصى" ، وكانوا ثلاث قبائل ، فنزلوا مكانًا من تهامة مكة ، ثمَّ اجتمعوا بعد ذلك ، فقالت العرب: لقد تقرشت بنو جَنْدَلهِ[٥] .

* **أوَّل يوم كنى رسول الله ، ﷺ ، عمر بأبى حفص:** يوم بدر ، نقله صاحب القاموس ، عن عمر ، رضى الله عنه[٦] .

* **أوَّل من كنى البحر بـ: "أبى جار": "موسى" - عليه السَّلام -** لما ضرب البحر ولم ينفلق ، فأوحى الله تعالى إليه: أن كنّه ، فقال: انفلق يا أبا جار ، فانفلق فكان كلُّ فرق كالطَّود العظيم[٧] .

* **أوَّل من وضع أسماء الأشياء ، وسمى كل شئ باسم خاص: "آدم الصَّفى" - عليه السَّلام -** أخرج أهل التَّحقيق من المفسرين عن الثِّقات ، عن ابن عباس - رضى

---

(١) السيوطى ، الوسائل إلى معرفة الأوائل ١٤٤ ، وانظر ابن دحية ، التنوير فى مولد السراج المنير .
(٢) هو: "عبدالملك بن مروان" الخليفة الأموى .
(٣) هو: "محمَّد بن جبير" ، انظر: السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٩٠ .
(٤) المصدر السَّابق ، ص ٩٠ .
(٥) المصدر السَّابق ، ص ٩٠ ، أخرج ابن سعد: "الطَّبقات" ، القسم الأوَّل ، ص ٥١ ، قال: أخبرنا هشام بن محمَّد ، عن أبيه ، قال: إنَّما سمّوا "قريشًا" لأنَّ "بنى فهر" الثَّلاثة ؛ كان اثنان منهم لأم ، والآخر لأم أخرى . فافترقوا ، فنزلوا مكانًا من تهامة مكة ، ثمَّ اجتمعوا بعد ذلك . . فقالت بنو بكر: لقد تقرَّش بنو جندلة . . وكان أوَّل من نزل من مضر مكَّة: "خزيمة بن مدركة" ، وهو الذى وضع لهبل الصَّنم موضعه ، فكان يقال له: صنم خزيمة .
وجاءت بالكتاب: "بنو جندب" ، وصحتها: "بنو جندلة" .
(٦) أخرج ابن سعد ، عن عمر بن الخطاب ، قال: قال لى رسول الله ﷺ يوم بدر: يا أبا حفص ، والله إنَّه لأوَّل يوم كفانى فيه رسول الله ، ﷺ . . وفى القاموس: الحفص ولد الأسد ، وبه كنى النَّبى ﷺ عمر ، انظر: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" للسيوطى ، ص ٩٠ .
(٧) المستطرف .

الله عنهما - فى قوله تعالى[١]: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال: هى هذه الأسماء التى تتعارف بها النَّاس: إنسان ، ملك ، دابة ، جنّ ، إنس ، أرض ، سماء ، بحر ، بر ، جمل ، فرس ، زيد ، عمر ، بكر . . فسمى كل شئ باسمه ، وألجأ كلَّ شئ إلى جنسه .

وأخرج المفسرون أيضًا فى قوله تعالى[٢]: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ، فجعل آدم يدعوا كلَّ شئ باسمه ، وهو يمر بين يديه ، فيقول: هذه ناقة ، فرس ، جمل ، بقرة ، شاة ، معز ، إلى غير ذلك من جميع الأمم فى البر والبحر . . ويقول عليه السَّلام: وهو من خلق ربِّى ، فكلُّ شئ سمى آدم ، فهو اسمه إلى يوم القيامة ، فعلمت الملائكة أنَّه أكرم على الله ، وأعلم منهم[٣] .

* * * * * * *

---

(١) البقرة: ٣١ .
(٢) البقرة: ٣٣ .
(٣) السُّيوطى: "المزهر فى علوم اللُّغة وأنواعها" دار التُّراث ، القاهرة ، ٢٩/٣ ، ٣٠ .

الفصل السَّابع عشر
فى الأوائل المتعلقة باللّباس، وما يتعلق به من التَّاج والعمامة وغيرهما

* **أوَّل من لبس الحلة:** "آدم" - عليه السَّلام - ألبسها الله تعالى له فى الجنَّة عند دخوله ، ثمَّ خلعها عنه عند خروجه من الجنَّة ، فقيل: أفضل الثِّياب خمسة: حلة "آدم" التى ألبسها الله له فى الجنَّة ، ولما خرج إلى الدُّنيا كان عليه من ورق الجنَّة .

وقميص "يوسف" ، الذى ألقاه يعقوب على وجهه ، فارتد بصيرًا . . وقميص "هارون" ، الذى جاء به جبريل من الجنَّة حين بعثه الله تعالى شريكًا لأخيه فى النُّبوة . . وبردة "النَّبى" ﷺ التى كفّن فيها . . وجلباب فاطمة الذى خرجت به من الدُّنيا[١] .

* **أوَّل من كوَّر رأسه بالعمامة:** أبونا "آدم" - عليه السَّلام - كوَّرها جبريل على رأسه لَّما خرج من الجنَّة إلى الدُّنيا ، وكان متوجًا فى الجنَّة ، فلمَّا نزل إلى الأرض نبت شعره الشَّريف على رأسه ، فجاء جبريل بياقوتة من الجنَّة فحلق بها رأسه ، عليه السَّلام[٢] .

* **أوَّل من خاط الثياب:** "إدريس" - عليه السَّلام - وكانوا يلبسون الجلود قبله[٣] .

* **أوَّل من لبس السَّراويل:** "سليمان" - عليه السَّلام - وفى الخبر: أوَّل من لبس السَّراويل: "إبراهيم" ، عليه السَّلام .

فالمراد بعد "إبراهيم" لبسة سليمان ، عليهما السَّلام ، أو المراد: السَّراويل الفوقانى ؛ المسمى بالتّركى "بشلوار" ، فتوافق الخبران فى الأولية . . فافهم[٤] .

* **أوَّل من لبس "القباء":** "سليمان" - عليه السَّلام - لأنَّه كان إذا أدخل رأسه للبس الثِّياب ، كشفته الشَّياطين استهزاءً ، وكانوا يلبسون الثِّياب قبله على هيئة

---

(١) المستطرف .
(٢) أخرجه السُّيوطى .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٧٩ .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٧٩ .
قال: أوَّل من لبس الثِّياب: إبراهيم ، أخرجه وكيع فى تفسيره عن أبى هريرة .

القميص غيرة مفرّقة من قدام ، ففرّقه "سليمان" - عليه السَّلام - من الصَّدر إلى أسفل[١] .

* **أوَّل من لبس العمامة**: "ذو القرنين" ، وكانوا يلبسون التِّيجان قبله ، وسببه أنَّه كان طلع له فى رأسه قرنان كالظّلفين يتحركان ، فلبسها سترًا ، ثمَّ أنَّه دخل الحمام يومًا ومعه كاتب سرِّه ، فوضع العمامة عن رأسه ، فقال لكاتبه : هذا أمر لم يطلع عليه أحد غيرك ، فإن سمعته من أحد قتلتك . فخرج الكاتب من الحمام ، فأخذه كهيئة الموت ، فأتى الصَّحراء ، فوضع فمه على الأرض ، ثمَّ نادى : أنَّ للملك قرنين ، فأنبت الله تعالى له قصبتين ، فمد بهما راع ، فقطعهما ، واتَّخذهما مزمارًا . فكان إذا زمَّر خرج من القصبتين صدى : أنَّ للملك قرنين ، فانتشر ذلك فى المدينة ، فقال ذو القرنين : هذا أمر أراد الله أن يبديه[٢] .

* **أوَّل من اتَّخذ الفراء والجلود** ؛ مثل السِّنجاب ، والسّمور ، والوشق ، وغيرها من أنواع الجلود ، ولبسها وألبسها : هو "شنج شاه" ، الملقب عند العجم "بيبش زاديان" ، كان ملكًا حكيمًا ، عادلاً ، فطنًا . وله كتاب عظيم فى الإلهيات ، وأنوار الهياكل ، وجد فى خلافة المأمون ، واسم كتابه جاودان الصَّغير ، وترجم له بالعربيَّة .

قال "البيضاوى" فى تاريخه : يدلُّ كتابه على ديانته ، وحكمته ، وحذاقته ؛ ولهذا قالت العجم بنبوته .

وهو أوَّل من ترك "الملك" ، وتخلى للعبادة ، فقتل فى معبده ساجدًا ، وانتقم بعده "طمهورث" من قاتليه ، فأبادهم جميعًا ، وبنى فى موضعه مدينة "بلخ" .

وكان تلميذ "إدريس" - عليه السَّلام - تعلَّم أنواع الحرف ، والكمالات من "الهرمس" الأوَّل . . وهو أيضًا من الهرامسة الأوَّل . . وهو أوَّل من اتَّخذ سرير

---

(١) القَبَاءُ : ثوب يلبس فوق الثِّياب ، أو القميص يتمنطق به .
(المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧١٣) .
مصدر سابق ، ص ٧٩ .
(٢) مصدر سابق ، ص ٧٩ .

السّلطنة ، وجلس عليه . . وهو أوّل من وضع التّاج على رأسه(١) .

*** أوّل من وضع الكِرْبَاس والصُّفوف ولبسهما ، وعلّق الأطناب حول الخيام ، وصاد الطُّيور بالشِّباك : "طهمورث" .**

وهو الثّالث من الملوك الدّادانبة ، وهو أوّل من سن الصِّيام حين وقع القحط فى زمانه ، وأمر الأغنياء بطعام واحد فى اللّيل(٢) .

*** أوّل عربى لبس الطّوق :** "عمرو بن عدى بن مضر بن ربيعة"(٣) .

*** أوّل ما لبس العباسيون السّواد :** حين قتل "مروان بن إبراهيم" (ابن محمّد) الإمام ، لما تنسم(٤)منه دعوى الخلافة ؛ لبسوه حزنًا عليه ، فصار شعارًا لهم .

قيل لراهب : لما تلبسون السّواد ، فقال : لأنّها أشبه بثياب أهل المصيبة ، لا تجلى فيها عروس ، ولا يلبى فيها محرم ، ولا يكفّن فيها ميت .

وفى الحكم : إلبس البياض والسّواد ، فإنّ الدّهر بياض نهار ، وسواد ليل(٥) .

*** أوّل رجل من الخلفاء العباسية لبس السّواد :** "عبدالله بن على ابن عبدالله بن عباس" ، رضى الله عنهما ؛ (عم السّفاح : أمير دمشق)(٦) .

*** أوّل من لبس اللّباس الأخضر ، وترك لبس السّواد :** "المأمون" ؛ وهو أوّل من

---

(١) من أصول التّواريخ .
(٢) من : "زبدة التّواريخ" للبيضاوى .
❖ الكرباس : ثوب غليظ من القطن . (كلمة معربة)
وأيضًا : هو لاووق الخمر ، الجمع : كرابيس .
الكرباسة : الكرباس . (المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧٨١)
❖ الطُّنُب ، بسكون النُّون وضمها : حبل يشدُّ به الخباء ، والسُّرادق ، ونحوهما .
الجمع : أطناب ، طِنَبة . (المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٥٦٧)
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٧٩ .
بالكتاب "الصّوف" ، وصحتها كما جاءت عند السُّيوطى : "الطّوق" ، (نصر بدلاً من مضر) .
(٤) (تنسم) : من قولهم : "تنسّم العلم ، تلطّف فى طلبه" ، كما يؤخذ من القاموس ، (الشّرح من ناشر الكتاب) .
(٥) ذكره السُّيوطى ، وغيره ، انظر : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ٧٩ .
(٦) مصدر سابق ، ص ٧٩ . أخرج الخبر : ابن عساكر ، عن : يحيى بن حمزة .

اتَّخذ الجواسيس من العجائز . جعل ألف عجوز وسبعمائة عجوز يتفقد بهن أحوال النَّاس من الأشقياء ، ومن يحبه ، ومن يغضبه ، ومن يفسد حرم المسلمين .

وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلّهن ، وكان يدور ليلاً ونهارًا مستترًا بنفسه ؛ مخافة أهل الشَّر . . لازال مثله فى الملوك الإسلامية مادام الفلك دائرًا[١] .

* **أوَّل من أمر الشّرفاء العلية الحسنية والحسينية بالعلامة الخضراء :** "الأشرف شعبان بن حسين" ، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة .

ولذا قال فيه الشَّاعر[٢] :

أطراف تيجان أتت من سندس ::: خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السُّلطان خصهم بها ::: شرفًا ليفرقهم من الأطراف

ولبعض الفضلاء فى ذلك (أبو عبدالله الأندلسى الأعمى) :

جعلوا لأبناء الرَّسول علامة ::: إنَّ العلامة شأن من لم يشهر
نور النُّبوة فى وسيم وجوهم ::: يغنى الشَّريف عن الطّراز الأخضر

* **أوَّل من لبس القلانس الطّوال :** "هشام بن عبدالملك" ، وذكر الذَّهبى فى تاريخه فى سنة ثلاث وخمسين ومائة : ألزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطّوال ، فكانوا يعملونها بالفضة والورق ويلبسونها السَّواد .

وقال أبو دلامة الشَّاعر :

وكنا نرجى من إمام زيادة ::: فزاد الإمام المصطفى فى القلانس
تراها على هام الرجال كأنَّها ::: دنان يهود جللت بالبرانس[٣]

* **أوَّل من أحدث لبس الأكمام الواسعة :** المستعين بالله من العباسيين ، فجعل

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦ .
(٢) هو السيوطى / الأديب شمس الدِّين محمَّد بن إبراهيم بن بركة الدّمشقى .
انظر : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٣
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٠ .
وأضاف أنَّ عبدالملك كان لبسها إياها "بالرّصافة" . ؛ فسميت : "الرّصافية" .

عرضها نحو ثلاثة أشبار[١] .

* **أوَّل من لبس البياض عند الحزن على الميت:** "ملوك العرب" من "بنى أمية" ، قصدوا المخالفة لبنى العباس فى لبسهم السَّواد ؛ وفى ذلك يقول الحسن بن على بن عبدالغنى الحصرى[٢] :

إذا كان البياض لباس حزن ::: بأندلس ، فذاك من الصَّواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى ::: لأنِّى قد حزنت على الشَّباب

* **أوَّل من حمل على رأسه السُّنجق فى ركوبه ، وأمر الجند بشد السُّيوف فى أوساطهم ، والدَّبوس تحت ركبهم:** "غازى صاحب الموصل" ، أخو الملك العادل: "نور الدِّين محمود بن زنكى"[٣] .

* **أوَّل من خلع على أهل الدَّولة من الخلفاء:** "هارون الرَّشيد" ، خلع على جعفر البرمكى حين ولاه الوزارة ، فاقتدى به النَّاس فى ذلك[٤] .

* **أوَّل من لبس خلعة الوزارة:** "يحيى بن خالد البرمكى" ، وهو أوَّل من بايع الرَّشيد حين بُشِّرَ بالخلافة عند موت أبيه .

والبرامكة سارت الرُّكبان بمدحهم ، وجودهم .. وكان "يحيى" من أولاد ملوك السَّامانية ، ما سمح الزَّمان بمثله من الوزراء ، والأسخياء .

قال الشَّاعر فى مدحهم:

إذا كنت من بغداد فى رأس فسخ ::: شممت نسيم الجود من آل برمك

فمن أراد الاطلاع على بعض مناقبهم ، فلينظر: سير الملوك

---

(١) الهامش السَّابق .
(٢) مصدر سابق ، ص ٨٠ .
وأضاف: وصفَّر القلانس ، وكانت قبله طوالا .
(٣) مصدر سابق ، ص ٨٣ .
ذكر المقريزى فى الخطط .
(٤) مصدر سابق ، ص ٨٣ .

للغزالى ، والمستطرف .

*** أوَّل من لبس الطَّيلسان المقوَّر من العرب فى الإسلام:** "جبير بن مطعم" الصَّحابى ، وقيل : "عبدالله بن عامر بن كريز" ، رضى الله عنهما ، وقيل غيره(١) .

*** أوَّل من لبس الخز:** "عبدالله بن عامر" (بن كريز) ، من أمراء المروانية(٢) .

*** أوَّل من لبس الحرير ، وشرب الخمور فى المجالس ، وطوَّل الشَّوارب ، وقص اللِّحية ، ولعب الحمام:** قوم لوط(٣) .

*** أوَّل من استخرج الحرير من ديدانه:** جمشيد ، تعلمه من الجنِّ ، وكانوا مسخرين له . كان فى أوَّائل سلطنته ملكًا عادلاً ، ثمَّ طغى وتجبر ، واتَّخذ الأصنام ، وشرب الخمر ، فسلب ملكه ، وفرَّ إلى الهند ، ومات مجوسيًّا ، زنديقًا ؛ قتله الضحاك العلوانى من ملوك اليمن شر قتله(٤) .

*** أوَّل من استخرج نسج ألوان اللِّباس ، واستخرج القطن:** جمشيد ، كان ماهرًا فى الخزف والآلات والعدة قبل طغيانه(٥) .

*** أوَّل ما لبس المسلمون الحرير:** فى خلافة على - رضى الله عنه - فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أوشك أن تستحل أمتى فروج النِّساء والحرير ، وهذا أوَّل حرير رأيته على أحد من المسلمين(٦) .

*** أوَّل من غيَّر لباس العلماء بهذا الزِّى (أى فى زمن تأليف الكتاب):**

"أبو يوسف القاضى" ، فى خلافة "الرَّشيد" ، وكان له القضاء فى المشرق

---

(١) مصدر سابق ، ص ٨٠ .
(٢) مصدر سابق ، ص ٨٠ .
(٣) ذكر الكتاب المرجع : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ولم أجده .
(٤) زبدة التَّواريخ .
(٥) بهجة التَّواريخ .
(٦) أخرج الحديث ابن عساكر ، عن سعيد بن سفيان القارى ، عن على بن أبى طالب .
السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٣ .

والمغرب . . وهو أوَّل من بثَّ علم "أبى حنيفة" فى أقطار الأرض .

وقيل لولا "أبو يوسف" ما ذكر "أبو حنيفة" .

اسم أبى يوسف يعقوب ابن إبراهيم . . وهو أوَّل من سمِّى بقاضى القضاة ، ولى القضاء لثلاثة من خلفاء الدَّولة العباسية : الرَّشيد ، والمهدى ، والهادى . . مات فى بغداد سنة مائة وإحدى وثمانين[١] .

* **أوَّل من لبس الثِّياب الحمر:** "قارون" ، وأوَّل من أطالها وسحبها[٢] .

* **أوَّل من أخذت العرب جرَّ الذُّيول عن:** هاجر أم إسماعيل ، عليه السَّلام[٣] .

وسبب ذلك : أنَّها لما حملت بإسماعيل - عليه السَّلام - غارت سارة منها ، فحلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها ، فاتَّخذت منطقًا ، فشدت به وسطها ، وهربت ، وجرَّت ذيلها لتعفى أثرها عن سارة أم إسحاق ، عليهما السَّلام .

* **أوَّل من لبس المعصفرات بالشَّام:** "وحشى" ، قاتل حمزة - رضى الله عنه - ووحشى غلام لبنى عدى[٤] ، ثمَّ أسلم ، وقتل مسيلمة الكذَّاب ، وقال : هذا بذاك وفيه نزل : ﴿ **إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾[٥] .

* **أوَّل من أمر بتغيير أهل الذِّمة زيَّهم ولباسهم:** "الإمام المتوكل" ، فى سنة خمسمائة من الهجرة (سبعمائة فى : السَّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل") ، ألبس النَصارى العمائم الزُّرق ، واليهود العمائم الصُّفر ، والسَّامرة العمائم الحمر . وسبب ذلك أنَّ مغربيًّا كان جالسًا بباب القلعة عند "بيبرس الجاشنكير" ، وسلار ، فحضر

---

(١) من تاريخ الفقهاء .

(٢) السُّيوطى : "الوسائل" ، ص ٨١ ، ذكر "الثَّعالبى" فى : "لطائف المعارف" ، ص ٥ .

(٣) مصدر سابق ، ص ٨١ .

(٤) يقال أنَّ وحشى كان عبدًا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف بن قصى ويقال : بل كان عبدًا لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف ، ورثه من أبيه : مطعم ، وهو الأصح .

(٥) ذكر الخبر : ابن سعد ، عن الواقدى .
انظر : ابن سعد : "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٦ ، ص ١٤٣ ، ١٤٧ - ج ٩ ، ص ٤٢٢ .
الآية/ الفرقان : ٧٠ ، وانظر : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨١ .

بعض كتاب النَّصارى بعمامة بيضاء ، فقام له المغربى ، وتوهَّم أنَّه مسلم ، ثمَّ ظهر له أنَّه نصرانى . فدخل إلى السُّلطان الملك النَّاصر "محمَّد بن قلاوون" ، وفاوضه فى تغيير زى أهل الذِّمَّة ؛ ليختار المسلمون عنهم ، ويحترزوا منهم ، فأجابه إلى ذلك ، فاغتاظ النَّصارى واليهود من ذلك ، وعراهم الذُّل والهوان[١] .

وأنشد بعض الشُّعراء (الشّهاب اليداعى) فى ذلك :

لا تعجبن من النَّصارى واليهو ::: د وما عراهم من أذى وهوان
ما ذاك إلا أنَّهم لما طغوا ::: وتمردوا لتخالف الأديان
عصفت بهم ريح الشَّريعة فارتد ::: وا لما اعتدوا ذلاً مدى الأزمان
لبسوا شعار شفاعة وضراعة ::: وتميزوا فى الزِّى والبنيان
أمَّا اليهود فقد عرقم صفرة ::: فى روسهم كتلهب النِّيران
وكذا النَّصارى جرمهم أبداهم ::: زرقًا كما قد جاء القرآن
حكم قضى فيهم نجزى دائمًا ::: والخزى مقترن مع العصيان
هذا لهم فى هذه الدُّنيا ::: وأنَّهم غدا فى زمرة الشَّيطان

وقال بعض الشُّعراء (شمس الدِّين أحمد بن يوسف الطِّيبى) ، فى ذلك[٢] :

تعجبوا للنصارى واليهود معًا ::: والسَّامريين لما عمموا الخرقا
كأنَّما بات بالأصباغ منسهلا ::: نسر السَّماء فاضحى فوقهم ذرقا

وقال علاء الدِّين على بن مظفر الكندى الوداعى[٣] :

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة ::: تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم: ما ألبسوكم عمائما ::: ولكنَّهم قد ألزموكم براطيشا [٤]

* **أوَّل من فصَّل ، وخاط من النِّساء:** "سارة" - رضى الله عنها - وذلك أنَّ إبراهيم - عليه السَّلام - كان كثير الحياء ، وكان من حيائه أنَّه يستحى أن ترى الأرض

---

(١) المقريزى: "الخطط" ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .
(٢) المصدر السَّابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ ، ولم يورد (دده) هذه الأبيات .
(٣) المصدر السَّابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ .
(٤) انظر: السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

مذاكيره ، فاشتكى إلى الله تعالى . فأوحى الله إلى جبريل - عليه السَّلام - فهبط عليه بخرقة من الجنَّة ، ففصلها جبريل سراويل ، وقال له : ادفعه إلى سارة ، فلتخطه . . فلمَّا خاطته ولبسه إبراهيم - عليه السَّلام - قال : ما أحسن هذا وأستره يا جبريل ، إنَّه نعم السُّترة للمسلم[١] .

* **أوَّل من تعمم بعمامة سوداء:** سيد الكونين رسول الله ، ﷺ ؛ لأنَّ السَّواد سيد الألوان ، فتم له السَّواد بالفتح المكى ، ولهذا دخل مكَّة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

وفى الشَّمائل لابن حجر : خطب النَّاس وعليه عمامة سوداء ، وتارة كانت عمامته سبعة أذرع ، وتارة أنقص من ذلك ، وتارة متوسطة بزيادة يسيرة ، وكان إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه ، وقد لبس السَّواد وتعمم به جماعة ؛ كـ: على ، وعثمان ، والحسن ، وابن الزُّبير ، ومعاوية ، وابن عباس - رضى الله عنهم - كانوا يخطبون بعمامة سوداء .

وكان رسول الله ﷺ إذا اعتمَّ يدير كور العمامة من قدام ، ويفترشها من ورائه ، ويرخى طرفها بين كتفيه ﷺ وأفضل السّدل بين كتفيه ، ثمَّ جهة المنكبين من وراء وأمام[٢] .

* **أوَّل من تعمم بعمامة سوداء:** "جبريل" - عليه السَّلام - لما ورد فى شرح الشَّمائل : أنَّ جبريل هبط وعليه قباء أسود ، وعمامة سوداء ، فقال رسول الله ، ﷺ : ما هذه الصُّورة ، لم أر قط مثل هذا فى هبوطك؟ فقال جبريل : هذه صورة الملوك من ولد عمك العباس . . فقال : يا جبريل ، هم على حق؟ . . قال : نعم . . فقال رسول الله ، ﷺ : اللهم اغفر للعباس وولده حيث كانوا . . قال جبريل : ليأتين على أمتك زمان يعز الله الإسلام بهذا السَّواد . . قال : ومن أتباعهم؟ قال : من أهل خراسان . . وفى الحديث : إذا رأيتم السُّود من قبل خراسان ، فإنَّ فيها خليفة الله "المهدى"[٣] .

---

(١) مصدر سابق ، ص ٧٩ ، أخرج الخبر : وكيع فى تفسيره ، عن أبى هريرة .
(٢) ذكره ابن حجر ، فى : "الشَّمائل النَّبوية" .
(٣) أخرجه الإمامان : السُّيوطى ، وابن حجر .

* أوَّل ما تعمم الملائكة: "يوم بدر" ، ورد فى الحديث الصَّحيح ، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ، ﷺ: رأيت أكثر من رأيت من الملائكة متعممين . . وقال ، ﷺ: العمائم تيجان العرب .

وكان "الزُّبير بن العوام" يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء ، فنزلت الملائكة وعليهم العمائم الصُّفر ، قد أرخوها . . وقال ، عليه الصَّلاة والسَّلام: تعمموا ، تزدادوا جمالاً[١] .

* أوَّل من لبس الأخضر: "رسول الله" ﷺ كان يلبسه ويطوف به ، ويلبس الأحمر فى العيدين ، وقال: أتانى جبريل فى حلة خضراء تعلَّق بها الدّر ، وكان يلبس السَّواد ، وكان أحب الألوان إليه البياض ، وكان يقول: إنَّها من خير لباسكم[٢] .

* أوَّل من يكسى يوم القيامة: "إبراهيم" - عليه السَّلام - بخلته ؛ لأنَّه أوَّل من تجرَّد من ثيابه فى سبيل الله . . وقال ، ﷺ: ثمَّ أنا بصفوتى ، ثمَّ على بن أبى طالب ، يزف بينى وبين إبراهيم زفًّا إلى الجنَّة[٣] .

* أوَّل من يكسى يوم القيامة بعد الخليل: حبيب الله ﷺ وعلى أخيه إبراهيم ، وعلى آلهما أجمعين ، ثمَّ يكسى المؤذنون ، وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور ، أزمتها من زمردة خضراء ، رحالها من ذهب ، يشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر[٤] .

* * * * * * *

(١) شرح الشَّمائل ، الأبشيهى/ المستطرف ص٣٠٢ .
(٢) شرح الشَّمائل .
(٣) ورد عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، السيوطى الوسائل إلى معرفة الأوائل ١٥١ .
(٤) ذكره السُّيوطى ، فى: مواقف الآخرة .

الفصل الثَّامن عشر
فى الأوَّائل المتعلقة بالنِّكاح والزَّواج وما يتعلق به

* **أوَّل من تزَوّج ، وأمهر زوجته :** أبونا "آدم" - عليه السَّلام - لَّما خلقه الله تعالى ، وخلق أمنا حواء من ضلعه فى الجنَّة حين نام ، ووجدها عند رأسه قائمه ، فقيل له : هذه زوجتك تسكن إليها ؛ فزوَّجته الملائكة ، وجعلوا مهرها عشر صلوات على رسول الله ﷺ فصلَّى آدم - عليه السَّلام - وجعل ثوابها لزوجته أمنا "حواء" ، عليهما السَّلام[١] .

* **أوَّل امرأة تزوَّجها الرَّسول ، ﷺ :** "خديجة" الكبرى - رضى الله عنها - وهو ﷺ ابن خمس وعشرين سنة ، وهى - رضى الله عنها - بنت أربعين سنة ، فولدت له ﷺ القاسم ، وعبدالله : وهو الطَّيب ، والطَّاهر ؛ لقب باللَّقبين الشَّريفين . ومن الإناث : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة - رضى الله عنهم - ولَّما تعبت خديجة فى تربية الأولاد ، أتاه جبريل - عليه السَّلام - وقال له ﷺ أقرئ خديجة السَّلام من ربِّها ومنى ، وبشِّرها ببيت فى الجنَّة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب[٢] .

* **أوَّل من ولدته خديجة فى الإسلام ؛ يعنى بعد البعثة :** "عبدالله"[٣] .

* **أوَّل امرأة تزَّوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة الكبرى :** "سودة بنت زمعة" ، رضى الله عنهما[٤] .

* **أوَّل أمهات المؤمنين تزَّوجها بكرًا :** "عائشة بنت أبى بكر الصِّديق" - رضى الله عنهما - ولم يتزَّوج بكرًا غيرها ، تزَّوجها بمكة وهى بنت ست سنين ، جاء جبريل -

---

(١) كنز الأسرار .
(٢) ذكره الإمام "ابن الجوزى" فى : "تبصرة الأدلة" .
(٣) الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ص ٦٤ .
أخرجه عن ابن أبى شيبة ، عن : يحيى بن أبى كثير .
ابن سعد : "الطَّبقات الكبرى" ج ١ ، ص ١١٠ ، ١١١ .
(٤) الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ص ٦٤ .
ابن سعد : "الطَّبقات الكبرى" ج ١٠ ، ص ٥٢ .

عليه السَّلام - بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى رسول الله ﷺ فقال: هذه زوجتك فى الدُّنيا والآخرة. كانت أعلم النَّاس بالقرآن، والفرائض، ونوادر العرب، وما أشكل علم على الصَّحابة، إلا وجدوا عندها جوابه، كانت أفصح النَّاس وأعلمهم بالسُّنة والحديث، وأشعار العرب، كريمة؛ قسَّمت يومًا سبعين ألفًا، وهى ترفع درعها، لها فضائل جمة لا تسعها الدَّفاتر، جمعت الجمال والكمال والذَّكاء والفصاحة والسَّخاء، رضى الله عنها وعن أبيها(١).

* **أوَّل بنات رسول الله ﷺ تزوَّج:** "زينب" - رضى الله عنها - تزوجها أبو العاص بن الرَّبيع، من بنى عبد شمس، وأسلمت قبله، ثمَّ أسلم، فرجَّعت إليه، ولم يكن لها زوج، وهى أكبر بناته، وأم كلثوم أصغرهن، ولم يبق من أولاده وبناته بعد موته أحد حيًّا غير فاطمة - رضى الله عنهن - توفيت بعد ستة أشهر.

وفى الخبر عن سيد البشر ﷺ قال: أعطيت تفاحة ليلة المعراج، فأكلتها، فصارت ماءً فى ظهرى، فلمَّا رجعت واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فإذا هى حورية إنسية سماوية أرضية.

وفى الخبر، أيضًا: ينادى مناد يوم القيامة: نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمَّد الصِّراط، فقيل لها: بم نلت ما نلت؟.. قالت: بثلاث خصال؛ ما بت إلا على طهارة، وما أعلنت سر علي، وما ملأت عينى من غير على.. إلى غير ذلك.. ورد فى حقها فضائل كثيرة(٢).

* **أوَّل ما خرج آدم - عليه السَّلام - من الجنَّة:** خرج حزينًا كئيبًا، وفى يده سفرجلة من الجنَّة، فشمها، فحصل له من طيبها فى صلبه منى لأجل التَّوالد والتَّناسل، حتى ورد فى الأخبار أنَّه تناسل فى حياته أربعون ألفًا من أولاده وأولاد

---

(١) ابن الجوزى: "تبصرة الأدلة".

(٢) تاريخ الهاشمية.

أولاده[1] .

* **أوَّل ولد آدم الذى عاش:** "قابيل" ، اختلف فى الولد الأوَّل قال فى: الجوهر الثَّمين: أنَّ آدم وحواء - عليهما السَّلام - لَّما أهبطا من الجنَّة متفرقين ، فتعارفا بعرفات مكة ، فسميت بتلك التَّسمية ، فتاق آدم إلى حواء فغشيها ، فاشتملت على ذكر وأنثى فى بطن واحد ، فسمى الذَّكر قابيل أو قانين ، وسمى الأنثى اقليما ، وجرى الاختلاف فى الولد الأوَّل .

فذكر أهل العلم والضَّبط أنَّ "آدم" - عليه السَّلام - زوَّج أخت هابيل من قابيل ، وأخت قابيل من هابيل ؛ تفريقًا بين البطنين فى النِّكاح ، وهذه كانت سنة "آدم" - عليه السَّلام - فى النِّكاح ، احتياطًا لأقصى ما يمكن من ذوى المحارم لموضع الاضطرار ، وعجز النَّسل عن التَّباين ، وكان من السُّنة القربان عند النِّكاح . فلمَّا هما بالتَّزوج ، تحرى هابيل أجود غنمه ، وأفضل طعامه ، فقرَّبه للوليمة ، وتحرى قابيل شر ماله ، فقرَّبه ، فكان من أمرهما ما حكاه سبحانه فى كتابه العزيز من قتل قابيل أخاه ، وكان ذلك فى بلاد الشَّام بقرب دمشق ، فلمَّا قتله حمضت الفواكه ، وملحت الحياة ، واغبرت الأرض ، وهربت الوحوش والطُّيور من بنى آدم بعد قتله ، وكانت مؤنسة . فلمَّا سمع "آدم" بقتله ازداد حزنًا وجزعًا على الماضي والباقى ، وعلِّم أنَّ القاتل مقتول ، فأوحى الله إليه: إنِّى مخرج منك نورى الذى أجعله خاتم الأنبياء ، وخيار الأمة الخلفاء ، أختم الزَّمان بمدته ، فشَّمر يا آدم ، وتطهر ، وقدس ، وسبح ، ثمَّ أغش زوجتك على طهارة منها ، فإنَّ وديعتى ونورى تنقل إلى الولد الكائن بينكما .

فواقع "آدم" "حواء" - عليهما السَّلام - فحملت لوقتها بـ "شيث" - عليه السَّلام - وتلألأ النُّور على جبينها ، فلمَّا وضعت كان أكمل الأولاد خَلقًا وخُلقا ، صورة وسيرة ، فسماه "آدم" - عليه السَّلام - "شيثا" ؛ ومعناه "هبة الله" ، فكان وصيه وولى عهده بنبوته ، فمات "آدم" - عليه السَّلام - عن أربعين ألفًا من ولده ، وأولاد أولاده ،

---

(١) ابن سيرين: كتاب التَّعبير" .

ثمَّ إنَّ "آدم" - عليه السَّلام - أوصى لابنه "شيث" فكان فيه وفى بنيه النُّبوة والدِّين .

فدخل إلى "أرض مصر" بعد "آدم" - عليه السَّلام - وكانت تدعى "أرض إيلون" ، فنزلها هو واولاد أخيه قبيل أسفل الوادى ، واستخلف "شيث" ابنه "أنوش" ، ثمَّ أرسل "إدريس" - عليه السَّلام - من بعده . وولد بمصر ، وخرج منها ، وطاف الأرض ، ودعا الخلق إلى الله ، فأجابوه ، ثمَّ رحل إلى المشرق ، وأطاعه جميع الملوك ، وابتنى مائة وأربعين مدينة ، ثمَّ عاد إلى مصر ، ودبَّر أمر النِّيل من أوَّل مجراه إلى انصبابه فى البحر الرُّومى بقرب دمياط ، ومات "إدريس" بمصر ، عليه السَّلام[1] .

* **أوَّل من حكم أنَّ الولد للفراش :** "أكثم بن صيفى" ، وفى الحديث المتواتر : "الولد للفراش ، وللعاهر الحجر"[2] .

* **أوَّل خلع كان قبل الإسلام :** ما كان من "عامر بن الظَّرب" ، حين زوَّج ابنته بابن أخيه ، فكرهته ، فأمر بفراقها ، وردَّ عليه المهر[3] ، وقيل : أوَّل خلع فى الإسلام :

---

(١) محاضرة مصر .

(٢) الجامع الصَّغير ؛ وأكثم بن صيفى ، كان من أحكم العرب . قال يحيى بن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة زوج النَّبى ﷺ أنَّها قالت : كان عتبة بن أبى وقاص ، عهد إلى أخيه : "سعد بن أبى وقَّاص" أن ابن وليدة زمعة منِّى ، فاقبضه إليك . قالت : فلمَّا كان عام الفتح أخذه سعد ، وقال : ابن أخى قد كان عهد إلى فيه ، فقام إليه عبد بن زمعة ، فقال : أخى وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه ، فتساوق إلى رسول الله ، ﷺ . . فقال سعد : يا رسول الله ، ابن أخى ، قد كان عهد إلىَّ فيه . . وقال "عبد بن زمعة" : أخى وابن وليدة أبى ، ولد على فراشه . فقال رسول الله ، ﷺ : هو لك يا عبد بن زمعة ، ثمَّ قال رسول الله ، ﷺ : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ثمَّ قال لسودة بنت زمعة : احتجبى منه ، لمَّا راى من شبهه بعتبة بن أبى وقَّاص . قالت : فما رآها حتى لقى الله عزَّ وجل . أخرجه البخارى ، فى ٣٩ كتاب البيوع ، حديث رقم ٩٣٥ . مسلم ، ١٧ : كتاب الرِّضاع ١٤٥٧ ، ١٠ باب الولد للفراش ، وتوقى الشّبهات ، حديث ٣٦ . . مالك : "الموطأ" ٢١ ، باب القضاء بإلحاق الولد بأبيه ، ص ٥٧٩ .

(٣) حكاه العسكرى . عن الشّعبى قال : كان من حديث عامر بن الظَّرب أنَّه زوَّج ابنته ، ابن أخيه "عامر بن الحارث بن الظَّرب" ، وقال لأمها حين أراد البناء بها ، قولى لابنتك : لا تنزلت فلاة إلا ومعها ماء ، وأن تكثر استعمال الماء ، فإنَّ الماء جعل للأعلى جلاء ، وللأسفل نقاء . وإياك أن تميلى إلى هواك ورأيك ، فإنَّه لا رأى للمرأة ، ولا تستكرهن زوجها على نفسه ، ولا تمنعه عند شهوته ، فإنَّ الرِّضا فى الإتيان عند اللّذة ، ولا تكثر مضاجعته ، فإنَّ الجسد إذا ملَّ ، ملَّ القلب . فلمَّا دخلت الجارية عليه نفرت منه ، ولم ترده ، فأتى ابن أخيه العم ، فشكا إليه ، فقال له : يا ابن أخى ، إنَّها وإن كانت ابنتى ، فإنَّ نصيبك الأوفر ، فاصدقنى ، فإنَّه لا رأى لمكروب ، وإن صدقتنى صدقتك . إن كنت نفرتها ، فاحفظ عصاك عن بكرتك تسكن ، وإن كانت نفرت=

خلع "ثابت بن قيس بن شماس" مع زوجته "جميلة بنت عبد الله بن أبى"(١) .

* **أوَّل من ظاهر فى الإسلام:** "أوس بن الصَّامت" ، رضى الله عنه(٢) .

* **أوَّل من لاعن فى الإسلام:** "هلال بن أمية"(٣) .

* **أوَّل قضية ردت من قضايا رسول الله ﷺ علانية:** دعوة معاوية زيادا ، وكان سفيان تبرأ منه ، وادعى أنَّه ليس من أولاده ، وقضى بقطع نسبه ، فلمَّا تآمر معاوية قرَّبه ، واستأمره ، ففعل ما فعل "زياد بن أبيه" ؛ يعنى ابن زنية من الطُّغيان والإساءة فى حق أهل بيت النُّبوة(٤) .

= عنك ، من غير تنفير منك ، فذلك الرَّأى الذى لا دواء له ، وإلا يكن وفاق ففراق ، وأجمل القبيح الطَّلاق ، ولن يترك أهلك مالك (لن ينقصك أهلك من مالك شيئًا) وقد خلعتها منك ، وأعطيتك مهرها ، وهى فعلت ذلك بنفسها . أبو هلال العسكرى: "الأوَّائل" ، ٧٤ ، ٧٥ .

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٤ .

(٢) كان متزوجًا من خولة بنت ثعلبة ، وهى المجادلة التى أنزل الله - عزَّ وجلَّ - فيها قرآنًا: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا..** ﴾ (المجادلة: ١) . شهد المشاهد كلّها مع النَّبى ﷺ وبقى بعد النَّبى دهرًا ، وذكر أنَّه أدرك "عثمان بن عفان" . وهو أوَّل من ظاهر فى الإسلام ، وكان به لمم ، وكان يفيق أحيانًا ، فلامى امرأته "خولة بنت ثعلبة" فى بعض صحواته . فقال: أنت علىّ كظهر أمى ، ثمَّ ندم ، فقال: ما أراك إلا قد حرِّمت علىَّ . . قالت: ما ذكرت طلاقًا . فأتت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ، وجادلت رسول الله ﷺ مرارًا ، ثمَّ قالت: "اللهم إنِّى أشكو إليك شدة وحدتى ، وما يشق علىّ من فراقه" . قالت عائشة: فلقد بكيت ، وبكى من كان فى البيت ، رحمة لها ، ورقة عليها ، ونزل على رسول الله ﷺ الوحى فسرّى عنه ، وهو يبتسم . فقال: يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفيه: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا..** ﴾ (المجادلة: ١) . ثمَّ قال: مريه أن يعتق رقبة ، قالت: لا يجد ، قال: فمريه أن يصوم شهرين متتابعين ، قالت: لا يطيق ذلك ، قال: فمريه فليطعم ستين مسكينًا ، قال: وأنى له؟ ، قال: فمريه فليأت "أم المنذر بنت قيس" فليأخذ منها شطر وسق تمر ، فليتصدق به على ستين مسكينًا . فرجعت إلى "أوس" ، فقال: ما ورائك؟ ، قالت: خير ، وأنت ذميم ، ثمَّ أخبرته ، فأتى أم المنذر ، فأخذ ذلك منها ، فجعل يطعم مدّين من التَّمر كلّ مسكين . ابن سعد: "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ . السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٤ ، أسنده العسكرى عن أنس .

(٣) هو: ابن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف . (ابن الأثير: "أسد الغابة" ، ج ٥ ، ص ٤٠٦) وهو أحد الثَّلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فأرجأ أمرهم ، حتى نزل القرآن بعذرهم وتوبتهم . ابن سعد: "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٤ ، ص ٣١٥ . السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٤ . أسنده العسكرى ، عن ابن عباس .

(٤) هو: ابن أمية بن عبد شمس ، وأمّه: سمية ، جارية الحارث بن كلدة الثَّقفى ، وكان بعضهم يقول: "زياد بن أمية" ، وبعضهم يقول: "زياد الأمير" ؛ ولى البصرة لمعاوية حين ادَّعاه ، وضمَّ إليه الكوفة .

* **أوَّل من سنَّ الصَّداق أربعمائة دينار:** "عمر بن عبدالعزيز"(١) .

* **أوَّل هاشمية ولدت فى الإسلام هاشميًّا:** "أم على بن أبى طالب" - رضى الله عنها : "فاطمة بنت أسد"(٢) .

* **أوَّل من جمع الأختين من قريش:** "سعيد بنَ العاص"(٣) .

* **أوَّل من عزل:** نفر من الأنصار ، فأتوا النَّبى ﷺ فقالوا : إنَّ نفرًا من الأنصار يعزلون ، ففزع ، وقال : إنَّ النَّفس المخلوقة لكائنة ، فلا أمر ولا نهى(٤) .

* **أوَّل من تسرى:** "إبراهيم" ، بهاجر أم إسماعيل ، عليهما السَّلام . . ثمَّ تسرى "داود" ، و"سليمان" ، عليهما السَّلام . . ثمَّ تسرى سيد المرسلين وخاتم النَّبيين ، صلوات الله عليهم وعلى أزواجهم ، وأولادهم . . ذكره أهل العلم فى كتبهم .

* **أوَّل فتنة فى بنى إسرائيل:** كانت فى النِّساء من جهة قتل يحيى ، عليه السَّلام(٥) .

* * * * * * *

= انظر : ابن سعد : "الطَّبقات" ، ج ٩ ، ص ٩٨ .
والسُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٥ . أخرجه : ابن عساكر .
❖ عن عمرو بن نعجة ، قال : "أوَّل ذل دخل على العرب : قتل الحسين ، وادعاء زيد" .

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٥ .

(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٥ . أخرج ابن عساكر ، عن الزُّبير بن بكار .

(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٥ .

(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٥ .

(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٤ .
أخرجه مسلم ، عن : أبى سعيد ؛ مرفوعًا .

الفصل التّاسع عشر
فى الأوّائل المتعلقة بالأطعمة والأشربة، ومتعلقاتهما

* **أوّل شئ أكله آدم - عليه السّلام - من أطعمة الجنّة:** عنب أبيض، فلمّا فرغ من أكله، قال: الحمد لله، فأخذته السّنة، ففزعت الملائكة، وقالوا: النّوم أخو الموت(١).

* **أوّل ما أكل "آدم" من ثمار الأرض حين أهبط:** النّبق(٢).

* **أوّل شجرة غرسها "نوح" - عليه السّلام - لمّا خرج من السّفينة:** الآس(٣).

* **أوّل من أضاف الضّيف:** "إبراهيم" - عليه السّلام - وسمى: أبا الضّيفان(٤).

* **أوّل من ثرد الثّريد:** "إبراهيم" - عليه السّلام - وهشّم الثّريد بعده: "قصى بن قريش"، أحد أجداد رسول الله، ﷺ(٥).

* **أوّل من اتّخذ اللّبن والكامخ(٦):** "يوسف" - عليه السّلام - فى السّجن(٧).

* **أوّل من اتّخذ "السّويق":** الإسكندر(٨).

---

(١) ذكره بعض المفسرين.

(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل"، ص ٩٢. أخرجه ابن السّنى فى الطّب عن ابن عباس.

(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل"، ص ٩١. أخرجه ابن أبى حاتم، وابن السّنى فى الطّب النّبوى، عن ابن عباس.

(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل"، ص ٩١. وانظر: ابن سعد: "الطّبقات" ج ١، ص ٣٠.
❖ وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، عن أبى هريرة مرفوعًا.

(٥) المصدر السّابق، ص ٩١. وذكر من هشم الثّريد: "عمرو بن عبد مناف"، فسمى هاشمًا لذلك، ذكره الثّعالبى، فى: "لطائف الإشارات"، ص ١٠.
❖ وأخرجه ابن سعد، فى: "الطّبقات"، ج ١، ص ٣٠.
قال هشام بن محمّد، عن أبيه.: "وهو أوّل من أضاف الضّيف، وأوّل من ثرد الثّريد، وأوّل من رأى الشّيب وقال:. كان إبراهيم - خليل الرّحمن - يكنى أبا الأضياف".

(٦) الكامخ: ما يؤتدم به، أو المخللات المشهية، (ج) كوامخ. (المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٩٨).

(٧) ذكره البستى، فى: "مشارب التُّجار".
والسُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل"، ص ٩١.

(٨) المصدر السّابق، ص ٩١.

* **أوَّل من جعل للختان دعوة:** "ابن أبى العاص" ، فى خلافة : "عثمان بن عفّان" ، فأنكر عليه بعض الصَّحابة - رضى الله عنهم - وقال : "ما كنَّا نأتى الختان ، ولا ندعى له فى عهد النَّبى ، ﷺ"[١] .

* **أوَّل نعمة ترفع من الأرض :** العسل[٢] .

* **أوَّل ما تغير الطَّعام :** من قبل "بنى إسرائيل" بعد نزول المن والسَّلوى ؛ يعنى بسبب ادخارهم وحرصهم .

* **أوَّل من اتَّخذ الملعقة :** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[٣] .

* **أوَّل من غرَّس النَّخلة ، واستخرج القطنة :** "أنوش بن شيث بن آدم" - عليه السَّلام - وهو الأصح عند أهل العلم ، وقيل غير ذلك ، ولكلٍّ وجه فى الأوَّلية[٤] .

* **أوَّل من جعل للضيف صدر المجلس :** بهرام جور ، من ملوك الفرس[٥] .

* **أوَّل من صاد بالصَّقر ، وأكل من صيوده :** الحارث بن معاوية ، وقيل : بهرام جور[٦] .

* **أوَّل من سنَّ القرى :** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[٧] .

* **أوَّل من هشَّم الثَّريد :** هاشم ، فى الحرم الشَّريف لضيافة الحاج ، وجرى له من

والسَّويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشَّعير ؛ تسمى بذلك لانسياقه فى الحلق ، والجمع : أسوقة . (المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٤٦٥) .

(١) المصدر السَّابق ، ص ٩١ .
أخرجه أحمد والطَّبرانى ، عن الحسن .

(٢) الدّميرى : "حياة الحيوان" .

(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" .

(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩٢ .
ذكره : الثَّعالبى ، فى : "لطائف الإشارات" .

(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩١ .

(٦) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩٢ .
وهو الحارث بن معاوية بن ثور الكندى ، ذكره الكمال الدّميرى ، فى : "حياة الحيوان" .

(٧) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" .

أخيه لأمه ما جرى حين اغتبط ضيافة الحاج سنة ، وعجز عنه ، ففرَّ إلى الشَّام عارًا من العرب فى عدم اقتداره على الضِّيافة[١] .

* أوَّل من فطَّر جيرانه على طعامه ، وجمعهم عليه فى رمضان: "عبدالله بن عباس" - رضى الله عنهما - وهو أوَّل من وضع موائده على الطُّرق ، وكان إذا خرج طعام ، لا يعاد منه شئ ، فإذا لم يجد أحدًا يأكله ، تركه على الطَّريق ، وهو أحد أجواد الصَّحابة ، رضى الله عنهم[٢] .

* أوَّل من اتَّخذ النَّهد: "حصين الرَّقاشى" ؛ والنَّهد: إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرِّفقة ، وكرهه بعض العلماء ، وحرَّمه بعضهم عند عدم الوفق والرِّضا[٣] .

* أوَّل من خبز الرِّقاق: "النَّمرود"[٤] .

* أوَّل من خبص الخبيص: "عثمان بن عفَّان" - رضى الله عنه - خلط بين العسل والنَّقى ، ثمَّ بعث به إلى النَّبى ﷺ إلى منزل "أم سلمة" ، فلم يصادفه ، فلمَّا جاء وضعوه بين يديه ، فقال: من بعث بهذا؟ قالوا: "عثمان" . . قالت "أم سلمة" ، فرَّفع يديه إلى السَّماء ، فقال: إنَّ عثمان يترضاك ، فارض عنه[٥] .

* أوَّل من اتَّخذ دارًا للضيوف فى الإسلام: "عثمان" ، رضى الله عنه[٦] .

* أوَّل ما دخل بين العرب الخبز الحوَّارى: حين افتتح النَّاس المدائن من العجم ، فوجدوه فيها[٧] .

* أوَّل ما يستدير به: الرَّغيف ، ما جاء فى الخبر ، قال الإمام الغزالى فى

---

(١) كذا فى تاريخ الهاشمية .
(٢) المستطرف . السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩٢ .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩٢ . أخرجه: محمَّد بن عبدالملك التَّاريخى .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩١ .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩٢ . وابن كثير: "تاريخ" ، ج ٧ ، ص ٢١٣ .
(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٦ .
(٧) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٩٢ .
أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن أبى العالية ، عن غلام لسلمان ، يقال له "سويد" .

الإحياء - قدَّس الله سره - لا يستدير الرَّغيف ، ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعًا . أوَّلهم : ميكائيل - عليه السَّلام - الذى يكيل الماء من خزائن الرَّحمة ، ثمَّ الملائكة التى تزجر السَّحاب ، والشَّمس والقمر والأملاك ودواب الأرض ، وآخر ذلك الخباز .

* **أوَّل من أدخل "الفالوذج" ديار العرب:** "أمية بن أبى الصَّلت" ، أطعمه بعض النَّاس بالشَّام ، فبلغ ذلك "عبدالله بن جدعان" من ملوك الحجاز ، فوجَّه إلى اليمن من جاءه يعمل الفالوذج بالعسل[1] .

* **أوَّل من صنَّف فى خواص أشربة الثِّمار و الأشجار و الأوراق ، و الأزهار والبذور:** "هرمس بن ديقوس بن بهروس"[2] .

* * * * * * *

---

(١) صحة الرِّواية - كما جاءت عند السُّيوطى - هكذا :

أخرج القالى ، فى أماليه (ذيل الأمالى ، ج ٣ ، ص ٤٣) ، عن محمَّد بن سلام ، قال : قال أمية بن أبى الصَّلت : أتيت نجران ، فدخلت على : "عبد المدان بن الدّيان" ، فإذا به على سريره ، فدعا بطعام ، فأتى بالفالوذج ، فأكلت طعامًا عجيبًا . فانصرفت وأنا أقول :

ولقد رأيت القائلين وفعالهم ::: فرأيت أكرمهم بنى الديان
ورأيت من عبد المدان خلائقًا ::: فضل الأنام هن عبد مدان
البر يلبك بالشّهاد طعامه ::: لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ ذلك عبدالله بن جدعان ، فوجّه إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج بالعسل ، فكان أوَّل من أدخله مكّة . ففى ذلك يقول "أمية بن أبى الصَّلت" :

له داع بمكة مشمعل ::: وآخر فوق دارته ينادى
إلى ردح من الشّيزى عليها ::: لباب البر يلبك بالشّهاد

المرجع السَّابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) كذا فى : "تاريخ الحكماء" .

الفصل العشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالطَّهارات، وما يتعلق بها من الفطرة النَّبوية، وغيرها من البشرية

* **أوَّل من قلَّم أظفاره ، وأحفى شاربه ، واستحد عانته :** "إبراهيم" ، عليه السَّلام(١) .

* **أوَّل من اختتن ، واستنجى ، واستاك :** "إبراهيم" ، عليه السَّلام(٢) .

* **أوَّل من فرَّق شعره ، وشاب رأسه :** "إبراهيم" - عليه السَّلام - وأخرج بعض المفسرين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : "إنَّ خليل الرَّحمن - عليه السَّلام - أوى إلى فراشه . فسأل الله أن يؤتيه خيرًا ، فأصبح وقد شاب ثلثا رأسه ، فساءه ذلك ، فقيل له : يا إبراهيم ، لا يسؤك ؛ فإنَّه عبرة لك فى الدُّنيا ، ونور لك فى الآخرة ، فكان أوَّل شيب كان(٣) .

* **أوَّل من حلق رأسه :** "آدم" - عليه السَّلام - ورد فى الخبر ، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : أتى جبريل بياقوتة من الجنَّة ، فحلق بها رأس آدم ، عليه السَّلام(٤) .

* **أوَّل امرأة اختتنت ، وثقبت أذنها :** "هاجر أم إسماعيل" ، عليه السَّلام ، حين

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٠ ، باب الطَّهارة .
أخرج ابن أبى شيبة ، فى : "المصنف" ، والبيهقى ، فى : "شعب الإيمان" ، عن : عيد بن المسيب .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٠ ، أخرجه البيهقى ، فى : "شعب الإيمان" ، عن أبى هريرة مرفوعًا ، وذكره الثَّعالبى ، فى : "لطائف المعارف" ، ص ٦ ، نقل الطبرانى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "أول من اختتن إبراهيم وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة ، واختتن بالقدوم" . والقدوم موضع بالشام . ورد بلفظ آخر (اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين) والحديث رواه البخارى ٧٥٠٧٤/١! ، ومسلم ٢٣٧٠ ، وجامع الأصول ٧٧٦/٤ ، وتلقيح فهوم الأثر ٤٦٤ ، والمشكاة ٥٧٠٣ ، ٤٤٨٨ والصحيحة ٣٦١/٢ ، والمحاضرة ٣٨ ، وتحفة الأشراف ١٨٣/١٠ ، ٢٠١ ، ٢٥٣ ، وكشف الخفاء ٣١٣/١ ، ومسند الإمام أحمد ٢ /٣٢٢ ، ٤١٧ ، ٤٣٥ ، والأوائل لابن عصام النبيل ٣٠ .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٠ . أخرجه أحمد ، فى : "الزّهد" ، عن : سلمان الفارسى .
وانظر : ابن سعد : "الطَّبقات الكبرى" ، ج ١ .
(٤) أخرجه السُّيوطى .

غارت منها سارة ، فحلفت أن تقطع منها ثلاثة أطراف ، فخاف إبراهيم - عليه السَّلام- أن تمثل بها فأمر بذلك . . وفى الحديث النَّبوى : "الاختتان أنضر للوجه ، وأخصى للزوج"(١) .

* **أوَّل من دخل الحمام :** "سليمان" - عليه السَّلام - وصنعت له "النُّورة" من أجل "بلقيس" ، فلمَّا دخله وجد حرَّه ، وغمَّه ، فقال : أوّه من عذاب الله ، أوَّه قبل أن يكون أوَّه(٢) .

* **أوَّل من عمل الصَّابون :** "سليمان" ، عليه السَّلام(٣) .

* **أوَّل من حاض :** أمّنا "حواء" - عليها السَّلام - لمَّا ورد فى الخبر أنَّ الله عزَّ وجلَّ بعث جبريل إلى أمنا "حواء" حين رميت ، فنادت ربَّها : جاءنى دم لا أعرفه ، فنادها : لأدمينك وذريتك ، ولأجعلنه لك كفارة وطهورًا(٤) .

* **أوَّل ما حدث الحيض :** فى نساء بنى إسرائيل ، وقيل : فى أمنا حواء ، - كما مر - وهو الأصح لما انفصلت من الجنَّة ، وهو المروى عن ابن عباس ، رضى الله عنهما(٥) .

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٠ . أسنده العسكرى ، عن : ابن عمرو .
(٢) أخرجه : السُّيوطى ، فى : الجامع الصَّغير ، ج ١ ، ص ١١٣ ، ورمز لضعفه .
عن أبى موسى الأشعرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : "أول من صنعت له النورة ، ودخل الحمام ، سليمان بن داود - عليهما السلام فلما دخل ووجد حرَّه قال : أوَّه من عذاب الله عز وجل ، أوَّه ، أوَّه ، من قبلٍ أن لا ينفع أوَّه" . والنوره الحجر الذى يحرف ، ويصنع منه الكلس الذى يستعمل حلق شعر العانة . وبه أيضاً تطلى الحمامات .
انظر : تلقيح فهوم الأثر ٤٦٤ ، والجامع الصغير ٢١٤٥ ، والأحاديث الضعيفة ٢٧٠٤ ، أوائل العسكرى ٤٢٣ ، وكشف الخفاء ٣١٣/١ ، وغاية الوسائل (الورقة/١٠٣) كنز العمال ٩ حديث ٢٦٦٣٣ ، ٢٦٦٤٧ ، ولطائف المعارف ٨ ، وفيض القدير ٩٣/٣ ، والأوائل لابن أبى عاصم ٦٦٠٦٥ والأوائل لأبى بكر الحنبلى ٩١ ، والأوائل للطبرانى ص ٦٣ .
السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٠ . أخرجه الطَّبرانى عن أبى موسى الأشعرى مرفوعًا .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٠ .
(٤) الجامع الصَّغير ، للسيوطى ، "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢١ .
(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢١ . أخرجه : الحاكم ، عن : ابن عباس .

* **أوَّل من خصب بالحناء والكتم:** "إبراهيم" ، عليه السَّلام[١] .

* **أوَّل من خضب بالوسمة بمكة[٢]:** "عبدالمطلب" ، قيل لـه لما نزل باليمن : هل لك أن تغير هذا البياض ، فتعود شابًا ، فدخل مكة كأنَّ شعره حلك الغراب ، فقالت لـه بعض النِّساء (نتيلة بنت جناب بن كليب ، أم العباس ابن عبدالمطلب) : يا شيبة الحمد ، لو دام لك هذا لك ، كان حسنًا .

فأنشد عبدالمطلب :

لـو دام لى هـذا السَّواد حمدتـه ::: فكـان بديـلاً من شباب قد انصرم
تمتعـت مـنه والحياة قصيـرة ::: ولابـدَّ مـن موت نتيلة أو هـرم
ومـاذا يجـدى عـلى المرء خضبة ::: ونعمـته يومـا إذا عرشه انهـدم
فمـوت جهيز عاجل لاسوى لـه أ ::: حـب إلى من مقالهم حكـم

فخضب أهل مكة بالسَّواد اقتداء بعبدالمطلب[٣] .

* **أوَّل من خضب بالسَّواد:** "فرعون"[٤] .

* **أوَّل من خضب بالسَّواد:** "المغيرة بن شعبة" ، خرج على النَّاس ، وكان عهدهم أنَّه أبيض الشَّعر ، فحجب النَّاس منه[٥] .

* **أوَّل من خضب في الإسلام:** "أبو قحافة أبو أبى بكر" - رضى الله عنهما - رآه رسول الله ﷺ ورأسه مثل الثُّغامة ، فقال ، ﷺ: غيره بشئ ، وجنبه السَّواد[٦] .

* **أوَّل من غسل مقعدته بالماء:** رجال من الصَّحابة ، فيما بلغنا ؛ ونزلت

---

(١) مصدر سابق ، ص ٢١ . والكتم - محركه - نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشَّعر .
(٢) الوسمة : نبات يخضب بورقه .
(٣) ابن سعد : "الطَّبقات" ، ج ١ ، ص ٦٨ . ، "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢١ .
(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢١ .
(أوَّل من خضَّب بالحناء والكتم : إبراهيم ، وأوَّل من خضَّب بالسَّواد : فرعون) أخرجه الدَّيلمى عن أنس مرفوعًا ، وأخرج الجملة الثَّانية منه : ابن أبى شيبة ، عن : مجاهد .
(٥) ابن سعد : "الطَّبقات الكبرى" ، ج ٥ ، ص ١٧٩ . السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١٢١ .
(٦) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ١٢١ . والثَّغامة : نبت أبيض الزَّهر والثَّمر ، يشبه به الشَّيب .

الآية: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٨)(١).

* **أوَّل من رأيناه بالبصرة يستنجى بالماء:** عبيدالله بن أبى بكرة، رضى الله عنه(٢).

* **أوَّل من اكتحل بالإثمد من العرب:** يمامة الزَّرقاء، جارية من العرب، كانت تبصر الرَّاكب من مسيرة ثلاثة أيام، وفى المثل: أبصر من الزَّرقاء، وأغار بعض ملوك العرب بجيله، وشق عرقى عينيها فوجدهما مملوءين بالإثمد(٣).

* **أوَّل من سمع النَّبى ﷺ يقول: لا يبولن أحدكم مستقبل القبلة:** "عبدالله بن الحارث" (ابن جَزْء الزُّبيدى)، وقال: أنا أوَّل من حدَّث النَّاس بذلك(٤).

* **أوَّل ما يجئ الوسواس:** يجئ من قبل الوضوء(٥).

* **أوَّل ما ظهر من البدع بعد النَّبى، ﷺ:** أربعة: المناخل، والشَّبع، والأشنان، والموائد.. قيل: ما كنَّا نعرف الأشنان على عهد رسول الله، ﷺ(٦).

* * * * * * *

---

(١) يقول ابن سعد: أخبرنا محمَّد بن إسماعيل بن أبى فديك، عن موسى بن يعقوب، عن السَّرى بن عبد الرَّحمن، عن عباد بن حمزة، أنَّه سمع جابر بن عبدالله، يخبر أباه حمزة بن عبدالله بن الزُّبير، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: نعم العبد من عباد الله، والرَّجل من أهل الجنَّة: "عويم بن ساعدة"، قال موسى: وبلغنى أنَّه لمَّا نزلت: ﴿ ..فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٨)
قال رسول الله، ﷺ: "منهم عويم بن ساعدة، قال موسى: وكان "عويم" أوَّل من غسل مقعدته بالماء، فيما بلغنا، والله أعلم. أ. هـ
ابن سعد: "الطَّبقات الكبرى"، ج ٣، ص ٤٢٥. "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٢٢.
(٢) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٢٢. ابن سعد: "الطَّبقات الكبرى"، ٩/ ١٨٩.
يقول ابن سعد: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو هلال، عن أبى حمزة، قال: أوَّل من رأيناه بالبصرة يتوضأ هذا الوضوء: "عبيد الله بن أبى بكرة"، قال: قلنا انظروا إلى هذا الحبشى يلوط استه، يعنى يستنجى بالماء.
(٣) ذكره: الدَّميرى، فى: "حياة الحيوان".
الإثمد: عنصر معدنى بلورى الشَّكل، قصديرى اللَّون، صلب هش، يوجد فى حالة نقية، وغالبًا متحدًا مع غيره من العناصر، يكتحل به. المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٠٠.
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٢٢.
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٢٢.
أخرجه: سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، عن: إبراهيم التَّيمى.
(٦) إحياء علوم الدِّين.

الفصل الحادى والعشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالصَّلاة والمساجد، وما يتعلق بهما

* **أوَّل ما افترض على هذه الأمة:** الصَّلوات الخمس[١] .

* **أوَّل ما يرفع من أعمالهم:** الصَّلوات الخمس[٢] .

* **أوَّل ما فرضت الصَّلاة:** ركعتين ركعتين ، فزيدت فى الحضر ، وأقرت فى السَّفر[٣] .

* **أوَّل صلاة صلاها رسول الله ، ﷺ:** صلاة الظُّهر ، وهى أوَّل صلاة فرضت عليه[٤] .

* **أوَّل صلاة ركع فيها:** صلاة العصر[٥] .

* **أوَّل صلاة بعد تحوّل القبلة:** صلاة العصر[٦] .

* **أوَّل من صلى بمكة جماعة بعد الفتح:** "هبيرة بن سبل بن الجحلان الثَّقفى" ،

---

(١) وأوَّل ما يرفع من أعمالهم الصَّلوات الخمس .أخرجه أبو يعلى ، فى مسنده ، عن أنس مرفوعًا .
الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ص ٢٤ .

(٢) انظر الهامش السَّابق .

(٣) الحديث عن عائشة ، رضى الله عنها .وأورده الطبرانى عن السائب بن يزيد ، قال: "فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين إلا المغرب ، فزيدت فى صلاة الحضر ، فأُقِرَّت صلاة السفر على الفريضة الأولى" .
رواه مالك فى الموطأ ١/١٤٦ ، وأبو داود رقم ١١٩٨ ، والنسائى ١/٢٥٥ ، وجامع الأصول ٥/١٨٤ - ١٨٥ ، رواية أخرى ، والبخارى ٢/٥٦٩ ، ١/٤٦٤ ، ٧/٢٦٧ ، وابن هشام ١/٢٨٣ ، وابن خزيمة ١/١٥٦ ، ومسند أحمد ١/٣٥٥ ، و ٢/٤٠٠ ، و٤/٢٤٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٦ ، ومجمع الزوائد ٢/١٥٥ ، والفتح الربانى ٢/١٩٧ ، وسنن البيهقى ٣/١٤٥ ، والأوائل لابن أبى عاصم النبيل ص٣٢ ، والأوائل لأبى بكر الحنبلى ٣٣ ، والأوائل للطبرانى فى ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ص ٢٤ .
أخرج الطَّبرانى فى الأوسط ، عن أبى هريرة ، وأبى سعيد ، قالا : أوَّل صلاة فرضت على رسول الله ، ﷺ: الظُّهر .

(٥) الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ص ٢٤ .رواه الطَّبرانى ، عن: على ، رضى الله عنه .وأسنده العسكرى ، عن: على ، رضى الله عنه .وأخرجه البزار والطَّبرانى ، فى: الأوسط .

(٦) السُّيوطى: "الإتقان" .

أمره رسول الله ، ﷺ[١] .

* أوَّل من أطاف النَّاس حول الكعبة للصلاة : "الحجاج" ، وكانوا قبل ، يصلون صفًا[٢] .

* أوَّل من بنى مسجدًا يصلى فيه : "عمار بن ياسر" ، رضى الله عنه[٣] .

* أوَّل من صلى صلاة الفجر : "آدم" - عليه السَّلام - حين تاب الله عليه وقت طلوع الفجر ، فصلَّى ركعتين شكرًا لزوال ظلمة اللَّيل ، والمعصية ، وشكرًا لحصول نور النَّهار ، وقبول التَّوبة ؛ فجعلها الله لأمة محمَّد ﷺ كفَّارات وحسنات[٤] .

* أوَّل من صلى صلاة الظُّهر : "داود" - عليه السَّلام - حين تاب الله عليه وقت زوال الشَّمس ؛ شكرًا لقبول توبته وإيتاء علمه ، وحكمته ، وتعظيمًا لمن أزال الشَّمس بقدرته ، فجعلها الله لأمة محمَّد ﷺ كفَّارات ودرجات[٥] .

* أوَّل من صلَّى صلاة العصر : "إبراهيم" - عليه السَّلام - حين أمره الله تعالى بذبح "إسماعيل" ، ثمَّ فداه بذبح عظيم ، فصلَّى أربع ركعات شكرًا لله تعالى ؛ لنجاة "إسماعيل" - عليه السَّلام - وحصول الثَّواب الجميل ، ونزول الكبش والفداء من عند الجليل ، فجعلها تعالى لأمة محمَّد ﷺ كفَّارات ودرجات[٦] .

---

(١) نقله الطَّبرى ، والقول بأنَّه أوَّل من صلى بمكة بعد الفتح جماعة ، فيه نظر ؛ وإنَّما هو اوَّل أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة ، فإنَّ النَّبى ﷺ كان يصلى بالنَّاس لمَّا كان بها بعد الفتح ، وإنَّما لمَّا سار عنها استخلفه ، فهو أوَّل أمير صلى جماعة بها . (ابن الأثير: "أسد الغابة" ، ج ٥ ، ص ٣٨٧ - أوَّائل السُّيوطى ، ٢٨)

(٢) المصدر السَّابق ، ص ٢٨ .
حاء فى أوَّائل العسكرى ، ص ٣١٦ :
أخبرنا أبو أحمد ، عن أبى زيد ، عن خالد بن عبدالعزيز ، قال : سمعت أبا محمَّد يقول : أنَّ رجلاً من أهل مكَّة يذكر أنَّ الحجاج أوَّل من أطاف النَّاس حول الكعبة للصلاة ، وكانوا يصلون صفًا ، فقال طاووس : كأنا كنَّا عن هذا عميًا .

(٣) المصدر السَّابق ، ص ٢٩ .
أخرجه : ابن سعد ، فى : "الطَّبقات" ، وابن أبى شيبة ، عن : القاسم بن عبدالرَّحمن .
ابن سعد : "الطَّبقات" ج ٣ ، ص ٢٢٧ - ج ٨ ، ص ١٣٦ .

(٤) ورد الخبر فى : تفسير "الأصول" .

(٥) ورد الخبر فى : تفسير "الأصول" .

(٦) ورد الخبر فى : تفسير "الأصول" .

* **أوَّل من صلَّى صلاة المغرب:** "عيسى" - عليه السَّلام - حين رفعه الله تعالى ، وأنجاه من شر اليهود ، بعد غروب الشَّمس ، فصلَّى ثلاث ركعات ؛ شكرًا لله لنجاته من الأعداء ، وارتفاعه إلى السَّماء ، وفراغه من تدبير المعاش ، والكد والعناء ، فجعلها الله تعالى لأمة محمَّدﷺ كفَّارات ودرجات(١) .

* **أوَّل من صلَّى صلاة العشاء:** "يونس" - عليه السَّلام - حين أخرجه الله تعالى من بطن الحوت كالفرخ ، لا جناح ، ولا ريش ، حين غاب الشَّفق ، واستبانت النُّجوم ، فصلَّى أربع ركعات ؛ لنجاته من ظلمات أربع : اللَّيل والسَّحاب ، والبحر ، وبطن الحوت ، فجعلها الله لأمة نبيه كفَّارات ودرجات(٢) .

* **أوَّل من صلَّى الوتر الواجب:** "رسول الله"ﷺ ليلة المعراج عند وصوله إلى حضرة العرش الرَّحماني ، كان أوصاه صاحبه أبو بكر الصِّديق الأكبر - رضي الله عنه - حين صعوده أن يصلِّي له ركعة ، فصلَّى لنفسه ركعة ، ولصديقه ركعة ، وأمره الله أن يصلي له ركعة . فقام ، فلمَّا قرأ فاتحة الكتاب ، وسورة معها ، وأراد أن يركع ، فاطلع إلى النَّهار ، وأهلها ، فغشي عليه ، فنثر جبريل ماء الكوثر عليه ، فلمَّا أفاق كبَّر ، وقنت ، واستعاذ من النَّار وأهلها ، فما صلَّى لنفسه ، صار سنة ، وما صلَّى لصاحبه صار واجبًا ، وما صلَّى لأمر ربِّه صار فريضة ؛ فالوتر بهذا المعنى له فضائل ثلاث : الفرض ، والواجب ، والسُّنَّة(٣) .

* **أوَّل من بادر إلى السُّجود عند خلق "آدم" ، عليه السَّلام:** جبريل ، ثمَّ ميكائيل ، ثمَّ إسرافيل ، ثمَّ عزرائيل ، ثمَّ الملائكة المقربون ، فبقوا في المسجد إلى العصر ، وكان السُّجود منهم تحية له ، وعبادة لربِّهم تعالى وتقدَّس . . وقيل أوَّل من بادر "إسرافيل" ، فكتب القرآن على جبهته(٤) .

---

(١) ورد الخبر في : تفسير "الأصول" .
(٢) ورد الخبر في : تفسير "الأصول" .
(٣) كذا ذكره في بعض شروح المصابيح .
(٤) كذا في تفسير الأصول .

* **أوَّل من اتَّخذ مسجدًا فى بيته يصلى فيه :** "عمار" ، رضى الله عنه[١] .

* **أوَّل من خلَّقت المساجد :** أنَّ رسول الله ﷺ رأى فى جدار المسجد نخامة ، فحكها ، ثمَّ أمر بخلوق ، فلَّطخ به مكانها ، ثمَّ خلقت النَّاس المساجد[٢] .

* **أوَّل ما خلَّق المسجد والقبلة من الصَّحابة :** "عثمان بن مظعون" - رضى الله عنهم - حين تفل فى جدار القبلة ، فأصبح حزينًا كئيبًا ، غسلها وطيبها . . وقيل : خلقتها امرأته : "خولة بنت حكيم (السّلمية)" - رضى الله عنها - بسبب ذلك ، كانت أوَّل امرأة خلَّقت مسجدًا[٣] .

* **أوَّل من فرش المسجد بالحصباء :** "عمر" - رضى الله عنه - وكان النَّاس إذا دفعوا رءوسهم من السُّجود ، نفضوا وجوههم بأيديهم ، فأمر أمير المؤمنين "عمر" - رضى الله عنه - بالحصباء ، قائلاً : حصبوه من الوادى المبارك من العقيق ، فكان أوَّل من حصَّب المسجد "عمر" ، رضى الله عنه[٤] .

* **أوَّل بدء الحصر فى فرش المساجد :** ما روى عن "ابن عمر" - رضى الله عنه - أنَّه

---

(١) الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ، ص ٢٩ .
(٢) المصدر السَّابق ، ص ٢٩ .
تخريج الخبر : . وقال سعيد بن منصور ، فى سننه ، وابن أبى شيبة ، فى المصنف معًا : حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عباس بن عبدالرَّحمن الهاشمى ، قال : أوَّل ما خلقت المساجد . . الحديث .
تخليق المسجد : تطييبه ، وهو ضرب يضرب من الطِّيب ، أعظم أجزائه الزَّعفران ، وجاء فى أوَّائل العسكرى ، ص ١٨٠ : " . . فجرى فيه الأمر إلى أيام عثمان - رضى الله عنه - فأمر بتأذين الجمعة الثَّالث ، فثبتت ، وأمر بتخليق المسجد ورزق المؤذنين ، وهو أوَّل من فعل ذلك . . " .
(٣) مصدر سابق ، ص ٢٩ .
(٤) المصدر السَّابق ، ص ٢٩ .
أخرجه البيهقى ، فى سننه ، عن عروة .
وأخرج ابن سعد ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٠٤ - وابن أبى شيبة من طريق : مَّاد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن عبدالله بن إبراهيم .
وأخرج ابن أبى شيبة من طريق هشام ، عن الحسن ، عن أبيه ، عن رجل من ثقيف ، قال : استشار رجل من ثقيف "عمر" أن يحصب المسجد . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّه أوطأ ، وأعفر للنخامة والمخاط . . فقال عمر : حصبوه من الوادى المبارك من العقيق . . فكان أوَّل من حصب المسجد عمر .
(السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٠)

سئل عن ذلك ، فقال مطرنا ليلة مخرجنا لصلاة الغداة ، فجعل الرَّجل يجعل فى ردائه من الحصباء ، فيفرشه على البطحاء ، ويصلى عليه ، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ذلك ، قال: ما أحسن هذا البساط ، فكان أوَّل بدئه فى مسجد رسول الله ، ﷺ[1] .

* **أوَّل من أسرج المسجد:** "تميم الدَّارى" - رضى الله عنه - فى أيام عمر ، رضى الله عنه[2] .

* **أوَّل من أسر (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم) فى الصَّلاة:** "عمرو بن سعيد بن العاص" - رحمه الله - بالمدينة المنورة[3] .

* **أوَّل من ترك القنوت فى الصُّبح:** "معاوية"[4] .

* **أوَّل من جهر بالتَّسليم:** "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - فأنكرت الأنصار ذلك ، فقال: أردت أن يكون إعلانًا بانتهاء الصَّلاة ، وقال مجاهد: أوَّل من جهر وأعلن بالتَّسليم فى الصَّلاة "عمر" ، رضى الله عنه[5] .

* **أوَّل من قال "سبحان الله":** "جبريل" - عليه السَّلام - لَّما رأى "آدم" مصوَّرًا ، فتعجب من حسن صورته ، وتقويمه ، فقال: سبحان الله ، منزهًا له عمَّا سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله ، تنزَّه عن سمات المصوَّرات .

* **أوَّل من قال "الحمد لله":** "آدم" - عليه السَّلام - لَّما بلغت روحه إلى خيشومه ، وعطس ، فقال: الحمد لله ؛ فهو أوَّل حامد من الخلق .

* **أوَّل من قال "لا إله إلا الله":** "نوح" - عليه السَّلام - حين نجاه الله تعالى لَّما شاهد الدُّنيا بحرًا واحدًا وهو فى السَّفينة ، فقال: لا إله إلا الله ، الواحد القهَّار ، كما يقول سبحانه يوم

---

(١) مصدر سابق ، ص ٣٠ .
(٢) مصدر سابق ، ص ٣٠ .
أخرجه الطَّبرانى ، عن أبى هريرة ، وابن عساكر ، عن ابن سعيد .
(٣) مصدر سابق ، ص ٣١ ، أخرجه البيهقى ، فى "سننه" ، عن: الزُّهرى .
(٤) مصدر سابق ، ص ٣١ .
(٥) مصدر سابق ، ص ٣١ .

القيامة ، عند كون الدُّنيا خالية عن الأغيار ؛ لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهَّار .

* **أوَّل من قال "الله أكبر"**: "إبراهيم الخليل" ، حين ألقى فى النَّار من المنجنيق ، فرأى نفسه فى الهواء ، فقال : الله أكبر ؛ تعظيمًا لله ، وتوكلاً عليه ، بقوله علمه بحالى حسبى عن سؤالى .

* **أوَّل من قال "لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"**: سيدنا رسول الله ﷺ كما قال : "أوتيت كنزًا من كنوز العرش ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"[١] .

* **أوَّل من قال "سبحان ربِّى الأعلى"**: "إسرافيل" ، عليه السَّلام[٢] .

* **أوَّل من سمى العشاء "العتمة"**: الشَّيطان[٣] .

* **أوَّل من صلَّى فى نعليه**: عويمر بن ساعده ، رضى الله عنه[٤] .

* **أوَّل من سمى الجمعة "يوم الجمعة"** ، وكان يسمى "يوم العروبة" : "كعب بن لؤى" ؛ لأنَّ قريشًا اجتمعت فيه إليه ، فخطبهم[٥] .

* **أوَّل من جمع بالمدينة**: "أسعد بن زرارة" ، فى أربعين رجلاً[٦] .

* **أوَّل من جمع بالمدينة**: "مصعب بن عمير" - رضى الله عنه - قبل مقدم رسول الله ﷺ فى اثنى عشر رجلاً . . قال أهل العلم : هما قولان فى أوَّلية الجمعة[٧] .

---

(١) فى الأحاديث الأربعينية .
(٢) الحديث عن : أبى هريرة ، رضى الله عنه . السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٢ .
أورده فى : الفردوس ، عن "عمران بن حصين" وأبى هريرة مرفوعًا .
(٣) مصدر سابق ، ص ٣٢ . أخرجه : ابن أبى شيبة ، عن ابن عمر .
(٤) مصدر سابق ، ص ٣٢ . أخرجه : ابن أبى شيبة ، عن يعقوب بن مجمع .
(٥) المصدر السَّابق ، ص ٣٠ . ذكره : الزُّبير بن بكار . كان العرب يسمون الأحد : الأوَّل ، والاثنين : أهون ، والثُّلاثاء : جبار ، والأربعاء : دبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عروبة ، والسَّبت : شيار .
انظر : العسكرى : "الأوَّائل" ، ص ٤٣ ، ٤٤ .
(٦) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٢ .
(٧) المصدر السَّابق ، ص ٣٢ .
يقول السُّيوطى : الأوَّل أخرجه ابن أبى شيبة ، وابن ماجه ، والحاكم ، عن : كعب بن مالك .
والثَّانى : أخرجه موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، وابن سعد ، عن عطاء .

* **أوَّل مسجد خط في المدينة:** مسجد جهينة ؛ وذلك أنَّه لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وفد إليه وفد جهينة ، فخط لهم مسجدهم ، فكان أوَّل مسجد خط بها(١) .

* **أوَّل مسجد قرئ فيه القرآن:** مسجد "بنى زريق" ، فى المدينة(٢) .

* **أوَّل جمعة صلاها رسول الله ، ﷺ:** ببطن الوادى ، فى مسجد بنى سالم ؛ وذلك أوَّل جمعة قدم المدينة .

* **أوَّل جمعة جمعت بالعراق:** فى صفر ، سنة ست عشرة ، أقامها : "سعد بن أبى وقاص" - رضى الله عنه - فى إيوان كسرى حين فتحه ، جزاه الله خير الجزاء(٣) .

* **أوَّل ما تعددت الجمعة فى بلد:** أيام المعتضد بالله ، سنة ثمانين ومائتين ، ولم يقع قبل ذلك فى الإسلام صلاة جمعتين فى بلد واحد ؛ وسبب ذلك خشية الخليفة على نفسه فى المسجد العام ، صلاها فى دار الخلافة من غير بناء مسجدها ، ثمَّ بنى فى خلافة المكتفى بالله مسجدًا فى دار الخلافة ، فجمعوا فيه(٤) .

* **أوَّل من خطب على المنبر:** "إبراهيم" ، عليه السَّلام(٥) .

* **أوَّل من عمل المنبر:** "تميم الدَّارى" ، قيل : عمله لرسول الله ، ﷺ(٦) .

* **أوَّل من جلس على المنبر ، أو سرير ، وتكلَّم على النَّاس:** "عامر بن الظَّرب العدوانى" ، يقال له : الحكم (الذى كانت تقرع له العصا)(٧) .

---

(١) مصدر سابق ، ص ٣٣ . ابن سعد : "الطَّبقات" ج ١ ، ص ٦٧ .
أخرجه : ابن سعد ، عن : أبى عبدالرَّحمن المدنى .

(٢) مصدر سابق ، ص ٣١ . أخرجه الزُّبير بن بكَّار ، فى : أخبار المدينة ، عن : مروان بن عثمان بن المعلى .

(٣) مصدر سابق ، ص ٣٢ . أخرجه الزُّبير بن بكَّار ، فى : أخبار المدينة ، عن : ابن شهاب .

(٤) المصدر السَّابق ، ص ٣٣ . ذكر ذلك : الخطيب البغدادى ، فى : تاريخ بغداد . ويعلِّق السُّيوطى على ذلك بقوله : وأمَّا قول أصحابنا ؛ إنَّ الشَّافعى - رضى الله عنه - دخل بغداد ، وبها جمعتان تقام ، فتعقبه الحفاظ النّقاد بأنَّ الجامع الآخر لم يكن داخل سورها . ذكره : الحافظ ابن حجر ، فى : "تخريج أحاديث الشَّرح الكبير" .

(٥) مصدر سابق ، ص ٣٣ ، أخرجه : ابن أبى شيبة ، عن : إبراهيم بن سعد .

(٦) مصدر سابق ، ص ٣٣ ، وكلمتا (قبل عمله) صحتها (قيل . .) ، وذلك حسب ما جاء فى المرجع للخبر فى السُّيوطى ، كذا جزم به العسكرى .

(٧) مصدر سابق ، ص ٣٣ .

* أوَّل من جعل المنابر فى الكور: "عبدالملك اللَّخمى" ، أمير مصر من قبل مروان (الحمار) ، وكانوا يخطبون على العصا إلى جانب القبلة(١) .

* أوَّل من خطب على العصا ، وعلى الرَّاحلة: "قس بن ساعدة"(٢) .

* أوَّل من قال فى خطبته "أما بعد": "داود" - عليه السَّلام - وقيل: "يعقوب" - عليه السَّلام - وقيل: "يعرب بن قحطان" ، وقيل: "قس بن ساعدة"(٣) .

* أوَّل من قرأ فى آخر الخطبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل: ٩٠): "عمر بن عبدالعزيز" - رحمه الله - ولزمها الخطباء إلى يومنا هذا .

وكان ﷺ يقرأ سورة قاف ، وكان "عمر" يقرأ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إلى قوله ﴿ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ ، وكان "عثمان" - رضى الله عنه - يقرأ آخر سورة النِّساء ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ.. ﴾ (النِّساء: ١٧٦) ، وكان "على" - رضى الله عنه - يقرأ سورة الكافرون ، والإخلاص(٤) .

* أوَّل من قرأ فى الخطبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦): "المهدى العباسى" ، ثالث خلفائهم ، رحمه الله(٥) .

والمرجع للسيوطى ، كتاب الأغانى .

(١) مصدر سابق ، ص ٣٣ .

وذكر ابن عساكر ، فى: "تاريخه" .

وانظر: الكندى: "الولاة والقضاة" ، ص ٩٣ ، المقريزى: "الخطط" ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، وأبو الحسن: "النُّجوم الزَّاهرة" ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٢) أوائل السيوطى ص ٣٤ ، أخرجه الزبير بن بكار فى "الموفقيات" عن الكلبى (طبع جزء منه فى بغداد سنة ١٩٧٢ بتحقيق د . سامى العانى .

(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٤ . وأضاف: (وقيل: كعب بن لؤى) .

(٤) المصدر السَّابق ، ص ٣٤ .

ذكر ذلك: ابن الصَّلاح ، فى: "فوائد الرِّحلة" ، وهو يشتمل على قواعد غريبة من أنواع العلوم ، نقلها فى رحلته إلى خراسان .

انظر: "كشف الظُّنون" ، ص ١٢٩٧ .

(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٤ .

* أوَّل من ارتج عليه في الخطبة: "عثمان" - رضى الله عنه - الارتجاج: التَّحريك، والإشباع بالتَّرضية، أو التَّصلية، أو التَّرحم، أو التَّأمين، كما جرَّت عادة المؤذنين في بلاد الإسلام إلى يومنا هذا[1].

* أوَّل من خطب جالسًا: "معاوية" - رضى الله عنه - حين كثر شحمه، وعظم بطنه، وكان يخطب رسول الله ﷺ قائمًا، والخلفاء الأربعة، رضى الله عنهم[2].

* أوَّل من استراح في الخطبة (يوم الجمعة): "عثمان"، رضى الله عنه[3].

* أوَّل من بدأ بالخطبة قبل الصَّلاة: "معاوية"، وجرى ذلك في الأمراء المروانية، كـ"مروان"، و"زياد"، وهو فعله بالعراق، ومعاوية بالمدينة، شرَّفها الله تعالى[4].

* أوَّل من رفع يديه على المنبر: "عبدالملك"، وقيل: "مروان"، وقيل غيره، قال أهل العلم، رفع الأيدى محدث[5].

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل"، ص ٣٤.
أسنده العسكرى، عن أبى العالية، قال: اتَّخذ لرسول الله ﷺ منبرًا ثلاث مراق، وكان يقوم إلى أعلاه، فلمَّا توفى، قام أبو بكر دون مقامه، وقام عمر دون مقام أبى بكر.. فلمَّا بويع عثمان، قام مقام رسول الله ﷺ فقال سلمان: اليوم ولد الشّر، قال: فلمَّا استوى إلى أعلاه، نظر في وجوه النَّاس، ووجم (سكت وعجز عن التَّكلم)، فأحف (لعلَّها فأخف: أى قصر وقلل)، وصلى على رسول الله ﷺ فأوجز.
ثمَّ قال: أيها النَّاس، إنَّ اللذين تقدمانى، يعدان لهذا الموقف كلامًا، وأنتم إلى إمام عادل، أحوج منكم إلى إمام قائل، وستأتيكم الخطبة على وجهها، ثمَّ نزل.
قالوا: فأنكر على "عثمان" قيامه حيث قام النَّبى، ولم ينكر على "أبى بكر" و"عمر" قيامهما في مصلاه، ولو وقف "عثمان" دون مقامهما، لصار نزول كلِّ إمام عن مقام من تقدمه سنّه، العسكرى: "الأوَّائل"، ص ١٨١.
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٥.
(٣) السُّيوطى: "الوسائل"، ص ٣٥، كان إذا أعيا جلس، ولم يتكلَّم حتى يقوم.
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٥.
أسنده العسكرى عن الحسن، ثمَّ أسند عن طارق بن شهاب أنَّه "مروان.
العسكرى، الأوَّائل، ص ١٨١، ١٨٢.
(٥) أوَّل من رفع يديه على المنبر: "عبدالملك"؛ قلت: أخرج ابن أبى شيبة، عن محمّد بن سيرين، قال: أوّل من رفع يديه في الجمعة: عبيد الله بن عبد الله بن معمر.
وأخرج ابن أبى شيبة، عن الزّهرى، قال: رفع الأيدى يوم الجمعة محدث، وأوَّل من أحدث رفع الأيدى يوم الجمعة: "مروان".

* أوَّل من خرج بالسِّلاح في العيدين: "الوليد الفاسق بن يزيد"، الملقب بالنَّاقص[١].

* أوَّل من أحدث منبرًا فى العيدين: "عثمان" - رضى الله عنه - ولم يكن قبل ذلك لأبى بكر وعمر، رضى الله عنهما[٢].

* أوَّل من اتَّخذ العودين، وخطب جالسًا، وأُذِّن قدامه فى العيدين: "زياد"[٣].

* أوَّل من خطَّب فى العيدين قبل الصَّلاة: "عثمان"[٤].

* أوَّل ما صليت صلاة الخوف: فى غزوة ذات الرُّقاع، سنة خمس هجرية[٥].

* أوَّل من صلى الضُّحى: رجل من الصَّحابة؛ يكنى بـ "أبى الزَّوائد"، قال العلماء؛ يعنى صلَّى فى المسجد جماعة وهو مكروه عند أكثر العلماء[٦].

* أوَّل من صفَّ رجليه فى الصَّلاة: "عبدالله بن الزُّبير"، واقتدى به كثير من العباد - رضى الله عنهم، وعن السَّادة الصَّحابة أجمعين - نجوم الهدى، لمن اقتدى[٧].

* * * * * * *

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٦.

(٢) جاءت القصة عند السُّيوطى؛ هكذا: أوَّل من أخرج المنبر فى العيد: "مروان" أسنده العسكرى، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه.
قلت: أخرج ابن أبى شيبة، عن حصين، قال: أوَّل من أخرج المنبر فى العيدين: "بشر بن مروان".
انظر: السُّيوطى: "الوسائل"، ص ٣٥ - العسكرى: "الأوَّائل"، ص ٢٤٧.

(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٥.
أخرجه: ابن أبى شيبة، عن: عبدالملك بن عمير.

(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٥.

(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٦. قاله: "المدائنى".

(٦) السُّيوطى: "الوسائل"، ص ٣٦.
أخرج ذلك الخبر: سعيد بن منصور، فى: "سننه"، ومطين، فى: "مسنده"، وابن جرير، فى: "تهذيب الآثار"، والطَّبرانى، فى: "الكبير"، عن: أبى أمامة بن سهل بن حنيف.
وعلَّق محققا الكتاب، قالا: قال ابن الأثير: قول أبى أمامة: "إنَّه أوَّل من صلى الضُّحى" فيه نظر، فإنَّه قد صح عن أم هانئ بنت أبى طالب، أنَّ النَّبىﷺ صلى الضُّحى بمكة يوم الفتح، ولعلَّه لم يصل إليه.
أسد الغابة، ج ٦، ص ١٢٣.

(٧) مصدر سابق، ص ٣٦. أخرجه: ابن عساكر، عن: وهب بن كيسان.

الفصل الثَّانى والعشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالأذان، وما يتعلق به من أحكام

* أوَّل من أذَّن فى السَّماء : "جبريل" ، عليه السَّلام(١) .

* أوَّل من أذَّن فى الإسلام : "بلال" الحبشى ، رضى الله عنه(٢) .

* أوَّل من أقام : "عبدالله بن زيد" ، رضى الله عنه(٣) .

* أوَّل من ثوَّب فى أذان الفجر : "بلال" الحبشى ، رضى الله عنه ؛ والتَّثويب : أن يقال : "الصَّلاة خير من النَّوم"(٤) .

* أوَّل من أذن بمكَّة : "حبيب بن عبدالرَّحمن" ، رضى الله عنه(٥) .

* أوَّل من زاد الأذان الأوَّل فى الجمعة : "عثمان" - رضى الله عنه - إعلامًا لأهل الأسواق(٦) .

* أوَّل من رزق المؤذنين : "عثمان" ، رضى الله عنه(٧) .

* أوَّل من أذَّن معه المؤذنون فى المقصورة : "إبان بن عثمان" - رضى الله عنه - وكانوا فيما مضى يؤذنون على المنابر(٨) .

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٢٤ .
أخرجه : الحارث بن أبى أسامة ، فى مسنده ، عن : كثير بن مرَّه الحضرمى ، مرفوعًا .
(٢) مصدر سابق ، ص ٢٤ .
أخرجه : ابن سعد ، وابن أبى شيبة ، عن : القاسم بن عبدالرَّحمن .
(٣) مصدر سابق ، ص ٢٤ .
أخرجه : أبو الشَّيخ بن حيان ، فى كتابه : "الأذان" ، عن : ابن عباس .
(٤) مصدر سابق ، ص ٢٤ .
أخرجه : ابن أبى شيبة ، عن : طاوس .
(٥) مصدر سابق ، ص ٢٤ ، ذكره الأزرقى ، فى : تاريخ مكَّة .
(٦) مصدر سابق ، ص ٢٥ .
أخرجه : ابن أبى شيبة ، عن : الزُّهرى ، وزاد : ليؤذن أهل الأسواق .
(٧) مصدر سابق ، ص ٢٥ .
(٨) مصدر سابق ، ص ٢٥ .

* أوَّل من أذَّن فيما وراء النَّهر (بلخ): "أبو العالية الرِّياحى"(١) .

* أوَّل من أحدث الأذان ، فى الفطر والأضحى: "بنو مروان" ، وقيل: أوَّل من أحدثه فى العيدين: "زياد" ، وهو أوَّل من جلس على المنبر فى العيدين ، وأذَّن فيهما ؛ يعنى: بأمره(٢) .

* أوَّل من أذَّن ببيت المقدس: "عبادة بن الصَّامت" ، وقيل: أبو نعيم ، وقيل: غيره(٣) .

* أوَّل من أحدث أذان الاثنين معًا: بنو أمية ، فى خلافتهم(٤) .

* أوَّل من زاد على المنابر "الصَّلاة والسَّلام عليك يا رسول الله": "السُّلطان المنصور" ، و"الحاج بن الأشرف بن حسن بن النَّاصر محمَّد ابن المنصور قلاوون" ، بأمر المحتسب "نجم الدِّين الطَّنبرى" ، وذلك فى شعبان ، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة(٥) .

وكان حدث قبل ذلك فى أيام السُّلطان: "صلاح الدِّيْن بن أيوب" ، أن يقال قبل أذان الفجر فى كلِّ ليلة ، بمصر والشَّام: الصَّلاة والسَّلام على رسول الله .

واستمَّر ذلك إلى سنة سبع وستين وسبعمائة ، فزيد فيه بأمر المحتسب "صلاح الدِّين البرلسى" أن يقال: الصَّلاة والسَّلام عليك يا رسول الله ، وجعل فى عقب كلِّ أذان

---

(١) مصدر سابق ، ص ٢٥ .
فى كتاب: الكنى ؛ لأبى أحمد الحاكم ، بسنده ، عن: مغيرة .
(٢) مصدر سابق ، ص ٢٥ .
أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: ابن سيرين .
وأخرجه أيضًا: ابن عساكر ، عن: يحيى بن وثاب .
(٣) تاريخ بيت المقدس .
ورواية السُّيوطى: أوَّل من أذن فى بيت المقدس: "أبو نعيم" ، أخرجه الدَّار قطنى ، فى: "سننه" ، عن نافع بن محمود بن الرَّبيع الأنصارى .
السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٢٨ .
(٤) المصدر السَّابق ، ص ٢٥ .
(٥) المقريزى: "السُّلوك" ، ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٦٣٩ .

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، إلى يومنا هذا(١) .

* أوَّل من أحدث التَّسبيح بالأسحار على المنابر: فى زمن "موسى" - عليه السَّلام- واستمر بعده إلى زمن "داود" - عليه السَّلام - وبنى منابر بيت المقدس ، ورتب فيه عدة يقومون بذلك (ببيت المقدس) على الآلات ، وبغيره بلا آلات من الثُّلث الأخير من اللَّيل ، إلى الفجر . إلى أن خرب بيت المقدس ، بعد قتل "يحيى" - عليه السَّلام - وقام اليهود على "موسى" - عليه السَّلام - فبطل ذلك فى جملة ما بطل من شرائع بنى إسرائيل .

وأمَّا فى ابتداء الملة المحمَّدية ، فكان ابتداء عمله بمصر ؛ وسببه أنَّ "مسلمة بن مخلد الصَّحابى" بنى وهو أمير مصر منارًا بجامع عمرو ، واعتكف فيه ، فسمع أصوات النَّواقيس عالية ، فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر - عريف المؤذنين - فقال: إنِّى أمدُّ الأذان من نصف اللَّيل إلى قرب الفجر ، فأنههم أن لا ينقسوا إذا أذّنت ، ففعل .

ثمَّ لما كان: "أحمد بن طولون" رتَّب جماعة نوبا ، يكبرون ، ويسبحون ، ويحمدون ، ويقولون قصائد زهدية ، وجعل لهم أرزاقا واسعة ، ومن ثمَّ اتَّخذ النَّاس قيام المؤذنين فى اللَّيل على المنابر .

فلمَّا ولى السُّلطان: "صلاح الدِّين بن أيوب" ، أمر المؤذنين أن يعلنوا فى وقت التَّسبيح بذكر العقيدة الأشعرية ، فواظب المؤذنون على ذكرها كلَّ ليلة إلى وقتنا هذا ، بمصر والشَّام ، وسائر ممالكه(٢) .

* أوَّل من احدث التَّذكير يوم الجمعة ؛ ليتهيأ النَّاس لصلاتها بعد السَّبعمائة: "النَّاصر بن قلاوون"(٣) .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٢٦ .ونقلت القصة منه لاضطرابها فى الأصل .
(٣) المقريزى: "الخطط" ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٧ .
السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٢٦ .

* **أوَّل من وضع إحدى يديه عند أذنيه فى الأذان :** "ابن الأصم" مؤذن "الحجاج بن يوسف" ، فكان المؤذنون يضعون أصابعه فى آذانهم[١] .

* **أوَّل من رقى منارة مصر للأذان :** "شرحبيل بن عامر المرادى"[٢] .

* **أوَّل من أحدث المحراب الجوَّف فى الإسلام :** "عمر بن عبدالعزيز" ، وكان يومئذ عامل "الوليد" على المدينة المنوَّرة ، ولم يكن محراب مجوَّف لجامع "عمرو بن العاص" حين بنى جامعه بفسطاط مصر عند فتحه[٣] .

* **أوَّل من بنى المنابر للأذان بأمر معاوية ، وعرَّف على المؤذنين :** "عمرو بن العاص" - رضى الله عنه - بنى جامعًا عظيمًا عند فتح مصر ، يقال له جامع "عمرو" مشهور ، يزار ، ويتبرك به ، ويستجاب فيه الدُّعاء . . وهو أوَّل جامع جمعت فيه الجمع . . وأوَّل جامع بنى بمصر ، فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

* **وأوَّل جامع بنى بالقاهرة :** الجامع الأزهر ، فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . . وأوَّل جمعة بالرَّوضة بجامعها العتيق فيه ، سنة أربعمائة ، وهو جامع غين ، ويعرف الآن بالأباريقى .

* **أوَّل مكان أُذِّن فيه :** ما روى زيد بن ثابت - رضى الله عنه - قال : كان بيتى أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن فوقه إلى أن بنى رسول الله ﷺ مسجده ، فكان يؤذن بعد على ظهره ، وقد رفع له شئ فوق ظهره[٤] .

ورد فى صحيح مسلم ، والبخارى عن ابن عمر ، رضى الله عنهما : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون للصلاة ، فيتحينون ، وليس ينادى لها ، فتكلَّموا يومًا فى ذلك ، فقال بعضهم : اتَّخذوا ناقوسًا ، وقال بعضهم بل قرنا .

---

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٢٧ .
أخرجه : سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، عن : ابن سيرين .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٢٧ .
(٣) من : محاضرة مصر .
(٤) تاريخ مصر ، السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

فقال عمر ، رضى الله عنه : أو لا تبعثون رجلاً ينادى بالصَّلاة ، فوافقه رسول الله ﷺ وكان يحب موافقته ، وقال فى حقه رسول الله ، ﷺ : عمر محدث أمتى ، فقال رسول الله ، ﷺ : قم فناد بالصَّلاة .

* **أوَّل من زخرَّف المساجد :** "الوليد بن عبدالملك بن مروان"[١] .

* **أوَّل من عمل المقصورة فى المسجد ، وتفرَّد مع خاصته عن النَّاس :** "معاوية" - رضى الله عنه - لأنَّه رأى على منبره كلبًا .

وقيل : **أوَّل من بناها :** "مروان بن الحكم" ؛ لأنَّه ضرب بسكين وهو يصلِّى[٢] . . وقيل : "عثمان" - رضى الله عنه - خوفًا من أن يصيبه ما أصاب "عمر" ، رضى الله عنه[٣] .

* * * * * * *

(١) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٣٠ . الأزرقى : "أخبار مكَّة" ، ص ٣٠٩ .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٣٠ . أسنده : العسكرى ، عن : المطلب بن عبدالله .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٣٠ . أخرجه : الزُّبير بن بكار ، فى : "تاريخ المدينة" بسنده ، وأنَّه وضعها من لبن ، وأنَّه استعمل عليها : السَّائب بن خبَّاب .

الفصل الثَّالث والعشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالصَّدقات، والزَّكاة، وما يتعلق بهما

* أوَّل من فرَّض الصَّدقة من قبل أنفسهم: "بنو عذرة" ، قبيلة من العرب مشهورة بالكرم ، والعشق ، والتَّعشق ، يضرب بها المثل فى الشِّعر[1] .

* أوَّل من فوَّض إلى النَّاس إخراج زكاتهم: "عثمان" ، رضى الله عنه[2] .

* أوَّل من حمى الحمى برجال يكلئون القرى من المظالم: "عثمان"[3] .

* أوَّل من وضع الخراج: "موسى" - عليه السَّلام - فجاءه بخراج سبع سنين (يعنى: الجزية)[4] .

* أوَّل من وضع الخراج من ملوك العجم: "أنوشروان" ؛ وهو أوَّل من مسح الأرض ، وحدَّ الخراج ، ووضع الدَّواوين والدَّفاتر للأعشار على البلاد[5] .

* أوَّل خراج قدّم به على عهد رسول الله ، ﷺ: بعث به "العلاء بن الحضرى" إلى رسول الله ﷺ بثمانمائة ألف من خراج البحرين[6] .

* أوَّل من وضع المكس ، والعشور: "نمروذ"[7] .

* أوَّل من تدعى العشور: "قوم شعيب" - عليه السَّلام - وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ.. ﴾ (الأعراف: ٨٦)[8] .

* أوَّل من عشَّر فى الإسلام: "زياد بن حديد" ، قال: بعثنى "عمر" - رضى الله

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٤ .
أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: القاسم بن عبدالرَّحمن .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٤ .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٤ .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٥ ، أخرجه: ابن جرير ، عن: سعيد بن جبير .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٥ .
(٦) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٥ ، أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: حميد بن هلال .
(٧) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٥ .
(٨) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٥ .
يقول السُّيوطى: وأخرج الخطيب ، وابن عساكر ، عن طريق جويبر ، عن الضَّحاك ، عن ابن عباس ، قال: "أوَّل من سنَّ العشور ، قوم شعيب . ." .

عنه - فى خلافته ، وما كنَّا نعشّر مسلمًا ، ولا معاهدًا ، قيل له: فمن كنتم تعشّرون؟ . . قال: نصارى بنى تغلب ، وأمرنى أن لا أفتش أحدًا ، ونهانى عن أن أعشّر مسلمًا(١) .

* **أوَّل من وضع العشور:** "عمر" - رضى الله عنه(٢) - اقتداءً بقوله ﷺ: ليس على المسلمين عشور ، وإنَّما العشور على اليهود والنَّصارى(٣) .

وقال: يا معاشر العرب ، احمدوا الله الذى وضع عنكم العشور(٤) .

* **أوَّل ما أنزل القمح:** على "آدم" ، كان قدر بيض النَّعام . . وقيل له: هذا رزقك ، ورزق بنيك ، قم ، فاحرث وازرع ، ولم يزل الحب على ذلك ، ثمَّ نزل قدر بيضة الدَّجاجة ، ثمَّ إلى الحمام ، ثمَّ إلى البندق ، وكان فى زمن "عمر بن عبد العزيز" على قدر الحمصة(٥) .

* **أوَّل من زرع حب الحنطة:** "آدم" - عليه السَّلام - ورد فى الخبر أنَّ الله تعالى أنزل على "آدم" - عليه السَّلام - ثورًا أحمر ، وبقرة حمراء ، فحرث بهما ، فأتاه جبريل بثلاث حبَّات من الحنطة ، فدقها حتى صرن قطعًا ، ثمَّ زرعها ، ونشر نخالتها ، فنبت الشَّعير .

فلمَّا أتعب البقرتين بالحراثة: راثا ، وبالا ، وعرقا ، وبكيا من التَّعب ، فأنبت الله من روثهما "البقلاء" ، ومن بولهما "الحمص" ، ومن عرقهما "العدس" ، ومن دمعهما "الجاورس" ، ومن نخالة "الجاورس" الذُّرة(٦) .

* * * * * * *

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٥ ، وللخبر طرق كثيرة: أخرجه "عبدالرَّازق" فى مصنفه ، وأخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: زياد بن حديد .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٥ ، أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: الشَّعبى .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٦ .
أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: حرب بن عبيد الله ، عن: جده ، أبى أمه .
(٤) أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن: سعيد بن زيد .
(٥) حياة الحيوان ، للدميرى .
(٦) حياة الحيوان ، للدميرى .

الفصل الرَّابع والعشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالصيام

* أوَّل من صام: "آدم" - عليه السَّلام - صام ثلاثة أيام من كلِّ شهر ، وهى الأيام البيض ؛ ثالث عشر ، ورابع عشر ، وخامس عشر ، حين قبلت توبته .

ثمَّ صامهم "نوح" - عليه السَّلام - شكرًا لله ، حين خرج من السَّفينة ، ثمَّ صامهم الأنبياء - عليهم السَّلام - حتى صامهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، رضى الله عنهم[١] .

* أوَّل من صام عاشوراء: "نوح" - عليه السَّلام - لمَّا طلع من السَّفينة[٢] .

* أوَّل طير صام: الصّرد[٣] .

* أوَّل أمة فرَّض عليها صيام رمضان: أمة "محمَّد" ، ﷺ[٤] .

* أوَّل من سنَّ التَّراويح: "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - سنة أربع عشرة هجرية[٥] .

* أوَّل من جمع النَّاس على التَّراويح: "عمر" - رضى الله عنه - ثمَّ جمعهم "على" - رضى الله عنه - ثمَّ اقتدى به أئمة الأمة من العلماء والأعلام ، والخلفاء الكرام إلى الآن ، رضوان الله عليهم أجمعين[٦] .

* أوَّل من قنت فى النِّصف الأخير من رمضان: "عمر" ، رضى الله عنه[٧] .

* أوَّل من أمر النَّاس بالصَّوم من الملوك: "طهمورث" ؛ ثالث ملوك الدَّادانية ،

(١) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٧ . وذكره الإمام العسكرى ، فى أولياته .
(٢) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٧ .
(٣) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٧ .
(٤) السُّيوطى : "الإتقان" .
(٥) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٧ . أخرجه : البيهقى ، عن : عروة .
(٦) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٧ .
(٧) "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٧ .

أخو "أجمشيد" ، ظهر الغلاء والقحط فى زمانه ، فأمر النَّاس الأغنياء بطعام واحد بعد غروب الشّمس ، وبإمساكهم فى النَّهار شفقه للفقراء ، وإيثارًا لهم بطعام النَّهار ، وتعبدًا وتواضعًا لله تعالى .

وكان ملكًا عادلاً حكيمًا ، وللعجم فيه أقوال عجيبة تدلُّ على حكمته ، وديانته ، وعدالته[1] .

* * * * * * *

(١) ذكره البيضاوى ، فى : زبدة التَّواريخ .

الفصل الخامس والعشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالبيوع والمعاملات

* **أوَّل من سمى التُّجار ، تجارًا :** رسول الله ﷺ قاله أهل العلم عن الصَّحابة الكرام - رضى الله عنهم - وكان فيهم تجار ، قالوا : وكنَّا نسمى فى عهد رسول الله ﷺ السَّماسرة ، فمر بنا رسول الله ﷺ فسمانا بما هو أحسن منه ، وقال : يا معشر التُّجار : إنَّ البيع يحضره الحلف واللَّغو ، فشرفوه بالصَّدقة ، فكان أوَّل من سمانا بالتُّجار(١) .

* **أوَّل صدقة فى الإسلام :** وقف رسول الله ﷺ أموالاً حين أوصى "مخيرق" فى أحد ، إن أصبت فأموالى لرسول الله ﷺ فقبضها رسول الله ﷺ وتصدَّق بها(٢) .

* **أوَّل من جلب الطَّعام من مصر إلى المدينة النَّبوية :** فى خليج النِّيل إلى السَّويس ، ومنه إلى مكَّة والمدينة إلى بحر الهند ، وهو الخليج الذى حفَّره "عمرو بن العاص" - رضى الله عنه - بعد فتح مصر ، وعطَّله بعض ملوك مصر من الفاطمية ؛ خوفًا من التَّسلط من غيره(٣) .

* **أوَّل من وقف جاريته فى الإسلام :** "عمر" ، رضى الله عنه(٤) .

* **أوَّل من وقف على المنقطعين وأعقابهم :** الأمير جعفر بن سليمان ابن على بن عبدالله بن عباس ، رضى الله عنه(٥) .

---

(١) أخرجه : ابن ماجه ، فى كتاب "التِّجارات" ، باب التَّوقى فى التِّجارة ، رقم ٢١٤٥ .
وانظر : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٥٩ .
(٢) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ .
(والخبر نقلاً من السُّيوطى كاملاً) ابن سعد : "الطَّبقات" ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
(٣) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٥٩ .
وسمى البحر "أيله" ، والذى جلب الطَّعام "عمر" .
(٤) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" .
(٥) السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ .
الذَّهبى ، فى تاريخه .

* **أوَّل من حرَّم القمار من العرب:** "أقرع بن حابس"[١] .

* **أوَّل من نهى عن بيع أمهات الأولاد:** "عمر" ، رضى الله عنه[٢] .

* **أوَّل من اتَّخذ ألسنة الموازين من الحديد:** "عبدالله بن عامر (ابن كريز)"[٣] .

* **أوَّل من اتَّخذ الذِّراع الذى يذرع بها الأرض:** زياد[٤] .

* **أوَّل من اتَّخذ السَّقائف على حوانيت السُّوق:** "زياد" ، حين أمر أن لا تغلق أبواب الحوانيت ، وضمن ما سرق من ذلك ، فكانت الكلاب تتطرق الأمتعة ، فأمر بمد السَّقف على الحوانيت[٥] .

* **أوَّل من ضرب الدَّنانير والدَّراهم:** "آدم" - عليه السَّلام - كان الله تعالى قد علمه ألف حرفة حين علمه الأسماء كلَّها بجميع الألسنة ، ممَّا يتكلَّم به بنوه إلى يوم القيامة ، فكلُّ حرفة وصناعة مباحة تتعلق بمصالح بنى آدم ، وتدبير المعاش والمعاملات بها فهى: أى الحرفة ، موضوعة بالوضع الأوَّلى من المعلم الأوَّل "آدم" - عليه السَّلام - توارثته منه بنوه قرنًا بعد قرن ، جيلاً بعد جيل ، بحسب الأصول الموضوعة لها ، وأمَّا الفروع من الصَّنائع والحرف ، فتحدث بحسب القوايل إلى يوم القرار[٦] .

* **أوَّل من ضرب الدَّنانير والدَّراهم فى الإسلام:** عبدالملك بن مروان ، ونقش اسمه عليها ، سنة خمس وسبعين هجرية ؛ نقش فى وجه: لا إله إلا الله ، وفى الآخر: محمَّد رسول الله ، وزاد فيها الحجاج: أرسله بالهدى ودين الحق[٧] .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ ، قاله: المدائنى .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٥٩ . أخرجه: ابن أبى شيبة ، عن الحسن .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ .
(٦) ذكره الإمام ، فى: أصول اللُّغة .
والسُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ . أخرجه: أبى شيبة ، عن كعب .
(٧) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٠ .
وأخرجه: ابن سعد ، عن أبى الزّناد .

* **أوَّل من نقش على الدَّنانير والدَّراهم اسمه:** الرَّشيد العباسى ، وقيل: جده المنصور[١] .

* **أوَّل من ضرب الدَّراهم ، واستخرج المعادن لانتفاع الخلق:** "أفريدون" ، كان من أسباط جمشيد ، من أولاد الملوك ، اختفى زمانًا بين الرُّعاة ، فلمَّا خرج النَّاس على الضَّحاك الظَّالم السَّاحر مع الحداد الصَّالح ، اجتمعوا عليه ، وطلبوا "أفريدون" .

فوجدوه ، وملكوه ، وقتلوا الضَّحاك ، والطَّوائف العادية الطَّاغية الذين كانوا قد أفسدوا العالم ، فأظهر الله عليهم "أفريدون" ، وكان ملكًا عادلاً ، مؤمنًا ، على شرع إبراهيم - عليه السَّلام - وكان مدة ملكه خمسمائة سنة[٢] .

* **أوَّل من زرع الرَّياحين ، وعمَّر البساتين ، وجمع من الجبال الأزهار ، وأنواع الرَّياحين ، وتعامل النَّاس بالبيوع بها:** الملك "ذوباد افراسياب"[٣] .

* **أوَّل من أخذ العشر من الرَّعايا ، وعمَّر الخراب به:** ملك يقال له "كيقباز" ، من أولاد "متوجهر"[٤] .

* **أوَّل من أجرى العيون ، وأخذ الخراج من الرَّعية:** الملك "ذوباد"[٥] .

* **أوَّل من ضرب الدَّراهم فى بلاد المغرب:** عبدالرَّحمن بن مسلم الأموى القائم بالأندلس ، فى القرن الثَّالث الهجرى ، وإنَّما كانوا يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم المشرق[٦] .

* **أوَّل من ضرب الدَّراهم الزَّيوف:** "عبيدالله بن زياد" ، قاتل أهل البيت ، على

الطَّبقات ، ج ٥ ، ص ١٧٠ - ج ٧ ، ص ٢٢٦ .
(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦١ .
(٢) ذكره: الغزالى ، فى: "سير الملوك" .
(٣) بهجة التَّواريخ .
(٤) بهجة التَّواريخ .
(٥) بهجة التَّواريخ .
(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦١ .
ذكره: الذَّهبى ، فى تاريخه ، وذكره: عبدالرَّحمن بن الحكم الأموى .

قاتلهم ، ومبغضهم ما يستحقه[(١)] .

* **أوَّل من أجرى العيون لسقى الزُّروع ، وانتفاع الرَّعية ، وأخذ الخراج منهم:** الملك "ذوباد"[(٢)] .

* **أوَّل من أخذ المال من الرَّعية لإمداد الجند:** "كيقباذ" ، وهو أوَّل ملوك الكيانية ، كان فى زمن "الياس" و"اليسع" ، عليهما السَّلام[(٣)] .

* **أوَّل من عمل الأوزان:** "عبدالملك" ، وهو أوَّل من وضع وزن سبعة[(٤)] .

* **أوَّل من ضرب الدَّراهم النّقرة:** الخليفة المستنصر بالله العباسى ، فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ؛ ليتعامل بها بدلاً عن قراضة الذَّهب ، فجلس الوزير ، وأحضر الولاة والتُّجار والصَّيارفة ، وفرشت الأنطاع ، وأفرغ عليهم الدَّراهم .

فقال الوزير: قد رسم مولانا أمير المؤمنين بمعاملتكم بهذه الدَّراهم ، عوضًا عن قراضة الذَّهب ، رفقًا بكم ، وإنصافًا لكم من التَّعامل بالحرام من الصّرف الرّبوى ، فأعلنوا بالدُّعاء له ، ثمَّ أديرت بالعراق ، وسعرت كلّ عشرة بمثقال ذهب الصَّيارفة[(٥)] .

* **أوَّل من اتَّخذ الكيمياء:** قارون[(٦)] .

* **أوَّل ما أخرجت الدَّنانير الأشرفية التى يتعامل بها الآن ووزنها درهم وقيراطان:** فى شوال ، سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، فى دولة الملك "الأشرف" ، وكان قبل ذلك الدِّينار مثقالاً ، وهو درهم ونصف إلا قيراطًا[(٧)] .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦١ .
وهو قاتل الحسين ، أخرجه: ابن عساكر ، عن مغيرة .
(٢) بهجة التَّواريخ .
(٣) بهجة التَّواريخ .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦١ .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦١ ، ٦٢ .
(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦٢ .
ذكره: الثَّعالبى ، وانظر: "لطائف المعارف" ، ص ٩ .
(٧) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦٢ .

* أوَّل من دبَّر وزن الأرض ، ووزن الماء ، وأجرى الخلج للزراعات ، ونصب الجسر عليها لمعاملات القرى ، وصعد إلى أوَّل مسيل النِّيل ، وجمع أهل مصر ، وأمر بإصلاح ما انخفض الماء ، ورفع المنخفض بما رأى فى علم النُّجوم والهيئات : "إدريس" ، عليه السَّلام .

وهو أوَّل من تكلَّم فى هذه العلوم ، وأخرجها من القوة إلى الفعل ، ووضع فيها الكتب ، ورسم فيها التَّعليم ، ثمَّ سار إلى بلاد الحبشة ، والنُّوبة ، وجمع بين أهلها ، وزاد فى مسافة جرى النِّيل ، ونقص بحسب بطئه وسرعته فى طريقه ، حتى عمل حساب جريه ووصوله إلى أوَّل أرض مصر فى أوَّل زمان الزراعة على ما هو عليه الآن .

فهو أوَّل من دبَّر جرى النِّيل إلى أرض مصر ، وهو "هرمس" الأوَّل الإلهى النَّبوى ، الحكمى ، السُّلطانى ، الفلكى ، الرُّوحى ، العقلى ، الإنسانى .

مات إدريس بمصر ، والعامة تظن أنَّ أحد هرمى مصر قبر "شيث" ، والآخر قبر "إدريس" ، عليهما السَّلام[1] .

* * * * * * *

---

(١) السُّيوطى : "محاضرة مصر" .
وانظر : المقريزى : "السّلوك" ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٧٦٥ .
وانظر : أبا المحاسن : "النُّجوم الزَّاهرة" ، ج ١٤ ، ص ٣١١ .

الفصل السّادس والعشرون
فى الأوّائل المتعلقة بالفرائض، والمواريث، وما يتعلق بهما

* أوّل من قال بالقول فى الفرائض: "عمر بن الخطاب" ، رضى الله عنه[١] .

* أوّل من قضى الخنثى ، يرث من حيث يبول: "عامر بن الظّرب" ، رضى الله عنه[٢] .

* أوّل من أعال الفرائض: "زيد بن ثابت" ، رضى الله عنه[٣] .

* أوّل عربى قسّم للذكر مثل حظ الأنثيين: "عامر بن الظّرب"[٤] .

* أوّل من أوصى بثلث ماله : "البراء بن عازب" ، رضى الله عنه[٥] .

* أوّل من ورث فى الإسلام: "عدى بن نضلة" ، ورثه ابن النُّعمان ، وكان عدى- رضى الله عنه - أوّل من هاجر ، فمات بأرض الحبشة[٦] .

* أوّل من ورّث الجدتين: "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - فأراد أن يختار المال

(١) السُّيوطى: الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٣ . أخرجه: الحاكم ، والبيهقى ، فى سننه عن: ابن عباس .
(٢) السُّيوطى: الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٣ . أخرجه: الواقدى .
(٣) السُّيوطى: الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٣ .
أخرجه: سعيد بن منصور ، والبيهقى ، عن: زيد بن ثابت .
(٤) السُّيوطى: الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٣ . الاسم فى السُّيوطى: عامر بن جشم .
(٥) المصدر السّابق ، ص ٦٣ . والاسم فى السُّيوطى: "البراء بن معرور" ؛ وهو البراء بن معرور بن صخر ، أخرج الخبر فى السُّيوطى: [أ] الطّبرانى ، عن ابن شهاب وعروة .
[ب] ابن سعد: "الطّبقات" ، ج ٣ ، ص ١٤٧ ، ٥٧٢ . يقول ابن سعد: أخبرنا محمَّد بن عمر ، قال: حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبدالله ، قال: البراء أوّل من أوصى بثلث ماله ، فأجازه رسول الله ، ﷺ .
وهو أوّل من استقبل القبلة حيًّا وميتًا ، قبل أن يوجهها رسول الله ﷺ فأمره أن يستقبل بيت المقدس ، والنَّبى ﷺ يومئذ بمكة . فأطاع البراء النَّبى ﷺ حتى إذا حضرته الوفاة أمر أهله أن يوجهوه إلى المسجد الحرام .
فلمَّا قدم النَّبى ﷺ مهاجرًا ، صلى إلى بيت المقدس ، ستة عشر شهرًا ، ثمَّ صرفت القبلة نحو مكة .
(٦) السُّيوطى: الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٣ . وهو: "عدى بن نضلة بن عبدالعزى" .
ابن سعد: "الطّبقات" ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١٠٣ (ج ٤ ، ص ١٣٠)

كلّه ، فقال بعض الصَّحابة : يا أمير المؤمنين : إنَّهم شجرة دونك ؛ يعنى : بنيه[١] .

* أوَّل موروث فى الإسلام : "عدى بن نضلة" - رضى الله عنه - مات بالحبشة ، فورثه ابنه هناك[٢] .

* * * * * * *

(١) خلط المؤلف هنا بين أكثر من خبر ، فظهر اضطراب .
[أ] عن ابن جريج ، عن ابن شهاب ، قال : أوَّل من ورث الجدتين : عمر بن الخطاب ، فجمع بينهما .
[ب] أخرج بن أبى شيبة ، عن عبدالرَّحمن بن تميم ، قال : أوَّل جد ورث فى الإسلام : "عمر بن الخطاب" .
فأراد أن يختار المال كلّه ، فقلت : - أى : عبدالرَّحمن بن تميم - يا أمير المؤمنين ، إنَّهم شجرة دونك ؛ يعنى بنيه .
[جـ] قال عبدالرَّازق ، فى : "المصنف" ، عن الثَّورى ، عن عاصم ، عن الشّعبى ، قال : "عمر" أوَّل جد ورث فى الإسلام .
السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦٣ .
(٢) هذا الخبر مكرر . انظر : الهامش قبل الأخير ، والمتن .

الفصل السَّابع والعشرون
فى الأوَّائل المتعلقة بالجنائز، والأمراض، وما يتعلق بهما

* **أوَّل من مات:** "آدم" - عليه السَّلام - يعنى من الآباء[١] .

* **أوَّل من تمنى الموت:** "يوسف" ، عليه السَّلام[٢] .

* **أوَّل من جمع النَّاس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات:** "عمر" ، رضى الله

* **أوَّل إمام خفى قبره:** "على بن أبى طالب" - رضى الله عنه - أوصى أن يخفى قبره لعلمه أنَّ الأمر يصير إلى بنى أمية ، فلم يأمن أن يمثلوا بقبره ، وقد اختلف فى قبره ؛ فقيل: فى زاوية الجامع بالكوفة ، وقيل: فى قصر الإمارة ، وقيل: بالبقيع ، حمل إلى المدينة بوصية منه ، وقيل: بالنَّجف بالمشهد الذى يزار اليوم ، وهو الأصح ، والله أعلم[٤] .

* **أوَّل من استقبل القبلة حيًّا ، ميتًا ، قبل أن يفرض استقبالها فى الإسلام:** "البراء بن معرور" ، رضى الله عنه[٥] .

* **أوَّل من مات من ولد النَّبى ﷺ:** القاسم ؛ وبه يكنى ، ثمَّ: عبدالله ، وهو المروى عن ابن عباس ، رضى الله عنه[٦] .

* **أوَّل قبر رش عليه:** قبر "إبراهيم" ، ولد سيد المعصومين ، وسيد المرسلين ، ﷺ[٧] .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل" ، ٣٧ ، (من الأبناء: هابيل)أخرجه: ابن أبى شيبة عن الحسن .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٣٧ ، أخرجه: ابن جرير ، فى تفسيره ، عن: ابن عباس .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٧ .
(٤) الدَّميرى: "حياة الحيوان الكبرى" .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٧ .
(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ٣٧ . ، ابن سعد: "الطَّبقات" ١/ ٨٥ .
(٧) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٧ .
أخرجه: أبو داود ، فى: "المراسيل" ، عن: محمَّد بن عمر بن على بن أبى طالب .

* أوَّل من غسَّل الميت: "الملائكة"، غسَّلوا "آدم" - عليه السَّلام - بماء وسدر، وكفَّنوه، ولحدوه، ودفنوه، وقالوا: هذا سنتكم يا بنى آدم فى أمواتكم[١].

* أوَّل امرأة حُمِلت فى نعش: "زينب" - رضى الله عنها - أم المؤمنين بنت جحش، فلمَّا ماتت أمر عمر مناديا فنادى: أن لا يخرج على أم المؤمنين إلا ذو محرم من أهلها. فقالت ابنة عميس: يا أمير المؤمنين، ألا أريك شيئًا تصنعه الحبشة لنسائهم؟ فجعلت نعشًا، وغشته بثوب، فلمَّا نظر "عمر"، رضى الله عنه، قال: ما أحسن هذا وأستره، فأمر مناديًا: أن اخرجوا على أمكم[٢].

* أوَّل من جعل لها النَّعش: "فاطمة الزَّهراء" - رضى الله عنها - لَمَّا توفيت عملته لها "أسماء بنت عميس"، وكانت قد رأته يصنع بأرض الحبشة[٣].

قال رسول الله، ﷺ: أوَّل أهلى لحوقًا بى: فاطمة[٤].

* أوَّل أزواج النَّبى ﷺ لحوقًا به: "زينب بنت جحش" - رضى الله عنها - لَمَّا حفر قبرها فى يوم صائف، أمر عمر - رضى الله عنه - فضرب فسطاطًا على قبرها، فكان أوَّل فسطاط ضرب على قبر، رضوان الله على أمهات المؤمنين أجمعين[٥].

* أوَّل من دفن بالبقيع من الأنصار: "أسعد بن زرارة"، ومن المهاجرين: "عثمان بن مظعون"، رضى الله عنه[٦].

---

(١) رواه: السُّيوطى، فى: الخبر النَّبوى.
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٧، ٣٨.
ابن سعد: "الطَّبقات"، ج ٨، ص ٧٩.
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٨.
ابن سعد: "الطَّبقات"، ج ٨، ص ١٨.
(٤) الحديث من كتاب: "الشِّفاء".
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٩.
أخرجه: ابن سعد، عن: القاسم بن عبدالرَّحمن بن أبزى.
انظر: ابن سعد: "الطَّبقات"، ج ٨، ص ٧٨.
(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل"، ص ٣٩.
أخرجه: ابن أبى شيبة، والبخارى، فى تاريخه، عن: على بن أبى طالب، وزاد: وأوَّل من اتبعه "إبراهيم"=

* **أوَّل من قال "واى ، ويه" فى النِّياحة ، فى الإسلام:** أخت "عبدالمجيد الثَّقفى" ، لَمَّا مات أخوها[١] .

* **أوَّل من دفن بالبقيع :** "عثمان بن مظعون" - رضى الله عنه - ثمَّ "إبراهيم" ولد سيدنا "محمَّد" ، ﷺ[٢] .

* **أوَّل من مات من الصَّحابة بعد الهجرة:** "أسعد بن زرارة"[٣] .

* **أوَّل ميت صلى عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة :** "البراء بن معرور" ، رضى الله عنه[٤] .

* **أوَّل من نزل فى حقِّه ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤٢]:** "أسعد بن زرارة" ، و"البراء بن معرور"[٥] .

* **أوَّل قبر نقيب من النُّقباء صلى عليه رسول الله ، ﷺ:** قبر البراء ، كان قد توفى قبل قدومه ﷺ وهو أوَّل من مات من النُّقباء ، رضى الله عنهم[٦] .

* **أوَّل من دفن فى جوف داره:** "الأشعث بن قيس"[٧] .

* **أوَّل من صلى على رسول الله ، ﷺ:** "العباس بن عبد المطلب" - رضى الله عنهم - وبنو هاشم ، وخرجوا ، ثمَّ دخل المهاجرون ، ثمَّ الأنصار ، ثمَّ النَّاس ؛

=ابن النَّبى ، ﷺ .

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٩ .
قال السُّيوطى: قاله ياقوت الحموى ، فى: "معجم الأدباء"، وبالبحث لم أجده .

(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٠ .
قال ذلك البغوى ، وزاد: وهو أوَّل ميت صلى عليه النَّبى ، ﷺ .

(٤) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٠ ، أخرج ابن سعد: "الطَّبقات" ٣/١٤٦ ، ٥٧١ .

(٥) التَّفسير الكبير.

(٦) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٠ ، ابن سعد: "الطَّبقات" ٣/١٤٦ ، ٥٧١ .

(٧) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٠ ، أخرجه: ابن عساكر ، عن: الأصمعى .

رفقًا ، رفقًا ، ثمَّ الصّبيان صفوفًا ، ثمَّ النِّساء[١] .

* **أوَّل يوم هربت فيه السِّباع والطُّيور من بنى آدم:** يوم قتل "قابيل" أخاه "هابيل" ، وكانت قبل ذلك الطُّيور والوحوش مستأنسة[٢] .

* **أوَّل حادثة من الحوادث الفلكية فى ظهور الدَّولة الأموية:** طلوع كوكب الذّنب فى وقت قتل "قابيل" أخاه "هابيل" ، ثمَّ طلع فى وقت الطُّوفان ، ثمَّ فى وقت نار "إبراهيم" - عليه السَّلام - وطلع عند هلاك قوم عاد وثمود ، وقوم صالح ، وعند ظهور موسى - عليه السَّلام - وهلاك فرعون .

وظهر فى غزوة بدر ، وعند قتل "عثمان" ، و"على" ، رضى الله عنهما ، وعند قتل جماعة من الخلفاء العباسية ؛ منهم: "الرَّاضى" و"المهدى" و"المقتدر" و"المعتز بالله" . . قال أهل الحكمة من أهل التَّحقيق: إنَّ أدنى الحوادث عند ظهور هذا الكوكب ظهور الأهوال والزَّلازل ، وصحح الحاكم فى المستدرك ، عن ابن عباس - رضى الله عنه - ما قيل له: طلع كوكب ذو ذنب ، فقال: خشيت أن يكون الزَّمان قد طرق[٣] .

* **أوَّل من عزَّاه الله ، وبشَّره ، وجمع له بينهما تعظيمًا له:** رسول الله ﷺ عزَّاه لأجل عمه "أبى طالب" حين مات ، بقوله: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[القصص: ٥٦] ، وبشَّره تعالى بإسلام عمه "العباس" ، رضى الله عنه[٤] .

* **أوَّل ميت عزَّى أحياءه فى وصيته بلسان الحال ، والعبرة:** "إسكندر ذو القرنين" ، حين حضر موته ، وتيقن ، كتب كتابًا إلى أمّه ، بصورة حاله ، وأوصاها أن

(١) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٤٠ ، ابن سعد: "الطَّبقات" ٦٩/٢ ، ٢٥٣ .

(٢) الدَّميرى: "حياة الحيوان" .

(٣) السُّيوطى: المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

(٤) السُّيوطى: "أسباب النُّزول" ص٢٥٤ .أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله ، أشهد لك يوم القيامة ، قال: لولا أن تعيرنى نساء قريش ، يقلن: إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك" فأنزل الله: إنك لا تهدى . . الآية .وأخرج النسائىوابن عساكر فى تاريخ دمشق بسند جيد عن أبى سعيد بن رافع ، قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية . .أفى أبى جهل ، وأبى طالب؟ قال: نعم ، السيوطى ، أسباب النزول تحقيق: محمد محمد تامر .

تعمل وليمة عجيبة الأسلوب ، وأن لا يحضرها إلا من لم يصب بخليل ولا محبوب .

فلمَّا ورد على أمه التَّابوت ، شرعت فى عمل الوليمة من المأكل والمشرب ، ونادت: أن لا يحضر وليمة ابنى إلا من لم يصب فى الدُّنيا بمحبوب وخليل ، وليس أحد فى الدُّنيا ، إلا قد أصيب بذلك مرارًا ، فلمَّا سمعت بذلك ، خفَّ ما بها من الحزن ، وتسلت بعض تسلية . . فكان "إسكندر" أوَّل من عزى وصية أحياءه ، وكانت أمه أوَّل من عمل وليمة الميت ، فجرى ذلك فى الأحياء إطعام الطَّعام لأمواتهم بعد وفاتهم ، رحمهم الله[١] .

*** أوَّل من عزِّى ، وهُنِّئ فى مقام واحد:** "يزيد بن معاوية" - رضى الله عنه - عزِّى بموت أبيه ، وهنئ بالخلافة ، فقيل له عند ذلك: يا زيد ، كنت أحق بالسِّياسة من الخلافة ، وكنت اولى بالتَّنئية من التَّهنية ، وأحرى بالتَّعزى من التَّعزية ، أعدم الله أمثالك[٢] .

*** أوَّل ما يبلى من الإنسان إذا مات:** بطنه ، إذ هو دعاء شر شهوانى ، منشأ طبع حيوانى[٣] .

*** أوَّل من نقل من قبر إلى قبر:** "على بن أبى طالب" - لَمَّا استشهد يوم الجمعة ، سابع عشر من رمضان ، ومات بعد يومين ، وصلى عليه ابنه الحسن - رضى الله عنه - ودفن بدار الإمارة بالكوفة ، وغيَّب قبره ، ونقل إلى محل يقال له (نجف) .

فأظهره "هارون الرَّشيد" وبنى عليه عمائر حين وجد وحوشًا تستأنس بذلك المحل ، وتفر إليه ؛ التجاءً من أهل الصَّيد ، فسأل عن سبب ذلك من أهل قرية قريبة هناك ، فأخبره شيخ من القرية ، بأنَّ فيه قبر أمير المؤمنين "على" - رضى الله عنه - مع قبر

---

(١) من أصول التَّواريخ .
(٢) من تاريخ الخلفاء ، السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٤١ ، دلائل النبوة .
والذى عزَّاه: عطاء بن صيفى .
(٣) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ١٥ ، أخرجه: البخارى ، عن: جندب البجلى .

"نوح" ، عليه السَّلام[١] .

* **أوَّل ما ظهر الجدرى:** على "أيوب" - عليه السَّلام[٢] - وعن ابن عباس : "أوَّل ما بدا الجدرى فى زمان أصحاب الفيل ولم يكن قبلها ، أقبلت أبابيل طير من البحر ، مع كلِّ طير ثلاثة أحجار ؛ حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، فرمت بها عليهم ، فهشمت ، ونفضت فى أبدانهم ، فكان الجدرى ، والحصبة ، والأشجار المرَّة بسبب ذلك ، فبعث الله سيلاً ، فذهب بهم ، فألقاهم فى البحر[٣] .

* **أوَّل ما ظهر الباسور فى قوم جالوت:** كانوا قد أخذوا التَّابوت ووضعوه فى مجرى ماء لهم ، فابتلاهم الله تعالى بأمراض "البواصير ، والنَّواسير" ، فردّوا التَّابوت إلى بنى إسرائيل ، فسرى الباسور فى النَّاس بعد ذلك ، كذا ذكروه فى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِه أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ.. ﴾[٤] [البقرة: ٢٤٨].

* **أوَّل طاعون فى الدُّنيا:** أرسل إلى بنى إسرائيل ؛ بسبب الزِّنا ، وهو رجز عوقب به بنو إسرائيل ، جعله الله تعالى كفارة ورحمة ، وشهادة لأمة محمَّد ، ﷺ[٥] .

* **أوَّل طاعون فى الإسلام:** طاعون "عمواس" بالشَّام ، فى زمن "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - سمى بعمواس لأنَّه عمَّ النَّاس من الرِّجال والصِّبيان والنِّساء والحيوان . . والطَّواعين العظام فى الإسلام: خمسة[٦] .

* **أوَّل قبر فى الإسلام ، سمع عنده الهاتف:** قبر سيدنا "عبدالله بن العباس" -

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤١ .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤١ .
أخرجه: ابن عساكر ، عن: مجاهد .
(٣) ذكره أهل التَّفسير . السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤١ .
ابن سعد: "الطَّبقات" ، ج ١ ، ص ٥٦ .
(٤) من تفسير: أبى اللَّيث .
(٥) الأخبار النَّبوية ، والتَّفاسير والتَّواريخ .
(٦) قاله الإمام النَّووى فى الأذكار .
وطاعون عمواس كان سنة ثمان عشرة ، ذكره: ابن قتيبة ، فى المعارف ، ص ٦٠١ ، عن الأصمعى .

رضى الله عنه - بالطّائف ، حين وضعت جنازته ليصلى عليها ، فجاء طائر أبيض حتى وقع على أكفانه ثمَّ دخل فيها ، فالتمس ، فلم يوجد .

فلمَّا سوى عليه التُّراب سمع من يسمع صوته ، ولا يرى شخصه : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1] [الفجر: ٢٧] .

* **أوَّل سرور يدخل من الآخرة على المؤمن**: الموت ، لمَّا يرى من كرامة الله وثوابه ، قال رسول الله ، ﷺ: تحفة المؤمن الموت ، وفى خبر: ريحانة المؤمن الموت ، وفى رواية : غنيمة المؤمن الموت ، وقال فى دعائه ، ﷺ: اللهم حبب الموت لمن يعلم أنّى رسولك[2] .

* **أوَّل طاعون فى الدُّنيا**: الطّاعون الذى أرسله الله تعالى على قوم "فرعون" ، وقالوا لـ "موسى" عند ذلك: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾[3] [الأعراف ١٤٣] .

* **أوَّل من اتَّخذ البيمارستان**: "الوليد بن عبدالملك" ، رحمه الله[4] .

* **أوَّل من أجرى الأرزاق على العميان ، والمرضى ، وقوام المساجد ، وأقام طعمة شهر رمضان**: "الوليد بن عبدالملك" ، جزاه الله خيرًا[5] .

* **أوَّل من علا ، وظهر قبره بظهر الكوفة**: "خبَّاب بن الأرت" ، من الصَّحابة ، كان النَّاس يدفنون موتاهم بالكوفة فى جباناتهم ، فلمَّا دفن خباب ، قال النَّاس: دفن

---

(١) من المستطرف .
(٢) السُّيوطى : بشرى الكئيب بلقاء الحبيب .
(٣) الأعراف: الآية ١٣٤ ، السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٤٢ .
أخرجه: عبدالله بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، عن: سعيد بن جبير .
(٤) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٤٢ .
وانظر: الثَّعالبى: "لطائف المعارف" ، ص ١٨ .
(٥) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٤٢ .

بظهر البلد ، رجل من الصَّحابة ، فدفن النَّاس موتاهم بظهر الكوفة ، وكان "خباب" أوصى ولده ليدفنه بظهر الكوفة ، فهو أوَّل مدفون بالظّهر(١) .

* **أوَّل قبر بأرض مصر:** قبر مصر بن حام ، لمّا نزل وسكن بها بعد الطُّوفان(٢) .

* **أوَّل ما سمي الاجتماع في المصيبة مأتمًا:** كان رجل في زمان "داود" - عليه السَّلام - يعمل الخوص ، فكان يسأله بنو إسرائيل أن يعمل لهم من الخوص شيئًا يكفهم من الشَّمس إذا قاموا إلى الصَّلاة في بيت المقدس ، وأخذ هو وبنوه في عمله .

فكانت بنو إسرائيل تروح وتغدو عليه يسألونه عن ذلك ، فيقول: ما تم بعد ، ولو قد تم دفعته إليكم ، فبينا هو كذلك إذ نزل به الموت ، فجاء بنو إسرائيل ، وهم يظنون أنَّه قد فرغ فوجدوه ميتًا ، فقالوا: ماتم ، فاجتمعوا يبكون عليه ، ويقولون ماتم ؛ فسمي الاجتماع في المصيبة مأتمًا من ذلك الوقت(٣) .

* **أوَّل من جمع العلماء والزُّهاد كلَّ ليلة يتذاكرون الموت:** "عمر بن عبدالعزيز" ، خامس الخلفاء الرَّاشدين ، حتى كان بينهم جنازة ، ولمّا دفن نزل عند دفنه رق مكتوب من السَّماء ، فيه بالنُّور: "بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، أمان لعمر بن عبدالعزيز من النَّار"(٤) .

---

(١) المصدر السَّابق ، ص ٣٢ .
والرِّواية كما أوردها ابن سعد: عن عبدالله بن عبدالله بن الحارث بن نوفل ، قال: سألت عبدالله بن خباب: متى مات أبوك؟ قال: سنة سبع وثلاثين ، وهو يومئذ ابن ثلاث وسبعين سنة . . قال محمَّد بن عمر: وسمعت من يقول: هو أوَّل من قبره "عليّ" بالكوفة ، وصلى عليه منصرفه من صفين . قال: أخبرنا طلق بن غنَّام النَّخعي ، قال: أخبرنا محمَّد بن عكرمة بن قيس بن الأحنف النَّخعي ، عن أبيه ، قال: حدثني ابن الخبَّاب ، قال: كان النَّاس يدفنون موتاهم بالكوفة في جبابينهم . فلمَّا ثقل خباب قال لي: أي بني إذا أنا مت ، فادفني بهذا الظُّهر ، فإنَّك إذا دفنتني بالظّهر . قيل: دفن بالظّهر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فدفن النَّاس موتاهم . فلمَّا مات خباب - رحمه الله - دفن بالظّهر ، فكان أوَّل مدفون بظهر بالكوفة: "خباب" . ابن سعد: "الطّبقات" ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .
(٢) تاريخ مصر ، المسبحي .
(٣) محمَّد بن يزيد الأسلي: الرّهبان ، عن: خالد بن أعين ، عن: ابن السَّماك .
السُّيوطي: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٤٣ .
(٤) ذكره الإمام ، في: المستطرف .

* **أوَّل من أخبر عن وفاته عن أهل الآخرة:** الإمام الوصى "على" - كرَّم الله وجهه- لمَّا ضرب الشَّقى بن ملجم ، أغمى عليه ، ثمَّ أفاق ، فقال: مرحبًا مرحبًا ، الحمد لله الذى صدّقنا وعده وأورثنا الجنَّة ، فقيل له: ما ترى؟ .

فقال: هذا رسول الله ﷺ وأخى جعفر - رضى الله عنه - الطَّيار ، وعمى حمزة المختار ، وأبواب السَّماء مفتحة ، والملائكة ينزلون ، يسلمون على ، ويبشرونى ، وهذه منازلى فى الجنّة ؛ لمثل هذا فليعمل العاملون ، ثمَّ قضى[١] .

* **أوَّل من اهتز العرش بقدومه من الصَّحابة:** "سعد بن معاذ" - رضى الله عنه - لمَّا توفى نزل جبريل - عليه السَّلام - فى جوف اللَّيل ، معتجدًا بعمامة من إستبرق ، فقال: يا محمَّد ، من هذا الذى مات من صحبك؟ فتحت له أبواب السَّماء ، واهتز له العرش ، فقام ﷺ يجر ثوبه مبادرًا ، فوجدوه قد قبض ، رضى الله عنه[٢] .

* **أوَّل ما يكلِّم الميت إذا وضع فى حفرته:** القبر ، يقول: ويحك يا ابن آدم ، ما غرَّك؟ ألم تعلم أنِّى بيت الفتنة ، وبيت الظُّلمة ، وبيت الوحدة؟ ما غرَّك بى إذ كنت تمر بى فردًا فان كان مصلحًا أجاب عنه مجيب القبر ، فيقول: أرأيت أنَّه كان يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فيقول القبر: إنِّى إذا أتحول له روضة خضراء ، ويعود جسده نورًا ، وتصعد روحه إلى عليين ، كما قال سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: ١٨] وجاء فى الحديث الصَّحيح: "القبر روضة من رياض الجنَّة ، أو حفرة من حفر النَّار"[٣] .

* **أوَّل ما يكلِّم الميت فى قبره من معارف الدُّنيا:** أعماله التى مات عليها ، إذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ، ثمَّ أنطقها الله تعالى ، فتقول: أيها العبد المنفرد فى حفرته ، انقطع عنك الأخلاء ، والأهلون ، فلا أنيس لك اليوم عندنا[٤] .

---

(١) تاريخ الخلفاء .
(٢) تاريخ الصَّحابة .
(٣) أخرجه: الغزالى ، فى: "إحياء علوم الدِّين" .
(٤) الغزالى: "إحياء علوم الدِّين" .

* **أوَّل مـن أخـبر عـن عـذاب أهـل النَّار مكاشـفة مـن الصَّحابة :** "عـباس بـن عبدالمطلب" - رضوان الله عليهم - قال : كنت مؤاخيًّا لأبى لهب ، مصاحبًا له ، فلمَّا مات ، وأخبر الله تعالى عنه بما أخبر حزنت عليه ، وأهمنى أمره ، فسألت الله تعالى حولاً كاملاً أن يرينيه فى المنام . قال : فرأيته يلتهب نارًا ، فسألته عن حاله ، فقال : صرت إلى النَّار فى العذاب ، فلا يخفف عنى ، ولا يروح إلا ليلة الاثنين فى كلِّ اللَّيالى والأيام . فقلت : وكيف؟ قال : ولد فى تلك اللَّيلة "محمَّد" ، ﷺ ، فجاءتنى أمه فبشرتنى بولادة آمنة إياه ، ففرحت به ، فعتقت وليدة لى فرحًا به ، فأثابنى الله بذلك ، أن رفَّع عنى العذاب كلَّ ليلة اثنين ببركة قدوم سيد المرسلين[١] .

* **أوَّل من رثى رسول الله ، ﷺ :** "أبو بكر الصِّديق" - رضى الله عنه - بقوله :

لمَّا رأيت نبينا متجندلا ::: ضاقت علىَّ بها بعرضهن الدُّور
فارتاع قلبى عند ذاك لموته ::: والعظم منى ما حييت كسير
يا ليتنى من قبل مهلك صاحبى ::: غيبت فى لحدى علىَّ صخور

* **أوَّل من رثى رسول الله ﷺ من النِّساء :** "عمته صفية" - رضى الله عنها - قالت :

فقدت أرضنا هناك نبيًّا ::: كان يروى النَّبات زكيًّا
خلقًا عاليا، ودينًا كريمًا ::: وصراطًا يهدى الأنام سويا
وسراجًا يعلو الظَّلام منيرًا ::: ونبيًّا مسوَّدا عربيًّا
حازمًا عازمًا كريمًا حليمًا ::: عائذًا بالنَّوال برًّا تقيًّا
إنَّ يومًا أتى عليك ليوم ::: كوِّرت شمسه وكان جليًّا
فعليك السَّلام منا جميعًا ::: دائم الدَّهر بكرة وعشيًّا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث - رضى الله عنه - فقال[٢] :

أرقت فبات ليلى لا يزول ::: وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما ::: أصيب المسلمون به قليل

---

(١) الغزالى : "إحياء علوم الدِّين" .
(٢) المستطرف .

لقـد عظمـت مصـيبتنا وجلّـت ::: عشـية قـيل ، قد مات الرّسـول
وأضـحت أرضـنا ممّـا عـراها ::: تكـاد بـنا جوانـبها تميـل
فقدنـا الوحـى والتّـنزيل فينـا ::: يـروح بـه ويغـدو جـبرئيـل
وذاك أحـق مـا سـالت عليـه ::: نفـوس النّـاس أو كادت تسيـل
نبـيًّا كـان يجلـو الشّك عنّـا ::: بمـا يوحـى إليـه ومـا يقـول
ويهديـنا فـلا نخشـى ضـلالاً ::: علينـا والرُّسـول لـنا دلـيـل
أفـاطم إن جزعـت فـذاك عـذر ::: وإن لم تجـزعى فهـو السّـبيل
فقـبر أبـيك سـيد كلّ قبـر ::: وفـيه سـيد النّـاس الرّسـول

* أوّل من رثى "أبا بكر" الصّديق ، رضى الله عنه : "عمر" - رضى الله عنه - بهذه الأبيات ، حين رجع من دفنه ، بقوله[1]:

ذهـب الذيـن أحـبهـم ::: فعلـيك يـا دنـيا السّـلام
لا تذكـرين العـيش لى ::: فالعـيش بعدهـم حـرام
إنّـى رضـيع رضـا بهـم ::: والطّفـل يؤلمـه الفطـام

* **أوّل من أعطى الاسترجاع عند المصائب من الأمم:** أمة "محمّد" ﷺ ولم يكن الاسترجاع من قبل إلا لهذه الأمة ، خصّها الله تعالى به من دون سائر الأمم ، ولو أعطى ذلك أحد لأعطاه يعقوب - عليه السّلام - ألا ترى أنّه قال: ﴿ **يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ** ﴾ ، ولو عرف الاسترجاع لقاله[2] .

* **أوّل ما أظهر من العشاق نفس الشّوق ، وقتل به لائمًا:** "هارون الرّشيد" ، حين ماتت لـه معشوقة من حظاياه ، وكان قد عشقها ، فحزن ، وجزع إليها ، فقال مضحك لـه كان يسخر به: ما هذا الجزع الشّديد؟ فقال الرّشيد: أما ترى ما ابتليت به؟ ما أحببت أحدًا إلا مات ، فقال: يا أمير المؤمنين أحبنى حتى أموت ، قال: ويحك ليس الحب بالصُّنع ، إنّما هو شئ يقع وتسوقه الأسباب . فقال لـه المضحك: قل يا أمير

---

(١) المستطرف .
(٢) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، هكذا أشار المؤلف ، ولم أجده .
عن: سعيد بن جبير .

المؤمنين ، أنا أحبك ، فقال ذلك ، فحم من ساعته ، فنادى لسان الحال فيه لسلطان العشاق ابن الفارض - رحمه الله - يقول :

رب معـافى واغتـنم نصـحى وإن ::: شـئت أن تهـوى فللـبلوى تهـىّ
كـم قتـيل مـن قبـيل مـا لـه ::: قـودفى حيـنًا مـن كـلّ حـى

* أوّل من تجرَّد ، وعزل نفسه عن الملك والحكم عند الموت ، وتعبَّد بعد تجرّده فى الجبال : هو "شيخ شاه" ، وهو الثّانى من ملوك بنى آدم ، وفى بعض التّواريخ : أنَّ "الاسكندر" أيضاً عزل نفسه عند الموت ، فجرى ذلك سنة فى الملوك ؛ لأنَّ مرتبة الحكم أشد سؤالاً وجوابًا فيما حكموا وعدلوا ، كما ورد فى الخبر عن سيد البشرية ، ﷺ: "كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته" .

* أوّل من انخلع عن ملكه عند مرض موته من الملوك الإسلامية : المأمون بن الرَّشيد - رحمهما الله - مات غازيًّا فى سبيل الله بقرب طوس ، فلمَّا احتضر دعا بجل دابته ، وبسط له عليه الرَّماد ، وتمرَّغ منخلعًا ، منيبًا نائبًا عن الملك ، قائلاً مناجيًّا ربَّه تعالى : يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه ، فقضى من مرتبة العبودية المطلقة[1] .

وسمعت ممن أثق بقوله جرى ذلك الانخلاع عن السَّلطنة عند الموت للسلطان "سليمان غازى" - رحمه الله - حين مات غازيًّا فى سبيل الله فى آخر جهاده بقرب حصن سكتوارانه . نزل عن سرير السّلطنة ، وخلع نفسه عنها ، ومرَّغ وجهه على التُّراب ، قائلاً : إنِّى لست بسلطان ، بل عبد فقير من فقراء المسلمين .

وأنا الفقير راقم الكتاب كنت فى خدمة مولانا وقدوتنا "نور الدِّين" نور الله ، مرقده فى هذا الجهاد .

فأرسل السُّلطان يومًا إلى فقراء الشَّيخ قصيدة مع مجذوب ، يشير فيها أنَّه راى رسول الله ﷺ ودعا له فى رؤياه بحسن الخاتمة ، وبشَّره بأنَّه نصر أمته ، وأيَّد شريعته .

---

١) كذا فى : تاريخ الخلفاء ص ٣١١ .

وكان ذلك قبل وفاته بأيام قلائل ، ورأيته في المنام بعد وفاته في زي الفقراء ، عليه صوف أبيض ، وعمامة المشايخ الخلوتية ، مرسلاً عذبته نحو صدره قباله قلبه ، وهذا سر قوله ، ﷺ : "يحشر المرء على دين خليله" .

وشاهدت على ذيل صفوفه ، حرقة ، فقيل إنَّها حرقة الحكم ؛ لأنَّ في الحكم من أحكام حقوق العباد ما لا ينجبر بالتَّوبة في ظاهر الشَّرع ، والله على كلِّ شئ قدير .

وجرى لي معه في الرُّؤيا ما لا يحكى ، ولا يعبر ، إلا عند أهله ، وهو الولي الفيّاض .

* * * * * * *

الفصل الثامن والعشرون
فى الأوائل المتعلقة بـ: الحدود والجنايات، وما يتعلق بهما

* **أوَّل ذنب وقع فى الأرض:** خطيئة إبليس ؛ أمر أن يسجد لآدم فأبى ، فهو أوَّل من يساق إلى النَّار من الجنّ(١) .

* **أوَّل من يساق إلى النَّار من بنى آدم:** "قابيل" قاتل "هابيل" ، فأوَّل الأشقياء من الإنس "قابيل" ، ومن الجنّ "إبليس" .

وأبو الجن ، هو "الجان" بمنزلة آدم من النَّاس ، خلق الجنَّ قبل الإنس بستين ألف سنة ، فمن عصا من الجنّ كان شيطانًا ؛ أى مبعدًا مطرودًا من رحمة الله(٢) .

* **أوَّل ذنب عُصِىَ الله به من أهل السَّماوات والأرض:** الحسد ، حسد "قابيل" فى الأرض أخاه ، وحسد "إبليس" فى السَّماء "آدم" ؛ عليه السَّلام(٣) .

* **أوَّل خدعة "إبليس":** كان فى السَّماء ، عند أكل الشَّجرة من قبل "حواء" .

* **وأوَّل خدعة فى الأرض:** كان عند حمل حواء حملاً أولاً ، فوسوس إليها "إبليس" أن سميه باسمى كى يكون إنسانًا صالحًا ، إنِّى من الله بمنزلة وقربة ، ذكره أهل التَّفسير(٤) ، فى آخر سورة "الأعراف" عند قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا..** ﴾ (الأعراف: ٧) .

* **أوَّل الحساد:** "إبليس" ، حسد "آدم" - عليه السَّلام - فى الجنَّة ، قال بعض العلماء: أوَّل ذنب عصى الله به فى الأرض والسَّماء "الحسد"(٥) .

* **أوَّل بدء ذنب عُصِىَ الله به:** الكبر ؛ استكبر عدو الله "إبليس" أن يسجد لـ

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٦ .
(٢) ابن العربى: "الفتوحات المكيَّة"
(٣) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٦ .
(٤) ذكر المؤلف أنَّ الآية آخر سورة الأعراف ، وهى فى أوَّلها: الآية رقم (٧) .
(٥) أخرج البيهقى فى: "شعب الإيمان": أوَّل ذنب كان فى السَّماء: الحسد ، انظر: السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٦ .

"آدم" ، عليه السَّلام[١] .

* **أوَّل ذنب عُصِيَ الله به:** الكبر ، والحسد ، والحرص . . جاء في التَّوراة: أمهات الخطايا ثلاث ؛ الكبر ، والحسد ، والحرص[٢] .

* **أوَّل من كفر:** "إبليس" ، وهو حامل لواء الكفر إلى النَّار[٣] .

* **أوَّل من قاس أمر الدِّين برأيه:** "إبليس" ، وهو أوَّل من ستر الحق ، وعاند حكمه[٤] .

* **أوَّل من لَعَنَ "إبليس" ؛** حين طُرِدَ من السَّماء: "جبريل" ، ثم "ميكائيل" ، ثم "إسرافيل" ، ثم "عزرائيل" ، ثم "الملائكة" من جميع النَّواحي ، عليهم السَّلام[٥] .

* **أوَّل يوم حمضت فيه الفواكه ، وملحت المياه ، واغبرت الأرض ، وهربت الوحوش والطُّيور من ابن آدم:** يوم قُتل "هابيل" ، وهو أوَّل مقتول[٦] .

* **أوَّل يوم شربت الأرض الدَّم ، وكان قبل ذلك لا يشرب:** حين قال "آدم" الصَّفي ، عليه السَّلام: "لعن الله أرضًا شربت دم ابني" ، فمن ذلك اليوم ما شربت أرض دمًا ، فهو أوَّل الجنايات من ابن آدم ، فقابيل حامل لواء جنايات أولاد "آدم" - عليه السَّلام - إلى النَّار[٧] .

* **أوَّل ما عُبِدَ غير الله:** الصَّنم الذي سمي "ودّا" بأرض "بابل"[٨] .

* **أوَّل من سن القتل:** قابيل ، حين قتل هابيل ، فكلُّ قاتل يكتب له مثله ؛ لأنَّه

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ٦٦ .أخرجه ابن أبى حاتم ، عن قتادة .
(٢) مصدر سابق ، ٦٦ ، أخرجه أبو نعيم ، فى: "الحلية" ، عن ابن فرقد ، ٣/ ١٩٧ .
(٣) مصدر سابق ، ٦٦ .
(٤) مصدر سابق ، ٦٦ ، وانظر: أبا نعيم: "الحلية" ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .
(٥) تفسير الأصول .
(٦) الدُّميرى: "حياة الحيوان" .
(٧) مصدر سابق .
(٨) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٦ ، أخرجه ابن أبى حاتم ، عن ابى جعفر .

ابتدعه . . قال أهل الحق : من عمل عملاً حسنًا ، أو قبيحًا فعلى المخترع الأوَّل مثله ، يجري منهما فعل إلى يوم القيامة ، والعياذ بالله من البدع والمنكرات[1] .

* أوَّل ما يقضي يوم القيامة : في الدِّماء[2] .

* أوَّل عداوة : وقعت بين أمية ، وبنى هاشم ، حكى فى تواريخ الهاشمية أنَّ "أمية بن عبد شمس" دعا "هاشم بن عبد مناف" إلى المفاخرة ، فقال "هاشم" : أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق ، تنحر بمكة ، فرضى أمية بذلك ، وجعلا بينهما "الخزاعى" الكاهن ، فخبئوا له شيئًا ، وخرجا إليه ، وتبعهما جماعة من قومهما ، قالوا : خبأنا لك خبيئة ، فإن علمتها تحاكمنا إليك ، وإن لم تعلمها ، فإلى غيرك ، لست بعشك فادرجى . فقال : لقد خبأتم لى كيت وكيت . . قالوا : صدقت ، احكم بين "هاشم بن عبد مناف" ، و"أمية بن عبد شمس" أيُّهما أشرف بيتًا ، ونفسًا . . قال : والقمر الباهر ، والكوكب الزَّاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما أهتدى بعلم مسافر ، لقد سبق "هاشم" "أمية" إلى المآثر ، أوَّلاً منه وآخر . فأخذ هاشم الإبل ، فنحرها ، وأطعمها من حضر ، وخرج أمية إلى الشَّام عارًا من ذلك ، وأقام بها عشر سنين ، فقيل : إنَّها أوَّل عداوة وقعت بين "بنى هاشم" و"بني أمية"[3] .

* أوَّل وهن وبلاء تمَّ على هذه الأمة بعد نبيهم : قتل عثمان ، رضى الله عنه ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . . أُخْبِر رسول الله ﷺ بأنَّه شهيد ، وأنَّه يبتلى ، وتفرَّقت الكلمة بعد قتله ، فاقتتلوا للأخذ بثأره ، حتى قتل بسببه من المسلمين تسعون ألفًا[4] .

* أوَّل عداوة أصلية بين "بنى هاشم" ، و"بنى أمية" : ما حكى فى بعض التَّواريخ : أنَّه ولد لعبد مناف : هاشم وأمية فى بطن واحد ؛ ملتصقًا ظهر كلٌّ واحد بظهر الآخر ، ففرَّق بينهما بالسَّيف ، فلم يرتفع السَّيف بينهما ، وبين أولادهما حتى وقع الحرب بين

---

(١) مصدر سابق ، ص ٦٦ ، أخرجه الشَّيخان ، عن ابن مسعود مرفوعًا .
(٢) مصدر سابق ، ص ١٥٢ ، والحديث عند السيوطى - الجامع الصغير ١١٢/١ ورمز له بالصحة .
(٣) كذا فى تاريخ الهاشمية .
(٤) الدَّميرى : "حياة الحيوان" .

أمية ، وهاشم وأولادهما ، كأبى سفيان ، وأبى طالب الهاشمى وعلى ومعاوية الأموى ، والحسين ، والحسن - رضى الله عنهما وعن أبيهما - وكذلك حرب يزيد السُّفيانى ، عليه من الله ما يستحقه[١] .

* **أوَّل من عملت السِّحر ، وبغت ، وجاهرت بالمعاصى ، واستخدمت الشَّياطين فى وجوه السِّحر:** "عناق" بنت آدم - عليه السَّلام - كانت مفرده ، مشوهة الخلق ، لها رأسان ، وفى كلِّ يد عشر أصابع ، ولكلِّ أصبع ظفران كالمنجلين .

ذكر فى الأخبار عن على - رضى الله عنه - قال : كان قد أنزل الله على "آدم" أسماء عظيمة جلالية ، قهرية ، تعظمها الشَّياطين ، وتهاب من ذكرها ، فدفعها "آدم" - عليه السَّلام - إلى حواء لتحترز بها ، فأغفلتها . وسرقتها "عناق" فاستخدمت بها الشَّياطين ، وتكلَّمت بشئ من الكهانة ، فدعا "آدم" - عليه السَّلام - عليها ، وآمنت "حواء" فأرسل الله عليها أسدًا ، فهجم عليها فقتلها ، وذلك بعد ولادتها "عوج" الجبار بسنتين[٢] .

* **أوَّل من صلب ، وقطع الأيدى والأرجل من خلاف:** "فرعون" ، وفى تاريخ المقريزى: أنَّ الفراعنة سبعة ؛ أوَّل الفراعين بمصر: فرعون "إبراهيم الخليل" ، وفرعون: يوسف ، عليه السَّلام ، وفرعون موسى ، عليه السَّلام ؛ واسمه "الوليد بن مصعب" .

والفراعنة من العمالقة ، من ولد "عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، عليه السَّلام ، واسم فرعون "يوسف" ، عليه السَّلام: "الرَّيان بن الوليد" . . وقيل فرعون يوسف - عليه السَّلام - هو جد فرعون موسى ، وإنَّما قيل له فرعون لأنَّه أكثر القتل ، والتَّجبر والعناد . . فمن أراد التَّفصيل فعليه بتاريخ المقريزى[٣] .

---

(١) كذا فى التَّاريخ الهاشمى .

(٢) المستطرف "عن أهل العلم" .

(٣) طبعًا أسماء الفراعنة المذكورة لا تتماشى مع أسماء الفراعنة المذكورة على جدران المعابد ، وفى البرديات . وانظر أيضًا : السُّيوطى : "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٧ .

* **أوَّل من سن الأسر والحبس:** "نمروذ" ، وهو اثنان: الأوَّل ؛ نمروذ الجبار ابن ماش بن ارم بن سام بن نوح ، عليه السَّلام . . الثَّانى ؛ نمروذ بن كنعان ، كان فى عصر إبراهيم ، عليه السَّلام(١) .

* **أوَّل من أظهر مذهب الرَّفض والرَّد على الخلفاء الكرام ، واخترع كلامًا من عند نفسه:** رجل يقال له "عبد الله بن سبأ" ، كان يهوديًا فأظهر الإسلام ، فسار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من النَّاس كلامًا اخترعه من عند نفسه ، فأفتتن به خلق كثير ، وقال على أحق بالخلافة من عثمان ، وهو متعد فى ولايته ما ليس له(٢) .

* **أوَّل من سنَّ الرَّكعتين عند القتل:** "خبيب بن عدى" ، رضى الله عنه(٣) .

* **أوَّل عربى قتل خنقًا:** "عدى بن زيد" ، خنقه "النُّعمان بن المنذر"(٤) .

* **أوَّل مقتول أخذ بثأره من قاتله:** "برويز" ، وهو أنَّه لمَّا أراد "شيرويه" ابنه ، قتل أبيه "برويز" ، قال للداخل عليه القاتل: إنِّى أدلك على شئ فى الخزانة يكون فيه غناك ، فدله على حُقَّه فيها حبات مكتوب عليها: من أكل حبَّه يقدر أن يفض عشرة أبكار ، وكان شيرويه حريصًا مولعًا على الجماع ، فتناول حبه فمات من ساعته(٥) .

* **أوَّل من صلب من الملوك الماضية:** ملك قديم ؛ خامس ملوك مصر بعد عصر الطُّوفان(٦) .

* **أوَّل من صلب رجلاً فى الإسلام:** "الوليد بن عقبة" ؛ صلب ساحرًا

أوَّل من صلب ، وأوَّل من قطع الأيدى والأرجل من خلاف: "فرعون" ، أخرجه: ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس .

وذكر ابن فضل الله ، فى: "المسالك" ، إنَّ أوَّل من صلب: "نديم" ، خامس ملوك مصر بعد الطُّوفان .

(١) مصدر سابق ، ص ٦٧ .

(٢) محاضرة مصر .

(٣) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٦ ، أخرجه ابن سعد ، عن: أبى هريرة .

(٤) مصدر سابق ، ص ٦٦ .

(٥) ذكره صاحب المستطرف ، فى باب الحيل .

(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٦٧ ، عن المسالك لابن فضل الله .

فى الكوفة[1] .

* **أوَّل حد أبطل فى الإسلام:** فى زمن "معاوية" ؛ حين جئ بسارق عنده ، فأمر بقطع يده ، فأنشد السَّارق شعرًا:

يمينى أمير المؤمنين أعيذها ::: بعفوك أن تلقى نكالاً يشينها
فلا خير فى الدُّنيا ، ولا فى نعيمها ::: إذا ما شمالى فارقتها يمينها

فأبطل عنه الحد ، فهو أوَّل حد أبطل فى الإسلام .

وكان "عمر" - رضى الله عنه - نظر إلى "معاوية" ، يقول: هذا "ابن أبى سفيان" كسرى العرب ؛ لأنَّه كان أوَّل من ردَّ قضية من قضايا رسول الله ﷺ حين هجر "أبو سفيان" "زيادا" ، وتبرَّأ منه بأنَّه ابن زنية بما قرّ به وأخاه فى زمن خلافته . . وزياد بن أبيه أوَّل من أساء إساءة تفرّد بشينها بين الأمم فى حق أهل البيت ، رضى الله عنهم .

* **أوَّل مصلوب فى المدينة:** رجل أرسلته قريش لقتل رسول الله ﷺ فأطلع الله تعالى النَّبى ﷺ على ذلك ، فأمر به ، فصلب ، وكان جعل له أواق من الذَّهب إذا قتل رسول الله ﷺ وثبت فى الحديث الصَّحيح: أنَّ رسول الله ﷺ صلب منهم اثنين[2] .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٧ .

وجاء فى الأوَّائل للعسكرى ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

عن المدائنى ، قال يعقوب الشَّروى: إنَّ الوليد بن عقبة ، دخل مسجد الكوفة ، ودعا بساحر يقال له "نطرونى" .فأراهم فيلاً فوق فرس يشتد بهم فى المسجد ، وأراهم ناقة تشتد على حبل ، وحمارا عدا حتى دخل فم "نطرونى" ، ثمَّ خرج من دبره ، ومرَّ رجل فضرب عنقه ، ووقع رأسه جانبًا ، ثمَّ قال للسيف: أقمه ، فأقامه .وأتى "جندب بن كعب الصَّياقلة" ، واخذ من مولى له سيفًا ، اتى المسجد ، فضرب عنق "نطرونى" ، وقال: أحى نفسك .فأراد الوليد قتل جندب ، فقام قومه دونه ، فحبسه ، فلمَّا رأى صاحب السِّجن صلاته ، قال: اذهب حيث شئت ، فقال: أخاف الطَّاغية عليك ، فقال: ما أسعدنى يقتلنى! فانطلق جندب .وبعث الوليد إلى صاحب السِّجن ، فضرب عنقه ، وصلبه فى السَّبخة (أرض لا تصلح للزراعة) ، فكان أوَّل مصلوب فى الإسلام .

❖ وهذه الرِّواية تختلف عن رواية السُّيوطى ، التى نقل منها المؤلف ، مع أنَّ السُّيوطى نقل رواية مكملة لها من العسكرى .

(٢) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٧ ، أخرجه "أبو داود" ، فى: "المراسيل" .

وأخرج ابن أبى شيبة ، عن الحسن نفس الخبر ، ووصله "السِّلفى" ، فى: "الطُّيوريات" من طريق الحسن ، عن عمران بن حصين .

* **أوَّل من صلب من الخلفاء:** أمير المؤمنين "عمر" - رضى الله عنه - حين قتل غلامه وجاريته أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، فأتى عمر بهما ، فصلبهما ، فكانا أوَّل مصلوبين بالمدينة المنورة(١) .

* **أوَّل من بنى السِّجن فى الإسلام:** "على بن أبى طالب" - رضى الله عنه - وكان الخلفاء يحبسون قبله فى الآبار ، وروى : إنَّه حبس أعرابيًّا سارق ، ففرَّ من حبسه ، وأنشد قوله :

ولــو أنِّــى بقيــت بــه إلـيهـم ::: لجــرونى إلى شــيخ بطــين(٢)

* **أوَّل من سن الدِّيَة مائة من الإبل:** "عبد المطلب" ، لما نذر ذبح ولده "عبد الله" ليسهل عليه حفر زمزم ، ثمَّ رمى القرعة ، فوقعت على عبد الله ، وكان له أولاد عشرة ، فكان أوَّل من سن الدِّيَة : كلُّ نفس مائة ، فجرت سنة فى العرب . وأقرها رسول الله ﷺ على ما كانت ؛ ولذا قال رسول الله ، ﷺ: أنا ابن الذَّبيحين ؛ يعنى جده : "إسماعيل" - عليه السَّلام - وأباه : "عبد الله بن عبد المطلب" والمرجو من فضل الله تعالى أنَّهما ماتا على التَّوحيد ؛ لأنَّهما ماتا فى الفترة ، قبل الدعوة(٣) .

* **أوَّل امرأة قطعت يدها فى السَّرقة:** فاطمة بنت الأسود المخزومية ، التى شفع فيها أسامة بن زيد ، فلم يقبل شفاعته فيها ، وغضب ﷺ ونهى أن يشفع أحد بعد الحكم فى الحدود(٤) .

* **أوَّل ما نزل ببنى إسرائيل بسبب ذنوبهم:** هو أنَّ الله تعالى إذا ملَّك عليهم

= وقد ذكر الواقدى ، فى قصة : "القرنين" أنَّهم صلبوا ، وثبت فى صحيح "أبى عوانة" أنَّه صلب منهم اثنان .

(١) ابن سعد : "الطَّبقات" ، ج ١٠ ، ص ٤٢٤
وقد قال عمر بعد قتلها : صدق رسول الله ، كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشَّهيدة .
وانظر : "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦٧ .

(٢) الوسائل ، ص ٦٧ ؛ يقول السُّيوطى : رأيته فى الشَّواهد الكبرى للعينى .

(٣) مصدر سابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ ؛ وكانت الدِّية قبل ذلك عشرًا من الإبل . أما عن إسماعيل فقد كان معاصرا لأبيه "إبراهيم" فكيف يكون قد مات فى الفترة؟

(٤) ابن الأثير: "أسد الغابة" ٢١٨/٧ ، وانظر : السُّيوطى : "الوسائل" ، ص ٦٩ .

ملكًا ، بعث معه نبيًّا يسدده ويرشده ، وكان لهم بعد موسى - عليه السَّلام - ملك صالح معه نبى اسمه : "أشعياء بن أصفياء" قبل "زكريا" و"يحيى" - عليهما السَّلام - فبشرهم بمجيء محمد وعيسى ، صلوات الله وسلامه عليهما . ثمَّ مات ملكهم ، فرج أمرهم ، وعصوا ، وقتل بعضهم بعضًا تنافسًا فى الملك ، ثمَّ حدثت الأحداث ، والذُّنوب بسبب خلافهم لحكم أنبيائهم ، فسلط الله عليهم بختنصر ، فقتل علماءهم ، وأحرق كتبهم ، وخرَّب بيت المقدس ، وملأه بالتُّراب ، وذلك بشؤم ذنوبهم ، واختلافهم ، وجناياتهم فى حكم الشَّرع(١) .

* **أوَّل ما ظهر من الزِّنا:** ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنَّه تلا هذه الآية : ﴿ **وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى..** ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: كان بين "نوح" و"إدريس" ألف سنة ، وأنَّ بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السَّهل ، والآخر يسكن الجبل وكان فى رجال الجبل وجاهه ، وصباحه ، وفى نسائهم دمامة وشراسة وكانت فى نساء السهل صباحة ووجاهة ، وفى رجالهم دمامة وشراسة . فأتى "إبليس" رجلاً من أهل السَّهل فى صورة غلام ، فآجره نفسه ، فكان يخدمه ، واتَّخذ إبليس شبابه ، مثل الذى يزمر فيه الرّعاة ، فجاء فيه بصوت لم يسمع النَّاس مثله ، فبلغ ذلك من حوله ، فانتابوهم يسمعون إليه ، واتَّخذوا عيدًا يجتمعون إليه فى السَّنة . فتبرَّج النِّساء للرجال ، وتبرَّج الرِّجال لهنَّ ، وأنَّ رجلاً من أهل الجبل ، هجم عليهم فى عيدهم ذلك ، فرأى النِّساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه ، وأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهنَّ ، ونزلوا معهنَّ ، فظهرت الفاحشة بينهم ، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ (الأحزاب: ٣٣)(٢) .

* **أوَّل من أحدث الرَّقص:** أصحاب السامرى ؛ لَمَّا أحدث العجل من حلى غرقى

---

(١) تفسير اللَّيث .

(٢) أخرجه ابن جرير ، فى تاريخه ، ج ١ ، ص ١٦٧ .
وأخرج ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم ، والبيهقى ، فى شعب الإيمان ، عن: ابن عباس ، وانظر: السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَائل" ، ص ٦٨ .
والخبر منقول من السُّيوطى ؛ لوجوده مختصرًا عند "ابن دده" .

جنود فرعون ، فقاموا يرقصون حوله(١) .

* **أوَّل غريق طفا ، وخرج على الماء :** "فرعون" ؛ وذلك لمَّا أخبر موسى - عليه السَّلام - قومه بهلاك فرعون وقومه ، فقال بنو إسرائيل : ما مات فرعون ، فأمر الله البحر فألقاه ميتًا على السَّاحل ، وكان أحمر قصيرًا كأنَّه ثور ، فرآه بنو إسرائيل ، فصدَّقوا بموته ، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتًا أبدًا ، فصار عظة للخلق ، وكانت المياه قبل ذلك تقبل الغرقى ، ولا تخرجها(٢) .

* **أوَّل من ألقى العداوة والبغضاء بين النَّصارى :** رجل من اليهود ، يقال له : "بواس" ؛ قال أبو اللَّيث فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء..** ﴾ [المائدة : ١٤] . قال : ألقى بينهم "بواس" العداوة ، فقتل منهم خلق كثير ، جاء إلى بلاد النَّصارى ، فجعل نفسه أعور ، فقال لهم : أتعرفونى؟ . . فقالوا : أنت الذى قتلت منا ، وفعلت ما فعلت . فقال : قد فعلت ذلك كلَّه ، وأنا تائب ؛ لأنِّى رأيت "عيسى ابن مريم" - عليه السَّلام - فى المنام ، نزل من السَّماء فلطم وجهى لطمة فقأ عينى ، وقال لى : ما تريد من قومى؟ . . فتبت ، وإنَّما جئتكم لأكون بين أظهركم ، وأعلمكم شرائع دينكم كما علمنى عيسى فى المنام . فاتَّخذوا له غرفة ، فكانوا يجتمعون عنده ، يأمرهم وينهاهم ، ويفسر لهم الإنجيل بأقوال متشابهة ، ويلبس ، ويشكك الأحكام عليهم ، ففرَّقهم ، وأضلَّهم ، وأوقعهم فى الضَّلال والكفر ، واستحلوا الخمر والخنزير ، وأفسد عقائدهم بأنواع الأهواء والبدع . فقال بعضهم : إنَّ الله ثالث ثلاثة ؛ الله ، والمسيح ، وأمه . . وقال بعضهم : إنَّ الله هو المسيح ابن مريم ، فوقع بينهم القتال . . وهم - أى النَّصارى - ثلاث فرق : نسطورية ، ويعقوبية ، وملكانية . . فأغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة(٣) .

* **أوَّل ما ظهرت المجوسية :** قال "على بن أبى طالب" ، رضى الله عنه : إنَّ المجوس

---

(١) الدَّميرى : "حياة الحيوان" .
(٢) ذكره أهل التَّفسير .
(٣) تفسير أبى اللَّيث .

كانوا أمة لهم كتاب يقرؤنه ، وفيهم ملك شرب الخمر حتى سكر ، فأخذ بيد أخته ، فأخرجها من القرية وأتبعه أربعة رهط ، فوقع عليها ، وهم ينظرون إليه .

فلمَّا أفاق من سكره ، قالت له أخته : إنَّك صنعت كذا وكذا ، وبعض النَّاس ينظرون إليك ، فقال : ما علمت بذلك . . فقالت : إنَّك مقتول إلا أن تطيعنى . . قال : إنِّى مطيعك . . قالت : فاجعل هذا دينا ، وقل هذا دين "آدم" - عليه السَّلام - وقل : حواء من آدم ، وادع النَّاس إليه ، وأعرضهم على السَّيف ، فمن تبعك فدعه ، ومن أبى فاقتله ، ففعل ، فلم يتبعه أحد ، فقاتلهم يومئذ حتى اللَّيل . . فقالت له : إنِّى أرى النَّاس قد اجترؤا علي السَّيف ، وهم على النَّار ركع ، فأوقد لهم النَّار ، ثمَّ أعرضهم عليها ، ففعل ، فهابوا النَّار ، فتابعوه على المجوسية[1] .

* **أوَّل فتنة افتتنت بها العرب ، ومالت إلى المجوسية :** نار ظهرت فى زمان الفترة عند مبعث "خالد بن سنان العبسى" ، وهو نبى الفترة - عليه السَّلام - ذكره رسول الله ﷺ قال : "ذاك نبى أضاعه قومه" .

وذلك أنَّ نارًا ظهرت فى العرب ، فافتتنوا بها ، وكانت تتنقل ، والعرب تتمجس وغلبت عليها المجوسية ، فأخذ "خالد" - عليه السَّلام - هراوة ودخل النَّار ، وهو يقول : "بادى ، بدىّ كلُّ هذا مراد الله تعالى : لأدخلنها وهي تلظى ، ولأخرجن منها وثيابى تندى ، فأطفأها فلمَّا حضرته الوفاة ، قال لأخوته : إذا دفنت فإنَّه سيجيء عانة من حمير يقدمها عير أبتر ، فيضرب قبرى بحافره ، فإذا رأيتم ذلك ، فانبشوا عنى ، فإنِّى سأخرج فأخبركم بجميع ما هو كائن .

فلمَّا مات ، ودفنوه رأوا ما قال ، وأرادوا أن يخرجوه ، فكره ذلك بعضهم ، وقالوا : نخاف أن يسمينا العرب "أبناء المنبوش" ، وأتت ابنة "خالد" إلى النَّبى ﷺ فسمعته يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.. ﴾ [الإخلاص : ١] قالت كأن أبى يقولها[2] .

---

(١) أصول التَّواريخ .

(٢) تاريخ الجوهر الثَّمين .

* **أوَّل ما حُرِّم الخمر:** علي قوم "نوح" - عليه السَّلام - لمَّا غرس الكرمة بعد الطُّوفان ، جاء إبليس ، ونفخ فيها ، فيبست ، فاغتم قوم "نوح" - عليه السَّلام - فقال إبليس: إن أردتم أن تحضر الكرمة ، فدعوني أذبح عليها سبعة أشياء ، فذبح أسدًا ، ودبًا ، ونمرًا ، وابن آوي ، وكلبًا ، وثعلبًا ، وديكًا . وصب دماءها في أصل الكرمة ، فاخضرت من ساعتها استدراجًا ، وحملت سبعة ألوان ، وكانت قبل ذلك لونًا واحدًا ؛ ولأجل ذلك جرى السُّكر في مائه ، وسمِّي بـ "أم الخبائث" ؛ لأنَّه اجتمع من سبعة دماء خبيثة ، ويكون السُّكر أن يتخلق في شربه بأخلاق السِّباع[1] .

* **أوَّل ما ظهر السُّكر في الكرمة:** في عصر أبينا "آدم" - عليه السَّلام - لمَّا غرس الكرمة ، جاء إبليس فذبح "طاووسًا" ، فشربت دمه ، فلمَّا طلعت أوراقها ، ذبح "قردًا" ، فشربت دمه ، فلمَّا انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرًا ، فشربت دمه ، إلي غير ذلك .

فلهذا نجد شارب الخمر في أوَّل ما يشربها يزهو ويتلوَّن كالطَّاووس ، ثمَّ يلعب كالقرد ، ثمَّ يعربد كالأسد الضَّاري ، فإذا انتهي سكره ، انقعص رأسه كما ينقعص الخنزير ، ثمَّ يطلب النَّوم ، وما يفرق بين ما يخرج من دبره أو من فيه[2] .

* **أوَّل من استخرج الخمر:** "خمشيد" الملك ، قبل الطُّوفان قيل: إنَّه توجه مرة إلي الصَّيد ، فرأى في بعض الجبال كرمة وعليها عنب ، فظنَّها من السُّموم ، فأمر بعصرها ، فعصرت ، وتخمرت ، فأحضر رجلاً يستحق القتل ، فسقاة مرارًا ، ولم يحدث فيه إلا السُّرور والطَّرب . فأعجبه ، فأمر بغرسه في البلاد ، فانتشرت في الفرس ، وفشا في العجم في زمان جمشيد ؛ شرب الخمور ، وعبادة الأصنام ؛ لأنَّه اتَّخذ أصنامًا علي شكله حين سكره ، وأرسلها إلي الممالك ؛ ولذا ورد في الخبر النَّبوي: شارب الخمر كعابد الوثن ؛

---

(١) ذكره صاحب حياة الحيوان .

(٢) مصدر سابق .

لأنَّهما توأمان من حيث أنَّهما ظهرا من جمشيد[١] .

* **أوَّل من استخرج الخمر من البلاد السّريانية بعد الطُّوفان:** ملك السُّريان ، وهو الذي كان مشتركًا مع أخيه في الملك ، وذلك لأنَّه رأي يومًا طائرًا قصدت الحية فراخه ، فرماها الملك بالسَّهم فقتلها ، فغاب الطَّائر ، وأتي بعد برهة بثلاث حبات في منقاره ورجليه ورماها بين يدي الملك . فعلم أنَّه قصد مكافأته ، فأمر بغرسها ، فطلعت الكرمة ، وأثمرت ، فأعجبه ، وأمر بعصر العنب ، فعُصر ، فهاب شربه ، فأحضر رجلاً يستحق القتل ، وسقاة مرارًا ، فأحدث فيه السُّرور والنَّشاط ، فطرب ، فشرب الملك ، فسر ، فأمر في البلاد الرُّومية بغرس الكرمة ، فكان أوَّل ظهورها في بلاد الرُّوم .

وسمعت من بعض من يوثق به ، بقوله: إنَّه وجد قبر مرخم في صندوق ، وعند رأسه لوح مكتوب عليه بقلم سرياني: أنا الملك الذي غرست أولاً الكرم في هذا الجبل ؛ أعني الجبل الشَّهير بـ: "أفروشقه" ، بقرب البلدة الشَّهيرة بـ: "متروبجة" في ناحية "أسرم فرجع" من نصارى قلعة "بج" . وعظموا صندوق القبر غاية التَّعظيم ، كأنَّه بمنزلة نبي عندهم ، فأخذوا من حاكم الوقت ذلك اللَّوح ، والصُّندوق برمته ، وبذلوا فيه الأموال ، وهذا الملك المذكور ، مُعَظَّم عندهم[٢] .

* **أوَّل زلزلة كانت في الدُّنيا:** حين قتل قابيل هابيل[٣] .

* **أوَّل زلزلة كانت في الإسلام:** سنة عشرين من الهجرة ، في خلافة "عمر بن الخطاب" - رضي الله عنه - فضرب أمير المؤمنين - رضى الله عنه - الأرض برمحه قائلاً: يا أرض اسكني ، ألم أعدل عليك؟ فسكنت ، فكانت من جملة كرامته ، فظهرت له كرامات أربعة في العناصر الأربعة:

---

(١) كما ذكر فى التَّواريخ .
(٢) من تواريخ النَّصارى .
(٣) أوَائل السُّيوطى (لم أجده) .

- تصرف في عنصرى التُّراب والماء في قصة رسالته إلي نيل مصر .
- وفي الهواء ، في قصة سارية الجبل .
- وفي النَّار ، في قصة احتراق قرية رجل حين كلفه أن يغير اسمه ، فأبى ، وكان اسمه يتعلق بالنَّار كالشِّهاب والقبس والثَّاقب(١) .

* **أوَّل من أتي الرِّجال:** قوم "لوط" - عليه السَّلام - بنص القرآن ؛ يعني من الأناسي(٢) ؛ لأنَّه ورد في الخبر: أوَّل من لاط من الجنِّ: "إبليس" ، وهو رئيس اللائطين ، وحامل لوائهم إلي النَّار ، وذريته أولاد اللِّواطة ، وهي لا تصدر إلاَّ ممَّن شاركه ، وخالطه عرق الإبليسية وعملها العياذ بالله من كيده وفعله ، ولا يعمل حيوان اللِّواطة إلاَّ خنزير وقرد وكلب ، عصمنا الله من ذلك .

* **أوَّل من رجم في الإسلام:** "ماعز" ، جاء إلي رسول الله ﷺ فقال: طهرني يا رسول الله ، فقال: ويحك ، ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، ثمَّ قال له بعد عود الرَّابعة: مم أطهرك ، قال من الزِّنا ، فسأله: أبه جنون؟ . . فقيل: لا . فسأل: أشرب الخمر؟ . . فلم يوجد له ريح ، فقال: أزنيت؟ . . قال ماعز: نعم . . فأمر ، فرجم ، فقال رسول الله ، ﷺ: استغفروا لماعز بن مالك ، لقد تاب توبة لو قسمت علي أمة لوسعتهم(٣) .

* **أوَّل امرأة أحدثت السِّحاق:** ابنة الحسن مع "هند المتجردة" امرأة "النُّعمان بن المنذر"(٤) .

---

(١) ذكر فى: تبصرة الأدلة ، دلائل النُّبوة .

(٢) قال بذلك: "ابن الرِّفعه" ، فى: "الكفاية" .
انظر: السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوَّائل" ، ص ٧٠ ، ٧١: حيث أورد الحديث بهذا النَّص: أوَّل من لاط "إبليس" ، لأ هبط من الجنَّة ، فردا لا زوجة له ، فلاط بنفسه ، فكانت ذريته منه . أ . هـ

(٣) انظر: شرح المصابيح ، السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٩ .

(٤) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٩ ، وانظر: أحمد بن محمَّد بن على اليمنى: "رشد اللَّبيب إلى معاشرة الحبيب" ، وهو مرتب على أربعة عشر بابًا ؛ لأوَّل: فى فضل النِّكاح ، والتَّاسع فى ذكر السِّحاق .

* **أوَّل من ضرب في الخمر بالشَّام:** "وحشي" قاتل حمزة ، رضي الله عنه[١] .

* **أوَّل من جَلَدَ في الخمر ثمانين جلدة:** "عمر" - رضي الله عنه - بمشورة "علي" ، رضي الله عنه[٢] .

* **أوَّل رجل قطعت يده من المسلمين:** رجل من الأنصار ، سرق ، فأتي به إلي رسول الله ﷺ فقال: اذهبوا بصاحبكم فاقطعوه[٣] .

* **أوَّل رجل جلد في القذف:** حسان ، ومسطح[٤] .

* **أوَّل من حرَّم الخمر في الجاهلية:** "الوليد بن المغيرة" ، .وقيل: غيره[٥] ، وهو أوَّل من قطع "اليد" في السَّرقة .

* **أوَّل من قضي بالقسامة:** "الوليد بن المغيرة"[٦] .

---

(١) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٩ ، وذكره ابن سعد ، عن الواقدى ١٤٥/٦ ، ١٤٦ .

(٢) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٩ ، (قال على: إنَّ الرَّجل إذا شرب افترى ، فاجعله حدّ الضرية" ، ثمَّ ضرب أيام عثمان أربعين) العسكرى: "الأوَّائل" ، ص ١٦١ .

(٣) أخرج البيهقى ، فى سننه: إنَّ أوَّل رجل قطع من المسلمين رجل من الأنصار ، سرق .أتى به إلى النَّبى ﷺ فقال: اذهبوا بصاحبكم فاقطعوه ، وكأنَّما أسف وجه النَّبى ﷺ رمادًا .
فقال بعض القوم: كأنَّ هذا شق عليك ، فقال: لا ينبغى أن تكونوا أعوان الشّيطان ، فإنَّه لا ينبغى لولى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه ، والله عفو يحب العفو ، ثمَّ قرأ: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ (النُّور: ٢٢) .
السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٧٠ .

(٤) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٩ .

(٥) السُّيوطى: "الوسائل" ، ص ٦٩ ، (ويقصد بغيره: قيس بن عاصم) .

(٦) السُّيوطى: "الوسائل إلى معرفة الأوّائل" ، ص ٦٨ .
وجاء عند العسكرى: "الأوَّائل" ، ص ٤٦: "ما أخبرنا به أحمد ، قال: أخبرنا أبو عبدالله الجهنى ، قال: كان من حديث "عمرو بن علقمة" ، و"خداش بن عبدالله": أنَّ خداشًا خرج إلى الشَّام ، فى ركب قريش ، واستأجر "عمرو بن علقمة بن عبدالمطلب بن عبدمناف" .فلمَّا كان ببعض الطَّريق نزلوا منزلاً ، وانطلق خداش بظهره يرعاه ، وترك عند "عمرو" ناقة مهزولة ، وأمره أن يعلفها ، وفى عنقها حبل .فمر قوم على "عمرو" فاستعانوه ، وقد شردت إبلهم ، فطرح لهم الحبل الذى فى عنق النَّاقة ، فلمَّا جاء خداش ، قال: أين الحبل؟ فأخبره أنَّه أعاره رجلاً ، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ وقد نزلنا أرضًا لا نجد فيها مستعانًا ، فضربه بعصا فشجه ، فضمن من ضربته (أصابه مرض يجد وجعه الحين بعد الحين) ، وجعل يجد وجعًا كأنَّه ينزل إلى صدره .
كتب "عمرو" كتابًا إلى: أبى طالب ، وأبى سفيان بن حرب ، وبنى عبدمناف ؛ أنَّه كان من أمرى كذا وكذا ، فإن رجع إليكم ولست معه ، فقد قتلنى ، فاطلبوا بدمى .ثمَّ استعرض قومًا فدفعه إليهم ، فبلغوا عبد مناف ، =

* **أوَّل امرأة جلدت في القذف:** "حَمْنة بنت جحش" ؛ جلدت حين جلد "حسان بن ثابت" ، و"مسطح" في مجلس واحد(١) .

* **أوَّل من عاقب في الهجاء:** "عمر" ، رضي الله عنه(٢) .

* **أوَّل من عمل السِّياط:** "ذو أصبح" ، وهو ملك من ملوك حمير ؛ فلذلك قيل للسياط "الأصبحية" ، وهو جد "مالك بن أنس" الإمام المجتهد(٣) .

* **أوَّل من خدَّ الأخدود:** "ذو نواس الحميري" ، من ملوك حمير(٤) .

* **أوَّل من اتَّخذ الدّره وحملها وأدب بها:** "عمر" - رضي الله عنه - ولقد قيل بعده: لدرة عمر أهيب من سيف "الحجاج" ، ثمَّ اتَّخذها "عثمان" أشد من الدّره العمرية ، رضي الله عنه(٥) .

* **أوَّل من عاقب علي الشبهة ، وأخذ بالظّنة:** "زياد بن أبيه"(٦) .

=فلمَّا قدم خداش وليس معه "عمرو" سألوه عنه . . فقال: مات . . فقالوا: كذبت ، بل قتلته . فطلبوا العقل ، فأبى عليهم ، فقال: ما مكث إلا أيامًا حتى مات ، فتحاكموا إلى الوليد بن المغيرة ، وهو يومئذ حكيم قريش ، فقضى على خداش ورهطه بالقسامة: أن يحلف خمسين رجلاً ما قتلنا صاحبكم . فحلفوا كلُّهم إلا حويطب بن العزى ، افتدت أمه يمينه بأربعين أوقية ورقًا ؛ والأوقية أربعون درهمًا ، وكان أكثر قريش ريعًا بمكة ، فهلك الذين حلفوا جميعًا ، وورثهم حويطب . أ . هـ

(١) شرح المصابيح .
هي: حمنة بنت جحش بن رياب ، فقدت في غزوة أحد ؛ أخاها: عبدالله بن جحش ، وخالها: حمزة بن عبدالمطلب ، وزوجها: مصعب بن عمير ، ولم يذكر "ابن سعد" عن حادثة القذف هذه شئ .
انظر: ابن سعد: "الطّبقات" ، ج ١٠ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ - السُّيوطى: "الوسائل" ٦٩ - ابن الأثير: "أسد الغابة" ، ج ٧ ، ص ٦٩ - ابن حجر: "الإصابة" ، ج ٧ ، ص ٥٨٦ .
(٢) الوسائل إلى معرفة الأوَّائل ص٧٠ .
(٣) مصدر سابق ، ص ٧٠ .
(٤) مصدر سابق ، ص ٧٠ .أخرجه ابن أبى الدُّنيا ، فى كتاب الأشراف ، عن الشَّعبى .
(٥) أخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل ، فى: زوائد الزُّهاد" ، قال: كان "عمر" اتَّخذ درة ، فلمَّا كان "عثمان" اتَّخذ درة أشد منها .
قال ابن سعد . . ولقد قيل بعده: لدرة عمر أهيب من سيفكم .
انظر: السُّيوطى: "الأوَّائل" ، ص ٧٠ .
(٦) مصدر سابق ، ص ٧٠ .

* **أوَّل من أخذ الجار بالجار ، والولي بالولي :** "مروان بن الحكم" ، وقيل : "سليمان بن عبدالملك"[١] .

* **أوَّل من حبس الرِّجال مع النِّساء في قيد واحد :** "الحجاج بن يوسف"[٢] .

* **أوَّل من مسخ صورته من بني آدم :** "حام بن نوح" - عليه السَّلام - وسبب ذلك أنَّه كان أبيض ذا شكل حسن ، فانكشفت عورة "نوح" - عليه السَّلام - فضحك سخرية بأبيه ، فدعا عليه أبوه . فهو أوَّل من عقَّ والده ، وعوقب بعقوقه ، فمسخ ، وبدلت صورته واسود ، وهو أبو السّودان ، والظُّلمة ، والفراعنة[٣] .

* **أوَّل من قتل أباه من بني العباس :** "المنتصر بالله" ، وكان أبوه "المتوكل" فيه خير وعدل وسخاء ، فلمَّا قتله رآه في المنام يقول له : ويلك ظلمتني مصيرك إلى النَّار ، لا تمتعت بالخلافة ، فمات مسمومًا بعد ستة أشهر[٤] .

* **أوَّل صاحب دعوة في الامرة الإسلامية قتل :** أبو مسلم الخراساني ، كان السَّفاح يعظمه غاية التَّعظيم ، لَّما دبَّر وفعل من قتل الملوك المروانية ، قيل : كان أصله من العرب ، وقيل : من العجم ، وقيل : من الأكراد التُّركية . قتل ثمانمائة ألف من عساكر بني أمية ، فلمَّا ولي الخلافة المنصور بعد أخيه السَّفاح ، صدرت من أبي مسلم أشياء أوغرت صدر الخلافة ، فلم يزل المنصور يخادعه ويقصد قتله ، حتي أحضره وقتله بالمدائن بإفتاء بعض العلماء بقتله ، كان مميت الدَّولة الأموية ومحي الدَّولة العباسية ، كان فصيحًا شجاعًا عالًما بأمور الحروب ، قيل لعبد الله بن المبارك : أبو مسلم كان خيرًا أم الحجاج؟ قال : كان الحجاج شرًا منه ، ولا خير في واحد منهما[٥] .

* **أوَّل من اغتاب :** إبليس ، اغتاب "آدم" - عليه السَّلام - بقوله : خلقته من

---

(١) مصدر سابق ، ص ٧٠ ، أسنده العسكرى ، عن القبتى .

(٢) مصدر سابق ، ص ٧٠ ، ١٤٣ .

(٣) كذا فى أصول التَّواريخ .

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٣٥١ ، ٣٥٢وهو محمد أبو جعفر ، وقيل أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد .

(٥) حياة الحيوان .

طين ، قاله علي سبيل التَّعبير[١] .

* **أوَّل منجنيق وضع في الدُّنيا:** منجنيق نمروذ - عليه اللَّعنة - رمى منه خليل الله "إبراهيم" إلي النَّار ، حين أشعل النَّار ، ولم يقرب منها أحد ، فجاء إبليس إلي نمروذ فعلمه المنجنيق ، فلمَّا وضعه فيه ليرميه ، جاءه جبريل وقال: ألك حاجة؟ يعني بالخلاص . فقال إبراهيم ، عليه السَّلام: أمَّا إليك فلا ، وأمَّا إلى الله فعلمه بحالي حسبي عن سؤالي ، وجاءت الطُّيور باسطه أجنحتها تلقاءه ، فأعرض متوكلاً علي ربِّه ، فكانت النَّار عليه بردًا وسلامًا ، صلوات الله وسلامه علي نبينا وعليه .

* **أوَّل من لاط:** إبليس ؛ يعني من الجنِّ ، وهو أنَّه لَّما هبط من الجنَّة ، فردا لا زوجة له ، لاط بنفسه ، فكانت ذريته منه ، وقيل: إنَّهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم ، وقيل: أوَّل ذريته منه ، وسائر ذرياته تتوالد .

اختلف العلماء في حقيقة الجنِّ والشَّياطين ؛ قال بعضهم: الجنُّ جنس ، والشَّياطين جنس ، وقال الفخر في تفسيره: إنَّ الشَّياطين قسم من الجنِّ ، وهو الأصح ، ومن كان مؤمنًا ، لا يسمى شيطانًا ، بل يسمى جنًا ، ومن الجنِّ أشرار وأخيار ، والشَّياطين هم الأشرار بمنزلة يأجوج ومأجوج من بنى آدم .

وذكر مجاهد فى تفسيره ، قال: من ذرية إبليس [**الأشر وولهان**] ، وهو موسوس الطَّهارة والصَّلاة والفقه ، [**وأبو مرة ولن تبور**] ، وهو صاحب الأسواق يرفع رايته بكلِّ سوق بين السَّماء والأرض ، [**ونبتر**] وهو صاحب المصائب ، يأمر بضرب الوجوه والدُّعاء والويل والحرث . [**والأعور**] وهو صاحب أبواب الزِّنا ، [**ومنشوط**] وهو صاحب الأخبار يلقيها في أفواه النَّاس ولا يجدون لها أصلا ، [**وداهم**] وهو الذي إذا دخل الرَّجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل وأكل معهم وسكن في داره ، والعياذ بالله[٢] .

---

(١) أوائل السُّيوطي .
(٢) من كنز الأسرار .

* **أوَّل من اتُّهم باللّواطة:** رجل في خلافة عمر - رضي الله عنه - فأمر شباب قريش أن لا يجالسوه ، ولا يسلموا عليه ، ويطرد من مجالس المسلمين(١) .

* **أوَّل ما ظهرت اللّواطة:** بخرا سان ، في صدر الإسلام ، ولم يعرفه أهل الجاهلية من العرب والعجم ، ولا يلوط من الحيوان إلا الخنزير والدُّب ، وهما من الممسوخين ، وكذا اللُّوطي إذا مات غير تائب تمسخ صورته وينقل من مقابر المسلمين . . ورد في الحديث عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ، ﷺ: من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط ، نقله الله إليهم حتي يحشر معهم .

في الصَّحيح : إنَّ أخوف ما أخاف علي أمتي عمل قوم لوط ، وفي الحديث: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به(٢) ، وفي الحديث عن الحسن - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ، ﷺ: عشر خصال عملها قوم لوط بها أهلكوا وتزيدها أمتي بخله إتيان الرِّجال بعضهم بعضا ، ورميهم بالجلاهق والخذف ، ولعبهم بالحمام ، وضرب الدُّفوف ، وشرب الخمور ، وقص اللّحية ، وطول الشَّارب ، والتَّصفير والتَّصفيق ، ولباس الحرير ، وتزيدها أمتي بخله إتيان النِّساء بعضهن بعضا(٣) .

* **أوَّل ما ظهر اللّواط في الإسلام:** حين كثر الغزو في صدر الإسلام ، وطالت غيبة النَّاس عن أهليهم ، وجهد البعوث وسبوا ذراري المشركين ، واتَّخذوهم خدمًا ، وطالت الخلوة بهم ، والصُّحبة لهم ، فطلبوا منهم الفعل القبيح ، فأطاعوهم ، فكان أوَّل ظهوره بخراسان(٤) .

(خاتمة الفصل في أقوال العلماء في حد اللُّوطي)

قال الإمام أبو اللَّيث في تفسيره قوله تعالي: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٠] قال مجاهد في تفسير الآية: لو أنَّ الذي يعمل عمل

(١) أوائل السُّيوطي .
(٢) ذكره: السُّيوطي ، نقلاً عن الأئمة .
(٣) من الجامع الصَّغير .
(٤) أوائل السُّيوطي .

قوم لوط اغتسل بكلّ قطره في الأرض ، مازال نجسًا إلى يوم القيامة .

(فائدة) :

اختلف العلماء في حد اللُّوطي ؛ قال بعضهم يرجم الفاعل والمفعول مطلقًا ، وهو المشهور في الأحاديث ، وبه عمل من الصَّحابة الكرام رجال ؛ منهم : "علي" - رضي الله عنه - قتل الفاعل والمفعول بالتَّنكيس من مرتفع ، وأتبع بالحجارة ، وقال بعضهم : هو كالزِّنا يرجم إن كان محصنًا ، وإن كان غير محصن جلد ، وهو مذهب الشَّافعي ، ومالك ، وجمع كثير .

وعن أبي حنيفة - رضي الله عنه - روايتان : القتل للفاعل والمفعول ، وفي رواية : الحبس والتَّعزير حتي يتوب ، وفي رواية : التَّعزير بالضَّرب الشَّديد ، وهو المشهور عند الفقهاء الحنفية .

وأمَّا نقل اللُّوطي فوارد في الخبر النَّبوي مشهور مشهود في مقابرهم ، ووجدان أكفانهم في بحيرة "لوط" - عليه السَّلام - وسمعت نقل اللُّوطية من حفرتهم ونسخ صورتهم من الثِّقات ؛ منهم شيخي وأستاذي ابن نور الدِّين - قدَّس سره وأفادنا من علومه ومدده - قال :

لقد حفر بعض العلماء في بلدة قلبه قبر رجل شهير باللِّواطة ليصح خبر نقل اللُّوطي تجربة فوجد في قبره جرو كلب ، وأخبرني واحد من أعلام القضاة في بلدة كلبولية ، أنَّه شاهد جرو كلب خرج من قبر لوطي شهير ، ويكفي الخبر النَّبوي في نقل اللُّوطي ، كما مرَّ ذكره ، والعياذ بالله ، من فعل المنكرات .

* * * * * * *

الفصل التّاسع والعشرون
في الأوّائل المتعلقة بضروب الأمثال في الإسلام وقبله

* أوّل من قال مات حتف أنفه: رسول الله ﷺ إذا مات الإنسان من غير قتل ؛ لأنَّ الميت علي فراشه من غير قتل يتنفس حتى ينقص رمقه ، فخص الأنف بذلك ؛ لأنَّه من جهته ينقص الرَّمق[١] .

* أوّل من شبه الفرس بالبحر الّذى: رسول الله ﷺ وتمثل به لجريه إذا كان الفرس لا ينقطع ماؤه ، قاله ﷺ في وصف ركبه[٢] ، قال صاحب البردة فى مدح خيول عسكره ، ﷺ:

يجر بحر خميس فوق سابحة ::: يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

* أوّل من قال البلاء موكل بالمنطق: "أبو بكر الصديق" - رضي الله عنه - وقد روي في حديث مرفوع إلي رسول الله ، ﷺ[٣] .

* أوّل من قال "جعلت فداءك": "علي" ، رضي الله عنه[٤] .

* أوّل من قال "اجعل الشّيء باحًا واحدًا" ؛ أى طريقًا واحدًا: عثمان ، رضي الله عنه[٥] .

* أوّل ما تمثل العرب بالإبل ، وتكلّم به قدوة الفصحاء وسيد البلغاء باتفاق الصّحب ، بعد سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وسلامه: "علي بن أبي طالب" ، ما هكذا يا سعد تورد الإبل ، يضرب مثلاً لمن تكلف أمرًا لا يحسنه .

ومن أمثاله المشهورة: يا إبل عودي إلي مباركك ؛ يضرب مثلاً لمن يفرّ من الشّئ الذي لابدَّ له منه ومنها ، لا في العير ولا في النَّفير ؛ يضرب مثلاً لمن يتعدي طوره ولا

---

(١) مزهر اللُغة ، أوائل السيوطى ١٤١ .
(٢) ذكره في المزهر .
(٣) ذكره السُيوطي في كتبه .
(٤) أوائل السيوطى ١٣٥ .
(٥) مزهر اللغة .

يعرف قدره[١] .

* **أوَّل من قال "مرحبًا" و"أهلاً"** : "سيف بن ذي يزن"[٢] .

* **أوَّل مثل جري في العرب** : قولهم المرأة من المرء ، وكلٌّ أدمي من آدم[٣] .

* **أوَّل من قال "إنَّ الجبان حتفه من فوقه"** : "عمرو بن مامة"[٤] .

* **أوَّل من قال "إليك يساق الحديث"** : "عامر بن صعصعه" ، جمع بنيه ليوصيهم عند موته ، فمكث طويلا لا يتكلَّم ، فاستحثه بنوه ، فقال ذلك[٥] .

* **أوَّل من قال "إذا عز أخوك فهن"** : "هزيل بن هبيرة"[٦] .

* **أوَّل من قال "أكل لحمي ولا أدعه لا آكل"** : "ابن عبد الله الضَّبي" .

* **أوَّل من قال "أنا النَّذير العريان"** : امرأة رقية بن عامر ، حين حبسه المنذر بن ماء السَّماء ، وأرسل إلي قبيلته بجيش ، فأرسلها رقية لتنذرهم ، فقالت لقومها ذلك[٧] .

* **أوَّل من قال "إياك اعني واسمعي يا جارة"** : سهل بن مالك ، نزل علي حارثة بن لأم ، فرأي أخته فشغف بها ، ولم يدر كيف يراسلها ، فجلس بفناء الخباء ، وأنشد :

يا أخت خير البدو والحضارة ::: كيف ترين في فتى فزاره
أصبح يهوي حرة معطارة ::: إياك أعني واسمعي يا جاره

---

(١) حياة الحيوان الكبرى .
(٢) أوَائل السُّيوطي . ١٣٥ - الميداني/ مجمع الأمثال ٣١٩/٢ .
(٣) أوَائل السُّيوطي . ١٣٥ - الميداني/ مجمع الأمثال ١٠/١ ، جاء في جامع الأمثال لأبي علي أحمد بن إسماعيل القحي النحوي ، قال هشام بن الكلبي : أول مثل جرى في العرب قولهم : المرأة من المرء ، وكل أدماء من آدم .
(٤) أوَائل السُّيوطي . ١٣٥ - الميداني/ مجمع الأمثال ١٧/١ .
(٥) أوَائل السُّيوطي . ١٣٥ - الميداني/ مجمع الأمثال ٤٨/١ .
(٦) أوَائل السُّيوطي . ١٣٥ - الميداني/ مجمع الأمثال ٢٢/١ .
(٧) أوَائل السُّيوطي . ١٣٦ - الميداني/ مجمع الأمثال ٤٨/١ .

يريد به غير المخاطب ويسمع من لا يريده سترًا للمقام ، وترغيبًا للمرام[١] .

* **أوّل من قال "إنَّ غدًا للناظرين قريب"** : "قراد بن أخدع"[٢] .

* **أوّل من قال "إنَّ أخاك من واساك"** : "خذيم بن نوفل الهمداني"[٣] .

* **أوّل من قال بعض الشرّ أهون من بعض"** : "طرفة العبد"[٤] .

* **أوّل من قال "الدَّال علي الخير كفاعله"** : "المجنح بن سيف اليربوعي"[٥] .

* **أوّل من قال "تعست العجلة"** : فِند مولي "عائشة بنت سعد بن أبي وقاص" ، أرسلته ليأتيها بنار فوجد قومًا يخرجون إلى مصر ، فخرج معهم ، فأقام بها سنة ، ثمَّ قدم وأخذ نارًا ، وجاء يعدو والنَّار في يده فعثر وتبدد الجمر ، فقال "تعست العجلة" ، وفيه يقول الشَّاعر[٦] :

مـا رأينا لغراب مثلا ::: إذ بعثناه يجي بالمشمله
غير فند أرسلوه قابسا ::: فثوي حولاً وسب العجله

* **أوّل من قال "لا ناقتي فيها ولا جملي"** : "الحرث بن عبادة" ، وفي لامية العجم[٧] :

فيم الإقامة بالزَّوراء لا سكني ::: بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

* **أوّل من قال "التَّثبت نصف العفو"** : رجل دعاه "قتيبة بن مسلم" ؛ ليعاقبه : فقال ذلك ، فصار مثلاً[٨] .

---

(١) أوائل السُّيوطي . ١٣٦ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ٧٠ .
(٢) أوائل السُّيوطي . ١٣٦ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ٧٠ .
(٣) أوائل السُّيوطي . ١٣٦ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ٧٢ .
(٤) أوائل السُّيوطي . ١٣٦ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ٩٤ .
(٥) أوائل السُّيوطي . ١٣٧ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ٢٦٨ .
(٦) أوائل السيوطى . ١٣٦ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ١٣٩ .
(٧) حياة الحيوان .
(٨) أوائل السيوطى . ١٣٧ - الميداني/ مجمع الأمثال ١/ ١٤٣ .

* أوّل من قال "حسبك من الشرّ سماعه": "فاطمة بنت الخرشب الأنمارية"[١] .

* أوّل من قال "ربَّ رمية من غير رام": "الحكم بن عبد يغوث"[٢] .

* أوّل من قال "ربَّ ساع لقاعد وربَّ آكل غير حامد": "النّابغة" ، وقيل: "معاوية بن أبي سفيان"[٣] .

* أوّل من قال "ربَّ أخ لك لم تلده أمك": "لقمان بن عاد"[٤] .

* أوّل من قال "ربَّ أكلة تمنع أكلات": "عامر بن العدوانى"[٥] .

* أوّل من قال "من طلب شيئًا وجد وجد": "عامر" ، أيضًا[٦] .

* أوّل من قال "ربَّ زارع لنفسه حاصده سواه": "عامر" ، أيضًا[٧] .

* أوّل من قال "ربَّ ملوم لا ذنب له": "أكثم بن صيفي" .

* أوّل من قال زوج من عود خير من قعود": بنت ذى الإصبع العداونى[٨] .

* أوّل من قال "زر غبًا تزدد حبًا": "معاذ بن صدم الخزاعى"[٩] .

* أوّل من قال "سمن كلبك يأكلك": "حازم بن المنذر الجماني"[١٠] .

* أوّل ما سمع مصدر فاض: من شريح ، يقال: قاض الميت وهذا أوان فيضه[١١] .

---

(١) أوَائل السُّيوطي . ١٣٧ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/١٩٤ .
(٢) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٢٩٩ .
(٣) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٢٩٩ .
(٤) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٢٩١ .
(٥) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٢٩٧ .
(٦) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٣١٩ .
(٧) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٣١٣ .
(٨) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٣٢٠ .
(٩) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٣٢٢ .
(١٠) أوَائل السُّيوطي . ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١/٣٣٣ .
(١١) مزهر اللُّغة .

* أوّل من قال "اسع بجدك لا بكدك": "حاتم بن عميرة الهمداني"[١].

* أوّل من قال عند الصّباح "يحمد القوم السّري": "خالد بن الوليد"، رضي الله عنه[٢].

* أوّل من قال "غثك خير من ثمين غيرك": "معن بن عطية المذحجي"[٣].

* أوّل من قال "من استرعى الذّئب الغنم فقد ظلم": "أكثم بن صيفي"، قيل: معناه ظلم الغنم باسترعاء الذّئب، وقيل: ظلم الذّئب حين كلّفه ما ليس في طبعه[٤].

* أوّل من قال "كلُّ شاة برجلها معلقة": "وكيع بن سلمة"، الذي ولي أمر مكة بعد جرهم، وبني بمكة صرحًا، (وجعل فيه أمة يقال لها حزورة، وهي اليوم اسم باب من الحرم المكي[٥].

* أوّل من قال "اللّيل أخفي للويل": "سارية بن عويمر"[٦] (العقيلى) فى زمن مروان بن الحكم.

* أوّل من قال "ليس للأمور بصاحب من لم ينظر في العواقب": "ضمرة بن ضمرة"[٧]، فى زمن النعمان بن المنذر، وقيل: بل الصعب بن عمرو النهدى.

* أوّل من قال "المرء بأصغريه أي بالقلب واللّسان": "سعد بن ضمرة"[٨].

* أوّل من قال "تسمع بالمعيدي خير من أن تراه": النعمان بن المنذر، قاله لسعد بن ضمرة، سمع بذكره، فلمّا رآه واقتحمته عينه، قال المثل، فقال له سعد: أبيت

---

(١) أوائل السّيوطي. ١٣٨ - الميدانى/ مجمع الأمثال ٣٤٠/١.
(٢) أوائل السّيوطي. ١٣٩ - الميدانى/ مجمع الأمثال ٣/٢.
(٣) أوائل السّيوطي. ١٣٩ - الميدانى/ مجمع الأمثال ٥٨/٢.
(٤) حياة الحيوان، السيوطى - المزهر ٤٨٩/١ يضرب لمن ولى غير الأمين.
(٥) أوائل السّيوطي. ١٣٩ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١٤٢/٢.
(٦) أوائل السّيوطي. ١٣٩ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١٩٣/٢.
(٧) أوائل السّيوطي. ١٣٩ - الميدانى/ مجمع الأمثال ٢٠٠/٢.
(٨) أوائل السّيوطي. ١٣٩، والاسم (شقة بن ضمرة) الميدانى/ مجمع الأمثال ١٣١/١، ٢٩٤/٢.

اللّعن ، إنَّ الرَّجال ليسوا بجزر يراد منهم الأجسام ، وإنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فذهب مثلاً ، وأعجب المنذر لمّا رأي من عقله وبيانه ، ثمَّ سماه باسم أبيه ، فقال: أنت ضمرة بن ضمرة[١] .

* **أوّل من قال "أنفك منك وإن كان أجدع"** : قنفذ (بن جعونة) المازني[٢] .

* **أوّل من قال "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"** : "جندب بن النّصير ابن عمرو بن تميم" ، وتوارثته العرب بعده علي معني نصرته علي كلِّ حال ، فغيَّر النَّبي ﷺ معناه وأبقي لفظه ، وقال: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ؛ أي: إن يكن ظالمًا ، فاردده عن ظلمه ، وإن يكن مظلومًا فانصره ، وقيل: كيف أنصره ظالمًا ، قال: فاحجزه عن ذلك ، فإنَّ ذلك نصره[٣] .

* **أوّل من قال "لا عطر بعد عروس"** : "أسماء بنت عبد الله" ، رضي الله عنها[٤] .

* **أوّل من قال "لا تعلم اليتيم البكاء"** : "زهير الكلبي"[٥] .

* **أوّل من قال "هلم جرا"** : "عائذ اليشكري"[٦] .

* **أوّل كلمه قالها إبراهيم - عليه السلام - حين ألقي في النّار**: حسبي الله ونعم الوكيل ، وجرت كالمثل عند نزول المحن[٧] .

* **أوّل من قال "الآن حمي الوطيس"** : رسول الله ﷺ عند شدة الحرب ، فجري مثلاً عند كلِّ شدة في الحروب وغيرها ، وهو من أبلغ الأمثال[٨] .

---

(١) ذكره السُّيوطى ، فى: "المزهر" ٤٩٥/١ ، ٤٩٦ .الأوائل ١٣٩ - الميدانى/ مجمع الأمثال ١٢٩/١ .
(٢) أوَائل السُّيوطي . ١٤٠ - الميدانى ، مجمع الأمثال ٢٩٨/٢ .
(٣) ذكره: السُّيوطى ، عن: أنس .الأوائل ١٤٠ ، الميدانى: مجمع الأمثال ٣٣٤/٢ .
(٤) أوَائل السُّيوطي . ١٤٠ ، وصححه (لا مخبأ لعطر بعد عروس) وهى من بنى عذرة ، الميدانى مجمع الأمثال ٢١١/٢ .
(٥) أوَائل السُّيوطي . ١٤٠ وهو زهير بن جناب الكلبى الميدانى/ مجمع الأمثال ٢٣٦/٢ .
(٦) أوَائل السُّيوطي . ١٤٠ وهو عائذ بن يزيد اليشكرى ، الميدانى / مجمع الأمثال ٤٠٢/٢ .
(٧) أوائل السيوطى . ١٤٠ أخرجه ابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمرو .
(٨) أوَائل السُّيوطي . ١٤٠ .

* **أوَّل من قال "لا ينتطح فيه عنزان"**: رسول الله ﷺ قالها حين قتلت عصماء بنت مروان ، كانت تؤذي رسول الله ﷺ فأتاها عمير بن عدي ، في جوف اللَّيل ، فقتلها ، وقال يا رسول الله هل يخشي علي في قتلها شئ ، فكانت هذه الكلمة أوَّل ما سمعت من رسول الله ، ﷺ[1] .

.* **أوَّل من قال "ربَّ عجلة تهب ريثا"** : "مالك بن سنان"[2] .

* **أوَّل من قال "بمثل جارية فلتزن الزَّانية"** : أم الفتاة المذكورة ، المضروب بها المثل ، وذلك أنَّ جارية ابن سليط بن الحرث ، كان أحسن النَّاس وجهًا ، وأمدهم قامة ، وأنَّه أتى سوق عكاظ ، فأبصرته فتاة من خثعم ، فأعجبها . فتلطفت له حتى وقع عليها ، فعلقت منه ، فلمَّا ولدت أقبلت هى وأمها وخالتها تلتمسه بعكاظ ، فلمَّا رأته الفتاة قالت : هذا جارية ، فقالت أمها "بمثل جارية فلتزن الزَّانية" ، فذهب مثلاً في العرب في نسبة الفعل عند وقوعه محله[3] .

* **أوَّل من قال "ما كلُّ بيضاء شحمة ولا كلُّ سوداء تمرة"** : "قيس بن ثعلبة" (بن عكابة) [4] .

* **أوَّل من قال "عند جهينة الخبر اليقين"** : "صخرة بنت عمرو" ، وذلك أنَّ "حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب" ، خرج ومعه رجل من جهينة يقال له "الأخنس" ، فنزل منزلاً ، الجُهَنىُّ إلي الكلابي ، فقتله ، وأخذ ماله ، وكانت أخته صخرة تبكيه في المواسم وتسأل عنه ، فلا تجد من يخبرها . فقال الأخنس فيها شعرًا :

كصخرة اذ تسائل في مراح ::: وفي جرم وعلمها ظُنون
تسائل عن حصين كلّ ركب ::: وعند جهينة الخبر اليقين

قيل : جهينة اسم امرأة ، وقيل : اسم قبيلة ، وقيل : غيره ، وورد في الخبر

---

(١) أوائل السُّيوطي . ١٤١ ، ابن سعد الطبقات ١٨/٢ .
(٢) أوائل السيوطى ١٣٨ . وقائله : مالك بن عوف الشيانى ، وانظر أيضاً الميدانى/ مجمع الأمثال ٢٩٤/١ .
(٣) مزهر السُّيوطى ، فى : الأمثال . ٤٩٩/١ .
(٤) أوائل السُّيوطي . ١٤٠ - الميدانى/ مجمع الأمثال ٢٨١/٢ .

النَّبوي: آخر من يدخل الجنَّة رجل ، يقال له جهينة ، فيقول أهل الجنَّة: عند جهينة الخبر اليقين[١] .

* **أوَّل من قال "ماء لا كصدى ومرعى لا كسعدان":** امرأة "لقيط ابن زرارة" ، في حكاية جرت لها مع زوجها الثَّاني ، حين قال لها يومًا: ماذا استحسنت من لقيط؟ فقالت: كلُّ أموره حسن ، ولكن أحدثك أنَّه خرج يومًا يتصيد ، فلمَّا رجع إليَّ وبقميصه نضح من دماء صيده ، والمسك يتضوَّع من أعطافه ، ورائحة الشَّراب من فيه . فضمني ضمة ، وشمني شمة ، فليتني مت ثمة ، ففعل زوجها مثل ذلك ، وضمها إليه ، وقال: أين أنا من لقيط ، فقالت: ماء لا كصدى ومرعى لا كسعدان .

فأرسلتها مثلاً يضرب لمن تحسَّر علي شئ فاته ، وحصل علي أدنى منه ، وصدى: اسم بئر بقرب المدينة ، من أحلى المياه ماؤه ، وسعدان: اسم نبت من أجل النَّبات ، عند رعاة الإبل[٢] .

* **أوَّل من خوطب بكلمة "حياه الله وبياه":** أخرج السُّيوطي عن بعض الثِّقات قيل: إنَّ آدم - عليه السَّلام - لَّما قتل أحد ابنيه الآخر مكث مائة سنه لا يضحك حزنًا عليه ، فأتى علي رأس المائة "جبريل" ، وقال له: "حياك الله وبياك" .

قوله: "حياك" أعتمدك بالتَّحية ، وقيل: ملكك مرادك ، وقيل: أمر من التَّحية ، وقوله: "بياك" ؛ أى أضحكك ، وقيل: عجَّل لك ما تحب ، وقيل: أصله "بوَّأك" مهموز ، فخفف وقلب ؛ أى: أسكنك منزلاً في الجنَّة ، وهيأك له .

والكلمة المذكورة من الإتباع والمزاوجة ، وقيل: من ضروب الأمثال ، ترسل مثلاً عند إكمال التَّحية[٣] .

* * * * * * *

---

(١) ذكره السُّيوطى ، فى: المزهر . ١/٤٩٨
(٢) من كتاب: "ضروب الأمثال" .
(٣) ذكره: السُّيوطى ، فى شرح: "التَّائبة القارضية" .

الفصل الثلاثون
فى الأوائل المتعلقة بالأبنية والمساكن ومن سكن الممالك والأقاليم، ومن بنى العمائر أولا من أولاد آدم

* أوَّل ما خلق الله: الماء ؛ يعنى من العناصر الأربعة ، فثار منه دخان ، فبنيت منه السَّماوات(١) .

* **أوَّل ما خلق الله من الأزمنة الأربعة**: الشِّتاء ، فجعله باردًا رطبًا ، وخلق الصَّيف حارًا يابسًا ، وخلق الخريف باردًا يابسًا ، **وأوَّل الفصول**: الربيع(٢) .

* **أوَّل بيت**: بنى الكعبة ، كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ..** ﴾ [آل عمران: ٩٦] ، كما مرَّ تفصيله .

* **أوَّل حائط بنى بعد الطُّوفان**: حائط حران ، بدمشق ، ثمَّ بابل ، كما مر فى فصل البدايات .

* **أوَّل مدينة بنيت على وجه الأرض**: مدينة بابل والسوس ، بناهما مهلائيل ، وهو أوَّل من بنى المدن واستخرج المعادن ، فنزل أوَّلاً مع أولاد "شيث" إلى أرض بابل ، وهو الوصى الخامس بعد "آدم" - عليه السَّلام - كما مر تفصيله فى فصل الخلافة .

* **أوَّل من بنى المدائن من الملوك**: "كيومرث" ، وهو أوَّل الملوك ، وأوَّل من اتَّخذ قوانين الملوك من السِّياسات ، وترتيب الجنود والإمارات ، قال الإمام الغزالى فى: "سير الملوك" ، لمَّا كثرت أولاد "آدم" ، اختار منهم اثنين أحدهما "شيث" ، والآخر "كيومرث" ، وأعطاهما أربعين صحيفة من العلوم ليعملا بها . ثمَّ ولى "شيث" حفظ أمور الدِّين والآخرة ، وهو أوَّل ولى لخليفة الله تعالى ، وولى الآخر أمور الدُّنيا والمملكة ، وهو أوَّل ولى عهد بأمور الدُّنيا ، وأوَّل ملك كان ملكه ثلاثين سنة ، وهو الذى بنى مدينة "اصطخروماوند" ، واختلف فيه أهل التَّاريخ اختلافًا كثيرًا ؛ والأصح

---

(١) تبصرة الأدلة .
(٢) تاريخ المقريزى .

الأشهر ما ذكره الغزالى فى سير الملوك .

* **أوَّل من بنى البيوت والقصور ، واتَّخذ الكروم والبساتين ، واستخرج المعادن ، وطهر الجلود السّباعية وغيرها ، ولبس الفراء منها:** الملك المكمل "هوشنج" ، وهو الثَّانى من الملوك ، وقيل : كان نبيًّا من كمال عدله وديانته تسميه العجم بدادى العدل وملك طبقته تسميه بداديان .

وهو أوَّل من استخرج الحديد من الحجر ، واتَّخذ سلاحًا منه ، وقيل : هو الذى بنى مدينة بابل وسوس ، وهو أوَّل ملك نزل عن الملك وانعزل ، وقتل فى متعبده ، وتولى بعده ولى عهده "طهمورث" ، فأطلعه الله على قاتليه ، فأبادهم ، وانتقم منهم ، وبنى مدينة بلخ فى مقامهم(١) .

* **أوَّل من بنى مدائن كثيرة:** "إدريس" - عليه السَّلام - بنى مائة وأربعين مدينة ، وولد "إدريس" - عليه السَّلام - بمصر وخرج وطاف الأرض كلّها ، وبنى المدائن شرقًا وغربًا ، ورجع إلى مصر ، ودعا الخلق إلى الله تعالى ، وأطاعه جميع ملوك الأرض ، فلمَّا عاد إلى مصر أطاعها ملكها . فدبر أمر النِّيل ، وبنى المقياس ، وصعد إلى أوَّل مسيلة ، فهو من دبر أمر النِّيل ، ووزن الماء والأرض ، ورسم التَّعاليم ، وبنى القناطر ، وأصلح بلاد الحبشة والنُّوبة ، وجمع بين أهلها ، ومات "إدريس: " بمصر ، والعامة تظن أن هرمى مصر ؛ أحدهما قبر "شيث" ، والآخر قبر "إدريس" ، والأصح هو قبر "مصر بن بيصر بن حام بن نوح" ، عليه السَّلام(٢) .

* **أوَّل بناء على وجه الأرض:** الصرح ، بناه نمروذ الأكبر بن كوش ابن حام بن نوح بكوش ، من أرض بابل ، وبها إلى عصرنا أثر ذلك ، كأنَّه جبال ، وكان طوله خمسة آلاف ذراع ، بناه بالرُّصاص والحجارة والشَّمع واللّبان ؛ ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان ، فأخرب الله ذلك الصَّرح فى ليلة بصيحة سماوية ، فتبلبلت بها ألسن

---

(١) ذكره : القاضى ، فى تاريخه ، وغيره .

(٢) ذكره : السُّيوطى ، فى : "محاضرة مصر" .

النَّاس ، فسميت أرض بابل ببابل[١] .

* **أوَّل من نقَّب الجبال والرُّخام:** ثمود ، وبنوا ألف مدينة وسبعمائة مدينة ، كلُّها من الحجارة[٢] .

(حكاية عجيبة) :

فى عجائب البلدان ؛ ذكر أهل التَّواريخ : بنى بإقليم بابل سبع مدائن ، وهو إقليم العجائب ، فيه بئر هاروت وماروت ، المدينة الأوَّلى كان فيها تمثال الأرض ، فإذا التوى على الملك بعض أهل مملكته ، أو امتنعوا عن القيام بالخراج قطع أنهارها فى التّمثال .

فلا يطيق أهل تلك النَّاحية سد الماء ، حتى يؤدوا الخراج ، وما لم ينسد فى التِّمثال لم ينسد فى ذلك .

البلد الثَّانية : كان فيها حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم إلى طعامه أتى كلٌّ واحد منهم بما أحب من شراب ، فصبه فى ذلك الحوض ، فاختلطت الأشربة ، فكلٌّ من سقى به كان شرابه الذى جاء به .

الثَّالثة : فيها طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه ، فإن كان حيًّا صوت ، وإن كان ميتًا لم يسمع له صوت .

الرَّابعة : فيها مرآة إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها ، فأبصروه على أى حالة هو فإنَّهم يشاهدونه .

الخامسة فيها أوز من نحاس ، فإذا دخل الغريب صوت الأوز صوتًا يسمعه أهل المدينة .

السَّادسة : فيها قاضيان جالسان على الماء ، فيأتى الخصمان فيمشى المحق على

(١) من تفسير أبى اللَّيث .
(٢) من تفسير الشَّيخ .

الماء ، حتى يجلس مع القاضى ويقع المبطل فى الماء .

السَّابعة : فيها شجرة ضخمة لا تظل إلا ساقها ، فإن جلس تحتها أحد أظلته إلى ألف رجل ، فإذا زادوا على الألف واحدًا ، جلسوا كلُّهم فى الشَّمس .

ومن عجائب البنيان مدينة بقرب حوران ؛ يقال لها : اللُّجاة فيها أكثر من مائة ألف دار . كلُّ دار مبنية من الصَّخر المنحوت ، وفى كلِّ دار بئر كالقلعة الحصينة ، إذا خاف أهل تلك النَّواحى من العدو دخلوا إلى تلك المدينة ، فينزل كلُّ إنسان بجميع خيله وعياله وغنمه وبقره ، فيغلق بابه ، فلا يفتح لحكامه ، وسمتها العرب اللَّجأة ؛ لأنَّهم يلجئون إليها عند الخوف[1] .

* **أوَّل من بنى المدائن من الملوك العباسية :** "أبو جعفر المنصور الثَّانى" ، من خلفائهم ، بنى أربع مدائن على أربع طوالع ؛ يقال إنَّهم لا يخربون أبدًا إلا بخراب الدُّنيا ؛ إحداهن المنصورة بالسِّند ، وبغداد بالعراق ، والمصيصة على بحر الشَّام ، والرَّصافة بأرض الجزيرة[2] .

* **أوَّل من بنى من ملوك الفرس على جبل الفتح حصونًا وقصورًا وأبوابًا :** "كسرى أنوشروان" ، حذرا من استيلاء التُّرك والتَّتار ، ومد سلسلة على الباب الأكبر ، وبنى من خارجه ثلاثمائة وستين قصرًا ، ممَّا يلى أرض الخزر من الأتراك الخافانية المتصلة بقبائلهم إلى سد يأجوج ومأجوج . وكان خراج ملك الرُّوم ينسب إلى الخاقان منذ أربعة آلاف سنة ، فلمَّا ملك الفرس سد طريقهم وقهر أمراءهم فى ممالك الرُّوم ؛ ومنهم بقايا إلى عصرنا هذا ، سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، وهى طائفة شهيرة بالمجر ، وفيهم طوائف متفرقة فى قرى من نواحى بلدة بدون فى هيئة التَّتار . وبعضهم يتكلَّم بلسانهم ، قد صاحبتهم ، وأخذت أخبار تواريخهم عنهم فوجدتها موافقة للتواريخ الإسلامية ، ويقال لجبل الفتح فى زماننا دمورقيو ، دخل منه المرحوم الوزير الأعظم

(١) ذكره : صاحب المستطرف ص ٤٣٢ .
(٢) تاريخ الملوك .

عثمان باشا ابن أوزدمور - رحمه الله - وهو اليوم فى حكم سلاطين العرب والعجم ، بنى عثمان خلّد الله ملكهم ، وهو أوّل من ملك جبل الفتح بعد الاسكندر .

* **أوّل من بنى الطّواحين والدّواليب:** أقليمون الحكيم ، فى عهد "موسى" ، عليه السّلام(١) .

* **أوّل من أجرى العيون والأنهار:** الملك "ذوباد" ، من الفرس(٢) .

* **أوّل من حفر الأنهار:** "دانيال" - عليه السّلام - أمره الله تعالى أن يحفر لعباده ما يستسقون منه ، وينتفعون به ، فكان كلّما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم ، إلى أن حفر دجلة والفرات ، وكانت الملائكة تمده من ورائه .

قال أهل العلم "دانيال" اثنان : الأكبر ، وهو بعد "نوح" ، وهو الذى حفر الأنهار بأمر الجبار ، والأصغر ؛ وهو بعد "أرمياء" - عليه السلام .

ولقمان اثنان : العادى ، وهو فى زمن "هود" - عليه السلام - ولقمان الحكيم وهو فى زمن "داود" - عليه السلام - قال أكثر العلماء : لقمان الحكيم كان نبيًّا ، وقال بعضهم كان رجلاً صالحًا قد تتلمذ لألف نبى ، وعاش ألف سنة .

وإسكندر اثنان ؛ رومى ، وهو صاحب الخضر ، وهو وزيره وابن خالته ، وهو المراد المخاطب بذى القرنين ، وفيه اختلاف كثير ، مرَّ ذكره ، ويونانى ، وهو صاحب أرسطو .

وموسى اثنان ؛ موسى ابن ميشاء ، وهو بعد "يوسف" - عليه السلام - وموسى بن عمران ، وهو صاحب الخضر ، وقاتل فرعون وجنوده(٣) .

* **أوّل من بنى بيت المقدس من الملائكة:** "إسرافيل" ، عليه السلام .

---

(١) من تاريخ الحكماء .
(٢) بهجة التّواريخ .
(٣) ذكره أهل العلم ، من أهل الضّبط كالسُّيوطى ، وغيره .

* **أوَّل من بنى بيت المقدس:** من الملائكة ، بأمر الله تعالى(١) .

* **أوَّل من بنى بيت المقدس بعد الملائكة:** "سام بن نوح" ، وقيل: "داود" ، عليهما السلام(٢) .

* **أوَّل من اختط مدينة القدس وبناها ، وكان ملكًا عليها:** "أفريدون" ، كان مؤمنًا فى دعوة "هود" - عليه السلام - وكان جسيمًا مليحًا ، مقدار سبعة رماح ، وعرض صدره قدر رمح ، وكان من الطَّبقة الأولى الشَّهيرة بطبقة داديان ، كما مر ذكره(٣) .

* **أوَّل مدينة خطت بعد الطُّوفان بمصر:** منف ، وأوَّل من سكن بها بيصر بن سام بن نوح ، عليه السلام(٤) .

* **أوَّل مدينة خطت بعد الطُّوفان:** حران ، ثمَّ دمشق ؛ خطها: "نوح" - عليه السلام - لما هبط من السَّفينة(٥) .

* **أوَّل قرية بنيت على وجه الأرض بعد الطُّوفان:** قرية ثمانين ، بناها "نوح" - عليه السلام - لما طلع من السَّفينة ، وسميت باسم الثَّمانين ؛ الذين كانوا معه فى السَّفينة ، ونسل أولاد "آدم" انتشر من تلك القرية المباركة(٦) .

* **أوَّل مدينة بنيت على عهد الصَّحابة الكرام ، رضى الله عنهم:** البصرة العراقية

---

(١) من : "تاريخ القدس" . ويبدو أنها تكملة للخبر السابق عليها .

(٢) تاريخ القدس .

(٣) تاريخ القدس .

(٤) أوَّائل السُّيوطى . ص١٩ ، والاسم بيصر بن حام بن نوح ، انظر: ابن عبد الحكم/ فتوح مصر ص ١٢ .

(٥) أوَّائل السُّيوطى . ص ١٩ ، وأخرج بن عساكر عن كعب ، قال: أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حران ودمشق ثم بابل ، وأخرج عن خصيف ، قال: لما هبط نوح من السفينة وأشرف من جبل حسمى ، رأى تل حران ، فأتاها ، فخطها ثم أتى دمشق فخطها .

(٦) أوَّائل السُّيوطى . ص١٨ ، قال ياقوت: ثمانين بليدة عند جبل الجودى ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبى فوق الموصل ، كان أول من نزله: نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً ، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فمات الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم . . (معجم البلدان) .

العربيَّة ، وهى مدينة عمرية ، بناها المسلمون فى خلافته ، بإشارته ، رضى الله عنه(١) .

* **أوَّل مدينة مدنت بعد البصرة:** الكوفة العراقية العربيَّة ، مدينة علوية مدَّنها "على" - كرَّم الله وجهه - فى خلافته(٢) .

* **أوَّل وزير بنى المدائن شرقًا وغربًا:** "الحجاج" ، وزير عبد الملك المروانى ، بنى واسط بين البصرة والكوفة ، وبنى مدائن بالهند والعراقين(٣) .

(فائدة) :

قال المؤرخون فى عدد البلدان: جميع مدائن الدُّنيا التى حاطتها التَّواريخ ؛ أربع آلاف مدينة وخمسمائة مدينة وست وخمسون مدينة ، والممالك المشهورة فى المدائن التى ضبطت عدتها فى خلافة المأمون ؛ ثلاثمائة وثلاث وأربعون مملكة ، أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام .

قال أهل الهيئة: يكونْ عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن فى سنة واحدة ، ويكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل ، وستة أشهر نهار ، بعضها حر وبعضها برد ، فسبحان الخالق الحكيم خلَّق كلَّ شئ بقدرته وأتقنه بحكمته .

ورد فى الخبر عنه ﷺ أنَّه قال: ثمانية عشر ألف عالم ، الدُّنيا منها عالم واحد ، وما العمران فى الخراب إلا كخردلة فى كف أحدكم ، وورد فى الخبر أيضًا: أنَّ لله دابة فى مرج من مروجه غامض علمه ، رزقها فى كلٍّ يوم بقدر رزق العالم بأسره(٤) .

* **أوَّل جبل وضع فى الأرض:** أبو قبيس ، ثمَّ مدَّت منه الجبال ، كما مر ذكره .

(فائدة فى خلق الجبال) :

ورد فى الخبر: أنَّ الله لَّما خلق الأرض ماجت واضطربت ، فخلق الجبال وأرساها

---

(١) تاريخ الخلفاء ص١٤٠ .
(٢) تاريخ الخلفاء ص١٤٠ .
(٣) ذكر فى : تاريخ البلدان .
(٤) نقل عن وهب .

بها ، بأن جعلها أوتادًا ، فاستقرت .

ومجموع ما عرف فى العمران والأقاليم السَّبعة من الجبال مائة وثمانية وسبعون جبلاً ؛ فمنها ما هو طوله عشرون فرسخًا ، ومنها ما طوله مائة فرسخ إلى ألف فرسخ ، فأعظم جبال الدُّنيا جبل قاف ، وفيه للمفسرين ستة أقوال ؛ قال ابن عباس ، رضى الله عنهما : إنَّه جبل من زبر جدة خضراء ، وعنه أيضًا : خلق الله جبلاً يقال له قاف محيط بالعالم السُّفلى ، وعروقه متصلة بالصَّخرة التى تحت الأرض . وهى الصخرة التى ذكرها "لقمان" - عليه السلام - حيث قال : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ.. ﴾ [لقمان : ١٦] ، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية فى الأرض ، أمر ذلك الجبل ، وهو اسم ملك موكَّل بالأرض ، اسمه قاف فيحرك ذلك العرق الذى يلى تلك القرية فتزلزل فى الوقت .

وعن مجاهد : هو جبل محيط بالأرض والبحار ، وعن الضَّحاك ، وأنَّه من زمردة خضراء ، وعليه أكناف السَّماء ، كالخيمة المسبلة ، وخضرة السماء منه ، وقال الشيخ الأكبر فى : "الفتوحات المكية" : أنَّ الله تعالى طوَّق الأرض بجبل محيط بالدُّنيا ، وهو من صخرة خضراء ، وطوَّق به حيَّة عظيمة اجتمع رأسها بذنبها .

❖ رأيت من صعد هذا الجبل ، وعاين الحيَّة ، وكلمها ، وكان من الأبدال ، من أصحاب الخطوة ، يقال له "موسى السّوازنى" ، وكان محمولاً ، سئل عن طول الجبل علوًا ، فقال : صليت فى أسفله الضّحى ، وصليت العصر فى أعلاه ، وأنا بهذه المثابة يعنى من اتساع الخطوة ، وكانت الحيَّة ترسل سلامها إلى أبى مدين ، وغيره من أهل الطَّريقة .

* **أوَّل من بنى مقياسًا للنيل بعد "يوسف"** : "سليمان" - عليهما السلام - وقيل : "خصليم" ، من ملوك مصر ، وقيل : "نوح" - عليه السلام - قبلهم بدهر ، فإنَّ نوحًا ولد فى زمن الملك ، "هوصال" من ملوك مصر[1] .

---

(١) أوائل السُّيوطى . ص ١٤٨ وصحة الرواية به : أول من عمل مقياساً لزيادة النيل وقننه على البلاد "خصليم" من=

* **أوَّل من بنى المنائر على طريقة في مغازيه يهتدي بها إذا رجع: أبرهة بن** الحارث ، أحد ملوك حمير ، وسمى لذلك ذو المنائر(١) .

* **أوَّل من طبخ الآجر للبناء:** "هامان"(٢) .

* **أوَّل من سقَّف البيوت بالخشب المنشور:** "أميم" ، وكان ملكًا كبيرًا(٣) .

* **أوَّل مدينة بنيت بعد مكة:** قيل: مصر ، وذكر أئمة التَّواريخ أنَّ "آدم" - عليه السلام - أوصى لابنه "شيث" ، فنزل إلى أرض مصر هو وأولاد أخيه "قابيل" ، فسكن "شيث" فوق الجبل وأسكن أولاد "قابيل" أسفله ؛ ولهذا قيل: مصر أم الدُّنيا وإقليم العجائب ومعدن الغرائب ؛ لأنَّ فيها النِّيل عظيم البركات ، مبارك الغدوات والروحات . وبمصر خمس وثمانين كورة ، وكلُّ كورة ، أى ناحية ، يشقها خليج من النِّيل ، وفى أرض مصر كنوز عظيمة ، غالب أرضها ذهب مدفون ، وقيل: عجائب المعمورة من الدُّنيا كلِّها عشرة ؛ تسعة منها فى أرض مصر . وفيها مدن قديمة وجديدة ؛ كالفسطاط ، وهو اليوم مصر والقاهرة المعزية ، وهى اليوم مقر المسلمين ، ودار المؤمنين ، ومقام السّلطنة ؛ وذلك أنَّه اشتغل الخلفاء العباسية بالدّيلم لفتن قامت ببغداد ، فاشتغلوا عن الدِّيار المصرية قصد المعز العبدى ديار مصر . لكنَّه خاف على ملك المغرب ، فأرسل أميرًا من أمرائه ، يقال له: جوهر القائد ، وأمره إذا ملك الدُّور المصرية أن يبنى له بقرب مصر بلدًا وحصنًا يسكنه ، فجاء جوهر ، وتسلم مصر ، فاختط سور القاهرة ، ورتَّب لها حارات ومحلات للواصلين والمقيمين . وكان حكيمًا منجمًا ، وعمَّر الجامع الأزهر ، وهو أوَّل جامع بنى فى القاهرة ، وذلك سنة إحدى وثلاثمائة ، فجاء المعز من المغرب طالبًا ديار مصر ، فوصل وجلس على سرير ملكها ،

=ملوك مصر قبل "نوح" عليه السلام بدهر فإن نوحا ولد فى زمن الملك "هوصال" . ذكره ابن فضل الله فى المسالك .

(١) أوَائل السُّيوطى . ص١٤٦ .

(٢) أوَائل السُّيوطى . ص١٤٦ أخرجه عبد الرازق فى تفسيره عن قتادة .

(٣) أوَائل السُّيوطى . ص ١٤٦ ذكره ابن دحية فى "التنوير" .

وأطاعه أهلها ، وكان عارفًا بالأمور ، مطلعًا على الأحوال بين النَّاس ، وليس للملوك الفاطمية الشِّيعة الزَّنادقة عند العلماء نسب للعلوية سوى الدّعاوى المزورة الباطلة ، وهم من غلاة الرَّفضة ، ولهم عقائد دهرية ، كما ذكره العلماء فى تاريخ مصر .

* **أوَّل أمر ذى القرنين:** أنه كان غلامًا من الرُّوم أعطى ملكًا ، فسار حتى وصل ساحل البحر من أرض مصر ، فابتنى مدينة يقال لها : الإسكندرية ، فلمَّا فرغ من بنائها ، أتاه ملك ، فعرج به ، فقال : انظر ما تحتك؟ قال : أرى مدائن معها ، هكذا ورد فى الخبر النَّبوى بمعناه ، أخرجه : السُّيوطى ، فى كتبه ، وقال فى محاضراته : إنَّ ذا القرنين لمَّا بنى الإسكندرية رخمَّها بالرُّخام الأبيض ؛ جدرها وأرضها ، وكان لباسهم السّواد والحمرة فلذلك لبس الرُّهبان السَّواد .

وبنيت الإسكندرية فى ثلاثمائة سنة ، ولقد مكثت ستين سنة ، ما يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها ، وكانت تضئ باللَّيل والنَّهار ، وفيها من الأعاجيب ما ليس فى غيرها ، وكان عليها سبعة حصون وسبعة خنادق ، وكانت من أعجب البلدان فى الأرض ، وكان فيها مرآة ترى فيها مراكب البحر من كلِّ جانب ، ويحترز بها من العدو ، كما ذكر فى التَّواريخ .

* **أوَّل من بنى القسطنطينية:** ملك اسمه "قسطنطين" ، وكان بيت المقدس حين رفع "عيسى" - عليه السلام - للروم ، ولمَّا بلغ "قسطنطين" ما فعل بالمسيح ، وكان مؤمنًا به ، ذهب بالجنود ، وأنزل المصلوب المشبه ، وأخذ الخشبة ، فكرَّمها ، وقتل من بنى إسرائيل قتلى كثيرة ، وجلاهم عن فلسطين ؛ ومن هناك كان أصل النَّصرانية فى الرُّوم[١] .

* **أوَّل من بنى القلاع المنيعة ، والحصون الرَّفيعة ، وحفر الخنادق حواليها:** هو "شنج شاه" ، ثمَّ "أفريدون" و"إسكندر" ثمَّ ، وثمَّ ، إلى أن جاء الإسلام ، كما ذكره أهل التواريخ .

---

(١) قاله : الشَّيخ الأكبر ، فى : "مسامرة الخيار" .

* **أوَّل من حفر الخندق حول الحصن ، وتحصَّن عن الأعداء يوم الأحزاب:** رسول الله ﷺ ولذا قيل الفرار ممَّا لا يطاق من سنن سيد المرسلين ، وظهر في حفره معجزة عظيمة وبشرى عميمة ، فإنَّه بدا حجر ، فضربه ﷺ بالمعول ثلاث ضربات . فلمعت وأشرقت فيها مدائن الدُّنيا ، وحصونها ، وقصورها ، وما يفتح إلى يوم القيامة ، وأعطى من خزائن الغيب مفاتيح الفتوحات الكونية ، إلى انقضاء الدُّنيا ، كما ذكر في دلائل النبوة وغيرها .

* **أوَّل من بنى دارًا بالآجر بالمدينة:** "عثمان" - رضي الله عنه - **وبالكوفة:** "عمرو بن حديث" ، وبالبصرة: "يونس بن عبيد الثقفي"[(١)] .

* **أوَّل من بنى المدارس لطلبه العلم ، ورتَّب فيها لهم المعالم من المواجب والأرزاق:** نظام الملك ؛ يعني هو أوَّل من بنى في العراق[(٢)] .

* **أوَّل من بنى خانقاه للصوفية بمصر من الملوك:** "السلطان صلاح الدين بن يوسف" ، ورتَّب للفقراء الواردين أرزاقًا معلومة[(٣)] .

* **أوَّل خانقاه بنيت في الإسلام للصوفية:** زاوية برمله ، وهي بقرب بيت المقدس ، بناها: أمير النَّصارى ، حين استولى الإفرنج على الديار القدسية ؛ وسبب ذلك أنَّه رأى طائفة من الصُّوفية ، وألفت في طريقتهم ، فسأل عنهم: ما هذه الألفة ، والصُّحبة ، والإخوة الخاصة بينكم؟ فقالوا له: الألفة والصُّحبة لله طريقتنا ، فقال لهم: ابني لكم مكانًا لطيفًا تتآلفون فيه ، وتتعبدون . فبنى زاوية برملة من نواحي القدس ووقف عليهم الأوقاف ، فافهم سر قوله ، ﷺ: أنَّ الله ليؤيد هذا الدِّين بالرَّجل الفاجر ، قال شيخ الإسلام: عبد الله الأنصاري ، في مدحها:

خير دار حلَّ فيها خير أرباب الديار ::: وقديمـا وفـق الله خـيارًا للخيـار

---

(١) أوائل السُّيوطي . ص١٤٧ ، انظر نوادر ابن الأعرابي .
(٢) من محاضرة مصر للسيوطي .
(٣) السُّيوطي: "محاضرة مصر" .

وقال أيضًا :

هـــى المعـــالم والأطـــلال والـــدّار ::: دار علـــيها مـــن الأحـــباب آثـــار

والزَّاوية مباركة ، يأوى إليها الأبدال والصُّلحاء ، وتزورها الأولياء ، ويتبركون بها من طبقات الصُّوفية .

* **أوَّل خانقاه بنيت بدار الرِّباط :** فى رباط بدون عند حصن سكتوار - حماه الله إلى يوم القرار - بناه الوزير الأعظم السَّعيد الشَّهيد محمد باشا ، سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، سمعت منه مرة . قال : بنيتها بإشارة السُّلطان سليمان الغازى ، عند مشهده هناك فى رؤياى ، وبإشارة العارف المرشد المكمل الشّيخ : ابن نور الدِّين - قدَّس الله سره - وأشار لى بخدمة الزَّاوية ، وأنا الفقير خادم تراب أقدام الفقراء ، نفعنا الله به ، وبعلومه ، آمين .

* * * * * * *

الفصل الحادى والثلاثون
فى الأوائل المتعلقة بالصيد ومتعلقاته ؛ كالطيور والكلاب والسباع

* **أوَّل من صاد من الملوك ، وعلَّم الكلاب والطُّيور الصَّيد ، واتَّخذ السَّرج وقوانين الملوك:** هو شنج شاة ، وهو القهرمان الأوَّل ، من بنى آدم ، وهو المسمى "بداد" عند الفرس ، وهو تلميذ "إدريس" النبى - عليه السلام - وصاحب دعوته على دينه ، قهر عفاريت الجنِّ ، كان حكيمًا عارفًا بطبائع الأشياء وعلم التَّسخير ، وهو من هرامس الملوك الأول(١) .

* **أوَّل من صاد الطُّيور والشَّواهين بالشُّباك للصيد والتَّعليم:** "طهمورث" ، ثالث ملوك بنى آدم ، وقع فى زمانه وباء عظيم ، وهو أوَّل وباء ظهر فى الأرض على ما قيل ، وكان فى قومه عابدًا ، روحانيًّا ، زاهدًا ، ربانيًّا ، مجاب الدَّعوة ، فمات ، فاتَّخذوا على صورته تمثالاً يتوسلون به عند الحوادث ، فصار بدعة بعدهم ، فهو أوَّل سبب لاتّخاذ الأصنام لمن بعدهم(٢) .

* **أوَّل من اصطاد بالفهد:** "كليب بن وائل" ، **وأوَّل من اشتهر باللعب بها:** "أبو مسلم الخرسانى" ، صاحب دعوة العباسية ، **وأوَّل من حملها ؛ أى الكلاب المعلمة على الخيول فى الأسفار:** "يزيد بن معاوية" ، رضى الله عنه(٣) .

* **أوَّل من صاد بالشَّاهين:** الملك قسطنطين ، وهو أوَّل من بنى القسطنطينية .

وذلك أنَّه قد جعل له الحكماء الشَّواهين مسخرة تظله إذا سار فوق رأسه ، فاتَّفق فى بعض الأيام فى مسيرة أنَّه أنقض شاهين على صيد ، فأخذه ، فأعجب الملك ذلك ، فأمر بتعليمهم ، فصار يتصيد بها ، فهو أوَّل من علمها وصاد بها .

(حكاية لطيفة) :

---

(١) تاريخ الملوك .
(٢) من تاريخ الملوك .
(٣) أوائل السيوطى . ص٩٢ .

حكى أنَّ الرَّشيد خرج ذات يوم للصيد ، فأرسل شاهينا لـه ، فغاب زمنا ، ثمَّ أتى ، وفى فمه سمكة ، فأحضر الرَّشيد العلماء ، وسألهم عن ذلك .

فقال مقاتل : يا أمير المؤمنين روينا عن جدك حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أنَّه قال : إنَّ الجو معمور بأمم مختلفة الخلق ، وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السَّمك ، لها أجنحة ليست بذوات ريش ، فأجاز مقاتلا بجوائز جليلة على ذلك الخبر[١] .

* **أوَّل من صاد بالصَّقر :** "حارثة بن معاوية بن ثور" ، من قريش ؛ وذلك أنَّه وقف على صياد قد نصب شبكة للعصافير ، فانقض صقر على عصفور ، وجعل يأكله ، فأخذه وأدَّبه ، وعلمه ، فبينما هو ذات يوم سائر ، إذ لاحت أرنب ، فطار صقر ، فأخذها ، فازداد "الحارث" إعجابًا ، واتَّخذته العرب بعده للصيد ؛ يصيدون به الأرنب والغزال[٢] .

* **أوَّل من صاد بيؤيؤ :** بهرام جيور ، شاهد يومًا يؤيؤ يطارد طيرًا ، فصاده بالشَّبكة ، وأدبه ، وصاد به[٣] .

* **أوَّل من صاد بالعقاب :** قيصر ، ملك الرُّوم ، وله حكاية مع كسرى العجم ؛ وذلك أنَّ قيصر أهدى لكسرى عقابًا ، وكتب إليه أنَّه يصيد أكثر من كلِّ صقر ، فأمر كسرى أن يصاد بها ، فأعجبته ، ثمَّ طوَّعها ليصيد بها أكثر من الأوَّل ، فوثبت على صبى من حاشيته ، فقتلته .

فقال كسرى : غزانا قيصر فى بلادنا بغير جيش ، وعلم أنَّها حيلة منه ، ثمَّ أهدى له كسرى نمرًا ، وكتب : قد بعثت لك ما يقتل الصَّبى ، وما قرب منه من الوحش ، وكتم عنه ما صنعت العقاب ، فأعجب به قيصر ؛ إذ وافقت صفته ما وصف ، فغفل

(١) من كتاب حياة الحيوان للدميرى .
(٢) حياة الحيوان ، هو الحارث بن معاوية بن ثور الكندى ، أوائل السيوطى ص ٩٢ .
(٣) حياة الحيوان .

عنه يومًا ، فافترس فتى من خاصته ، فقال قيصر: صادنا كسرى ، فإن كنَّا صدناه ، فلا بأس ، هذا بذاك ، فلمَّا بلغ كسرى قال: أنا أبو ساسان[١] .

* **أوَّل من اتَّخذ الكلب للصيد:** هو شنج شاه[٢] .

(فوائد شرعية):

يجوز اتّخاذ الكلب للصيد ، وورد في الحديث الصَّحيح ، عن النَّبي ، ﷺ : إذا أرسلت كلبك ، فاذكر اسم الله . فإن أمسك عليك فأدركته حيًّا ، فاذبحه ، فإن أدركته قتل ولم يأكل منه فكله ، وإن وجدت مع كلبك كلبا آخر فلا تأكله ، فإنَّك لا تدرى أيُّهما قتل ، وإن رميت بسهمك فكل إن شئت ، وإن وجدت غريقًا فى الماء فلا تأكله ، فإنَّك لا تدرى الماء قتله أو سهمك .

(مسائل شرعية):

فى شرائط الصَّيد ذكر فى خلاصة الفتاوى للصيد شروطًا ؛ منها ترك الأكل شرطًا لكون الكلب معلمًا ، إذا ترك الصَّيد ثلاث مرات فقد تعلم ، وفى البازى: لا يشترط ترك الأكل ليصير معلمًا ، بل يكتفى بإجابته عند دعوته

ومنها - أى شروط الصَّيد - أن لا يترك التَّسمية عامدًا ، وأن لا يشتغل بين الإرسال والأخذ بعمل آخر ، ومنها أن يكون معلمًا ، وهو أن يذهب على سنن الإرسال ، وأن لا يأكل منه ، ومنها أن لا يتوارى عن بصره ، وأن لا يقعد عن طلبه حتى يجده . لأنَّه إذا غاب عن بصره ربما يكون موت الصَّيد بسبب آخر ، فلا يحل ، وأمَّا إذا توارى الكلب والصَّيد ، ثمَّ وجده بعد ذلك قد قتله وليس فيه أثر غيره حل أكله إذا لم يترك الطَّلب ، فإن تركه ، ثمَّ طلبه بعد ذلك فوجده لم يحل .

* **أوَّل من ألفه كلب وحرسه:** أبونا "آدم" - عليه السلام - وذلك أنَّه لمَّا أهبط إلى الأرض ، جاء إبليس إلى السّباع فأغراها على "آدم" - عليه السلام - لتؤذيه ، وكان

(١) حياة الحيوان .

(٢) كذا فى: "تاريخ الملوك" .

أشدها الكلب ، فجاء جبريل ، فأمره أن يضع يده على رأسه ، فاطمأن ، وألفه ، فصار ممّن يحرسه ويحرس ولده[١] .

* **أوّل يوم استوحش السِّباع والطُّيور من ابن آدم:** يوم قتل قابيل هابيل ، وقيل: كان قبل ذلك يألف ابن آدم[٢] .

* **أوّل من اتَّخذ الكلب للحراسة:** "نوح" - عليه السلام - قال يا رب أمرتنى أن أصنع الفلك ، وأنا فى صناعته أيامًا ، فيجيئونى باللّيل ، فيفسدون كلَّ ما عملت ، فمتى يتم لى ما أمرتنى به ، وقد طال على أمرى . فأوحى الله إليه: يا نوح ، اتَّخذ كلبًا يحرسك من الكلاب ، ومن ابن آدم ، فاتَّخذ كلبًا ، فكان يعمل بالنَّهار وينام باللّيل ، فإذا جاء قومه ليفسدوا فى اللّيل ينبح الكلب ، فينتبه "نوح" - عليه السلام - فيأخذ الهراوة ، ويثب عليهم ، فيهربون منه[٣] .

* **أوّل من استصحب كلبًا فى سفره:** "مالك بن دينار" ، فى أوَّائل سلوكه ، فقيل له: ما تصنع بهذا؟ فقال: هذا خير من جليس السُّوء .

(فائدة):

اختلف العلماء فى جواز اتّخاذ الكلب لحفظ الدّرب ، والدور على وجهين ؛ أصحهما الجواز للمزارع والماشية والصيد ، لكن يحرم اقتناء كلب الماشية قبل شرائها ، وكذلك كلب الزَّرع والصَّيد لمن لا يزرع ولا يصيد ، فلو خالف واقتنى نقص من عمله كلّ يوم قيراطان .

(فائدة):

قال أبو حنيفة ، وأكثر العلماء ، رحمهم الله تعالى: الكلاب نجسة ؛ المعلمة وغيرها ، صغيرة أو كبيرة ، ويحرَّم بيع الكلاب ، وفى رواية: يجوز غير العقور ،

(١) حياة الحيوان .
(٢) حياة الحيوان .
(٣) من حياة الحيوان . وانظر أوائل السيوطى ص١٤٩ .

ويقتل العقور والمؤذى للمسلمين عند باب داره[١] .

* **أوَّل من صام من الطُّيور يوم عاشوراء:** الصّرد ، كما ورد فى الخبر النَّبوى ، وقيل: إنَّ إبراهيم - عليه السلام - لمَّا سار من الشَّام لبناء البيت ، وكانت السَّكينة معه ، والصّرد دليله على الموضع ، والسّكينة دليله بمقداره ، فلمَّا صار إلى الموضع فى الحرم وقفت السَّكينة بموضع البيت ، ونادت: ابن يا إبراهيم على مقدار ظلى[٢] .

* **أوَّل ما حمل "نوح" - عليه السلام - فى السّفينة:** الدّرة ، وآخر ما حمل: الحمار ، فلمَّا دخل صدره تعلق "إبليس" بذنبه ، فلم يستطيع أن يدخل حتى قال "نوح" ، عليه السلام: ويحك ادخل ، ولو كان معك الشَّيطان ، فلمَّا دخل قال: اخرج عنى يا عدو الله .

قال مالك: بدلاً من أن تحملنى معك ، فكان الشّيطان فى ظهر الفلك ، رواه ابن عباس ، رضى الله عنهما[٣] .

* **أوَّل من صاد بالعقاب:** أهل الغرب ، وهو سيد الطُّيور ؛ كان محتسب "سليمان"- عليه السلام - لأنَّه أشد الطَّير بأسًا ، وأسرعه طيرانًا وبصرًا ، قيل: إنَّه يعيش ألف سنة ، ويقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد ، ويشم الجيف من مسيرة أربعمائة فرسخ .

وفى كتاب "حياة الحيوان": أنَّ "سليمان" - عليه السلام - لَمَّا تفقد الهدهد دعا بالعقاب ، فطار بين السَّماء والأرض ، حتى رأى الدُّنيا كالقصعة ، فرأى الهدهد مقبلاً من اليمن ، وفى المثل: أبصر من عقاب تتغذى بالعراق وتتعشى باليمن ، ويقال له: عنقاء مغرب ؛ لأنَّه يأتى من مكان بعيد[٤] .

---

(١) كذا فى: كتب الفتاوى .
(٢) حياة الحيوان .
(٣) من تفسير أبى اللَّيث .
(٤) حياة الحيوان .

*** أوَّل ما رأى النَّاس من ملك "سليمان" ومعجزاته:** تسخير الطُّيور له ، وتظليلها على جنازة "داود" - عليه السلام - .

عن وهب بن منبه أنَّه قال: لَّما حضر النَّاس جنازته فى يوم صائف ، وكان شيع جنازته أربعون ألف راهب سوى النَّاس . فأدلفهم الحر فخرج "سليمان" - عليه السلام- فنادى فى الطَّير ، فأجابت ، فأظلت النَّاس فصاروا فى الظّل .

وفى الخبر أيضا: لَّما قبض "داود" - عليه السلام - طلعت عليه الشَّمس فى مكانه ، فقال سليمان - عليه السلام - للطيور: أظلى "داود" ، فظللته أولا الصُّقور الطوال الأجنحة ، فكان ذلك أوَّل ما رأوه من ملك سليمان ، وآخر معجزات "داود" ، عليهما السلام .

(فائدة شريفة):

العرب تسمى كلَّ طائر يصيد: صقرًا ، ما خلا النِّسر ، والعقاب ، والصَّقر أحد أنواع الجوارح الأربعة: وهى الصَّقر ، والشَّاهين ، والعقاب ، والبازى ، وتنعت الأربعة بالسّباع ، والضَّوارى ، والكواسر[1] .

*** أوَّل طائر فتن به بعض العرب وعبدوه:** النسر ، وهو سيد الطيور ، كما ورد فى الصحيح عن سيد البشر - صلوات الله عليه وسلامه - أنه قال: لكلِّ شئ سيد ، وسيد الطير النسر .

وفى حياة الحيوان ؛ هو من أطول الطير عمرًا ، يقال إنَّه يعيش ألف سنة ، وفى المثل: أعمر من نسر ، ويقال له: أبو الطير .

عن: وهب بن منبه أنَّ بختنصر مسخ أسدًا ، فكان ملك السّباع . ثمَّ مسخ نسرًا ، فكان ملك الطُّيور ، ثمَّ مسخ ثورًا ، فكان ملك الدَّواب ، وهو فى ذلك كان يعقل عقل الإنسان ، ثمَّ ردَّ الله تعالى روحه ، فدعا إلى توحيد الله ، ثمَّ قتل الأنبياء ،

(١) حياة الحيوان ، للدميرى .

وخرَّب بيت المقدس ، فلم تقبل منه التوبة ، واختلف فى إيمانه أهل الكتاب .

(حكاية عجيبة) :

فى تعبد العرب للنسر قال السُّيوطى ، فى : "مزهر اللُّغة" عند ذكره قبائل العرب نقلاً عن ابن دريد : كانت قبيلة من مراد تعبد نسرًا ، كما عبد بعض ملوك القبط عقابًا ، وذلك أنَّه كان يأتى نسر كلّ عام لقبيلة العرب ، من مراد ، فيضربون له خباء ، ويقترعون كلّ سنة على بنت جميلة يأكل لحمها ، ويشرب خمرًا ، فيخبرهم بعد ذلك من أحكام العام ممَّا جرى لهم وعليهم . فجاء النِّسر المعهود على رأس العام ، فأقرعوا بين فتياتهم ، فوقعت القرعة على بنت رجل ذى مال ، فقيل له : نفدى بنتك بفلانة اليتيمة التى مات أبوها ، وكانت أمها همدانية ، ففى ليلة فدائها جاء خالها[1] زائرًا من همدان ، فرأى أخته كئيبة حزينة ، تنوح وتعزى نفسها بشعر . فلمَّا سمع خالها كشف عن حالتها ، فأخبرته ، فقال الهمدانى لأخته ليلة فدائها : لا تمنعى ابنتك ، فجاؤا ، فأخذوها إلى خباء النِّسر بعد المغرب ، فأخذ خالها قوسه ، وكان فتى راميًّا ، واختفى فى جانب الخباء . فلمَّا هجم النِّسر على البنت رماه بسهم ، فأصاب كبده ، فخر النِّسر صريعًا ، فأخذ ابنة أخته وأركبها خلفه على ناقته وسار ليلاً ، فقطع وطوى بلاد مراد إلى الصَّباح ، ونجا ، فلمَّا أصبح مراد ، نظروا النِّسر صريعًا قتيلاً ، فصاحوا وناحوا عليه ، وهجموا بالقتال إلى قبيلة الهمدانى بسببه . فاقتتلوا قرونًا ، فكان هذا أوَّل حرب جرى بين مراد وهمدان حتى حجز الإسلام بينهما ومنعهما الخلفاء الإسلامية من القتال والحكاية بتمامها[2] .

* * * * * * *

---

(١) هو "عمرو بن خالد بن الحصين" ، أو "عمرو بن الحصين بن خالد" .

(٢) السُّيوطى : "مزهر اللُّغة" ١/١٦٤ ، والحديث عن عبادة بن حصين الهمدانى .

الفصل الثَّانى والثَّلاثون
فى الأوَّائل المتعلقة بالغناء والحداء، وما يتعلق بهما

* **أوَّل من وضع علم الموسيقى وأصول الألحان:** فيثاغورث الهرمس ، أدرك بالقوة الذهنية حركات الأفلاك ، فاستمع الأصوات ، ورتَّب الألحان الثَّمانية بحسب الأدوار الفلكية وأصواتها(١) .

* **أوَّل من وضع العود بالغناء:** لامك بن فائن بن آدم - عليه السلام - وبكى به على والده ، ويقال: إنَّ صانعه بطليموس الحكيم ، صاحب الموسيقى(٢) .

* **أوَّل من غنى فى العرب:** قينتان للنعمان ، يقال لهما : الجرادتان ، ومن غنائهما حين حبس الله عنهم المطر :

ألا يا قيل ويحك قم فهيتم ::: لعلَّ الله يصبحنا غماما(٣)

* **أوَّل من غنى فى الإسلام الغناء الرَّقيق:** طويس ، وكان أصله من اليمن ، وهو الذى علم الغناء ابن شريح ، وقيل: أوَّل من تغنى جرادة (جارية) بن جدعان ، وقيل: غيره أخذه من أهل الفرس(٤) أيام ابن الزُّبير ، وكانوا يبنون المسجد الحرام ويتغنون بالفارسية فقلبه بالعربية ابن سريج ، وفاق الناس بالغناء(٥) .

* **أوَّل من غنى الغناء العربى:** طويس ، وكان يكنى أبا عبد الرحيم ، كان اسمه طاوس ، فلما تخنث صغروه ، وضرب به المثل فى المدينة المشرفة بالشآمة ، فيقال: أشام من طويس . وهو أوَّل من اتخذ الرمل ، كان يقول لنفسه: أنا طاوس الجحيم ، أنا أشأم من يمشى على ظهر الحطيم ؛ يعنى على

---

(١) تاريخ الحكماء .
(٢) بهجة التَّواريخ .
(٣) ذكره: صاحب المستطرف ، ص ١٤٤ .
(٤) ، (٥) أوَائل السُّيوطى .هو سعيد بن مسجح ص١٤٥ ، والمستطرف ٤٤١ ، وابن شريح ، جاء فى المستطرف (ابن سريج) .

ظهر الأرض ، وله مناقب متعلقة بالشآمة[(١)] .

* أوَّل صوت غنى به فى الإسلام: كان يغنى به طويس :

قـــد بـــرانى الشـــوق حـــتى ::: كـــدت مـــن وجـــدى أذوب[(٢)]

* أوَّل من تغنى على وجه الأرض: إبليس ، ثمَّ زمر بعد الغناء ، ثمَّ حدا ، ثمَّ ناح[(٣)] .

* أوَّل من اتخذ المغانى ، وتغنى له من الملوك: نمرود[(٤)] .

* أوَّل من اتخذ المغانى والندامى فى مجالس الخمر: يزيد المروانى ، من ملوك الجبابرة[(٥)] .

* أوَّل من تغنى من الأنصار على الطنبور فى الإسلام: رجل بالكوفة ، يقال له أحمد بن أمامة الكوفى[(٦)] .

* أوَّل من دوَّن الغناء والرمل للمخنثين: طويس المذكور ، وقيل: رجل يقال له يونس الكاتب[(٧)] .

* أوَّل من وضع الآلة المعروفة للغناء ، المسماة بالقانون ورتبها: أبو نصر الفارابى ، أستاذ ابن سينا[(٨)] .

* أوَّل من وضع آلات أرغنون: سورطيس الحكيم ، كانت تسمع من

---

(١) أوائل السُّيوطى . ص١٣٤ .

(٢) أوائل السُّيوطى . ص١٣٤ .

(٣) أوائل السُّيوطى . ص ١٤٤ ، أورده فى "الفردوس" عن "على" .

(٤) أوائل السُّيوطى ١٤٤ .

(٥) أوائل السُّيوطى .

(٦) أوائل السُّيوطى . ١٤٥ وصحة الرواية (أول من غنى الأنصاب على الطنبور فى الإسلام رجل يقال له "أحمد بن أسامة النصيبى" من أهل الكوفة ، فى زمن ابن الأشعث وهو أن يكون النشيد من عدة أبيات ، ولا يكون إلا على طنبور .

(٧) أوائل السُّيوطى . ص ١٣٤ .

(٨) أوائل السُّيوطى . ص ١٤٥ ، واسمه "محمد بن محمد بن طرخان .

ستين فرسخا[١] .

* **أوّل من ضرب بالعود على الغناء العربى بمكة :** ابن سريج ، أخذه من العجم الذين أقدمهم ابن الزبير ؛ لبناء المسجد الحرام[٢] .

* **أوّل من ضرب بالدف :** كلثوم أخت "موسى" - عليه السلام - لما جاوز البحر[٣] .

* **أوّل من ضرب بالدف عند ظهور الإسلام بالمدينة المنورة :** الجوارى من بنى النجار ، استقبلوا رسول الله ﷺ بالدفوف ، يتغنين ، ويضربن بها ، وهن يرتجزن

نحن جوار من بنى النجار ::: يا حبذا محمدا من جار[٤]

* **أوّل غناء تغنت به النساء والصبيان فى المدينة :** عند قدوم رسول الله ﷺ بشعر لطيف ، وهو :

طلع البدر علينا ::: من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ::: ما دعا لله داع[٥]

* **أوّل من جعل للمغنين مراتب :** هارون الرشيد[٦] .

* **أوّل من أفسد الغناء القديم ، وجعل للناس طريقا جديداً رقيقا بالأصوات الحزينة :** إبراهيم بن المهدى[٧] .

* **أوّل من تغنى من العرب الحجازية :** خزيمة بن سعد ، ويلقب بالمصطلق ؛ لحسن صوته فى غنائه[٨] .

---

(١) بهجة التواريخ .
(٢) أوائل السيوطى . ص١٤٥ ، هو عبد الله بن سريج .
(٣) كذا ذكره السيوطى - رحمه الله - نقلاً عن جابر ، رضى الله عنه "فى الفردوس" ص ١٤٥ .
(٤) كذا ذكره السيوطى ، وغيره .
(٥) تاريخ المدينة ، الأبشبهى/ المستطرف ص ٤٣٧ .
(٦) أوائل السيوطى . ص١٤٥ ، قاله الصولى .
(٧) أوائل السيوطى . ص١٤٥ .
(٨) أوائل السيوطى ص ١٤٤ ذكره فى "القاموس" .

* **أوّل من أحدث الحداء:** غلام من مضر ، روى عن ابن عباس ، رضى الله عنهما : كان رسول الله ﷺ فى مضر ، فسمع صوت حاد يحدو ، فقال رسول الله ﷺ : ميلوا بنا إليه ، فقال : ممن القوم؟ قالوا : من مضر .

فقال رسول الله ، ﷺ : أتدرون متى كان الحداء؟ قالوا : لا بأبينا (أنت) وأمنا ، فقال رسول الله ، ﷺ : إنَّ آباكم مضر خرج فى طلب مال له ، فوجد غلامه قد تفرقت إبله ، فضربه على يده بالعصا . فعدا الغلام فى الوادى ، وهو يصيح : وا يداه ، وا يداه ، فسمعت الإبل صوته ، فعطفت عليه واجتمعت ، فقال مضر : لو اشتق من هذا الكلام مثل هذا لكان كلاما يجتمع عليه الإبل ، فاشتق الحداء من ذلك[1] .

كان سلام الحادى من العرب فى الدولة العباسية يضرب المثل بحدائه . فقال يوما للمنصور : يا أمير المؤمنين مر الجمالين بأن يظمؤا الإبل ، ثمَّ يوردوها الماء ، فإنى آخذ فى الحداء ، فترفع رؤسها ، وتترك الشراب ، ففعلوا ما قال ، فأجرى ما التزم ، وارتجز[2] :

ألا يا بانة الحادى ::: بشاطئ نهر بغداد
شجانى فيك صياح ::: طروب فوق مياد
يذكرنى ترنمه ::: ترنم ربة الوادى
إذا سوّت مثالثها ::: فلا تذكر أخا الهادى
وإن جادت بنغمتها ::: فمن انجشة الحادى

* **أوّل من اشتهر بالحداء فى الإسلام:** رجل يقال له : أنجشة الحادى ، يضرب به ، المثل ويهلك الإبل بحسن صوته ، كان يحدو فى زمن الرسول ﷺ وفى الخبر : عن مجاهد أنَّ رسول الله ﷺ لقى قوما ، فيهم حاد يحدو ، فقال : ممن القوم؟

قالوا : من مضر ، فقال رسول الله ، ﷺ : وأنا من مضر ، قال : أى العرب حدا أولا؟ قالوا : إنَّ رجلا منا ، وسموه له ، عزب عن إبله فى الربيع ، فبعث غلاما له

---

(١) ، (٢) المستطرف ص ٤٣٦ .

مع الإبل ، فأبطأ ، فضربه بعصا على يده ، فانطلق الغلام يقول : وا يداه ، وا يداه ، وقال : هبيبا هبيبا . فتحركت الإبل لذلك ، فسارت وانبسطت ، ففتح الناس الحداء ، قال أهل الطب : إنَّ الصوت الحسن يسرى فى الجسم والعروق ، فيصفو الدم ، وتنمو له النفس وترتاح الرُّوح ، وتهتز الجوارح ، وتخف الحركات بالسماع(١) ، ويعلل به المريض ، ويشغله عن التفكير ؛ فمن ثم أخذت العرب الغناء - كما مر - وكانت ملوك الفرس تلهى المحزون بالسماع .

(خاتمة الفصل فى الأقوال فى الغناء)

قال بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ١] هو الصوت الحسن(٢) ، وذكر بعضهم قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥] أى يلتذون بالسماع فيها ، قال الأوزاعى وغيره : إذا أخذ أهل الجنة فى السماع ، لم يبق شجرة فى الجنة إلا غنت .

ورد فى الخبر : ليس فى خلق الله تعالى أحسن صوتا من إسرافيل ، فإذا أخذ فى السماع قطع على أهل السماوات صلاتهم وتسبيحهم ، وقال رجل : يا رسول الله ، حبب إلى الصوت الحسن ، فهل فى الجنة صوت حسن؟ فقال : إى والذى نفسى بيده ، إنَّ الله تعالى ليوحى إلى شجرة فى الجنة أن أسمعي عبادى الذين اشتغلوا بعبادتى عن عزف البرابط والمزامير ، فترفع صوتا لم يسمع الخلائق مثله من تسبيح الرب وتقديسه .

وقال أعرابي : يا رسول الله ، هل فى الجنة من سماع؟ فقال ، عليه السلام : نعم يا أعرابى ، إنَّ فى الجنة لنهرا على حافتيه الأبكار من كلِّ هيفاء بيضاء خمصانة ، فيتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط .

فلذلك هو أفضل نعيم أهل الجنة ، وفى الخبر أنَّ فى الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة ، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش ، فتقع فى تلك الأشجار ، فتتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا .

---

(١) ، (٢) الأبشيهى / المستطرف ص ٤٣٦ .

وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه : لأهل الجنة سماع من شجرة أصلها من ذهب ، وثمرها اللؤلؤ والزبرجد ، يبعث الله ريحا فتحرك بعضها بصوت ما سمع أحد صوتا أحسن منه ، ذكره الإمام الثعلبي فى تفسيره .

وقال "مالك بن دينار" : بلغنا فى الخبر أنَّ الله تعالى يقيم "داود" - عليه السلام - يوم القيامة عند ساق العرش ، فيقول : يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الرخيم .

وقيل فى الخبر : إنَّ "داود" - عليه السلام - كان يخرج إلى صحراء بيت المقدس يوما فى الأسبوع ويجتمع الخلق ، فيقرأ الزبور بالقراءة الرخيمة ، وكانت له جاريتان موصوفتان بالقوّة والشدة ، فكانا يضبطان جسده ضبطا خفيفا ؛ خيفة أن تنخلع أوصاله ، مما كان ينتحب . وكانت الوحوش والطيور تجتمع ؛ لاستماع قراءته[1] .

وقال ﷺ لأبى موسى الأشعرى ، لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود .

وكان السلف يستمعون ويحضرون مجالس الغناء ، قال رجل للحسن البصري ، رحمه الله : ما تقول فى الغناء؟ فقال الشيخ : نعم العون على طاعة الله ؛ يصل الرجل به رحمه ، ويواسى به صديقه[2] .

وكان أبو يوسف القاضى ، صاحب أبى حنيفة ، يحضر مجلس الرشيد ، وفيه الغناء ، فيجعل مكان السرور بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة ، وقد تحن القلوب والأرواح إلى حسن الصوت ، حتى الطير والبهائم .

وقيل : النحل والإبل أطرب الحيوان إلى الغناء ؛ لأنهما يجتمعان بصفير الغناء ، قال أفلاطون : من حزن واغتم ، فليسمع الأصوات الحسنة ، فإنَّ النفس إذا حزنت

---

(١) مصدر سابق ص ١٦٤ .

(٢) تكملة الخبر من "المستطرف" ص٤٣٨ : (قال ليس عن هذا أسألك . قال : وعم سألتنى؟ قال : أن يغنى الرجل . قال : وكيف يغنى؟ فجعل الرجل يلوى شدقيه ، ويفتح منخريه ، فقال الحسن : والله يا ابن أخى ، ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبداً ، فلم ينكر الحسن إلا تشويه وجهه ، وتعويج فمه .

خمدت نارها ، فإذا سمعت ما يطربها ويسرها ، اشتعل منها ما خمد .

الصيادون يصيدون الفيل والغزال بالسماع وآلات الطرب والملاهى تلهيها عن رعيها ، وتسهو عن الرعى والهرب ، حتى تؤخذ وتصاد ، وكذلك السماكون بالنواحى يصطادون السمك بأصوات شجية ، وكذلك يصيدون كثيرا من الطيور ؛ لما فى الغناء من الجذبة السارية الشاغلة .

واختلف العلماء قديما وحديثا فى الغناء ؛ فأجازه عامة أهل الحجاز ، وكره عامة أهل العراق ، ولكلّ مقاصد ومحامل حسنة وغيرها ، كاختلافهم فى الأشعار ؛ حسنها أحسن وقبيحها قبيح بحسب المقاصد والمجالس ، وأهاليها من أرباب الأحوال وأهل الأهواء ، كما ذكره الغزالى والنووي بتفصيله فى كتبهما .

وفقنا الله بفضله إلى الشرع القويم ، والصراط المستقيم ، وعصمنا من طرق الهوى وأهله ومضلات الفتن ومحلها ، آمين ، اللهم آمين ، بجاه سيد المرسلين ، ﷺ.

* * * * * * *

الفصل الثَّالث والثَّلاثون
فــى أوَّائــل الحــرف والصَّنائـــع

وقد مرت منها أخبار متفرقة ، فى الفصول فلنذكر منها أشياء مشهورة وأصولا مجهولة عند أكثر الناس ؛ لأنها من أصول هذا الفن والخلق ، وأهل الحرف ملتفتون إلى أوائل الحرف والصنائع ، وفيه أغاليط الناس فى نسبتهم بعض الصنائع إلى غير أهاليها .

ولأهل الحرف أسئلة عن أوائلها ويؤدى التفاضل بينهم تارة للقتال والمنازعة فى التقدم ويزعمون أن من لم يعرف مقتداه يعنى ببره بالتركى لا يحل كسبه ، وأكثرهم لا يشعرون من حيث ينتسبون ، وينسبون إلى من ليس أهله ، ولا شيخه كأهل الدباغة لهم نسبة صناعية إلى رجل حادث يقال له أخى أودن ، وهو قريب العهد منا ، كان فى الدولة العثمانية رجلا صالحا يعمل الدباغة .

وهو غلط فاحش ؛ لأنَّ صنعة الدباغة منسوبة إلى تلميذ "إدريس" - عليه السلام - أعنى هو "شنج شاه" ثانى ملوك بنى آدم ، كان حكيما إلهيا ، ملكا عادلا ، مؤمنا ، وفى التواريخ أيضًا : صنعة الدباغة منسوبة "لطالوت" ؛ كان ملكا زمان "داود" - عليه السلام - مؤمنا مجاهدا ، كان فى أوَّل أمره دباغا يعمل الأدم ، فبعثه الله ملكا لبنى إسرائيل ، فصنعة الدباغة والفراء منسوبتان إلى ملكين ؛ أعنى هوشنج وطالوت .

لكن المشهور عن شنج هو عمل الفراء مما يلبس من جلود السباع ، كالثعلب والذئب وغيرهما ، فكان إمام الفرائين ، وطالوت إمام الدباغين ، وفى حرفه الدباغة فضيلة ظاهرة لنسبتها إلى الملكين العظيمين ، حيث كانا فى صحبه النبوة ، ولأنَّ أشد احتياج بنى آدم إلى الطهارة فى اللباس ومنافعهم .

(مسئلة شريفة) :

قيل فى ترجيح الحرف : إنَّ أفضل الحرف بعد العلم والجهاد ، حرفه الزراعة ، ثمَّ الخياطة ، ثمَّ الدباغة ، ثمَّ الحلاقة ، ثمَّ التجارة ، قيل : كلُّ حرفة تنسب إلى رسول أو نبى فهى أفضل من غيرها ؛ من حيث الصنائع ، فالفضل للمتقدم .

وقيل: كلُّ حرفه لها فضلة أخروية فهى أفضل ، وكلُّ صنعه يحتاج إليها فى أمر الدين وإقامة ركنه كالزراعة والخياطة ؛ لأنَّ التغذى ، وسترالعورة من أمور الدين ، وإقامة ركنه ، فأى حرفة أشد احتياجا إليها فى أمر الدين والدنيا فهى أحرى وأولى من أختها .

(قاعدة كلية) :

اعلم أنَّ كلَّ حرفه يحتاج إليها الإنسان فى أمر المعاد والمعاش شرعا ، وعادة بشرية لازمة ؛ كالزراعة والخياطة والكتابة وغيرهما ، ففيها فضيلة لتعليمها وتعلمها ، كما ورد فى الحديث: خير الحرف للرجال الخياطة ، وللنساء الغزل .

(تنبيه) :

أقول فى معرفة المقتدى به فوائد ؛ إذ لابدَّ من معرفة كلّ صنعه وحرفه ممن صدرت ، وبمن يقتدى به من نبى أو حكيم ، أو ملك مؤمن ، أو ولى ، أو صالح ؛ ليحصل الاطمئنان لطالبها ، وتزيد رغبته فيها ، وأما الحرف التى صدرت عن حكماء المجوس وملوكهم ؛ كجمشيد ، ونمروذ . ففى معرفة أوليتها فوائد ؛ منها تنفير القلوب عنها كالحرف الدنيوية المحرمة شرعا ، لا يحل الكسب بها كاتخاذ آلات اللهو والطرب والمزامير ونقوش الصور وأسباب آلات اللعب وأمثالها مما لا يتعلق بالجهاد ، لا يحل تعليمها ، والكسب بها حرام ، كما صرح به الفقهاء .

وأما الحرف الشريفة ؛ كاتخاذ السرج ، واللجام ، والقوس ، والسهم ، فنسبتها إلى جمشيد ونمروذ من أغاليط العوام ؛ لأنَّ "إدريس" - عليه السلام - أوَّل من اتخذ السرج ، واللجام ، والسيف ، والقوس ، والسهم ، ولكن ينسب القوس إلى "إبراهيم" ، والسهم إلى "إسماعيل" ، عليهما السلام .

(فائدة جليلة) :

أخرج الإمام عبد الرحمن السيوطى فى "أصول اللغة" ، نقلا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]

قال: علمه في تلك الأسماء ألف حرفة ، مما يحتاج أولاده إليها ، كما علمه الألسن كلها من العربية والسريانية والعبرانية وغيرها .

ورد في الخبر: علمه سبعين ألف لسان ، وعين أسماء الأشياء بأنواع الألسن ؛ فكلُّ شئ سماه آدم فهو اسمه إلى يوم القيامة ، وكان يدعو كلّ شئ باسمه ، وهو يمر بين يديه ، فعلمت الملائكة أنَّه أكرم الخلق على الله تعالى ، فتفرقت الألسن والحرف في أولاده ؛ توقيفا منه ، فكلّ أخذ عن الأب الأكبر بحسب الاستعداد للكمالات الآدمية إلى يوم القيامة ، فبقيت الحرف قرنا بعد قرن ، وبطنا بعد بطن من أولاده . فنسبت كلّ حرفه إلى من بدت منه ، وتعينت على يده ؛ كالكتابة والخياطة على يد "إدريس" - عليه السلام - .

والقاعدة الكلية أن تنسب كلّ حرفة عند عدم الشعور بأول واضعها إلى آدم الصفي - عليه السلام - ولا يجوز الانتساب بالحرفة إلى خلاف الملة الاسلامية كجمشيد وغيره .

وإن كان يجوز أخذ الحرفة من الكافر عند الضرورة مما يحتاج إليه بنو آدم ، فإن كانت الحرفة مباحة في أمر المعاش ، ولم يعرف من التاريخ على التحقيق واضعها الأول ، فالانتساب بها إلى أبي البشر آدم الصفي - عليه السلام - لأنَّه ثبت أنَّ الحق علمه بتعليم الأسماء ألف حرفة من المقتدى بهذا الاعتبار ؛ لأنَّه أصل كلّ كمال ، ومعدن حقائق الكون والأحوال ، وهو أوَّل خليفة ظهر بالكمالات الكلية في الأكوان فلحيفظ ذلك ، والله الموفق .

*** أوَّل من ظهر وأنشأ آلات الصنائع ، وألهم معرفة حقائق الأشياء وخواصها ، وأسماءها بجميع اللغات ، وأسماء أصول العلم وقوانين الصناعات البشرية التي يعوَّل عند أهاليها إلى يوم القيامة:** "آدم" - عليه السلام - لأنَّه نزل من الجنة ، ومعه الإبرة ، والمطرقة ، والسندان ، والكلبتين[1] .

---

(١) ذكره الشَّيخ ، في تفسير سورة "الحديد" .

* **أوَّل من حل لـه الارتزاق بمال الغنائم في سبيل الله :** سيدنا ورسولنا محمد ﷺ لأنَّ الغنيمة في الجهاد ما حلت لأحد قبله ، وثبت عنه ﷺ أنَّه قال : "لكلِّ أحد حرفة ، وحرفتي اثنتان ؛ الفقر والجهاد ، فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني" ، وفي الحديث الشريف : "فضيلة عظيمة للمجاهدين في سبيل الله ، والفقراء الصابرين في عبادة الله ؛ لأن المغفرة والجهاد حرفة سيد المرسلين - صلوات الله وسلامه عليه - فهو إمامهم ومقتداهم في حرفتهم ، وكفاهم ذلك بين الأنام شرفا .

* **أوَّل ما أظهر الله الخلق من حضرة الكمون العلمي إلى حضرة المثال الكوني :** حين أخرجهم من ظهر "آدم" - عليه السلام - في عالم الذرة أظهر وعرض عليهم جميع الصنائع الدنيوية والحرف البشرية إلى يوم القيامة ، فخيرهم فيها ، فاختار كلّ إنسان صنعة بحسب استعداده وقابليته . فلما أبداهم إلى الوجود في الدنيا أجرى على لسان كلّ أحد ويده ما اختار لنفسه من الحرف في عالم الأرواح ، فوقع التعارف والتناكر بين الأرواح ، والتعليم بين الأرواح ، فأخذ كلّ روح من جنسه ما يلائم استعداده من الكمالات الآدمية عند التعارف الأزلي الروحاني ، فانفردت طائفة بين الأرواح لم تختر شيئا . فقيل لها من حضرة الغيب الروحاني : اختاري ، فقالت : يا ربنا ما أعجبنا شئ من تلك الحرف التي شاهدناها فنختاره ، فأظهر لهم تعالى ، وتقدّس مقامات العبودية وكمالات العبادات ، فقالت الأرواح : قد اخترنا يا مولانا خدمتك ، فناداهم الحق جل جلاله ، وعم نواله : ياعبادي وعزتي وجلالي لأشفعنكم غدا فيمن عرفكم وأحبكم وخدمكم .

وقال ﷺ: "اتخذوا عند الفقراء أيادي ، فإنَّ لهم دولة يوم القيامة" ، أخرجه السيوطي في جامعه ، عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وفيهم أنشدوا :

تشاغل قوم بدنياهم ::: وقوم تخلوا بمولاهم
فألزمهم بباب مرضاته ::: وعن سائر الخلق أغناهم[1]

---

(١) ذكره الإمام اليافعي ، في روض الرياحين .

* **أوَّل من كوَّر رأسه بالعمامة :** "آدم" - عيه السلام - جاءه "جبريل" بعدما هبط إلى الأرض ، فكوَّر رأسه ، وختن "آدم" - عليه السلام - نفسه بيده ، كذا فى أسئلة عبد الله بن سلام ، وهى أربع مائة مسئلة ، وأربع مسائل ، مستخرجة من التوراة(١) .

* **أوَّل من زرع الحنطة :** أبونا "آدم" - عليه السلام - قال كعب الأحبار : لما أهبط الله تعالى "آدم" - عليه السلام - جاء ميكائيل بحب الحنطة ، فقال : هذا رزقك ورزق بنيك قم فازرع ، فلما زرع صار الحب كبيض النعامة . ثمَّ نقص بعد عصيان الناس قرنا بعد قرن - كما مر تفصيله فى الفصل الثالث والعشرون - وفى الخبر : عن سعيد بن جبير ، رحمه الله ، قال : أهبط الله إلى "آدم" - عليه السلام - ثورا أحمر ، فكان يحرث عليه ويمسح جبينه ، فأنبت الله من عرقه من الحبوب ما شاء الله(٢) .

* **أوَّل من غرس أصناف الفواكه ، وعمر البساتين بالبذور والأشجار :** "آدم" - عليه السلام - لأنَّه نزل من الجنة ، ومعه ثلاثين قضيبا من الأصناف ، كما مر تفصيله فى الفصل الثالث .

* **أوَّل من نقش الدراهم والدنانير :** "آدم" - عليه السلام - لأنه نزل من الجنة ، ومعه أصول آلات الصنائع كالسندان وغيره ، كما مر فى هذا الفصل .

قال أهل التحقيق : نقش الدراهم والدنانير ، وحفر معادنهما ، يليق بحضرة الخلافة ؛ لأن الخليفة مأمور بأمور معاش أهل الكون وإصلاحه ، فأفهم سر الخلافة الآدمية ، وما جرت على يد الخليفة من الصنائع لحكمة الخلافة المقتضية تدبير الكون ، وفى الحديث : "الدراهم والدنانير خواتم الله فى أرضه ، فمن جاء بخاتم مولاه قضيت حاجاته"(٣) .

* **أوَّل من كتب الكتب بالألسن المختلفة :** "آدم" - عليه السلام - كما مر

---

(١) خريدة العجائب .

(٢) حياة الحيوان .

(٣) أخرجه السُّيوطى ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه .

فى فصل الكتب .

* **أوَّل من اجتهد فى الصنائع المعدة :** "آدم" - عليه السلام - وكان قد علمه الله ألف حرفة ، حين علمه الأسماء ، كما مر فى هذا الفصل .

* **أوَّل من خاط بالإبرة ، واشتهر بالحرفة بعد "آدم" :** "إدريس" - عليه السلام - وهو أخنوخ بن يود بن شيث - عليه السلام - وهو أوَّل من خالط الملائكة والأرواح المجردة ، وحصل معراج الانسلاخ البشرية . لم يتم ست عشرة سنة ، ولم يأكل حتى صار عقلا مجردا ، فلما ظهر فى زمانه بعبادته فى أولاد "قابيل" ، أرسله الله نبيا بعد "شيث" ، فزجر ونهى وجاهد وسبى ، وهو أوَّل من أرسل بالدعوة القهرية ، فقاتل وأسر أولاد "قابيل" ، واسترق ، وسن الجهاد ، والآلة ؛ كالسيف والسرج ، واستنبط كثيرا من الحرف كالخياطة والكتابة وعمل السيوف ، وينسب العوام صنعة السيف والسرج واللجام إلى جمشيد وهو غليظ فاحش .

(فائدة) :

قال أهل التواريخ : إنَّ "إدريس" لما مضى من عمره ثلاثمائة وستون سنة ، رفعه الله إلى السماء وهو الآن فيها ، وفى الخبر النبوى : "إدريس" هو إلياس الحديث ، قيل : ينزل مرة أخرى كما ينزل "عيسى" - عليه السلام - تشريفا لشرع نبينا محمد ، ﷺ .

قال مشايخ الصوفية له جولان فى الأرض وقطبية برية مع خلافة محمدية كما للخضر أخيه قطبية بحرية وبينهما اجتماع برا وبحرا عند سد يأجوج ومأجوج ، وفى مكة وعرفات كما ورد فى الأحاديث ، أورده السيوطى فى الجامع الكبير والصغير ، وتواترت عليهما أخبار الصوفية ؛ كشفا ومشاهدة وجميعه بهما ، كما ورد فى كتبهم ؛ كالفتوحات المكية وقوت القلوب .

* **أوَّل من اتخذ الفلك :** "نوح" - عليه السلام - لما رفع الله "إدريس" - عليه السلام- قام بعده ابنه متوشلح يعمر البلاد والنور المحمدى الموروث بطنا بعد بطن يتلألأ فى جبينه . فلما مات قام بعده لامك أبو نوح ، فلما مات قام نوح - عليه السلام -

وهو أوّل رسول على وجه الأرض ، وبعث لأربعين سنة ، وقيل غير ذلك ، ومكث فيهم يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة ، وكان عمره ألفا وخمسين سنة ، وعاش حتى بعد الطوفان ستين على قول ابن وهب ، وقيل : عاش ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل غير ذلك والله أعلم .

فلما كثر الفساد فى زمانه برا وبحرا ، قام إلى الله تعالى داعيا ، فأبوا إلا طغيانا ، فدعا الله عليهم ، فأوحى الله تعالى إليه أن اصنع الفلك ، فلما تم جاءه "جبريل" بتابوت "آدم" - عليه السلام - فركب يوم الجمعة وطغى الماء بأمر الله تعالى على الخزان وغرق جميع أهل الأرض غير ما أخذ من كلٍّ زوجين اثنين ، ومن البذور والأشجار ، وأقام على ظهر الماء خمسة أشهر . ثمَّ أمر الله الماء أن يغيض والسماء أن تقلع ، واستوت السفينة على الجودى من بلاد الموصل ، وفيه جناح السفينة إلى الآن ، فنزل ومعه أولاده وبناته أربعون رجلا ، وأربعون امرأة ، فساروا إلى سفح الجبل ، فابتنوا قرية وسموها بالثمانين ، وهو اسمها إلى اليوم ، وجعل الله تعالى نسل الخلائق منهم ، ومن وأولادهم ، كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] . ودخل السفينة ومعه أولاده الثلاث ؛ سام وحام ويافث وكان غيرهم من أولاد شيث - عليه السلام - والنسل بعد الطوفان من أولاده ، لا من غيره .

وذكر أهل التواريخ لما أمر الله تعالى بقوله : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ [هود : ٤٤] أن بعض الأرض لم تسرع إلى بلع المياه . فكان ماؤها مالحا ورمالا وخرابا ، وبعض الأرض أسرع ، فكان عذبا ومعمورا ، وما تخلف من المياه التى امتنعت من الأرض ، من بلعها انحدر إلى موضع الحضيضة السفلى ، فمن ذلك البحار[1] .

* أوّل من جلب الساج واحتطبه : عوج بن عنق ، جلبه من الهند ، كان الفلك منه ، وقيل زرعه : "نوح" - عليه السلام - بالهام من الله تعالى ، وفى تفسير الشيخ : روى ما نجا من الكفار من الغرق غير (عوج) . وكان سبب نجاته أنَّ نوحا - عليه

(١) كذا فى التَّاريخ الثَّمين .

السلام- أتى إلى خشب الساج ، فلم يمكنه نقله ، فحمله (عوج) إليه من الشام ، فأنجاه الله تعالى من الغرق ، فصنعها من خشب الساج ، وجعل طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ذراعا ، وارتفاعها ثلاثين ذراعا . وكانت ثلاث طبقات ؛ السفلى للسباع والهوام والوحوش ، والوسطى للدواب والأنعام ، والعليا للإنس والزاد ، وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما : أول ما حمل نوح : الهزاز ، وهى البلبل ، وآخر ما حمل : الحمار ، فلما دخل صدره وتعلق إبليس بذنبه فلم يستطع أن يدخل ، حتى قال نوح : ويحك ادخل ، وإن كان معك شيطان ، فلما دخل قال نوح : أخرج عنى يا عدو الله ، قال : مالك يدان تحملنى معك ، فكان فى ظهر الفلك .

وروى أنَّ الحية والعقرب أتيا نوح فقالتا : احملنا ، فقال إنكما سبب الضرر والبلاء ، قالتا : نحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك . فمن قرأ حين خاف مضرتهما : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ٧٩] ما ضرتاه(١) .

* أوَّل من حلق رأسه حين أمر بإقامة المناسك المكية : "إبراهيم" - عليه السلام - وإليه تنسب صنعة الحلاقة والختانة ؛ لأنه أوَّل من اختتن ، وكثير من الحرف البشرية ، فذلك كان جد الأنبياء - عليهم السلام - ومتبوع الأمم والملك .

* أوَّل من عمل الصابون : "سليمان" ، عليه السلام(٢) .

* أوَّل من عمل القراطيس : "يوسف" عليه السلام(٣) .

* أوَّل من اتجر من الأنبياء ، عليهم السلام : صالح ، وقيل : أيوب - عليه السلام- وسيدنا رسول الله ﷺ سافر بمتاع خديجة - رضى الله عنها - قبل الزواج إلى الشام ، فباع واشترى ، وربح أضعاف أرباح أسفار تجارتها . فكان بهذا المعنى أوَّل من باع واشترى فى الملة المحمدية ، فافهم سر قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) كذا فى تفسير الشيخ .
(٢) المستطرف .
(٣) المستطرف .

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وعنه ﷺ التاجر الصدوق الأمين مع النبين والصدقين والشهداء، وفى رواية: التَّاجر الصَّدوق تحت ظل العرش يوم القيامة.

وأمَّا رئيس الملة المحمدية وإمامها فى حرفة التِّجارة: فعبد الرَّحمن ابن عوف، وقيل: دحية الكلبى، رضى الله عنهما[1].

* أوَّل من رعى الغنم: قيل: شعيب وموسى مستأجرًا نفسه له، وقيل: إسحاق ويعقوب وطائفة من الأنبياء، وأمَّا نسبة أهل الرَّعية إلى موسى - عليه السَّلام - لأنَّ رعاية الغنم منصوص عليها فى القرآن، بقوله تعالى: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨].

(حكاية لطيفة):

سمعت من أستاذى فى مجلس وعظه بجامع أياصوفيا، حين عيره ورماه بعض أهل الرِّياسة حسدًا بأنَّه كان من رعاة الغنم فى شبابه، فجاء وتقدم علينا بالرِّياسة العلمية، فقال: قدَّس الله سره، كنت أرعى الغنم، وأنا أحفظ أربع متون من كتب الفقه مع متن الفرائض وشرحه للسيد رحمه الله. وكنت أتوكأ على عصا فى رعى الغنم، وأتفكر مسائل شرعية، وأفتى أهل القرى بالمسائل الفقهية، وما كنت أكنس بأذيالى أبواب الوزراء وأرباب الدُّنيا، ولكن يخشى من الكفر على من عيَّر أحدًا بحرفة النُّبوة، وأنا اليوم لا أرفع نفسى عن الرَّعى، عصمنا الله وإياكم من حرفة الفراشة على أبواب الأمراء، فلينظر إلى ملاطفة الشَّيخ مع ما فيه من أنواع اللَّطائف، نفعنا الله بعلومه.

* أوَّل من ساح فى الأرض وتجرَّد عن العلائق المكانية: "عيسى" - عليه السَّلام - فى سياحته ببحيرة طبرية، فدعاهم إلى الله تعالى، وكانت دعوته فى سياحته، فقال: اتَّبعونى تصيدون البشرَ، فاتَّبعه ناس؛ وهم الحواريون الأربعة الذين نقلوا الانجيل عنه ونشروا خبر المسيح من مولده إلى ما كان منه، وقيل: إنَّ المسيح كان فى قرية يقال لها

---

(١) كذا ذكره فى كتاب المستطرف.

ناصرة من قرى الشَّام ، وبذلك سميت النَّصرانية وانتسبت[١] .

* أوَّل من عمل الدُّروع : "داود" ، وكانت قبل صفائح الحديد ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[٢] .

* أوَّل من نسج الزَّنابيل : "سليمان" - عليه السَّلام - وكان عيشه منه كفافًا ، وكان يعطى ما ينسج لعاز رقيبيعه ، وكان له استخدام الجنِّ والشَّياطين بأمر الحق سبحانه وتعالى ، كما ذكر فى القرآن .

* أوَّل من عمل فى النِّحاس : "سليمان" - عليه السَّلام - أسأل الله تعالى أن يلين له النَّحاس كما ألان الحديد لداود - عليه السَّلام - وكلتا الحرفتين معجزتان لهما .

* أوَّل من احترف بالخياطة ونسب بها : "لقمان الحكيم" ؛ قيل : كان من حكمته أنَّه أتى بجراب من أرز ، فبكلِّ حبه فيه قال حكمة ، وورد فى الحديث النَّبوى : عمل الأبرار من الرِّجال ؛ الخياطة ، وعمل النِّساء ؛ الغزل ، وكان رسول الله ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله[٣] .

* أوَّل من عمل النِّجارة من الأنبياء : "زكريا" - عليه السَّلام - كما ورد فى الحديث .

* أوَّل من اتَّخذ الفال بالخط : نبى من الأنبياء - عليهم السَّلام - كما ورد فى الحديث الصَّحيح عنه ﷺ : كان من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك ، قيل : ذلك دانيال ، وقيل : غيره ، أمَّا الرَّمل الذى فى زماننا فهو من الطِّيرة والتَّكهن ليس من الفال .

وكان رسول الله ﷺ يحب الفال ويكره الطِّيرة ؛ والفال ما كان بطريق البشرى والاستبشار ، لا تردد فيه ولا حكم بالماضى ولا بالمستقبل ، والطِّيرة بأى شئ كان

---

(١) من تاريخ الأنبياء .
(٢) من تاريخ الأنبياء ، أوائل السيوطى ص٧٢ ، أخرجه ابن أبى حاتم عن قتادة .
(٣) ذكر فى الشفاء .

حرام ، وهو ما فيه تردد وتشاؤم .

وكان السَّلف الصَّالح من الصَّحب والتَّابعين يتفاءلون بكتاب الله تعالى وغيره من الكتب ؛ استبشارًا وتبركًا به ، ولا يعتبرون الحكم ولا يتردَّدون ، بل يستخيرون الله تعالى ويتوكلون عليه ، وأمَّا طريقة العوام فى الفال من اعتبار الحروف نحسا وحكما فحرام بالإجماع ؛ لأنَّه من الطِّيرة المنهى عنها(١) .

* أوَّل من عمل الفراء وطهرها وصاد السِّباع للجلود ، وكان بنو آدم يلبسون الجلود: هو شنج شاه ، ثانى ملوك بنى آدم ، ثمَّ حدث فى زمان "إدريس" - عليه السَّلام - خياطة الثِّياب ولبسها(٢) .

* أوَّل من عمل الدِّباغة من أنواع الأدم ، وكان شهيرًا بحرفتها: "طالوت" ، الملك لبنى إسرائيل ، كان دباغًا قبل الملك ، ثمَّ اصطفاه الله وبعثه ملكًا فى زمن "داود" - عليه السَّلام - كما ذكر .

* أوَّل من نحت هذه الجفان: بنو الهطف من كنانة ، أو من أسد(٣) .

* أوَّل من وضع لسان الميزان: "عبد الله بن عامر" ، وكان النَّاس إنَّما يزنون بالشَّاهين(٤) .

* أوَّل من استنبط صنعة الزُّجاج من الحجارة: الفيلسوف المنجم الأموى ، فى سنة أربع وسبعين ومائتين ، وهو أوَّل من فكَّ العروض للخليل ، وأوَّل من فكَّ الموسيقى ورتَّبه ، وأوَّل من وضع الآلة المعروفة بالميقات ؛ لتعرف الأوقات على غير رسم ومثال ، وكان منجمًا ماهرًا ، وحكيمًا شاعرًا(٥) .

* أوَّل من فصَّل وخاط من النِّساء: "سارة" - رضى الله عنها - هبط "جبريل" -

---

(١) ذكره أهل الحديث ، فى: شروح الصِّحاح .
(٢) ذكره أصحاب التَّواريخ .
(٣) ذكره فى القاموس .
(٤) من المستطرف .
(٥) ذكر فى: تاريخ بنى أمية .

عليه السَّلام - بخرقة من الجنَّة ، ففصَّلها ، وقال لإبراهيم ، عليه السَّلام : ادفعها إلى سارة ، وكان اسمها يسارة ، فلتخطه ، كما مر .

* أوَّل من اتَّخذ دار الضيافة فى الإسلام : "عثمان" ، رضى الله عنه(١) .

* أوَّل من جاهد ، واسترق الرَّقيق ، وقاتل الكفار ، وحمل السلاح ، وخط بالقلم ، ونظر فى الحساب ، ولبس ثياب القطن ، واستخرجها : "إدريس" - عليه السَّلام - روى أنَّه أذيق الموت ساعة ، ثمَّ أحيى ، ثمَّ أدخل الجنَّة ، وقيل : صعد به الملك ، ومات بين جناحيه ، ثمَّ أحيى ، ودخل الجنَّة(٢) .

* أوَّل من عقد الألوية ، وعمل القسى(٣) فى سبيل الله : "ابراهيم الخليل" ، - عليه السلام - كما مر فى فصل الجهاد .

* أوَّل من اتَّخذ اللّبن والجبن والسّمن من الحليب : "يوسف" - عليه السلام - حين كان فى السِّجن(٤) .

* أوَّل من حلق رأسه : "آدم الصفى" - عليه السلام - حلق شعره جبريل بياقوتة من الجنَّة ، كما ورد فى الخبر عن سيد البشر ﷺ أمر الله تعالى جبريل أن ينزل بياقوتة من الجنَّة ، فهبط بها ، فمسح رأس "آدم" ، فتناثر الشعر منه ، فحيث بلغ نورها ، صار حرما(٥) .

* أوَّل من بارز قرنه وصارع خصمه قديمًا وحديثًا : رجال ؛ فأوَّل من بارز من الأنبياء : "داود" - عليه السلام - بارز "جالوت" ، وهو صغير يرعى الغنم ، فأوحى الله تعالى إلى "شمويل" أنَّ داود ابن ايشا ، هو الذى يقتل جالوت ، فطلبه من أبيه ، فجاء ورمى "جالوت" بالحجر ، فقتله" فزوَّجه طالوت بنته ، وأعطاه نصف ملكه ، ثمَّ قتل

(١) أوائل السُّيوطى . ص٤٦ .
(٢) ذكره الشيخ فى تفسيره ، أوائل السيوطى ص٧٢ ، ذكره الثعالبى فى لطائف المعارف ص ٦ .
(٣) أوائل السيوطى ص٧٢ ، أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب "الرمى" عن ابن عباس .
(٤) أوائل السُّيوطى ص ٩٠ ، ذكره البستى فى : شارب التجارب .
(٥) من الجامع الصَّغير .

"طالوت" ، فاجتمع ملك بنى اسرائيل له ولم يجتمع لأحد قبل .

وفى كتب السير ؛ دعا رسول الله ﷺ أبو جهل إلى المصارعة ، فصارعه رسول الله ﷺ فكتب أبا جهل على وجهه معكوسًا منكوسًا ، وبارز يوم بدر على ، وحمزة ، وعبيدة بن الحرث ، وعتبة ، وشيبة بن أبى ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فنزل قوله تعالى فى المبارزين : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ.. ﴾ الآية .

فإمام المبارزين من الأنبياء : "داود" - عليه السلام - ومن الأولياء : "على بن أبى طالب" ، رضى الله عنه .

* أوَّل من حلَّ له الأكل من مال الغنائم ، واتَّخذها حرفة وسنة : رسول الله ﷺ وكانت الأنبياء من قبل يجاهدون ، ويقاتلون ، ويسترقون الأرقاء ، ولكن ما كانت الغنائم يحل أكلها لهم ، وإذا غنموا من أموال المجاهدة كانت تنزل نار تحرقها ، وكان ذلك علامة قبولهم ، ومتى سرق أو ادَّخر أحد تأخرت النَّار عنها .

(فائدة) :

ورد فى الخبر عنه ﷺ قال : جعل الله تعالى رزقى تحت رمحى ، وحرفتى الفقر والجهاد ، فكانت حرفته ﷺ الجهاد ، وهو أفضل الحرف ؛ لأنَّه صنعة محمدية ، كما مر ذكره .

* أوَّل من استأجر نفسه : رجال من الأنبياء والأولياء .

استؤجر "موسى" لشعيب - عليه السلام - كما ورد فى القرآن : ﴿ ..إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (القصص : ٢٦) .

واستأجر رسول الله ﷺ قبل بعثته ودعوته لخديجة - رضى الله عنها - السَّفر الشَّام - كما مر ذكره .

* وأوَّل من استأجر من الأولياء : إبراهيم بن أدهم ، كان يحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنَّهار ، ويصلى باللَّيل .

وكذلك : أحمد البستى ، من الأقطاب ، كان يعمل بالأجرة يوم السبت ويتغدى

به سائر الأسبوع في تعبده ، وإليه ينسب الفقراء المستأجرون في حرفتهم .

❖ وكذلك السَّلف الصَّالح كانوا يحترفون ويستأجرون أنفسهم ؛ طلبًا لقوت الحلال ، وفي خلاصة الفتاوي : أنَّ سيدنا عليا - رضي الله عنه - استأجر نفسه لسقي بستان ، وعن الحسن البصري ، رضي الله عنه : الدراهم الحلال اشد من لقاء الزَّحف .

❖ وفي الحديث الصَّحيح : "إنَّ الله يحب العبد المحترف" ، وفي الخبر النَّبوي : "من أصبح كالاً ؛ أي شاقًا في طلب الحلال ، أصبح مغفورًا له" ، وقال "داود" - عليه السلام - لرجل ترك الحرفة : يا هذا اعمل ، وكل ، فإن الله تعالى يحب من يعمل ويأكل ، ولا يحب من يأكل ولا يعمل .

❖ وسمع "داود" - عليه السلام - ملائكة في صورة الرِّجال يتنازعون في أمره - عليه السلام - فقال ملك للآخر : ما نعلم في "داود" عيبا سوى أنَّه لا يأكل من كسب يديه ، ولا يحترف ، فتفكر في نفسه ، وناجى ربّه : يارب لا أعرف حرفة ، فاختر لي ، فاختار له تعالى عمل الدُّروع ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ [الأنبياء : ٨٠] وقال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ : ١٠] فكانت حرفته معجزته ، وكذلك حرف الأنبياء - عليهم السلام - من قبيل المعجزات ومن أحسن ما قيل :

توكل على الرَّحمن في الأمر كله ::: ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب
ألم تر أنَّ الله قال لمريم ::: وهزي إليك بجذع يساقط الرُّطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزة ::: جنته ولكن كل شئ له سبب

وقال بعض الأئمة :

وليس على عبد تقي نقيصة ::: اذا صحح التقوى اذا حاك أو حجم

أي صار حجامًا ، أو حائكًا ؛ لأنَّهما من الحرف المباحة شرعًا ، وباب الحرف باب واسع ، اكتفينا منه بالمهامات والأصول ، ولا يمكن القياس والحكم بين أهل الحرف كلِّها ، وتعيينها للإمام ، والواضع الأوَّل ، والتَّفاضل بين أهاليها والله الموفق .

* * * * * * *

الفصل الرَّابع والثَّلاثون
فى الأنواع من الأوَّائل المختلفة من جميع الفنون

أفرد الإمام العلامة السيوطى - رحمه الله - بابًا جامعًا فى آخر رسالة الأوَّائل ، ورتب رسالته على اثنين وعشرين بابًا ، فى كراستين ؛ ولذا أفردت فصلاً جامعًا ، وزدت فى رسالتى من الأخبار والفصول ، وذيلتها بالأواخر من أنواع اللَّطائف والمحاضرات الدِّينية والدُّنيوية من الكتب المعتبرة من كتب المحاضرات والتَّواريخ ، كما لا تخفى على النَّاظر بعين الرّضا (بيت):

فعـين الرّضـا عن كلّ عيب كليلة ::: كمـا أنّ عين السّخط تبدى المساويا

* أوَّل موضع اهبط الله تعالى فيه "آدم" ، عليه السَّلام: جبل سرنديب ، وهو جبل بأعلى الصِّين فى بحر الهند ، وعليه أثر قدم "آدم" - عليه السلام - غائص فى الصَّخر ، طوله سبعون شبرًا ، وعلى الجبل ضوء كالبرق لا يمكن النَّظر إليه ، وعليه المطر ، كلّ يوم يغسل أثر قدمه وحول الجبل من أنواع الجواهر وأنواع الطّيب والعطر ما لا يوصف . وعليه الورق الذى خصفه فيبس على ظهره ، فذرته الرّيح فى بلاد الهند ؛ ولذا توجد فيه أنواع العقاقير والعطريات .

❖ وفى الخبر: أنَّ "آدم" - عليه السلام - خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة ، وهى مسيرة يومين ، وفى تاريخ القدس: لمَّا نزل على سرنديب سجد سجدة الشُّكر على شهود الآيات الكونية ، فوقعت جبهته على صخرة بيت المقدس ؛ لأنَّه أرفع محل على وجه الأرض ومنه طريق مرقاة المعراج إلى السَّماء .

❖ وفى التَّواريخ: كان كلّ خطوة ثلاث مراحل ، ففى أى موضع وطئ بقدمه كان بلدًا أو قرية ، فهو أوَّل من ساح فى الأرض ، وإليه نسب أهل السِّياحة .

* أوَّل من صلع: "آدم" - عليه السلام - حين أهبط إلى الأرض كان رأسه الشَّريف يمسح السَّماء ، فمن ثم صلع لحكمة مقتضية ، رواه: ابن عباس ، رضى الله عنهما[1] .

---

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٤٢ ، أخرجه ابن سعد عن ابن عباس .

* أوَّل من شاب: "إبراهيم" - عليه السلام - قال "على" ، رضى الله عنه: كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب ، وكان الرجل يأتى القوم وفيهم الولد والوالد ، فيقول: أيكم الأب من الابن ، فقال "إبراهيم" ، عليه السلام: رب اجعل لى شيبًا ووقارًا ، أعرف به ، فأصبح رأسه ولحيته أبيضين ، فقال: اللهم زدنى وقارًا ، كما مر فى الفصل العاشر ، فى: الفضائل الإبراهيمية .

* أوَّل من استأنس لآدم - عليه السلام - لما نزل من الجنة إلى الأرض ؛ يعنى من السباع: "الكلب" ، كما مر فى الصيد ، ومن الطيور: الخطاف ؛ وذلك أنَّ "آدم" - عليه السلام - لَّما خرج من الجنة اشتكى إلى الله الوحشة ، فآنسه الله تعالى بالخطاف .

وقيل: لَّما افترق آدم من حواء بعد الهبوط ، دله خطاف عليها بجبل عرفات ، فكان سبب التَّعارف دلالته ، فدعا "آدم" له بالسكنى بقرب أولاده ، وألزمها البيوت وأن يحبوه . ولذا يقال له طير الإسلام وعصفور الجنَّة ، وفى الحديث النَّبوى: لا تقتلوا الخطاف فإنَّه لما خرب بيت المقدس ، قال يارب سلطنى على جثثهم حتى أغرقهم فى البحر .

(حكاية):

وقع الخطاف على قبة "سليمان" - عليه السلام - ودعا زوجته ، فامتنعت منه ، فقال لها: لا تمتنعين ، فأقلب القبة على سليمان ، فدعاه ، فقال: ما حملك على ما قلت قال يا نبى الله ، العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم ، فقال: صدق ، وفى الخبر: مع الخطاف أربع آيات من القرآن ؛ قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ.. ﴾ [الحشرة: ٢١] إلى آخر السُّورة(١) .

* أوَّل من سكن الأرض قبل "آدم" ، عليه السلام: "الجنّ" ، كانوا سكان الأرض برًا وبحرًا ، وكان فيهم الملك والنّبوة والدّين والشّريعة ، وكانوا يطيرون إلى السّماء ، ويسلمون على الملائكة ، فبعث الله إليهم نبيًا اسمه "يوسف" ، فقتلوه .

---

(١) من حياة الحيوان .

وكان إبليس يختلط بالملائكة ، فبعثه الله بجيوش من الملائكة ، فهزموا الجنّ ، وقتلوهم ، وتملك الأرض مدة طويلة ، وتعبد فى مواطن الأرض كلّها إلى أن خلق الله "آدم" - عليه السلام - فلمَّا خلق "آدم" - عليه السلام - وأشقى إبليس وذريته ، وكان أوَّل من سمى شيطانًا من الجنِّ الحارث ، فأبلسه الله ؛ أى طرده من رحمته ، وطرد الرَّحمة عنه ، ومنه تفرعت الشّياطين بأجمعها .

فمن آدم منهم ؛ مثل : هامة بن الهام بن لقيس بن إبليس ، التحق بالمؤمنين من الجنِّ ، ومن بقى على أمره ، وتمرَّد ، كان شيطانًا ، وهى مسألة خلاف بين العلماء ؛ وقال بعضهم : الشّيطان لا يسلم أبدًا ، وقال بعضهم : يسلم ، كما ورد فى الحديث : فأعاننى الله عليه ، فأسلم شيطانى ؛ أى آمن بالله ، وقال بعضهم ، بضم الميم .

والأوَّل أولى ، وأوجه ، كما يسلم الكافر عندنا ؛ لأنَّه من الجنِّ ، وأكثر النَّاس يزعمون أنَّ إبليس أوَّل الجنِّ ، بمنزلة "آدم" - عليه السلام - من النَّاس ، وليس كذلك عندنا بل هو واحد من الجنِّ ، وأوَّل أشقيائهم كقابيل من البشر ، وأوَّل الجنِّ هو الجان بمنزلة "آدم" ، عليه السلام .

وقال بعضهم : خلق الله له فرجًا فى نفسه ، فنكح بعضه بعضا ، فولد مثل ذرية "آدم" ذكرا وأنثى ، ثمَّ نكح بعضهم بعضًا ، فوقع التَّناسل فى الجان بإلقاء الهواء فى رحم الأنثى ، فكان بين خلق آدم والجان ستون ألف سنة[1] .

* أوَّل ما خلق فى الأرض من المكلفين : "الجنّ" ، وفيه أقوال ؛ قال ابن عباس ، رضى الله عنهما : الجنّ ضعفاء الجان ، فأمَّا الجان فهم ثلاثة أقسام ؛ جان ، وجن ، وشياطين ، وكلهم خلقوا قبل "آدم" ، عليه السلام .

وفى الجان ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّه أبو الجنِّ ، وهو قول ابن عباس ، وهو مخلوق من مارج من نار .

---

(١) ذكره الشَّيخ ، فى : الفتوحات ، فى الباب التَّاسع ، فى : أحوال الجنّ .

والثَّانى: أنَّ الجان هو إبليس وهو قول الحسن وعطاء .

والثَّالث: مسخ الجنّ كالقردة والخنازير مسخ الإنس وهو أيضًا قول بن عباس .

❖ فأمَّا الشّيطان ؛ فكلُّ متجبر عال عات من الجنِّ ، وكذلك المارد والعفريت كيأجوج ومأجوج من الإنس ، وفى إبليس قولان ؛ الأوَّل أنَّه كان من أشراف الملائكة الأرضية ، والثَّانى أنَّه كان من الجنِّ الذين خلقوا قبل "آدم" ، عليه السلام[1] .

* أوَّل نبى بعثه الله من الجان : يقال له "عامر بن عمير بن الجان" ، فقتلوه ، حتى بعث الله تعالى إليهم ثمانمائة نبى ، فى كلِّ سنة نبيًّا ، وهم يقتلونه ، فجرى لهم ما جرى من القتل والأسر على أيدى الملائكة السماوية ، يقال لهم الجنّ ، وكان إبليس منهم[2] .

* أوَّل ما احتجب : الجنّ والشّياطين ، من السَّماوات ، قال ابن عباس ، رضى الله عنهما : كانوا يدخلون السَّماوات ، ويأتون بأخبارها ، فيلقون على الكهنة ، فلمَّا ولد "عيسى" - عليه السلام - منعوا من ثلاث سماوات ، فلمَّا ولد سيدنا رسول الله ﷺ منعوا من السماوات أجمع ، فما من أحد يريد الاستراق إلا رمى بالشّهب[3] .

* أوَّل نبى سخر الله له الجنّ ، وصرفهم فى أمره يعملون له الأعمال الشاقة البشرية : "سليمان" ، عليه السلام . ولمَّا سخَّر الله لسليمان الجن ، نادى "جبريل" ، عليه السلام : أيتها الجنّ والشّياطين ، أجيبوا نبى الله ، فخرجوا من الكهوف والجبال وأطراف الأرض أفواجًا أفواجًا ، تسوقهم الملائكة ، وهم أربعة وعشرون فرقة ، بأشكال مختلفة على صور جميع الحيوانات ، مختلفة الأعضاء ؛ منهم رأسه رأس أسد وبدنه بدن فيل ، وعكس ذلك . فتعجب "سليمان" - عليه السلام - وسجد شكرًا لله وقال : إلهي ألبسنى هيبة من عندك ، ثمَّ فرقهم فى الصنائع ، وأبنية الحصون ،

---

(١) ذكره : الإمام ابن الجوزى ، فى : "تبصرة الأدلة" .

(٢) ذكر فى : التّواريخ .

(٣) من كنز الأسرار .

واستخراج المعادن والجواهر ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ هَـٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.. ﴾ [ص: ٣٩].

وفى الخبر: لمَّا أهبط الله تعالى "آدم" ، وتجلى نور الخلافة فى جبينه ، فعند ذلك انتقل "إبليس" إلى البحر المحيط ، وسكن هناك ، وجعل عرشه على الماء ، ثمَّ ألقيت عليه شهوة السّفاد ، فهو لا يلد ، لكنَّه يلقح كالطَّير ، ويبض ويفرخ ، قيل: يخرج من كلِّ بيضة لـه ستون ألف شيطان ، فيسلطهم على الخلق ، وأقرب منه مجلسًا من يفرّق ويلقى العداوة بين المرء وزوجه ، ثمَّ أكثرهم أذى للخلق ، ونحن نستعيذ بالله من كيد الرَّجيم وأعوانه .

وفى الفتوحات : لمَّا غلب على الجان عنصر الهواء والنَّار ؛ لذلك كان غذائهم ما يحمله الهواء ممَّا فى العظم من الدّسم والعفونة اللّحمية الهوائية ، فإنَّ الله تعالى جعل لهم فيها رزقًا ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ فى العظام: إنَّها زاد إخوانكم من الجنِّ .

قال الشَّيخ الأكبر ، قدَّس سره: أخبرنى بعض المكاشفين أنَّه رأى الجنّ يأتون إلى العظم ، فيشمونه كما تشم السِّباع ، ثمَّ يرجعون ، وقد اخذوا رزقهم وغذاؤهم فى ذلك الشّم ، ونكاحهم وحروبهم كالرِّياح المتداخل بعضها بعضا كلقاح النّخلة بالرّوائح .

* أوَّل الجنَّات الثَّلاث: جنة الاختصاص الإلهي ، وهى التى يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم وحدهم من أوَّل ما يولد ويستهل صارخًا ، إلى انقراض ستة أعوام ، ويعطى الله من شاء من عباده من جنَّات الاختصاص ما شاء ، ومن أهلها ؛ المجانين اللذين ما عقلوا ، ومن أهلها ؛ أهل الفترات ، ومن لم تصل له دعوة رسول .

والجنَّة الثَّانية ؛ جنة ميراث ينالها كلُّ من دخل الجنَّة من المؤمنين ، وهى الأماكن التى كانت معينة لأهل النَّار لو دخلوها ، والجنَّة الثَّالثة ؛ جنَّة الأعمال ، ينزل النَّاس فيها بأعمالهم ، فمن كان أفضل من غيره كان له من الجنَّة أكثر ، فما من عمل إلا وله جنّة ، ويقع التَّفاضل بين أصحابها بحسب اقتضاء أحوالهم من العلوم والأعمال[1] .

---

(١)من الفتوحات المكية ، من الباب الخامس والسّتين ، فى معرفة الجنان .

* أوّل الجنَّات الثّمانية: جنة المقام ، ثمَّ جنة السلام ، ثمَّ جنة الخلد ، ثمَّ جنة المأوى ، ثمَّ جنة النعيم ، ثمَّ جنة الفردوس ، ثم جنة عدن ، ثمَّ الوسيلة ؛ وهىَ أعلى جنة فى الجنان ، فإنَّها فى كلِّ جنة من عدن إلى آخر الجنان ، فلها فى كلِّ جنة صورة ، وهى مخصوصة برسول الله ، ﷺ .

وأبواب الجنة ثمانية على عدد أعضاء التكليف ، كما ورد فى الخبر النبوى: "من توضأ وصلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشئ ، فتحت له أبواب الجنة الثّمانية ، يدخل من أيها شاء"[1] .

* أوَّل أبواب النِّيران ، والعياذ بالله: جهنم ، ثمَّ الجحيم ، ثم السَّعير ، ثمَّ سقر ، ثمَّ لظى ، ثمَّ الحطمة ، ثمَّ سجين ؛ آخر درك من دركات النيران ، وهى للمنافقين بنص القرآن ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ..﴾[2] [النساء: ١٤٥] .

* أوَّل السماوات السبع: سماء الدنيا ، وهى من زمردّة خضراء ، واسمها رقيقا ، قال تعالى لها: كونى زمردّة خضراء ، فكانت .

ثمَّ السماء الثانية ؛ اسمها ترقيقا ، وقيل: ازقْلون ، وقال لها: كونى فضة ، فكانت ، وفيها ملائكة قيام على أقدامهم منذ خلقهم الله تعالى .

ثمَّ السماء الثالثة ، اسمها قيدوم ، وقيل: عيثاء ، وقال تعالى لها: كونى ياقوتة حمراء ، فكانت ، ثمَّ طبقها بملائكة ركوع منذ خلقهم ، قد لصق بعضهم ببعض لو قطرت عليهم قطرة ماء لم تجد منفذًا .

ثمَّ السماء الرَّابعة ، اسمها ماعونا ، وقيل: غردا ، وقال تعالى لها: كونى درة بيضاء ، فكانت ، ثمَّ طبقها بملائكة سجود منذ خلقهم .

ثمَّ السماء الخامسة ، اسمها ديعا ، وقيل اسمها: سحيق ، وقال تعالى لها: كونى

---

(١) من الفتوحات .
(٢) من الفتوحات .

ذهبة حمراء ، فكانت ، ثمَّ طبقها بملائكة بطحهم على وجوههم على بطونهم ، وهم البكاؤن من خوف الله تعالى .

ثم السماء السادسة ، اسمها دقنا ، وقيل: دنيا ، وقال تعالى لها: كونى ياقوتة صفراء ، فكانت ، ثمَّ طبقها بملائكة قعود ترعد فرائصهم ، وتهتز رؤسهم ، لهم أصوات عالية ، يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ، ولو قاموا على أرجلهم لبلغت أرجلهم تخوم الأرض السابعة ، ولبلغت رؤوسهم السماء السابعة ، وسيقومون يوم القيامة على أرجلهم بين يدى رب العالمين .

ثم السماء السابعة ، اسمها عربيا ، وقيل: سمعوا ، وقال لها: كونى نورا ، فكانت ، ثمَّ طبقها بملائكة قيام على رجل واحدة ؛ تعظيمًا لله - عز وجل - وخوفًا من عقابه ، قد خرقت أرجلهم الأرض السابعة السفلى ، واستقرت أقدامهم على مقدار خمسمائة عام تحت الأرضين ، كلُها كانت الرَّايات البيض تجرى تحتها ريح هفافة عاتية . تحمل تلك الرَّايات ، ورؤسهم تحت العرش ، يقولون: لا إله إلا الله ، ذو العرش المجيد الرَّفيع ، سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان ذى العزة والجبروت ، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والرُّوح ، قدوس قدوس ربنا الأعلى ، سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء . ويستغفرون للمؤمنين والمؤمنات ، ثمَّ يعودون فى التسبيح والتحميد ، وهم على هذه الحالة منذ خلقوا إلى يوم الساعة ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ.. ﴾ [الصافات: ١٦٥ ، ١٦٦].

وفى الخبر: عن سليمان الفارسى ، رضى الله عنه: خلق الله السماوات السبع ، وسماهنَّ بأسمائهن ، وأسكن كلَّ سماء صنفًا من الملائكة ؛ يعبدونه وأوحى فى كل سماء أمرها[1] .

* أوَّل الأفلاك التسعة: العرش ، وهو سقف الجنان ، ثمَّ الكرسى ، وهو أرض

---

(١) من كنز الأسرار .

الجنَّة ، وسطحها ، وجوف الكرسى هو الأعراف ، عند جميع المحققين ، قال صدر الدين القونوى - قدَّس سره - فى النفحات ، وذكر الشيخ الأكبر ، قدَّس الله سره : من مقعر الكرسى تكون طبقات النيران ، فما فى السماوات فى الصفو والروحانية ، يصير انتقاله فى القيامة واتصاله فى الجنات . وما فيها من الكدر وغلبة الصفات العنصرية المقتضية للكون والفساد ، يسيل وينشق ويكون ، كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٧] وتعود من حملة جهنم باتصالها بالعناصر التى تستحيل نارًا زمهريرًا ، كما وردت به الأخبار الإلهية ، وحكم به الشهود من الأنبياء والأولياء ، وكلُّ سماء باب من أبواب جهنم ، له قوم خاصة .

وكانت الجنات ثمانية ؛ لكونها فى سطح الفلك الثامن ، وهو الكرسى الثانى بالنسبة إلى العرش ، والثامن بالنسبة إلى سماء الدنيا ، أمَّا الفلك الأطلس ، فهو فى جوف الكرسى ، وسطح الفلك المكوكب ، خلق الله فى جوف الكرسى جسمًا شفافًا مستديرًا ، قسَّمه إلى اثنى عشر قسمًا ، وسمى الله تعالى الأقسام بروجًا .

أقسم الله تعالى فى كتابه بها بقوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١] وأسكن كلّ برج منها فلكًا ، هم لأهل الجنة كالعناصر لأهل الدنيا - كما ذكره الشيخ فى الفتوحات المكية ، ثمَّ الأفلاك السبعة ، هى السماوات السبع ، قال الإمام فخر الدين : الفلك فى كلام العرب ، كلّ شئ دائر ، وجمعه أفلاك ، قال ابن العربى ، قدَّس سره : إنَّ ذات السماء لا ترى ، إنَّما يرى الهواء ، والله أعلم .

والسماء الأولى ؛ فلك القمر ، والسماء الثانية ؛ فلك عطارد ، والثالثة ؛ فلك الزهرة ، والرابعة ؛ فلك الشمس ، والخامسة ؛ فلك المريخ ، والسادسة ؛ فلك المشترى ، والسابعة ؛ فلك زحل ، والثامن ؛ فلك الكرسى ، والتاسع ؛ العرش .

* أوَّل البروج : الحمل ، ثمَّ الثور ، ثمَّ الجوزاء ، ثمَّ السرطان ، ثمَّ الأسد ، ثمَّ السنبلة ، ثمَّ الميزان ، ثمَّ العقرب ، ثمَّ القوس ، ثمَّ الجدى ، ثمَّ الدّلو ، ثمَّ الحوت ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١] وهى تقديرات فى الفلك

الأطلس ، الذى لا كوكب فيه ؛ ولهذا سمى بالأطلس ، وأما فلك الكواكب ، وهو آخر الأفلاك ، فهو سطح الجنة ومقعرة ، يكون سقف النار[١] .

وقال الإمام ، فى "كنز الأسرار" : والكواكب فى البحر الذى دون السماء بقدر ثلاث فراسخ ، وهو موج مكفوف ، قائم فى الهواء بإذن الله تعالى ، لا تقطر منه قطرة ، والبحار كلّها ساكنة .

وذلك البحر جار فى سرعة السهم ، ممتد كأنّه جبل ممدود بين المشرق والمغرب ، تجرى الشمس والقمر والخنس فيه ، كما قال تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وفى الخبر النّبوى: لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت الأرض ، ولو بدا منه القمر لافتتن به أهل الأرض ، حتى يعبدونه من دون الله[٢] .

* أوّل منازل القمر: منزلة الشرطين ، ثمّ البطين ، ثمّ الثريا ، إلى ثمانية وعشرين منزلة ، قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩] يبيت كلّ ليلة فى منزلة منها ، فإذا وصل إلى آخر منازله ، عاد كالعرجون القديم ؛ وهو العرق الذى فيه الشماريخ إذا يبس وتقوّس واصفر ، فشبه القمر فى دقته وصفرته به[٣] .

* أوّل الأرضين: التى نحن فيها ، وهى سيدة الأرضين ، وسيدة السماوات ، السماء التى فيها العرش ، وسبع أرضين بعضهن تحت بعض ، وبين كلّ أرضين خمسمائة عام ، وكثافتها مثل ذلك كمسافة السماء ، ثمّ الأرض الثانية ؛ فيها الرِّيح العقيم ، ثمّ الثالثة فيها حجارة النّار ، ثمّ الرّابعة فيها كبريت النّار ، ثمّ الخامسة فيها حيّات النّار ، ثمّ السادسة فيها الزّبانية ، ثمّ السابعة فيها إبليس الأبالسة .

❖ وعن مجاهد: سجين صخرة تحت الأرض السابعة ، فيها كتاب الفجار .

وعن ابنّ عمر ، رضى الله عنهما: تحت الأرض الثالثة من الجنّ ، لو ظهروا لكم

---

(١) ذكره: الشّيخ الأكبر ، فى: الفتوحات .
(٢) كنز الأسرار .
(٣) كنز الأسرار .

لم تروا معهم نور الشمس . على كلِّ زاوية منها خاتم من خواتم الله تعالى ، على كلّ خاتم ملك من الملائكة ، يبعث الله تعالى إليه كلّ يوم ملكا من عنده ؛ أن احتفظ بما عندك ، ولا شك عند أهل السنة فى طبقات الأرض ، خلافا للفلاسفة ، وإلى هذا القول مال الزمخشرى ، وأول الطبقات بالأقاليم من جهة الارتفاع والانخفاض ، وهو قول لا يعوّل عليه .

* **أوَّل الأقاليم :** إقليم ؛ بابل ، وخرسان ، وفارس ، والموصل ، وأرض الجبل ، وله من البروج الحمل ، ومن النجوم ؛ المشترى ، ثم الإقليم الثانى السند والهند والسودان ، وله الجدى وزحل ، ثمَّ الثالث إقليم مكة والمدينة والحجاز واليمن وما بينهما ، وله العقرب ، ثمَّ الرَّابع إقليم مصر وإفريقية والبربر والأندلس ، وله الجوزاء وعطارد ، ثمَّ الخامس إقليم الشام والروم والجزيرة ، وله الدلو والقمر ، ثمَّ السادس إقليم الترك والديلم والصقالبة ، وله السرطان والمريخ ، ثمَّ السابع إقليم الصين والدبيل .

ولأهل الهيئة والنجوم وأصحاب التاريخ اختلاف واضطراب فى تعيين الأقاليم السبعة ، وأخرج الشيخ (عن طريق) الدنيا سبعة أقاليم ؛ ستة ليأجوج ومأجوج ، ولجميع الناس إقليم واحد[١] .

* **أوَّل ما خلق الله تعالى :** العرش ، اختلف العلماء فى أوَّل المخلوقات من العناصر الأربعة الكونية اللَّطيفة الملكية ؛ فقيل : العرش ؛ لأنَّه ألطف العناصر الجسمانية ، وهو سقف الجنان ، والكرسى فراشة ، وقيل : الهواء ، وقيل : الماء ، وقيل : العماء ؛ وهو السحاب الرقيق .

قال الإمام ابن العربى ، فى القانون الكلى : والأوَّل أصح ؛ لأنَّه ثبت عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى : العرش ، وكان على الماء ، فارتفع بخار الماء ، ففتق منه السماوات ، ثمَّ خلق الله تعالى اللّوح والقلم ، وعنه أيضًا

---

(١) ذكره السُّيوطى ، فى : الهيئة السنية ، وقد ذكر (عن طريق) ولم يذكر المصدر .

أنَّ اللّوح الذى ذكر فى القرآن ، هو فى جبهة إسرافيل ، عليه السلام[1] .

* أوَّل ما خلق الله تعالى من الملائكة : الرؤوس الأربعة ؛ أعنى جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ولكلّ منهم أشياع وجنود لا يحصى عددهم ، ولا مدة أعمارهم إلا الله ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

(فائدة لطيفة) :

اختلف العقلاء فى حقيقة الملائكة ؛ فذهب أهل الحق أنَّها متحيرة لها أجسام لطيفة هوائية ، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ولهم حقائق مختلفة من الصور الملكية من تعدّد الأجنحة مثنى وثلاث ورباع ، ولهم تشكلات جسمانية ، كما ورد فى الأخبار ، وهم من عالم الأمر ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون .

وقال الشيخ فى الفتوحات : الفرق بين الجان والملائكة - وإن اشتركوا فى الروحانية- أنَّ الجان غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطبيعية من المطاعم والملائكة ليسوا كذلك .

* أوَّل من تكلّم بهذه الكلمات : حملة العرش ؛ حين أمروا بحمله ، ولا يزالون يقولونها إلى يوم القيامة ، وهى هذه الكلمات : باسم الله ، حسبى الله ، توكلت على الله ، اعتصمت بالله ، فوضت أمرى إلى الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، وينبغى الإكثار من قراءة هذه الكلمات ، فإنَّ فيها شفاءً من كلِّ سقم ، وفرجًا من كلِّ كربة ، ونصرًا على كلِّ عدو[2] .

* أوَّل من طاف بالبيت العتيق : الملائكة ، كما ورد فى الحديث : إنما جعل الطواف بالبيت ملاذًا ؛ لأنَّ الله تعالى لما خلق "آدم" - عليه السلام - أمر إبليس بالسجود له للتعظيم لا للتعبيد ، فأبى إبليس عن سجدة التعظيم ، وكانت سجدة

---

(١) كنز الأسرار .

(٢) أخرجه اليافعى ، فى روضتة خبرًا نبويًا .

التعظيم فرضًا على الملائكة ، وكان هو على مذهب تعبدهم ، فغضب الرَّحمن عليه ، فلاذت الملائكة بالبيت ، حتى سكن غضبه تعالى .

سئل على بن الحسين - رضى الله عنهما - عن ابتداء الطواف ، فقال : لما قال الله تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٣٠] الآية ، وقال تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ظنت الملائكة أن ما قالوا رد على ربّهم ، فلاذوا بالعرش ، وطافوا به ؛ إشفاقًا من الغضب عليهم ، فوضع لهم البيت المعمور ، فطافوا به ، ثمَّ بعث الله تعالى الملائكة ، فقال : ابنوا لى بيتًا فى الأرض بمثاله ، وأمر الله تعالى أهل الأرض أن يطوفوا به كطواف أهل السماء بالعرش والبيت المعمور .

وفى الخبر ؛ عن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : بعث الله تعالى "جبريل" إلى "آدم" و"حواء" - عليهما السلام - فقال لهما : ابنيا لى بيتًا فى الأرض ، فخط لهما "جبريل" ، فجعل "آدم" يحفر ، و"حواء" تنقل التراب ، حتى أصاب الماء ، فنودى من تحته : حسبك يا "آدم" ، فلما بناه أوحى الله إليه : أن يطوف به ، وقيل له : أنت أوَّل النَّاس ، وهذا أوَّل بيت ، ثمَّ تناسخت القرون ، حتى رفع إبراهيم القواعد من البيت الأوَّل[1] .

* أوَّل من حج وطاف : "آدم" - عليه السلام - راجلاً ، وقيل : على البراق ، كما ورد فى الخبر عن عطاء ، قال : هبط "آدم" بالهند ، فقال : يارب مالى لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعه فى الجنة ، فقال : يا آدم ، انطلق فابن لى بيتًا تطوف به ، كما رأيت الملائكة يطوفون بالعرش ، فأتى مكة وبنى البيت ، وكان موضع قدمه فى سفره قرى وأنهار ، وما بين خطاه مفاوز ، فحج "آدم" - عليه السلام - من الهند راجلاً أربعين سنة .

وعن عروة بن الزبير - رضى الله عنه - قال : بلّغنى أنَّ البيت وضع لآدم ، وأنَّ

(١) تاريخ مكة .

نوحا وغيره قد حجه وزاره وعظموه قبل الغرق ، فلما أهلك الله تعالى قوم نوح بالغرق ، أصاب البيت من الغرق ، فكان ربوة حمراء ، فبعث الله عز وجل هودا إلى عاد ، فتشاغل بالأمر بدعوة قومه حتى مات ولم يحجه ، ثمَّ بعث الله صالحًا إلى ثمود ، فتشاغل ولم يبنه ، ثمَّ بوَّأه الله لإبراهيم - عليه السلام - فحجه وعلم مناسكه ودعا إلى زيارته . ثمَّ لم يبعث الله تعالى نبيا إلا حجه .

وعن مجاهد : كان موضع البيت قد خفى ودرس من الغرق بين نوح وإبراهيم - عليهما السلام - فكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول ، والناس يعلمون موضعه ، ويأتيه المظلوم من أقطار الأرض ، فيدعو عنده ، فيستجاب له ، وكان الناس يحجون إلى موضعه ، قال الشيخ الأكبر ، قدَّس سره :

الحج فرض إلهى على الناس ::: من عهد والدنا المنعوت بالناسى

* أوَّل من عانق وصافح عند اجتماع الأحباب : خليل الله ، عليه السلام ، اجتمع ذو القرنين مع "إبراهيم" فى الحرم المكى لزيارته ، فعانقه وصافحه ، وأعطاه الرَّاية ، وكان على شرعه وملته ، وهو أصح الأقوال عند بعض المحققين .

قال الشيخ فى تفسير سورة الكهف : واسمه اسكندر بن فيلقوس الرومى ، وكان بعد ثمود ، وهم قوم صالح ؛ وثمود اسم رجل ، وهو ثمود بن عاد بن ارم ، وسميت القبيلة به كما سميت مضر ، فأرسل الله تعالى إلى ثمود صالحًا - كما ذكر فى التواريخ - وعاش الاسكندر فى رواية ألفا وستمائة سنة ، وقيل : ألفين وستمائة سنة[1] .

وأما الاسكندر اليونانى ، فهو الذى أدرك أصحاب "عيسى" - عليه السلام - كجالينوس وسقراط ، وفى كتب النصارى : أن جالينوس تنبأ بعد "عيسى" - عليه السلام - ودعا إلى شرعه ودعوته ، وآمن به ، وتوفى الاسكندر بشهرزور بعدما خرج من الظلمة ، ودفن بها .

وقيل : نقل إلى أمه بالإسكندرية ، التى كان بناها فى ثلاثمائة سنة ، وكان الحق

(١) ذكره السُّيوطى ، فى محاضرته .

تعالى ابتلاه بإصلاح أحوال الدنيا ، كما أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف : ٨٤] ؛ يعنى السبب الذى يتوسل به إلى مراده فى سيره برًّا ، وبحرًا ، وكان الملك الموكل به روقائيل صاحب الأرض كلّها[١] .

* أوّل من صافح فى الإسلام: الأشعريون ؛ فيهم أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - لما دنوا من المدينة ، جعلوا يرتجزون ، ويقولون :

غـــدا نلقـــى الأحـــبة ::: محمـــدا وحـــزبـــه

فلما تقدموا صافحوا من لقوا ، فهو أوّل المصافحة فى الإسلام[٢] .

* أوّل ما نبت الورد الأحمر: بعد المعراج ، ورد فى الخبر عن "على" - كرم الله وجهه - قال: سقط ليلة المعراج من عرق جبين رسول الله ﷺ فنبت الورد منه ، فمن أراد أن يشم رائحة الحبيب ﷺ فليشم الورد الأحمر[٣] .

* أوّل ما نبتت: سروة على وجه الأرض ، حكى الإمام اليافعى ، أنَّ رجلاً ارتكب فاحشة فى بنى إسرائيل ، فأتى نهرًا يغتسل فيه ، فناداه النَّهر: أمَّا تستحى ، أمَّا تتوب ، ففرَّ إلى جبل كان بقرب النَّهر ، فوجد اثني عشر رجلاً ؛ يتعبدون فيه ، فتعبد معهم . ثمَّ مات ذلك التائب بقرب النهر ، فنبتت اثنتا عشرة سروة على رأسه ، ففهمت رفقاؤه الاثنا عشر من الزهاد ، أنَّهم يموتون هنا ، فى تعبدهم إلى انقضاء عمرهم ، فيدفن كلّ واحد حين يموت عند سروة ، والحكاية بتمامها فى روض الرياحين .

---

(١) ذكره السُّيوطى ، فى الإتقان

(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص١٤٢ : أخرج أحمد عن أنس ، قال: "قال رسول الله ﷺ يقدم عليكم غدا قوم هم أرق قلوباً للإسلام ، فقدم الأشعريون (فيهم أبو موسى الأشعرى) .فلما قدموا تصافحوا ، وكانوا أول من أحدث المصافحة .وجاء فى الأوائل للطبرانى ص٦٧ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : "أتاكم أهل اليمن ، هم أرق قلوباً ، وهم أول من حيا بالمصافحة" .
انظر: جامع الأصول ٣٤٧/٩ ، محاضرة الأوائل ١٤٠ ، عون المعبود شرح سنن أبى داود ١٢٢/١٤ ، البخارى ٢٥٠/٦ فى بدء الخلق ، ومسلم ٥١ ، ٥٢ فى الأيمان ، والترمذى ٢٢٤٤ فى الفتن ، وأحمد فى المسند ٢٣٥/٢ ، والفائق ١٢٨/٤ ، وابن الجوزى ٥١٢/٢ ، وغريب الحديث لأبى عبيد ١٦١/٢ ، والنهاية ٣٠٠/٥ .

(٣) كذا فى بعض التَّواريخ .

* **أوّل الأنهار الأربعة الشريفة:** نهر النيل ، ثمَّ نهر الفرات ، ثمَّ سيحان ، ثمَّ جيحان ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: سيحان ، وجيحان ، والفرات ، والنيل ، كلّ من أنهار الجنة ، وفي الخبر: عن كعب ؛ نهر النيل نهر العسل في الجنة ، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة[١] .

* **أوّل من ملك الخدم وسخرت لهم:** قوم موسى - عليه السلام - كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ [المائدة: ٢٠] قيل في تفسيره: ملكهم الخدم[٢] .

* **أوّل من أخذ الايلاف لقريش:** هاشم بن عبد مناف ، أخذ لهم كتاب أمان من قيصر ؛ لتأتي قريش إلى الشام للتجارة ، وكانت لهم رحلتين رحلة الشتاء والصيف[٣] .

* **أوّل ما سميت قريش قريشا:** حين هزم الله أصحاب الفيل وحبسه عنهم ؛ لأنَّ القرش القوّة والغلبة ، وقيل: سماهم قصي ، وقيل: نضر بن كنانة ، هو قريش ، وإنما سمي به ؛ لأنّه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيفسدها بماله ، والتقريش التفتيش[٤] .

وفي الشفاء ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عنه ، ﷺ: أنَّ قريشا كانت نوار بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق "آدم" - عليه السلام - بألفي عام يسبح ذلك النور ، وتسبح الملائكة بتسبيحه . فلما خلق الله "آدم" ، ركب ذلك النور في صلبه ، فأهبطت إلى الأرض في صلب "آدم" ، وجعلني في صلب "نوح" ، وقذفني في صلب "إبراهيم" حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط .

---

(١) عن كتاب: الهيئة السُّنية .
(٢) أوائل السُّيوطي . ص١٤٢ ، أخرجه عبد الرازق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير وابن المنذر عن قتادة .
(٣) أوائل السُّيوطي ص ١٤٣
(٤) كذا ذكره السُّيوطي . في الأوائل ص١٤٤ ، وانظر: ابن دحية ، التنوير في مولد السراج المنير ، أخرجه عن محمد بن عمر بن واقد .

* أوَّل الإيمان: العقل ، ووسط الإيمان: العقل ، وآخر الإيمان: العقل[١] .

* أوَّل من أظهر التوحيد بمكة وما حولها: "قس بن ساعدة" ، و"ورقة بن نوفل" ، وكانا من أهل الفترة وحكماء العرب ، أخبرا بمولد سيدنا رسول الله ﷺ وأخبر النبى ﷺ بإيمانهما ، ونهى عن سبهما ، كما ورد فى الحديث الشريف[٢] .

* أوَّل ما وجد النحاس وانتفع به الناس: فى زمان "سليمان" - عليه السلام - قال أهل التفسير: أجرى الله لـه عين القطر ثلاثة أيام ، ولياليهن كجرى الماء ، وكان ذلك بأرض اليمن ، فكلُّ ما ينتفع به الناس بعد ذلك اليوم منه ، وكان لا يعلم قبل ذلك معدنه ، فكان أوَّل من تسبب فى حفره .

* أوَّل ما وجد الملح: قيل فى بعض الأخبار: لما بنى "إبراهيم" - عليه السلام - البيت المكى ، ونادى جميع الناس بالحج ، سمع أصوات أمة كثيرة ، فقيل له: تلك أمة محمد خاتم النبيين وفخر المرسلين ، فقال: يارب ولنى ضيافتهم ، فقيل له: خذ قبضة من تراب البيت ، فانثره فى أطراف العالم ، فأخذ ونثر . ففى أى محل ومكان وقع أثره انعقد ملحا وينعقد إلى اليوم ، فنودى يا إبراهيم هذه ضيافتك لهم إلى يوم القيامة ، فإن قيل: هل كان ذلك الملح قبل أم لا؟ يمكن أن يقال بعضه على وجه الأرض ينعقد منه ، وبعضه من خلقه المعادن ؛ لأنَّ المعادن كلَّها خلقة الله فى الأرض حين دحاها وخلقها ، أو يكون نثره سببًا لظهوره وكثرته كما كان عين قطر .

* أوَّل سبب: انتفاع الناس بالنحاس ، هذا توجيه حسن ، الله أعلم بحقيقة الحال .

* أوَّل البحار السبعة: البحر المحيط ، الذى هو داخل جبل قاف ، وخارج الأرض المسكونة والخربة ، وفى الخبر عن ابن عمر ، رضى الله عنهما: تحت بحركم هذا بحر من نار ، وتحته بحر من ماء . حتى عد سبعة أبحر من نار ، وسبعة أبحر من ماء ، وعن وهب: أنَّها سبعة أبحر وسبع أرضين ، والأرض على ظهر الحوت ، واسمه بهموت[٣] .

---

(١) أخرجه الغزالى فى سير الملوك .
(٢) أوَائل السُّيوطى . ص١٤٣ ، وأضاف لهما: زيد بن عمرو بن نفيل .
(٣) ذكره: السُّيوطى ، فى كتاب: "الهيئة السُّنية" .

* أوَّل البحار الخمسة : المحيط ، وهو بحر الهند ، وهو الذى يقال له : بحر الصين ، وله اتصال بالبحر المحيط ، وهو أكبر خلجانه .

والثانى بحر المغرب ، ويسمى أيضًا بالمحيط وبحر دقيانوس ، ويتصل به بحر الهند ، وكان لا تجرى فيه السفن ، بل يسلك من قرب ساحله ؛ ولهذا يسمى بالمحيط .

والثالث بحر الشام والروم ومصر .

والرَّابع بحر بيطيس الشهير ببحر كفه وقارة دكز ، يمتد خليجه إلى خلف قسطنطينية .

والخامس بحر جرجان وشروان وباب الأبواب والديلم ، وليس يتصل ببحر آخر .

قال الفخر الرازى ، رحمه الله : هذه البحار الخمسة بحور عظام ، وغيرها بحيرات وبطائح وخلجان[١] .

* أوَّل من أوقدت الشموع بين يديه وأول من نصب للحرب المجانيق والبناديق ، وأول من اجتمع له الملك بالعراق : جذيمة الأبرش ، من ملوك مصر[٢] .

* أوَّل من حمل العرب على عبادة الأصنام : عمر بن لحى ، وهو أول من غير دين الحنيفية ، وسيب السائبة ، وجعل الوصيلة ؛ وذلك أنَّه رأى فى سفره إلى الشام أنَّ العمالقة يعبدون الأصنام . فأخذ منهم صنما يقال له : هبل ، فأمر قريشًا باتخاذ الأصنام ، ورغبهم ، فاتخذوا بعد ذلك فى الكعبة اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة مسخافى الطواف لالتقاء ساقيهما هناك بشهوة زنية .

وذكر فى تاريخ مكة سبب آخر لعبادة الأصنام فى بنى إسماعيل ، عليه السلام : أنَّهم كانوا لا يظعنون من الحرم إلا ويحملون حجرًا منه ؛ يتبركون به حيثما تمكنوا من البلاد والمفاوز . ثمَّ خلفت طوائف من بعدهم ، فعبدوا تلك الأحجار واتخذوها

---

(١) كنز الأسرار .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص١٤٣ .

صورا ؛ جهلا منهم ، وطغيانا ، والعياذ بالله .

* **أوَّل من حمل إليه الثلج والجمد من الكهوف والجبال:** الحجاج بن يوسف ، وهو أمير المروانية على العراق(١) .

* **أوَّل ما ظهر من الظلم فى الملة الإسلامية:** قول الناس تنح عن الطريق ، وقيل: حدث ذلك فى خلافة "عثمان" - رضى الله عنه - فنهى الناس عن ذلك(٢) .

* **أوَّل منكر فى الإسلام ظهر بالمدينة:** طيران الحمام ، والرمى بالبندق ، وذلك فى زمن "عثمان" - رضى الله عنه - فقص الحمام ، وأمر بكسر الجلاهقات(٣) .

* **أوَّل شئ ابتدعه الناس بعد رسول الله ، ﷺ:** اتخاذ المناخل ، فهى من البدع المباحة(٤).

* **أوَّل من اتخذ النيروز:** جمشيد الملك ، وفى زمانه بعث "هود" - عليه السلام - إلى "عاد" و"صالح" - عليه السلام - إلى "ثمود" ، وكان الدين قد تغير ، فلما ملك جمشيد جدد الدين ، وأظهر العدل ، فسمى اليوم الذى جلس فيه على سرير الملك نوروزا . فلما بلغ من عمره سبعمائة سنة ، وما مرض ولا وجع رأسه ، تجبر وطغى ، فاتخذ شكلا على صورته ، وأرسلها إلى الممالك ليعظموها ، فتعبدها العوام ، واتخذوا على مثالها أصناما ، فهجم عليه الضحاك العلوانى من العمالقة باليمن ، فقتله وهزمه(٥) .

* **أوَّل من اتَّخذ المهرجان:** أفريدون ، وكان الدين قد فسد قبل أيامه ، أفسده

---

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٤٣ .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص١٤٨ ، ذكره الثعالبى .
(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص١٤٩ ، أخرجه ابن عساكر عن حكيم بن عباد ، و"الجُلاهق" البُندة المعمول من الطين ، الأملس المدور ، الذى يُرمى به ، واحدته "جُلاهقة" المعجم الكبير ٤٨٨/٥ .
(٤) ذكره الغزالى ، فى الإحياء .
(٥) ذكر فى التواريخ ، جاء فى أوائل السيوطى ص ١٤٦ ، أول من اتخذ النيروز "جم" الملك الذى بنى مدينة "طوس" . النوروز: اليوم الجديد .

الضحاك العمالقى ، كان أرسله شداد من اليمن ؛ لقتال جمشيد ملك العجم ، فوثب عليه أفريدون ، وكان من أسباط جمشيد فقيّده وحبسه مطلسما بالنكال فى جبل نهاوند . وأراد المأمون أن يطلع عليه ، فمنعه بعض الحكماء ؛ خوفًا من الفتنة ، وكان الضحاك ساحرًا ، ومريدًا ، وعفريتًا عنيدًا ، يأوى إليه كلُّ شيطان عنيد ، ملك ألف سنة ظالما يتغذى بمضرة الناس ، متحيلا بالحيل الشيطانية والمكور الجنية ، تفرَّد بالسحر ، لم يسمع بمثله ، وكان هيكلا لإبليس الأبالسة ؛ فلهذا امتد عمره فسمى اليوم الذى ظهر فيه وغلب عليه المهرجان (المهر): الوفاء - و(جان): السلطان . فمعناه: سلطان الوفاء . فأقام أفريدون العدل ، وأظهر الدين الآدمى ، وهو الإسلام ، وقبل كان على ملة "إبراهيم" - عليه السلام - أدرك عهده ، وملك خمسمائة ، كما ذكره الغزالى والبيضاوى وغيرهما[1] .

* **أوَّل من أخر النَّيروز:** المتوكل على الله ؛ لأنَّ النَّاس تضرروا بأخذ الخراج منهم ، والزرع أخضر ، فأخره إلى يوم يسمى بروز خضر ؛ فقال الشاعر فى مدحه:

لك فى المجد أوَّل وأخير ::: ومساع صغيرهن كبير
إنَّ يوم النيروز صار إلى ::: العهد الذى كان سنه أردشير[2]

* **أوَّل من عمل ولعب بالنرد:** سابور بن أردشير ، وهو الثانى من الملوك الساسانية ، شبه رقعته بوجه الأرض ، والتقسيم الرباعى بالفصول الأربعة ، والشخوص الثلاثين بثلاثين يوما ، والسواد والبياض بالليل والنهار ، والبيوت الاثنى عشر بشهور السنة ، والكعاب الثلاثة بالأقضية السماوية بما للإنسان وعلى الإنسان . وما ليس له ولا عليه ، والخصال بالأغراض التى يسعى الإنسان لأجلها ، واللعب بها بالكسب ، فصار من يلعب به لائقا بالوعيد المفهوم من تشبيه أحد الأمرين بالآخر ، لاجتهاده فى إحياء سنة المجوس ، وقد اتفق العلماء على حرمته ؛ ذكره الإمام العلامة الأكمل فى شرح مشارق الأنوار ، عند شرح الحديث: "من لعب بالنردشير ، فكأنما

---

(١) أوائل السيوطى ، ص ١٤٦ .
(٢) أوائل السيوطى ، ص ١٤٦ ، والشعر للبحترى .

غمس يده فى الخمر ولحم الخنزير"(١) .

* أوَّل من لعب النرد: القرمس المجوسى ، فى زمن الملك: نصيب ابن برهمن الأكبر ، فلعب به وجعله مثلا للمكاسب ، وأنها لا تنال بالكسب والحيل ، وأنها تنال بالمقادير(٢) .

* أوَّل من عمل الشطرنج: حكيم ، فى زمن الملك "تلهيت" ، فبين بعلبة الظفر الذى يناله الحازم ، والنكبة التى تلحق الجاهل ، وأوَّل من أدخله بلاد العرب: "عمرو بن العاص"(٣) .

(حكاية علوية):

دخل "علىّ" على قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال ، رضى الله عنه: ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، وقال العلماء: لا ترى شطرنجيا غنيا إلا بخيلا ولا فقيرًا إلا طفيليا ، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج ، واحتضر شطرنجى وهو يقول: شاه مات شاه ، فمات بما أحيا به الأوقات ، ونسى الشهادة والأنابات ، والعياذ بالله من كلّ شاغل يشغل عن ذكر الله تعالى(٤) .

* أوَّل من اتخذ السمر بالليل: الاسكندر اليونانى ، كان له قوم يضحكونه ويحكون له الخرافات ؛ يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه وتنشيط خاطره ، وبه اقتدى الملوك فى المسامرة واتخاذ المضاحك والقاصين والمحرفين بالكنايات والإشارات . وفيه تنشيط الخواطر والقاء المصالح على الملوك بالتدريج بما فيها من صفة التجبر والاستعلاء والكبرياء المطبوعة فى النفوس التى صعبت إزالتها على نفوس الصديقين ، كما أشار إليه بعض الأكابر: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة(٥) .

---

(١) ، (٢) أوائل السيوطى ص١٤٨ ، وذكر أنه كان فى زمن الملك نصيب بن البرهمن الأكبر وانظر أيضاً: المسعودى/ مروج الذهب ٩١/١ ، ٩٥ .

(٣) أوائل السيوطى ص١٤٨ ، واسم الملك "بلهيت" .

(٤) من كتاب المحاضرات .

(٥) ذكره المقريزى ، فى تاريخه .

* أوَّل من اكتحل بالإثمد: اليمامة الزرقاء ، كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ، وهى جارية عربية ؛ يضرب بها المثل ، يقال: أبصر من زرقاء اليمامة ، ولها حكايات من أعمال المكايد للأعداء برؤيتها العساكر من بعيد ، فظفر بها بعض ملوك العرب بحيلة ، فأمر بإخراج عينها ، فوجدت عروقها مملوءة بالإثمد ؛ لكثرة استعمالها له(١) .

* أوَّل من نسب الجنون فى الإسلام: أويس القرنى - قدَّس الله سره - لأنَّه كان على خلاف ما عليه أهل الدنيا . كان يبكى فى الأعياد ، ويسكن المقابر ، ويرافق المجانين ؛ قيل: استشهد فى غزوة صفين ، قدام أمير المؤمنين "على" - رضى الله عنه - وهو أفضل التابعين من الأولياء ، كما صرح به النووى وغيره(٢) .

* أوَّل العشق: النظر ، وآخر الحريق: الشرر ، قاله بعض العشاق .

* أوَّل ما يدخل فى الرأس: يقال له السنة ، فيسمى بين النوم واليقظة ، وإذا وصل القلب سمى نوما(٣) .

* أوَّل عقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا: مفارقة الأحباب ، كما عوقب أبونا آدم ، حين هبط بفراق أمنا حواء ، ثمَّ بفراق ابنه هابيل ، فبكى عليه سنين ، قاله السرى السقطى .

* أوَّل من عمل مقياسا لزيادة النيل ؛ خوفا من طغيانه على البلاد: الملك حصيلم ، قبل الطوفان بدهر ، ثمَّ أوَّل من عمله بعده "يوسف" ، وقيل: "سليمان" ، عليهما السلام(٤) .

* أوَّل من بنى بدار الرباط دورا: عقبة بن نافع الصاحبى ، حين فتح بلاد أفريقية بالمغرب ، فى خلافة أمير المؤمنين "عمر" ، رضى الله عنه(٥) .

---

(١) خريدة العجائب .
(٢) أوائل السيوطى ص١٤٧ ، وانظر أبا القاسم الحزين محمد/عقلاء المجانين .
(٣) من تفسير أبى الليث .
(٤) أوائل السيوطى ، ص١٤٨ ، وذكره اسم الملك "خصليم" من ملوك مصر قبل "نوح" عليه السلام بدهر ، فإن "نوحاً" ولد فى زمن "هوصال" .ذكره ابن فضل الله فى المسالك .
(٥) من تاريخ الخلفاء .

* أوّل من قيل لهم عبيد العصا: بنو أسد ؛ لأنَّ ملكهم نادى بقتلهم ، ثمَّ أعتقهم ، فطلبوا منه أمانا ، فأعطى كلّ واحد منهم عصا . وهو مثل يضرب للذليل(١) .

* أوّل من قرعت له العصا: عامر بن الظرب ، لما عرض له خبل فى عقله ، فقال لبنيه: إذا عرض لى سهو وقلت كلاما فى غير محله ، فاقرعوا لى المجن بالعصا ؛ ولذا قيل: إنَّ العصا قرعت لذى حلم(٢) .

* أوّل من طوى المنازل: طيىء ، الذى ينسب إليه الطائيون ؛ وبذلك سمى طيأ ، وهو عدى بن حاتم الطائى ، الشهير بالجود من العرب العاربة ، وله مناقب فى الجود والشجاعة ، وهما فى الفتى من خير الغرائز(٣) .

* أوّل من آثر العزلة والخلوة: أبو ذر الغفارى ، وكان أزهد الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين(٤) .

* أوّل هذه الأمة: خيارهم ، وآخرها شرارهم ؛ فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلتأته منيته وهو يأتى الناس بما يحب أن يؤتى إليه(٥) .

* * * * * * *

---

(١) أوَائل السُّيوطى ، ص١٤٩ ذكره الميدانى فى الأمثال نقلاً عن المفضل .
(٢) أوَائل السُّيوطى ، ص ١٤٩ وقال هو "عمرو بن مالك بن ضبيعة الكنانى بمجلس النعمان بن المنذر وقيل عامر بن الظرب العداونى .
(٣) أوَائل السُّيوطى ، ص١٤٩ .
(٤) أوَائل السُّيوطى ، ص١٢٧ ، عن أبى نعيم فى "معرفة الصحابة" فى ترجمة أبى ذر .
(٥) أخرجه السُّيوطى ، عن ابن مسعود ، رضى الله عنه .

الفصل الخامس والثلاثون
فى الأوَّائل المتعلقة بأشراط السَّاعة وأوَّائل الفتن، وما يتعلق بالباب من البعث والنُّشور، والحساب والسُّؤال

* أوَّل الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة[١] على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبا منها - كذا فى صحيح مسلم- وفى الصحيح أيضا: الآيات خرزات منظومات فى سلك، فإذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا، وفى الصحيح أيضا: الآيات بعد المائتين؛ يعنى بعد الألف، والتفصيل فى كتاب الكشف فيما يجاوز هذه الأمة الألف، للسيوطى

* أوَّل ما تفقدون من دينكم: الخشوع والأمانة[٢].

* أوَّل ما ينزع من العبد: الحياء.. الحديث[٣].

* أوَّل النَّاس هلاكًا: قريش، وأوَّل قريش هلاكًا: أهل بيتى[٤].

* أوَّل الناس هلاكًا: فارس، ثمَّ العرب على أثرهم[٥].

* أوَّل أشراط الساعة: نار تحشر الناس من المشرق[٦].

* أوَّل صلاح هذه الأمة: فى الزهد واليقين، وأوَّل فسادها: فى البخل، وطول الأمل.. الحديث[٧].

* أوَّل ما يرفع: الركن، والقرآن، ورؤيا النبى - عليه السلام - فى المنام.

---

(١) أوائل السيوطى، ص ١٥٠، أخرجه مسلم عبد الله بن عمرو مرفوعاً - صحيح مسلم ٥/٨٩٧..
(٢) أوَّائل السُّيوطى، ص١٥٠ (الحياء والأمانة) أخرجه أبو نعيم عن أبى هريرة مرفوعاً.
(٣) أوَّائل السُّيوطى، ص١٥٠ أخرجه ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعاً.
(٤) أوائل السيوطى ١٥٠، أخرجه الطبرانى عن عمرو بن العاص مرفوعاً.
(٥) خريدة.
(٦) أوَّائل السُّيوطى، ص١٥٠، أخرجه الشيخان عن أنس مرفوعاً.
(٧) أوَّائل السُّيوطى، ص١٥٠ أخرجه الطبرانى فى (الأوسط) عن ابن عمر مرفوعاً.

* أوَّل رحمة ترفع من الأرض : الطاعون . . الحديث[١] .

* أوَّل طغيان هذه الأمة : ركوب سروج النمور والبراذين (الطخارية) [٢] .

* أوَّل هلاك هذه الأمم : أمة الجراد ، فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل النظام إذا قطع سلكه ، وأخرج الترمذى الحكيم ، فى كتاب "نوادر الأصول" : صار الجراد أوَّل هذه الأمم هلاكًا لأنَّه خلق من الطينة التى فضلت من خلق "آدم" - عليه السلام - وإنما تهلك الأمم بهلاك الآدميين ؛ لأنها سخرت لهم .

وفقد الجراد سنة فى خلافة "عمر" - رضى الله عنه - فاغتم غما شديدا ، فبعث إلى اليمن راكبًا ، وإلى الشَّام ، وإلى العراق يسألون : هل رأى أحد الجراد ، فوجده فى اليمن ، فأخذ منه قبضة ، فجاء فنشرها بين يدى أمير المؤمنين ، فلما رآه "عمر" - رضى الله عنه - كبَّر تكبيرا ، وقال سمعت رسول الله ﷺ قال : إنَّ الله عز وجل خلق ألف أمة ؛ ستمائة منها فى البحر ، وأربعمائة فى البر ، وإنَّ هلاك هذه الأمم فى البر الجراد . . إلى آخر الحديث[٣] .

* أوَّل بلاء حدث فى هذه الأمة بعد نبيها : الشبع من أنواع النعم ، فإنَّ القوم كلما شبعت بطونهم ، سمنت أبدانهم ، فضعفت قلوبهم ، وجمحت شهواتهم ، أخرجه الإمام البخارى ، عن أم المؤمنين "عائشة" ، رضى الله عنها[٤] .

* أوَّل من أقر بالبعث من غير علم : قس بن ساعدة ، وهو مؤمن أهل الفترة ، له مناقب جلية حكمية[٥] .

* أوَّل ما ينادى المؤمن فى قبره : ملك اسمه رومان ، يجوس خلال المقابر ، فيقول له : يا عبد الله اكتب عملك ، فيقول : ليس معى قرطاس ولا دواة ، فيقول له :

---

(١) أوائل السُّيوطى ، ص١٥٠ وتكملته (وأول نعمة ترفع من الأرض العسل - الجامع الكبير ٣٢٢٩/١ .
(٢) أوائل السُّيوطى ، ص١٥٠ وانظر : الديلمى/ الفردوس - عن أبى الدرداء .
(٣) من كتاب : حياة الحيوان .
(٤) أوائل السيوطى ص١٥١ .
(٥) من مزهر اللغة ، ٥٠٣/١ ، وهو أول من قال : أما بعد .وفى جامع الأمثال للقمى وأبلغ من قس) .

هيهات ، كفك قرطاسك ، ومدادك ريقك ، وقلمك إصبعك ، فيقطع له قطعة من كفنه ، ثمَّ يجعل العبد يكتب .

وإن كان غير كاتب في الدنيا يتذكر حسناته وسيئاته كيوم واحد ، ثمَّ يطوى الملك تلك الرقعة ويعلقها في عنقه ، فقرأ الآية رسول الله ، ﷺ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء : ١٣] ثم يسئل سؤال القبر بعد ذلك ، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - حين سئل عن معنى الآية[١] .

* أوَّل منزل من منازل الآخرة : القبر ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج فما بعده أشد منه[٢] .

* أوَّل ما يخلق من ابن آدم : عجب الذنب ، وهو الذى يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه[٣] .

* أوَّل عضو تركب منه البدن : عجب الذنب ، مثل حبة الخردل ، وورد في الحديث : "يبلى المرء كلّه إلا عجب الذنب ، منه بدئ ، ومنه يعود"[٤] .

* أوَّل ما يدخل التراب في القبر : عين الإنسان ، هذا من جواب "يوسف" - عليه السلام - لسؤال زليخا ، حين سألته : ما أحسن عينك ووجهك وحاجبك؟ فأجاب : أوَّل ما يدخل التراب . . إلخ .

* أوَّل ما يأكله الديدان : وجه الإنسان[٥] .

* أوَّل ما يبلى ويختلط بالتراب : حاجب الإنسان[٦] .

* أوَّل ما يبدو من الإنسان بعد البلى في القبر : عجب الذنب ، منه بدئ ، ومنه

---

(١) من الدرة الفاخرة .
(٢) كنز الأسرار .
(٣) كنز الأسرار .
(٤) من الدرة الفاخرة .
(٥) تفسير الأصول .
(٦) تفسير الأصول .

يعود يبلى المرء كله إلا عجب الذنب ، وهو عظيم على قدر الحمصة ، ليس له مخ منه تنبت الأجسام فى قبورها من مواقف الآخرة .

* **أوَّل ما يتكلم من الآدمى:** فخذه وكفه ؛ يعنى يوم القيامة عند شهادة الأعضاء نقله القرطبى وأخرجه أحمد عن معاوية بن حيدة مرفوعاً[(١)] .

* **أوَّل ما يوضع فى ميزان العبد:** نفقته على عياله ، الحديث من مواقف الآخرة[(٢)] .

* **أوَّل من يحيى الله من الملائكة:** جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل - عليهم السلام - وفى رواية عن وهب: أوَّل من يحيه الله من الملائكة ؛ المدبرات أمرًا ، والمقسمات[(٣)] .

* **أوَّل من يحيه الله تعالى:** إسرافيل ، فيأخذ الصور وينفخ فيرجع كلّ روح إلى جسده بإذن الواحد القهار ، ويحشر كلّ روح حتى الذباب ؛ اختلف أهل العلم فى عدد النفخات ، قيل: نفختان ، وقيل: ثلاث ؛ نفخة الفزع والصدق والبعث ، والمشهور الأصح عند الأكثر نفختان ؛ لأنَّ نفخة الفزع نفخة الصدق ، والله أعلم بحقائق الأمور[(٤)] .

* **أوَّل ما يسأل عنه العبد يوم القيامة:** يقال ما عملت فيما علمت[(٥)] .

* **أوَّل من يدعى يوم القيامة:** القضاة ، وفى رواية: يتمنى القاضى أنَّه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط ، وأخرج السيوطى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ، ﷺ : عج حجر إلى الله تعالى ، فقال: إلهى وسيدى عبدتك كذا وكذا سنة ، ثمَّ جعلتنى فى أس كنيف ، فقال: أو ما ترضى أن عدلت بك عن مجالس القضاة[(٦)] .

---

(١) أوائل السيوطى ص١٥٢ .
(٢) أوائل السيوطى ص١٥٢ ، أخرجه الطبرانى عن جابر مرفوعاً .
(٣) أخرجه السُّيوطى ، فى علوم الآخرة .
(٤) من البدور السافرة ، فى علوم الآخرة .
(٥) من مواقف الآخرة .
(٦) من مواقف الآخرة .

* **أوَّل موقف إذا خرج الناس من قبورهم:** يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة ، حفاة عراة جياعا عطاشا ، فمن خرج من قبره مؤمنا بربه مؤمنا بنبيه ، وما جاء به من عند الله ، فقد نجا وفاز وغنم وسعد ، ومن شك فى شئ بقى فى جوعه وعطشه وهمه وكربه ألف سنة حتى يقضى الله فيه بما شاء ، الحديث عن "على" ، رضى الله عنه[١] .

* **أوَّل ما يقول الله تعالى للمؤمنين ، وأوَّل ما يقول المؤمنون ؛ يعنى عند دخول الجنة:** قال رسول الله ، ﷺ: إن شئتم أخبرتكم بأوَّل ما يقول الله تعالى للمؤمنين ، وبأوَّل ما يقول المؤمنون ، يقول الله للمؤمنين: هل أحببتم لقائى؟ فيقولون: نعم ياربنا ، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ورحمتك ، فيقول الله تعالى: قد وجبت لكم رحمتى[٢] .

* **أوَّل من يجئ أمام العلماء يوم القيامة:** معاذ بن جبل ، قال أهل التحقيق من أهل الحديث فى سبب مجيئه: زهده ؛ لأنَّه كان أزهد الصحابة وأعلمهم بالحلال والحرام ، يجيء أمامهم بدرجة ، وفى رواية: بخطوة ، وفى رواية: بنبذة[٣] .

* **أوَّل من يدعى يوم القيامة:** "آدم" ، فيترآى ذريته ، فيقال: هذا أبوكم "آدم" ، فيقول: لبيك وسعديك ، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول: يارب كم أخرج؟ فيقول: من كل مائة تسعة وتسعين ، فقالوا: يا رسول الله ، إذا أخذ منا من كلّ مائة تسعة وتسعون ، فماذا يبقى؟ قال: إنَّ أمتى فى الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود .

قال الإمام الحافظ: هذا أوَّل شئ يقع يوم القيامة ، وورد فى الأحاديث إشارات إلى كثرة الأمم من بنى آدم وغيره ؛ فأهل الإيمان بالنسبة إليهم كواحد من الألف ،

---

(١) من الفتوحات المكية .
(٢) من مواقف الآخرة ، عن: معاذ بن جبل ، وأخرجه الغزالى ، فى: درة الآخرة .
(٣) ذكره السُّيوطى ، فى علوم الآخرة ، بتفاصيله .

وفى الحديث الصحيح: أنَّ من يأجوج وماجوج ألفا، ومنكم واحدا[١].

* **أوَّل خصم يقضى عليه يوم القيامة:** عنزان ذات قرن، وغير ذات قرن.. الحديث[٢].

* **أوَّل من يحاسب يوم القيامة:** اللوح، يدعى به ترعد فرائصه، فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم ربنا، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيدعى إسرافيل ترعد فرائصه، فيقال: هل بلغك اللوح؟ فإذا قال نعم، قال اللوح: الحمد لله الذى نجانى من سوء الحساب، ثمَّ يدعى جبريل ترعد فرائصه، فيقول: ما صعنت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل، فيؤتى بالرسل، فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس، فهو قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

قال الغزالى: إنَّما يدعى بالرسل للسؤال بعد الحكم بين البهائم ومصيرها ترابا، والتفصيل فى ذلك فى البدور السافرة للسيوطى ومواقف الآخرة لكاتب الرسالة فليطلب ثمة؛ لأنَّ الغرض من كتابى هذا إجمال تواريخ الكونين.

* **أوَّل من ينظر إلى الله تعالى يوم القيامة:** من كان ضريرًا؛ أى أعمى[٣].

* **أوَّل من يرد على الحوض:** فقراء أمتى الشعث رؤسا، الدنس ثيابا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السدد.. الحديث[٤].

* **أوَّل من يستظل فى ظل العرش:** رجل أنظر معسر، أو محا عنه.. الحديث[٥].

* **أوَّل من يحاسب:** "جبريل" - عليه السلام - لأنَّه كان أمين الله إلى رسله، وفى

---

(١) كذا فى: كنز الأسرار، وعلوم الاخرة، وغيرهما.
(٢) من كتاب: حياة الحيوان.
(٣) الحديث أخرجه السُّيوطى، فى الأوَّائل ص١٥١، أورده الديلمى فى الفردوس عن سمرة بن جندب مرفوعاً "واللالكائى" فى "السنة" عن الحسن البصرى.
(٤) أوَّائل السُّيوطى ص١٥١، والحديث أخرجه الترمذى عن ثوبان مرفوعاً.
(٥) أوَّائل السُّيوطى ص١٥١، أخرجه مسلم عن أبى اليسر مرفوعاً.

الخبر: جبريل يولى أمر الميزان يوم القيامة . . الحديث[١] .

* أوَّل من تنشق عنه الأرض ، وأوَّل من يقرع باب الجنة ، وأوَّل شافع ومشفع ، وأوَّل من ينظر إلى الله تعالى: رسول الله وحبيبه ؛ محمد ﷺ كما ورد فى الأحاديث الصحيحة[٢] .

* أوَّل من يشفع يوم القيامة: الأنبياء ، ثمَّ العلماء ، ثمَّ الشهداء . . الحديث[٣] .

* أوَّل من يقضى بين الناس يوم القيامة: فى الدماء . . الحديث[٤] .

* أوَّل ما يحاسب العبد: عن صلاته . . الحديث[٥] .

* أوَّل ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم: أن يقال له: ألم أصح جسمك ، وأروك من الماء البارد . . الحديث[٦] .

* أوَّل ما يوضع فى الميزان: الخلق الحسن . . الحديث[٧] .

* أوَّل خصمين يوم القيامة: جاران . . الحديث[٨] .

* أوَّل من يجوز على الصراط: فقراء المهاجرين ، قاله اليهودى ، حين سأله عن ذلك[٩] .

---

(١) أخرجه السُّيوطى ص١٥١ ، أخرجه ابن أبى حاتم عن عطاء بن السائب .

(٢) ، (٣) أوائل السيوطى ص١٥٢ ، أخرجه الطبرانى عن عثمان بن عفان مرفوعاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة .

❖ وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا أول من يقرع باب الجنة" .

❖ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا أول شافع ، وأول مشفع" .

❖ وعن جابر بن عبد الله ، قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا أول شافع ، وأول مشفع يوم القيامة" .انظر أوائل السيوطى ص١٥١ ، والحديث مسند إلى الديلمى عن أنس مرفوعاً ، وانظر الطبرانى ، الأوائل ص٤٧ إلى ص٥٤ .

(٤) أوَّائل السُّيوطى ص١٥٢ ، أخرجه الشيخان عن ابن مسعود مرفوعاً ، الجامع الصغير ١١٢/١ .

(٥) أوَّائل السُّيوطى ص١٥٢ ، أخرجه الحاكم عن أبى هريرة مرفوعاً .

(٦) أوَّائل السُّيوطى ص١٥٢ ، رواه الترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً .

(٧) أوَّائل السُّيوطى ص١٥٢ ، أخرجه الطبرانى عن أم الدرداء مرفوعاً .

(٨) أوَّائل السُّيوطى ص١٥٢ ، أخرجه أحمد عن عقبة بنعامر مرفوعاً (الجامع الصغير ١١٢/١ وهو ضعيف) .

(٩) من كنز الأسرار .

* **أوَّل الناس ورودًا على الحوض**: فقراء المهاجرين . . الحديث(١) .

* **أوَّل من يأخذ كتابه بيمينه**: أبو سلمة بن عبد الأسد ؛ لأنَّه هاجر أولا من مكة إلى المدينة ، شرفهما الله تعالى(٢) .

* **أوَّل من يأخذ كتابه بشماله من هذه الأمة**: الأسود بن عبد الأسد ، أخو أبى سلمة المذكور(٣) .

* **أوَّل الناس إجازة ؛ يعنى على الصراط**: قيل يا رسول الله ، فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد الحوت ، قيل: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة ، الذى يأكل من أطرافها ، قيل: فما شرابهم؟ قال: من عين تسمى السَّلسبيل ، قيل: صدقت(٤) .

* **أوَّل ما يأكله أهل الجنَّة**: زيادة كبد الحوت ، الذى عليه قرار الأرضين السبع ، يشوى لهم ، ويعطى مع الأرض يومئذ ، وهى كقرصة جيدة غضة ، وفى رواية: كخبزة نقية يتكمأها الجبار بيده(٥) .

* **أوَّل ما يقضى الله تعالى فيه**: الدماء ، **وأوَّل ما يعطون أجورهم**: الذين ذهبت أبصارهم بعمى ، وينادى يوم القيامة بالمكفوفين: أنتم آخر من ينظر إلى(٦) ، فيستحى الله تعالى منهم ، فيقول: اذهبوا إلى ذات اليمين(٧) .

* **أوَّل من يكسى حلة من النار**: إبليس ، فيضعها على جانبه ، ويسحبها

---

(١) أخرجه: الترمذى ، رحمه الله .
(٢) من كنز الأسرار .
(٣) من كنز الأسرار .
(٤) من كنز الأسرار .
(٥) كذا ورد فى الأحاديث المشهورة الحسنة ، كما ذكره الغزالى ، فى درته ، والسيوطى فى الأوائل ١٥٧ (الجامع الصغير ١/ ١١٢) .
(٦) قوله أول الناس إجازة . . إلخ هكذا بالنسخ التى بأيدينا ، ولعل فيه سقطا هو قوله فقراء المهاجرين كما مر فى رواية أخرى أهـ (مصححه) . الملحوظتان السابقتان لمصحح المتن الذى قمنا بتحقيقه .
(٧) أخرجه الغزالى ، فى درته .

خلفه ، وذريته من خلفه ، وهو يقول: وا ثبوراه ، وهم يجاوبونه يا ثبوراهم ، حتى يقفوا على النار ، فيقال لهم: ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾(١) [الفرقان: ١٤].

* **أوَّل من يكسى:** إبراهيم الخليل ، يقول الله تعالى: اكسوا خليلى ، فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ، ثمَّ يقعد مستقبل القبلة ، ثمَّ أوتى بكسوتى ، فألبسها ، فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد غيرى يغبطنى فيه الأوَّلون والآخرون(٢).

* **أوَّل من يكسى من حلل الجنة بعد النبيين والشهداء:** بلال الحبشى ، ثمَّ صالحوا المؤذنين(٣).

* **أوَّل وراد على الحوض:** أولكم إسلاما على .. الحديث عن سليمان ، رضى الله عنه(٤).

* * * * * * *

---

(١) من كنز الأسرار ، وانظر أوائل السيوطى ص١٥٢ ، أخرجه أحمد عن أنس مرفوعاً.
(٢) أخرجه الغزالى ، فى درته ، أوائل السيوطى ص١٥١ ، أخرجه الشيخان عن ابن عباس مرفوعاً.
(٣) أخرجه السُّيوطى ، فى: علوم الآخرة.
(٤) أخرجه السُّيوطى ، فى: علوم الآخرة.

الفصل السادس والثلاثون
فى الأوائل المختصة بدخول الجنان والنيران، وشفاعة حبيب الرحمن

* أوَّل من يستفتح أبواب الجنة: رسول الله ، صلوات الله عليه وسلم ، لما ورد فى الصحيح أنَّه قال: آتى باب الجنة ، فأستفتح ، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد ، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك(١) .

* أوَّل درجات الجنان ؛ وهى مائة درجة ، أول درجة منها: دورها وبيوتها وأبوابها وسررها من فضة ، والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها من ذهب ، والدرجة الثالثة مساكنها وما فيها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد ، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هى إلا الله تعالى .

وفى الحديث الصحيح: فى الجنة مائة درجة بين كلّ درجتين ما بين السماء والأرض ، وأعلاه الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وفى الحديث: سلوا الله تعالى الفردوس ، فإنَّها سرة الجنة ، وأنَّ أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش(٢) .

* أوَّل من يدخل الجنة من هذه الأمة: أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - لأنَّه أوَّل من آمن وصدَّق(٣) .

* أوَّل الخلق دخولاً الجنة يوم القيامة: الأنبياء ، ثمَّ الشهداء ، ثمَّ مؤذنو الكعبة ، ثمَّ مؤذنو بيت المقدس ، ثمَّ مؤذنو مسجدى ، ثم سائر المؤذنين على قدر أعمالهم ، قاله ، ﷺ ، حين سئل عن ذلك(٤) .

* أوَّل من يدعى إلى الجنة من الأغنياء: عبد الرحمن بن عوف(٥) .

---

(١) من كتاب الشفاء ، وغيره .
(٢) أخرجه السُّيوطى .
(٣) أخرجه السُّيوطى ، فى الأوائل ص١٥٢ ، أخرجه عن ابن داود عن أبى هريرة مرفوعاً .
(٤) أوَائل السُّيوطى ص١٥٢ ، والحديث إلى كلمة (الشهداء) أخرجه الطبرانى عن عثمان بن عفان مرفوعاً .
(٥) أوائل السيوطى ص ١٥٣ .

* أوَّل من يدعى إلى الجنة : الحمادون فى السراء والضراء . . الحديث[١] .

* أوَّل من يدخل الجنة : التاجر الصدوق . . الحديث[٢] .

* أوَّل من يدخل الجنة : أهل المعروف . . الحديث[٣] .

* أوَّل من يفتح لـه أبواب الجنة : أنا ، وقال ، ﷺ: الجنة محرمة على جميع الأمم ؛ حتى ادخلها أنا وأمتى الأوَّل ، فالأوَّل . . الحديث[٤] .

* أوَّل من يقرع باب الجنة : أنا ، فادخلها ، فأرى امرأة تبادرنى ، فأقول لها : مالك ومن أنت؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتامى[٥] .

* أوَّل من يدخل الجنة من أمتى : سبعون ألفا ، مع كلّ ألف ، سبعون ألفا ، ليس عليهم حساب . . الحديث[٦] .

* أوَّل زمرة تدخل الجنة : على صورة القمر ، ليلة البدر ، ثمَّ الذين يلونهم ، كأضواء نجم درى ، ثمَّ الذين يلونهم مثل ذلك ، ثمَّ أهل الشَّفاعة[٧] .

* أوَّل جنة أعلاها وأقربها من العرش : جنة عدن ، وهى قصبة الجنة ، وفيها الكثيب الذى تقع فيه الرؤية ، وهى أعلى جنة فى الجنان ، يدور عليها سبعة أسوار ؛ بين كلّ سورين جنة ، فالتى تلى جنة عدن من الجنان هى جنة الفردوس ، وهى أوسط الجنات التى دون عدن ، وأفضلها ، ثمَّ جنة الخلد ، ثمَّ جنة النعيم ، ثمَّ جنة المأوى ، ثمَّ دار السلام ، ثمَّ دار المقام . . وأما الوسيلة ؛ فهى أعلى درجة فى أعلى الجنان ، وهى جنة عدن ، فإنَّها أعلى الجنات ، وهى لرسول الله ﷺ بدعاء أمته ، فعل ذلك

(١) أوائل السُّيوطى ص ١٥٣ ، أخرجه أبو نعيم عن أنس مرفوعاً .
(٢) أوائل السُّيوطى ص١٥٣ ، أخرجه ابن أبى شيبة عن أبى ذر مرفوعاً (الجامع الكبير ١/٣٢٤٢) .
(٣) من علوم الآخرة .
(٤) أخرجه السُّيوطى .
(٥) أخرجه السُّيوطى .
(٦) أخرجه السُّيوطى .
(٧) أخرجه السُّيوطى .

سبحانه ؛ حكمة منه لسر إلهى خص به النبى الكريم ، ﷺ[١] .

* أوَّل ثلاثة يدخلون الجنة ، وأوَّل ثلاثة يدخلون النار : فأما أوَّل ثلاثة يدخلون الجنة ؛ فالشهيد ، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح سيده ، وعفيف متعفف ذو عيال . . وأما أول ثلاثة يدخلون النار ؛ فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يعطى حق الله فى ماله ، وفقير فخور[٢] .

* أوَّل خط فى الكتب يوم القيامة لحجة دخول الجنة أو النار : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤] قال أهل التَّفسير فى معنى الآية : يقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا[٣] .

* أوَّل صلاح هذه الأمة : فى الزهد واليقين ، وأول فسادها : فى البخل والأمل[٤] .

* أوَّل من يجوز الظلمة ؛ أى ظلمة الحشر ألف سنة : فقراء المهاجرين . . الحديث[٥] .

* أوَّل من يأكل من المائدة يوم القيامة : الصائمون ، لما ورد فى الحديث أنَّ لله مائدة عليها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، لا يجلس عليها إلا الصائمون[٦] .

* أوَّل من يدخل النار من هذه الأمة : السواطون[٧] . . الحديث[٨] .

---

(١) من الباب الخامس والستين ، من الفتوحات .
(٢) خرجه السُّيوطى ، فى : "علوم الآخرة" .
(٣) من مواقف الآخرة .
(٤) أخرجه السُّيوطى فى الأوائل ص١٥٠ (أخرجه الطبرانى فى (الأوسط) عن ابن عمر مرفوعاً .
(٥) من مواقف الآخرة .
(٦) من كتاب : علوم الآخرة .
(٧) قوله : السواطون ؛ هم الذين يضربون الناس بالسوط ؛ تسلطًا عليهم ، كأهل المكس وأعوان الظلمة . ا . هـ محقق المتن الذى اعتمدنا عليه .
(٨) أوائل السُّيوطى .

* **أوَّل الناس يقضى فيه يوم القيامة ؛ يعنى إلى النار:** رجل استشهد ، فأتى به ، فعرف نعمة الله ، فعرفها ، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت ، قال تعالى: كذبت ، إنما أردت أن يقال لك فلان جرئ ، فقد قيل ، فيؤمر ، فيسحب على وجهه ، حتى يلقى فى النار . ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرف نعمة الله ، فعرفها ، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم ، وقرأت القرآن وعلمته فيك ، قال: كذبت ، إنما أردت أن يقال فلان عالم ، وفلان قارئ ، فقيل: فيؤمر به ، فيسحب على وجهه ، حتى يلقى فى النَّار . ورجل أعطاه الله من أنواع المال ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من شئ تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك ، قال: كذبت ، إنما أردت أن يقال فلان جواد ، فقد قيل ، فيؤمر ، فيسحب على وجهه ، حتى يلقى فى النَّار ، ثمَّ قال: يا أبا هريرة أولئك الذين تسعر لهم النار ، فضرب رسول الله ﷺ بيديه على ركبتيه(١) .

* **أوَّل من أشفع له من أمتى:** أهل بيتى ، ثمَّ الأقرب فالأقرب من قريش والأنصار ، ثمَّ من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ، ثمَّ من سائر العرب ، ثمَّ الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل(٢) .

* **أوَّل من أشفع له من أمتى:** أهل المدينة ، وأهل مكة ، وأهل الطائف ، وفى الحديث: أنا أوَّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وأوَّل من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر ، وأوَّل من يدخل الجنة ولا فخر إنى لأشفع فأشفع ، حتى أنَّ من أشفع له ليشفع فيشفع ، حتى أنَّ إبيلس الأبالسة ليتطاول فى الشفاعة ؛ رجاء أن تصيبه(٣) .

* **أوَّل ما يسمع أهل الجنة من حضرة الرب:** جل وعز: أين عبادى ، الذين أطاعونى بالغيب ، ولم يرونى ، هذا يوم المزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة ، أن قد رضينا ، فارض عنَّا ، فيقول يا أهل الجنَّة: أنِّى لو لم أرض عنكم ، ما أسكنتكم

---

(١) أخرجه مسلم ، فى صحيحه .
(٢) من علوم الآخرة .
(٣) من علوم الآخرة .

جنتى ، هذا يوم المزيد فاسألونى . فيجتمعون على كلمة واحدة ، وهى : أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف جل جلاله وعم نواله عن وجهه ، ويتجلى لهم ، فيغشاهم من نوره ، ولولا أنَّ الله سبحانه وتعالى قضى أن لا يحترقون لاحترقوا ، ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا خاطبه ربُّه ، وتجلى له بجماله الكريم ، وكماله العظيم ، وفضله العميم ، تعالى وتقدَّس[1] .

* **أوَّل دعوى أهل الجنة** : لا إله إلا الله ، **وآخر دعوى أهل الجنة** : الحمد لله ربِّ العالمين ، لما ورد فى الخبر المحمدى أنَّ كلمة التَّوحيد مفتاح الجنَّة ، وقال تعالى : ﴿ **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [يونس : ١٠]

* * * * * * *

(١) من كتاب : "حادى الأرواح إلى دار الأفراح" .

الفصل السَّابع والثَّلاثون
فى الأوَّائل المختصة بالحضرة المحمدية والحقيقة الأحمدية، فى الفضائل الدينية الأوَّلية الرُّوحية والخصائص الأخروية

وبه اختتمت الفصول الأوَّلية ؛ إذ هو خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وإمام الأوَّلين والآخرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

* **أوَّل من أمّ الأنبياء ، وأثنى على ربّه بحضرة الأنبياء ، وعرج بجسمه إلى حضره الاستواء ، فقال فى ذلك الإسراء:** الحبيب المصطفى ورسوله المجتبى كلّهم أثنى على ربّه سبحانه ، وأنا أثنى على ربى ، تقدّس وتعالى . الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا و نذيرا ، وأنزل على الفرقان فيه تباين كلّ شئ ، وجعل أمتى خير أمة ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأوَّلون ، وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما .

فقال "إبراهيم" ، عليه السلام: يا معشر الأنبياء ، بهذا فضلكم محمد ﷺ .

وعن جعفر الصادق ، رضى الله عنه : أكمل الله تعالى لمحمد ﷺ الشرف على أهل السماوات والأرضين ، حين قدمه على الملائكة فى ليلة المعراج فأمّ أهل السماء ، فيهم الأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين[1] .

* **أوَّل ما خلق الله :** روحى . . الحديث المشهور .
* **أوَّل ما خلق الله :** نورى . . الحديث الحسن .
* **أوَّل ما خلق الله :** العقل . . الحديث المشهور .
* **أوَّل ما خلق الله تعالى:** جوهرة ، الخبر عن ابن وهب .

قال أهل التحقيق : الأحاديث الأربعة مشهورة على لسان الأمة والتطبيق والتوفيق عند العارفين ، خلق الله روحه ، ثمَّ من روحه الأرواح ، كما قال : أنا أبو الأرواح ،

---

(١) ذكره صاحب الشّفاء ، بتعريف حقوق المصطفى ﷺ .

وآدم أبو البشر ، ثمَّ خلق الله نوره ، ثمَّ من نوره الأنوار ، كما قال: أنا من نور الله ، والمؤمنون من فيض نورى ، ثمَّ خلق عقله الكلى ، ثمَّ خلق من عقله العقول الكلية الملكية القدسية العرشية والسماوية والأرضية .

والمراد من هذه الأصول الأربعة القدسية الأولية حقيقة محمدية وحضرة أحمدية ، باعتبار النسب والتعيين والمراتب ؛ إذ هو فاتح الوجود مرتبة وإيجادا فى الجواهر العلوية والسفلية والملكية والآدمية الكلية ، الجامعة لجميع الحقائق الإلهية الأسمائية الكلية ، فهو مقدم الوجود وفاتحه ، فجوهر وجوده هو الجوهر الفرد الكلى الجامع المحمدى فى جميع الأعيان والجواهر(١) .

* **أوَّل ما خلق الله:** جوهرة تتلألأ طينة محمد ﷺ من بينها كفضة خاتم ، ونظر فيها بالهيبة فصارت ماء يتلألأ منه نور طينته ﷺ بموضع الكعبة المعظمة . ثم خلق من الماء الأرض ، فتلألأت طينته ، وهى من أطيب الطين سرة الأرض ومركزها ، وفى رواية: خلق الله تعالى صحبى من أسفل تلك الجوهرة القدسية ، وقد كان العرش خلق من نوره قبل أن يتلألأ فوق الماء بنوره ، ﷺ . ثمَّ خلق الله من الأرض أبا البشر "آدم" - عليه السلام - كما أشار ، كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ؛ يعنى يتلألأ نور الوراثة الأولية المحمدية من جبهة آدم كتلألؤ القمر ليلة البدر ، حتى نقله الله من صلب طاهر إلى رحم طيب ، إلى أن وصل إلى صلب عبد الله ابن عبد المطلب ، كما سبق بتفاصيله فى فصل البدايات .

* **أوَّل ما خلق الله:** القلم(٢) ، قال أهل التَّحقيق: المراد منه القلم الأعلى باعتبار

---

(١) قاله ابن وهب ، نقلاً عن أخبار القدسية .

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "أول ما خلق الله القلم ، فقال له: أجر ، فقال: بم أجرى؟ فقال له بما هو كائن إلى يوم القيامة" .

رواه أحمد فى المسند ٣١٧/٥ ، والترمذى رقم ٢١٥٦ فى القدر ، وأبو داود رقم ٤٧٠٠ فى السنة ، والخطيب فى المشكاة (٩٤) ٣٤/١ ، وأبو نعيم فى الحلية ١٨١/٨ ، وتحفة الأحوذى ٢٣٣/٩ ، والفتح الربانى ١٣٤/١ ، وكشف الخفاء ٢٦٣/١ ، وتاريخ بغداد ٤٠/١٣ ، والفوائد المجموعة ٤٧٨ ومختصر تفسير ابن كثير ٥٣٢/٣ ، والأسماء والصفات للبيهقى ٢٢١ والوسائل للسيوطى ص٥٢ ، والأوائل لأبى عاصم النبيل ص٢٥ - ٢٦ ، والأحاديث الصحيحة للألبانى ١٣٣ ، والمصنوع ١٠١ ، ١٠٢ ، والأوائل للطبرانى ص٤٢ .

أخذه القبض الإلهى من حضرة الغيب ، وفيضان الأشياء منه كفيضان الخط من المداد بواسطة القلم ؛ فسمى قلما باعتبار إفاضته وإشارته إلى لوح العالم ، ويسمى العقل الكلى أيضا باعتبار تميز ذاته ومعرفته نفسه وربه ويسمى الروح الأعظم ؛ باعتبار أنّه منشأ المخلوقات .

وما أحسن ما أفاد وأجاد نجم الملة والدين فى كتاب "عين الحياة فى تأويل القرآن" ، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي.. ﴾ [الإسراء: ٨٥] فقال ، قدَّس الله سره: فأعلم أنَّ الروح الإنسانى هو أوَّل شئ تعلقت به القدرة جوهرة نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر ، وعالم الأمر هو الملكوت الذى خلق من لا شئ ، وعالم الخلق هو الملك الذى خلق من شئ . فالروح الأوَّل الأعظم هو أوَّل المخلوقات ، وهو روح النبى ﷺ لقوله ، عليه السلام: (أوَّل خلق الله روحى) ، ولا يحتمل أن يكون المخلوق الأوَّل المطلق إلا واحدًا ؛ لأنَّ الشيئين المغايرين لا يكون كلّ واحد منهما أولا فى التكوين والإيجاد على الإطلاق ، إذ لا يخلوا ما أحدثا مصاحبين أو أحدثا متعاقبين ، فإن أحدثا مصاحبين معا فلا يختص أحدهما من الآخر بالأولية ، فلا يكون واحد منهما على الانفراد . وإن أحدثا متعاقبين يكون المبتدأ أولا ، والمتعاقب آخرًا ، فيكون الأوَّل واحدًا منهما لا محالة فتعين لنا ، ووجب أن نجمل كلام الصادق الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ؛ أنَّ المخلوق الأوَّل هو مسمى واحد ، له أسماء مختلفة بحسب كلّ صفة فيه سمى باسم آخر ، وقد كثرت الأسماء والمسمى المعظم واحد ، وهو الأصل وما سواه تبع له . فلا ريب فى أنَّ أصل الكون نبينا محمد ﷺ لقوله تعالى فى الخبر القدسى: لولاك لما خلقت الأفلاك ، فهو أولى أن يكون أصلاً وما سواه تبع له ؛ لأنَّه كان بالروح بذر شجرة الموجودات ، فيلزم من ذلك أن تكون روحه- عليه السلام - أوَّل شئ تعلَّقت به القدرة ، وأن يكون المسمى بالأسماء المختلفة ؛ لأنَّ كثرة الأسماء الذاتية تدل على عظم المسمى المعظم وجوده ، وهو محمد ، ﷺ .

فباعتبار أنَّه درة صدف الموجودات ؛ سمى درة وجوهرة - كما سبق فى خبر أول ما خلق الله جوهرة - وفى رواية: درة ، فنظر إليها ، فذابت .. الحديث ، وباعتبار

نورا نيته سمى نورا ، وباعتبار وفور عقله سمى عقلاً ، وباعتبار غلبة الصفات الملكية سمى ملكا . وباعتبار صدور الأشياء بواسطته سمى قلما ، كما أشار له فى الخبر الصحيح : الله معط ، وأنا قاسم ، وقال : الناس يحتاجون إلى شفاعتى حتى إبراهيم ، صلوات الله وسلامه على حبيبه وخليله وعلى جميع أنبيائه[١] .

* **أوَّل من حلت له الغنيمة :** رسول الله ﷺ وكانت لم تحل لنبى قبله ؛ ولذا قال : "جعل رزقى تحت ظل رمحى ، والجهاد حرفتى" ، وورد فى الصحيح" "أعطيت خمسا - وفى رواية - ستا لم يعطهن نبيا قبلى ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى ، وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة[٢] .

* **أوَّل من يدخل الجنة من أمتى :** سبعون ألفا ، مع كلِّ ألف سبعون ألف ، ليس عليم حساب ، وأعطانى النصر والعزة والرعب ، يسعى بين يدى أمتى شهرا ، وطيب لى ولأمتى الغنائم ، وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ، ولم يجعل علينا فى الدين من حرج[٣] .

* **أوَّل من أحل له القتال بمكة من الرسل الكرام :** رسول الله ﷺ لما ورد فى الحديث عنه ﷺ أنه قال : "إنَّ الله قد حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليه رسوله والمؤمنين ، وأنها لم تحل لأحد بعدى ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار"[٤] .

* **أوَّل الناس بعثا :** رسول الله ﷺ كما قال : "أنا أوَّل الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر[٥] .

---

(١) هكذا ذكره الشَّيخ نجم الدين الكبرى ، فى تأويلات سورة أفسراء ، قدَّس الله روحه ، وأفاض علينا فتوحه ، آمين ، بحرمة سيد المرسلين .
(٢) كتاب الشِّفاء .
(٣) كتاب الشِّفاء .
(٤) كتاب الشِّفاء .
(٥) كتاب الشِّفاء .

* أوَّل من يشفع الشفاعة العامة الكبرى: رسول الله ﷺ لما ورد عنه فى الصحيح: "أنا سيد ولد آدم ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ من آدم فمن دونه إلا تحت لوائى ، وأنا أوَّل من تنشق عنه الأرض[1]" .

* أوَّل من يحرك حلقه باب الجنة: رسول الله ﷺ كما ورد فى "كتاب الشفاء": "أنا أوَّل من يحرك حلقه باب الجنة ، فيفتح لى ، فيدخلها معى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر" .

وقال: "وأنا أكثر الناس تبعا أهل الجنة ، مائة وعشرون صفا ؛ ثمانون صفا من أمتى والباقى من جميع الأمم[2]" .

* أوَّل من أشفع لهم من أمتى: أهل بيتى ، ثمَّ الأقرب فالأقرب من قريش والأنصار ، ثمَّ من آمن واتبعنى من أهل اليمن ، ثمَّ من سائر العرب ، ثمَّ العجم ، ومن أشفع له أولا أفضل .

وقال ، عليه السلام: "لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من شجر وحجر" ، وقال: "لكلِّ نبى دعوة يدعو بها ، واختبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة" ، وقال: "شفاعتى لأهل الكبائر لأمتى" .

وقال: "فآتى تحت العرش فاخر ساجدًا ، فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول: يارب أمتى أمتى ، فيقال: انطلق ، فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فاخرجه ، فانطلق فافعل ، ثمَّ ارجع إلى ربى ، فاحمده بتلك المحامد ، فيقال لى: انطلق ، فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل ، فافعل" .

وقال فى آخر الحديث: "يارب ائذن لى فمن قال لا إله إلا الله ، فقال سبحانه وتعالى: ليس ذلك لك ، ولكن وعزتى وجلالى وعظمتى وكبريائى لأخرجن من النار

---

(١) كتاب الشِّفاء .

(٢) كتاب الشِّفاء .

من قال لا إله إلا الله[١] .

* **أوَّل النبيين خلقا ، وآخرهم بعثا : محمد ﷺ** كذا جاء فى التوراة ، نقلة صاحب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ وقال : ومن خصائص الأولية الأحمدية أنه قال مرة : وبينا أنا نائم ، إذ جئ بمفاتيح الأرض ، فوضعت بين يدى ، ومنها أنا محمد النبى الأمى لا نبى بعدى ، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه ، وعلمت خزنة النار وحملة العرش ؛ ومنها قال الله تعالى له : سل يا محمد فقلت : ما أسال يارب ، اتخذت إبراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، واصطفيت نوحا ، وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . فقال الله تعالى : ما أعطيتك خيرا من ذلك ، أعطيتك الكوثر ، وجعلت اسمك مع اسمى ، ينادى به فى جوف السماء ، جعلت الأرض طهورًا لك ولأمتك ، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فأنت تمشى فى الناس مغفورا لك ، ولم أصنع ذلك بأحد قبلك ، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها ، وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبى غيرك . ولذا قال ، ﷺ: الخلق محتاجون إلى شفاعتى حتى إبراهيم ، ومنها ما قال : إنِّى عبد الله وخاتم النبيين ، وأنَّ آدم لمنجدل فى طينته ، وأنا دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى .

(وبشارة آية التوراة) محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتك للناس كافة ، وعلت أمتك ، هم الأوَّلون ، وهم الآخرون .

وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلتك أوَّل النبيين خلقا وآخرهم بعثا ، وأعطيتك سبعا من المثانى ولم أعطها نبيا قبلك ، وجعلتك فاتحا وخاتما ؛ صلوات الله البر الرحيم على النبى الكريم ، صاحب الخلق العظيم ، شارع الشرع القويم ، الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى جميع إخوانه وعترته وصحابته وورثته إلى يوم الدين ، آمين ، اللهم آمين وسلم تسليما .

* * * * * * *

---

(١) كتاب الشِّفاء .

القسم الثانى

فى الأواخر

(مقدمة كلية)

قال أهل التحقيق ، فى التطبيق والتوفيق بين الأخبار الواردة ، ما ذكره العلامة ابن حجر فى شرح البخارى ، والسيوطى فى : "الإتقان" - تغمدها الله برحمته وفضله - أما طريق الجمع بين الأقوال ؛ أنَّ كلَّ آية من الآيات آخر بالنسبة لما عداها بحسب أنواع الأحكام ، واستماع الصحابة آخر الآية ، وآخر السورة من رسول الله ﷺ .

فكلُّ خبر آخر بالنسبة إلى غيره يقال هذه آخر آية نزلت فى الربا وهذه آخر آية نزلت فى التقوى فكل خبر وارد عن أعيان الصحب له آخرية بالنسبة إلى أنواع الاحكام والمراتب والأزمنة والأمكنة وتعريف لفظ الآخر سبق في أول مقدمة من الكتاب والله الموفق للصواب

* * * * * * *

الفصل الأوّل

فى الأواخر المختصة بحضرة القرآن العظيم والفرقان الكريم من أواخر السور والآيات نزولاً مكية كانت أو مدنية عرشية كانت أو أرضية

* آخر شئ نزل من القرآن: قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ.. ﴾ [البقرة: ٢٨١] قال سعيد بن جبير، رضى الله عنه: عاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال، ثمَّ مات - صلوات الله وسلامه عليه - يوم الاثنين، لليلتين خلتا من ربيع الأوَّل[١].

* آخر آية نزلت: آية الربا، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٨] أخرجه: الإمام، عن ابن عباس، رضى الله عنهما[٢].

* آخر آية نزلت: قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦] أى فى شأن الفرائض من المواريث.

قال ابن حجر، فى شرح البخارى: طريق الجمع بين القوانين فى آية الربا، واتقوا يوما، أنَّ هذه الآية هى ختام الآيات المنزلة فى الربا؛ إذ هى معطوفة عليهن، أو أنَّ الآيتين نزلتا جميعا، فيصدق أنَّ كلا منهما آخر بالنسبة لما عداهما. ويحتمل أن تكون الآخرية فى آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث، بخلاف آية البقرة، ويحتمل عكسه، ومن أراد التفصيل فى هذا المقام، فعليه بالإتقان، فى النوع الثامن منه، نفعنا الله بعلومه.

---

(١) كذا نقله الإمام، فى كتاب "الإتقان"، عن صحيح البخارى الإتقان ١/٢٦، ٢٧، أخرجه النسائى عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال: آخر شئ نزل من القرآن (واتقوا يوما ترجعون..) أخرجه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير أن النبى ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال.

(٢) من كتاب الإتقان ١/٢٧، أخرج البخارى عن ابن عباس قال آخر آية نزلت آية الربا. وروى البيهقى عن عمر مثله وعند أحمد وابن ماجة كذلك، وعند ابن مردوية عن أبى سعيد الخدرى قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولاً: آية الربا.

* **آخر آية نزلت من أواخر السور:** ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة ، عن أبي بن كعب ، رضى الله عنه[١] .

* **آخر سورة نزلت من الطوال:** سورة المائدة ، رواه الحاكم عن عائشة - رضى الله عنها - وفى الخبر المشهور عن "عثمان" ، رضى الله عنه : أن سورة براءة من آخر القرآن نزولا ، قال الإمام البيهقى : كلّ واحد أجاب بما عنده من آخر ما سمعه ، ﷺ[٢] .

* **آخر سورة نزلت:** ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] وورد فى صحيح مسلم : ويحتمل أنها آخر سورة من القصار نزلت ، ومن الطوال سورة المائدة ، إن صحت الاختلافات ؛ بأنَّ كلَّ واحد أجاب بما عنده . وبما وصل علمه بالأواخر نزولا من السور والآيات ، فيندفع الإشكال بذلك[٣] .

* **آخر آية نزلت:** قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم ﴾ [آل عمران: ١٩٥] فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، أرى الله يذكر الرجال ، ولا يذكر النساء ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٢] ونزل أيضا : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.. ﴾ ، الآية ، فهى آخر الثلاثة نزولا ، أو آخر ما نزل بعدما كان ينزل فى الرجال خاصة[٤] .

* **آخر آية نزلت:** ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ.. ﴾ الآية [النساء: ٩٣] هى آخر آية نزلت ، وما نسخها شئ ، أو آخر ما نزل فى الوعيد والنهى ، أخرجه البخارى وغيره ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما[٥] .

---

(١) الإتقان ، للسيوطى ١/٢٧ ، ٢٨ روى الشيخان عن البراء بن عازب قال آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) وآخر سورة نزلة براءة . وفى المستدرك عن أبى بن كعب قال : آخر آية نزلت : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم . .) .

(٢) الإتقان ١/٢٧ .

(٣) الإتقان ، أخرج مسلم عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) .

(٤) الإتقان ١/٢٨ ، أخرج بن مردوية من طريق مجاهد عن أم سلمة .

(٥) الإتقان ١/٢٨ ، أخرج الآية البخارى وغيره عن ابن عباس ، وقال هى آخر ما نزل وما نسخها شئ ، وعند أحمد والنسائى عنه : لقد نزلت فى آخر ما نزل ما نسخها شئ .

* **آخر القرآن عهدا بالعرش:** آية الدين ؛ أعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ومعنى آخر العهد بالعرش ؛ أى آخر الآيات انفصالا ، وأولها نزولا البسملة ؛ فآية الرحمة أوَّل ما انفك من اللوح ، وآية الدين آخر ما انفصل ؛ لأن الدين مدار الأحكام وأصلها ، فالقرآن نزل جملة واحدة من لوح تحت العرش إلى بيت العزة فى سماء الدنيا . وكان ابتداء إنزاله وانفصاله من العرش ، فى ليلة القدر ، ثمَّ نزل بعد ذلك منجما فى أوقات مختلفة .

قال ترجمان القرآن وبرهان أهل التفسير والإتقان ؛ سيدنا ابن عباس ، رضى الله عنهما: نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكائنين فى السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على "جبريل" - عليه السلام - فى عشرين ليلة ، ثمَّ نجمه ؛ أى فرقه ، وفصله "جبريل الأمين" على سيد المرسلين فى عشرين سنة[(١)] .

* **آخر الكتب المنزلة:** القرآن الحكيم ، على خاتم المرسلين - صلوات الله عليه وعليهم - قال ابن عباس ، رضى الله عنهما: أنزل القرآن فى شهر رمضان ، فى ليله القدر ، جملة واحدة ، ثمَّ أنزل على مواقع النجوم رسلا فى الشهور والأيام .

قوله: رسلا ؛ أى رفقا . وقوله: على مواقع النجوم ؛ أى على مثل مساقطها ، يريد: أنزل مرفقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ، ورفق . قيل السر فى إنزاله جملة واحدة إلى السماء الأولى تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أنَّ هذا الكتاب لآخر الكتب المنزلة ؛ تشريفا للمنزل عليه ، ثمَّ أنزل فى اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض ، فأوَّل ما نزل من الآيات: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ومن السور: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ.. ﴾ الآية . كما سبق فى الفصل الأول .

قال الإمام: اختلفت الروايات فى نزوله إلى السماء فى عشرين ليلة ، أو ثلاث ، أو خمس ، وكذا فى عمره الشريف ، والأشهر الأصح الأثبت عند المحدثين ؛ أنَّه نبئ أولا بالرؤيا فى شهر مولده ، ثمَّ كانت مدتها ستة أشهر ، ثمَّ أوحى إليه فى اليقظة ،

---

(١) الإتقان ٣٩/١ ، ٤٠ النوع السادس عشر فى كيفية إنزاله .

فقرن بنبوّته "إسرافيل" ثلاث سنين ، ثمَّ "جبريل" ، فبهذا يكون عشرين سنة ؛ أى نزوله فى عشرين سنة ، على لسان "جبريل" ، عليه السلام .

* آخر آيات نزلن من كنز العرش لم ينزل منه شىء غيرهن: أم الكتاب ، وآية الكرسى ، وخاتمة سورة البقرة والكوثر(١) .

* آخر ما ختمت به التوراة: قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للّه الَّذي لَمْ يَتَّخذْ وَلَدًا ﴾ إلى قوله: (وكبره تكبيرا) ، وعن كعب ، رضى الله عنه: فاتحة التوراة ، فاتحة الأنعام: ﴿ الْحَمْدُ للّه الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ ﴾ ، وخاتمة التوراة ، خاتمة هود: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْه وَمَا رَبُّكَ بغَافلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢) .

* آخر سورة البقرة: نزل من كنز الرحمة ، من تحت عرش الله ، قاله للرجل ، حين قال يا رسول الله أى آية تحب أن تصيبك وأمتك ، فقال ﷺ: آخر سورة البقرة ، لما فيها من الإيمان ، والدعاء ، والنصرة على الأعداء(٣) .

* آخر سورة البقرة: نزل ليلة المعراج ، وفى الكامل نزلت: (آمن الرسول) إلى آخرها بقاب قوسين ، قيل: نزلت ، وهو ﷺ ساجد عند العرش(٤) .

* آخر الكتب المنزلة عهدا بالعرش المجيد واللوح المحفوظ: القرآن الحكيم ، على لسان "جبريل الأمين" ، قال الإمام فى كتاب "الإتقان": ما نزل الوحى على كلِّ نبى من الأنبياء من السريانبين ، والعبرانبين ، والعربيين ، إلا بلسان عربى مبين .

ولكن قد ترجم كلّ نبى عن العربية بلسان قومه ، قال ابن العربى فى "القانون": اتفق علماء الأمة على أنَّ الفرقان ، والإنجيل ، وسائر الكتب ؛ هى كلام الله جل

---

(١) الإتقان للسيوطى ١/ ٣٨ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٣٩ .
(٣) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٣٧ ، ٣٨ .
(٤) الإتقان ، للسيوطى ١/ ٣٧ ، ٣٨ .

جلاله ، الدال على الوصف القديم ، كما أشار إلى ذلك الأبوصيرى ، بأبلغ إشارة .

آيات حق من الرحمن محدثة ؛ يعنى بحسب النزول المقترن بالزمان بالنسبة إلينا .

قديمة صفة الموصوف بالقدم ؛ يعنى بحسب المعنى المنزه القائم بحضرة الوجود المطلق فى الغيب العلمى ، المنزه عن التعدد والاقتران والكيف والعرض .

وفى الخبر: أنزلت التوراة لست خلون ، من شهر رمضان ، والإنجيل لاثنتى عشرة ، والزبور لثمان عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان فى العشر الأواخر وقد روى عن أهل العلم والضبط فى الخبر المشهور: أنَّ جملة الكتب التى أنزلها الله تعالى ؛ مائة كتاب وأربع كتب ، ونزلت الصحف أيضا على أنبيائه .

لكن المشهور أنه أنزل على "شيث" - عليه السلام - خمسون صحيفة ، وعلى "إدريس" - عليه السلام - ثلاثون صحيفة ، وعلى "إبراهيم" - عليه السلام - عشر صحائف ، وعلى "موسى" - عليه السلام - قبل التوراة عشر ثم التوراة أنزلت عليه جملة واحدة ، ثمَّ الزبور على "داود" ، والإنجيل على "عيسى" ، والقرآن على "محمد" صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين[١] .

* **آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى:** "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" الحديث عن ابن مسعود ، رضى الله عنه[٢] .

* **آخر أنبياء بنى اسرائيل:** "عيسى" ، وأولهم: "موسى" ، عليهما السلام[٣] .

* **آخر الأنبياء والمرسلين:** خاتمهم ، وإمامهم ، وسيدهم ، محمد رسول الله ، ﷺ

(مطلب): فى تفسير الثعلبى ، عن أنس ، رضى الله عنه: عدة الرسل - عليهم السلام - ثمانية آلاف ؛ منهم أربعة آلاف من بنى إسرائيل .

---

(١) من كنز الأسرار .
(٢) أخرجه السُيوطى ، فى جامعة .
(٣) الحديث من الجامع الصَّغير ، للسيوطى .

وفى تفسير الزمخشرى فى الحديث الوارد: أنَّ فى عدد الأنبياء مائة ألف نبى ، وأربعة وعشرين ألف نبى ؛ منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا ، وذكر أهل التحقيق فى معنى الخبر الوارد فى العدد: يجوز أن يكون المقدار المذكور معلوما للبشر ، ولا يجوز الحصر بالعدد عند الإيمان بهم ؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ.. ﴾ الآية [غافر: ٧٨] .

وجميع الأنبياء - عليهم السلام - من أولاد "إبراهيم" - عليه السلام - إلا ثمانية ؛ آدم ، وشيث ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، ويونس ، - عليهم السلام - وكلّهم من بنى إسرائيل إلا عشرة ، وهم الثمانية المذكورون ، وإبراهيم وإسحاق ، عليهم السلام .

وأما أولو العزم منهم ؛ فقد ذكر أهل التفسير فى قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] هم أصحاب الشرائع اللذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقديرها ، وصبروا على تحمل مشاقها ، ومعادات الأعادى ، ومشاهير أولو العزم: "نوح" ، كانوا يضربونه حتى يغشى عليه ، و"إبراهيم" صبر على النار والذبح ، و"يعقوب" على فقد الولد والبصر ، و"يوسف" على الجب والسجن ، و"أيوب" على الضر ، و"يحيى" - عليه السلام - على الذبح ، وسيدنا رسول الله ﷺ على الفقر والجهاد ، واتخذهما حرفة مفتخرة ، وقال: "ما أوذى نبى ما أوذيت" .

والستة الأنبياء - عليهم السلام - ثلاثة ؛ سريانية ، وعبرانية ، وعربية ، وهى لسان الوحى لا غير ، كما سبق ، نقلاً عن الإتقان: أنَّه ما نزل وحى إلا بلسان عربى مبين ، فترجم كلّ نبى بلسان قومه .

أما مشاهير السريانيين من الأنبياء الكرام ؛ فنوح ، وإدريس ، ولوط ، وإبراهيم ، ويونس - عليهم السلام - والعبرانيون هم بنو إسرائيل ، وأول من سمى به "يعقوب" لأن أسر بلغتهم معناه ؛ عبد ، وإيل معناه ؛ الله ، فمعنى إسرائيل: عبد الله ، وأولاد يعقوب لما دخلوا مصر كانوا سبعين نفسا ، وعندما خرجوا مع "موسى" أوَّل رسل بنى إسرائيل كانوا ستمائة ألف نفس .

وأما أنبياء العرب ؛ فأفضلهم على الإطلاق محمد ﷺ وإسماعيل ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، فى الأصح ، ولا شك أنّه جد الأنبياء كلّهم بعد "نوح" ، و"إسماعيل" ، من العرب ؛ فأبوه أولى وأقرب . قيل كان أبوه آزر ، أصله من العمالقة العاربة ، وإليه تنسب كلّ فرقة من العبرانيين ، والسريانيين ، والعرب .

ومن أنبياء العرب ؛ خالد بن سنان ، الذى جاءت ابنته إلى رسول الله ﷺ كما ثبت فى الصحيح ، وحنظلة بن صفوان ، الذى دعا على عنقاء مغرب[1] ، وشعيب - عليه السلام - وغيرهم من الذين لا يعرف على الحقيقة عددهم إلا الرحمن .

كما جاء فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ..** ﴾ الآية [غافر: ٧٨] ، صلوات الله وسلامه على فاتحهم وخاتمهم وعلى كلّ منهم أجمعين .

وما يدعيه بعض الفلاسفة والنصارى من أنَّ النبوة فى بعض الأشخاص من الحكماء الإشراقية ؛ كجالينوس ، وأفلاطون الالهى ، وزرادشت المجوسى ، وأمثالهم ، فغير صحيح جدًا عند علماء الشَّريعة لأنَّ كتبهم ووصاياهم تدلُّ على خلاف العقائد الإسلامية ، التى اتفقت أهل الشَّرائع عليها . لأنَّ الأنبياء مادوَّنوا كتبًا وعلومًا كونية خواصية ، وما اخترعوا من عند أنفسهم من الرِّياضيات والفلكيات ، ولكن أخبروا بالأحكام الاعتقاديات والعلميات بالوحى والإلهام .

وذكر الإمام الغزالى فى كتبه : أنَّ الحكماء الإشراقية خالفوا جميع الشَرائع بذهابهم إلى قدم العالم وحشر الأرواح ؛ فلهذا بدعهم فى مسائل كثيرة ، وكفرهم فى بعضها ، وفقنا الله بفيض فضله إلى طريق أنبيائه ورسله ، بحرمة سيد المرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، آمين .

* * * * * * *

(١) ذكر فى حياة الحيوان .

الفصل الثَّانى
فى الأواخر المتعلقة بالخلافة والملوك والدول وطبقاتها ورجالها، وما يتعلق بالباب

* آخر الخلق ، وأوَّل النَّاس : أبو البشر "آدم" - عليه السَّلام - ورد فى الخبر أنَّ كلَّ شئ خلقه الله من الخلق ، كان قبل "آدم" ، فإنَّ "آدم" أوجد بعد إيجاد الخلق ؛ لأنَّه خلق آخر الأيام التى فيها الخلق .

قال المحققون: المراد من آخر الأيام ؛ يوم سنبلة ، ومدتها سبعة آلاف سنة ، جمعة من جمع الآخرة ، نحن فى آخر اليوم ، وروى فى الخبر: أنَّ الله خلق الخلق من أربعة أشياء ؛ خلق الملائكة من نور ، والجان من نار ، والبهائم من ماء ، وآدم من طين ، وذريته كذلك بالتَّبعية ، فجعل سبحانه وتعالى الطَّاعة فى الملائكة والبهائم ؛ لأنَّهما خلقا من النُّور والماء ، وجعل المعصية فى الجنِّ والإنس ؛ لأنَّهما خلقا من الطِّين والنَّار[1] .

* **آخر الخلافة فى الأرض:** الخلافة الآدمية الإنسانية ، قال ابن عباس ، رضى الله عنهما: إنما سمى إنسانا ؛ لأنه عهد الله فنسى ، وروى فى الأخبار المشهورة: أنَّ الله خلق فى الأرض خلقا وأسكنهم فيها ، ثم قال لهم: إنى جاعل فى الأرض خليفة ، فما أنتم صانعون؟ قالوا: نعصيه ولا نطيعه ، فأرسل الله عليهم نارًا ، فأحرقتهم ، ثمَّ خلق الجن ، فأمرهم بعمارة الأرض ، فكانوا يعبدون الله حق عبادته ، حتى طال عليهم الأمد ، فعصوا وقتلوا نبيًّا ، يقال له: يوسف ، وسفكوا الدماء ، فبعث الله عليهم من الملائكة جندا ، وجعل إبليس عليهم رئيسا ، وكان اسمه "عزازيل" ، فأجلوهم من الأرض ، وألحقوهم بجزائر البحور ، وسكن إبليس ومن معه من الملائكة الأرض ، فهانت عليهم العبادة ، واحبوا المكث فيها .

فقال الله تعالى: ﴿ إِنِّــي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] فصعب عليهم

---

(١) خريدة العجائب .

العزل ومفارقة المألوف ، فقالوا: أتجعل فيها على طريق الاستفهام من الله؟ والغيرة على الله ؛ لأنه لا ينبغي للمخلوق أن يعصى ربه وخالقه: ﴿ مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ.. ﴾ الآية [البقرة: ٣٠] ، انتهى كلام الخريدة .

قال بعض العارفين: غاب عن الملائكة سر الجهاد ، وإفساد بنية الأعداء وديارهم ، فسلبوا الاعتبار وتجليات القهار ، فتكلمت الملائكة بما اقتضته شاكلتهم ؛ أي فطرتهم ؛ لأنَّ فطرتهم على مشاهدة حقائق الجمال ، وغابت عنهم أسرار الجلال ، فعلمهم المعلم الأوّل الأسماء كلّها من مظاهر الجمال والجلال ، فاعترفوا بما أودع في شأنهم من القابلية بقولهم: ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا.. ﴾ الآية [البقرة: ٣٠] .

* **آخر الآدميين والإنسانيين:** "أبونا آدم" - عليه السلام - ورد في الخبر: أنه من أشراط الساعة ، وخاتم المكلفين على وجه الأرض ، وفي الخبر أنَّ "آدم" لما خلق ، قالت الأرض له: يا آدم ، قد جئتني بعدما ذهبت جدتي ونضرتي وشبابي ، وقد خلقت ؛ أي بليت وفنيت .

وورد في بعض التواريخ ؛ أنه كان قبل آدم في الأرض خلق لهم دم ولحم ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠] فلم يقولوا ذلك إلا عن معاينة سابقة ، وورد أيضًا أنَّهم كانوا خلقا ، فبعث الله إليهم نبيا اسمه: يوسف ، فقتلوه .

وذكر السُّيوطي في محاضرته ، بالقلم اليوناني على بعض أهرام مصر أنَّه بني منذ ست وثلاثين ألف سنة . وقيل اثنتين وسبعين ألف سنة ، ووجد على بعض البرابي بالصعيد أغرب من ذلك[1] ، وفي الإسرائيليات من ذلك أخبار عجيبة ، في أوائل الأنواع ، وطول الزمان مع اتفاقهم على حدوث العالم ، وما أحسن ما أفاد وأجاد الشّيخ الأكبر ، في "الفتوحات المكية" ، في باب حدوث العالم ، أنه قال: لتد طفت

(١) كان ذلك قبل كشف سر الكتابة المصرية القديمة والتي فك رموزها شمبليون من خلال حجر رشيد .

بالكعبة - شرَّفها الله تعالى - مع قوم لا أعرفهم ، فأنشدوا ببيتين ، حفظت واحدا منهما ، ونسيت الآخر ، وهذا البيت المحفوظ:

لقد طفتم كما طفنا سنينا ::: بهذا البيت طرا أجمعونا

فقلت لواحد منهم: من أنتم؟ فقال: نحن من أجدادك الأول ، فقلت: كم لكم من الزمان والمدة؟ فقال: بضع وأربعون ألف سنة ، فقلت: ليس لآدم قريب من ذلك من السنين ، فقال: عن أى آدم ، تقول عن هذا الأقرب إليك ، أم عن غيره؟

ففكرت فى ذلك ، ودهشت هنالك ، فتذكرت حديثا روى عن رسول الله ، ﷺ: أنَّ الله خلق قبل آدم المعلوم عندنا مائة ألف آدم ، وروى عن جعفر الصادق مثله ، وذكر الشيخ فى الفتوحات: اجتمعت مرة فى عالم الأرواح مع إدريس - عليه السلام- وسألته عن صحة ذلك الكشف . والخبر فى ذلك لأنَّ كلّ كشف لا يعضده خبر صحيح لا يعول عليه عند المحققين ، فقال إدريس ، عليه السلام: صدق الخبر ، وصدق شهودك ، ومكاشفتك فى ذلك .

ونحن معاشر الأنبياء آمنا بحدوث العالم ، وانقطع علمنا عن مبدأ الأعيان ، والأكوان ، وقال الشيخ الأكبر ، قدس الله سره: فالتاريخ لبداية العالم مجهول مع حدوث العالم ، باتفاق الأنبياء والأولياء والمجتهدين خلافا لبعض الفلاسفة من الأوائل والأواخر فلا يعول على ما ذكره بعض جهلة المؤرخين ، والله واسع عليم بحقيقة الحال ، ولا يستبعد ذلك من كمال قدرته وواسع مملكته ؛ إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فالعوالم كلّها مساوية لذرة صغيرة بالنسبة إلى كمال قدرته ، وإيجاده سبحانه وتعالى .

* **آخر عالم خلقا من عالم الشهادة والحيوان:** عالم الإنسان ؛ وعالم الإنسان هو النتيجة الكبرى ، والعالم الأكبر الجامع عند جميع المحققين ، أخرج الإمام أبو الّليث ، فى تفسيره ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن رسول الله ، ﷺ: أن لله ثمانية عشر ألف عالم ، وإن دنياكم منها عالم واحد .

وعن ابن عباس أيضًا ، فى تفسير (الحمد لله ربّ العالمين) ، قال : العالم الذى فيه الروح الجن والإنس عالم ، والملائكة والكروبيون عالم ، وسبعون ألف عالم سوى ذلك لا يعلمهم إلا الله تعالى ، وفى العوالم للمفسرين أقوال لا تحصى .

عن مقاتل فى تفسيره أنه قال : إن لله ثمانين ألف عالم ، أربعون ألفا فى البر ، ومثلها فى البحر ، وقال : لو فسرت (العالمين) لاحتجت إلى ألف مجلد .

وقال بعض المحققين : أصول العوالم كلّها ورؤسها المتبوعون ثمانية عشر ألف عالم ، وفروع العوالم وأتباعها من العوالم لا يحصون عددا ، كما أخبر جل جلالة بقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] ، فالعوالم وسكانها من جنود الله تعالى .

ومن العوالم ما ذكره الفخر وغيره أن بالمشرق مدينة جابرصا ، وبالمغرب أخرى طول كلّ مدينة اثنا عشر ألف فرسخ ، ولكلٍّ مدينة اثنا عشر ألف باب ، يحرس كلّ باب كلّ ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم نوبة إلى يوم القيامة ، الرجل منهم يعمر ألف سنة ، يأكلون ويتناكحون ، وفيهما حكم وعجائب ، وهما خارجتان من الدنيا ، لا يرون شمسا ولا قمرا ، ولا يعرفون إبليس ولا آدم ، يعبدون الله تعالى ، ولهم نور يسعون به من غير شمس وقمر .

قال ، ﷺ : مر بى "جبريل" ليلة المعراج بهم ، فدعوتهم ، فآمنوا بى وصدَّقوا ؛ فمحسنهم من محسنكم ، وقال الفخر فى تفسيره : لولا أصوات أهالى تلك المدينة عند مغرب الشَّمس لسمع النَّاس وجوب الشَّمس حين تجب ؛ أى تسقط .

وذكر فى "قوت القلوب" : قيل لأبى يزيد البسطامى ، هل دخلت إرم ذات العماد؟ قال : دخلت ألف مدينة ، لله فى ملكه مثل إرم ، ثمَّ أخذ يعدد تلك المدائن ؛ جابلقا ، ومنسك ، إلى غير ذلك ، وكان يخبر أبو يزيد عن سعة ملك الله تعالى وقدرته ، وبهذا اشتهر بين العارفين .

وأحسن ما أخبر به العارفون عن سعة ملك الله تعالى ، ما ذكره الشيخ الأكبر ، فى

"الفتوحات المكية" ، فى الباب الثامن عشر منه ، عندما قال : فضل من الطينة الآدمية بعد خلق النخلة قدر السمسمة فى الخفاء ، فمد الله تعالى من تلك الفضلة أرضا واسعة الفضاء ؛ إذ جعل العرش وما حواه من السماوات والأرضين ، وما تحت الثرى والجنات والنار فى هذه الأرض . كان الجميع فيها كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض ، وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره ، ويبهر العقول أمره ، وفى كلّ نفس يخلق الله تعالى فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

وفى هذه الأرض ظهرت عظمة الله تعالى ، وعظمت عند المشاهد لها قدرته ، وهى مسرح عيون العارفين العلماء بالله ، وفيها يجولون ، وعنها أخبر حبر الأمة ؛ عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - وغيره ؛ كجعفر الصادق ، وموسى الكاظم - رضى الله عنهم - وأفاض علينا من علومهم ، آمين .

*** آخر الملوك من بنى "آدم" من الطبقة الأولى ، المسماه عند المؤرخين بداديان :** زاب بن طهماسب ، وأولهم كيومرث ، وعددهم أحد عشر ، فيكونون مع خلافة "آدم" الصفى اثنى عشر ، كما تكون الأئمة أهل البيت الاثنا عشر مع خلافة المهدى ، عليه السَّلام .

وفى كيومرث أقوال للعجم ، والأصح ما ذكره الإمام الغزالى ، فى سيرة الملوك : أنه ابن آدم من صلبه ، أوصى له بالولاية والسياسة فى بنيه ، ولشيث - عليه السلام - بالنبوة ، وأوصى لكل واحد منهما بعشرين صحيفة ، فكان ملك كيومرث ثلاثين سنة .

كما أن الخلافة المحمدية الخاتمية العادلة التى اختمت[1] بأمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ثلاثون سنة ، فكان أول الخلافة مطابقا لآخر الخلافة عددا ، فافهم سر البداية والنهاية[2] .

*** آخر الملوك من الطبقة الثانية ، المسماة عند المؤرخين بالكيانية :** الملك دارا بن

---

(١) قوله : بأمير المؤمنين ، على صوابه بالحسن بن على ، وتأمل . ا . هـ مصححه .
(٢) ذكره بعض المحققين .

دارا ، وأولهم كيقباد ، وظهر الاسكندر فى آخر الدولة الكيانية ، وقهر ملوكهم وملوك أقطار الأرض طرا ، وبنى السدود ، وطاف العالم برا وبحرا .

قيل : كان صاحب الدعوة للملة الإبراهيمية ، اجتمع مع إبراهيم - عليه السلام - وأعطاه الراية ، وتغرب فى الظلمة والجزائر والخراب من العالم ، وأصلح ما فسد نظامه ، وقطع الجداول من البحار بأمر الواحد القهار ، فخرج إلى الربع المسكون والعمران بعد غربته سنين ؛ ولهذا اختلف فى مدة ملكه وعمره ، كما مر ذكره فى فصل الخلافة .

* **آخر عجيبة وقعت :** بعد إتمام السد وأحكامه ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما أتم الاسكندر السد بإلهام من الله تعالى ، حمد الله وأثنى عليه ، واستلقى على ظهره ، ثمَّ نام نومة ؛ إذ طلع من البحر الأسود طالع سد الأفق مرتفعا على العسكر كالغمامة السوداء . فبادرت الجيوش إلى القتال ، واشتد الصياح ، فانتبه الاسكندر ، ونادى : أمسكوا عنه ، لم يكن الله تعالى يلهمنى بإصلاح العالم ويخزينى ، ويسلط على بهيمة من بهائم البحر المسجور ، فارتفع الطالع على سريره ، يقول : أيها الملك الهمام ، أنا ساكن هذا البحر ، وقد رأيت هذا السد سُدَّ سبع مرات ، وفى وحى الله عز وجل : أن ملكا مثلك وشبيهك ، ولا شك أنت هو يسده مؤبدا إلى آخر الدهر الذى هو من أشراط الساعة فى شرع خاتم المرسلين ، صلوات الله عليه وعلى الأنبياء . أحسن الله أجرك وردّ غربتك ، فعليك من الله السلام ، فلما قال ما قال ، غاب عن بصره فلم يعلم كيف ذهب[1] .

* **آخر الملوك من الطبقة الثالثة المسماة عند المؤرخين بالشيعانية :** اردوان ، وأولهم أشكان بن دارا ، وعددهم عشرون ملكا ؛ منهم سابور ابن أشكان ، كان "عيسى" - عليه السلام - فى زمنه ، ومنهم خرد ابن أشعان ، وهو الذى قتل اليهود لأجل قصاص "يحيى" - عليه السلام - وظهرت الفترة وانقطعت النبوة من بنى إسرائيل ،

---

(١) خريدة العجائب .

واستمرت دولة الأشعانية مقدار أربعمائة سنة .

وكان في زمنهم الأنبياء ؛ عيسى ويحيى وذكريا وجرجيس وأصحاب الكهف - عليهم السلام - فخرج أردشير بن بابك ، أول الملوك الساسانية ، وأهلك أردوان شاه ، وانقطع ملكهم وتحول الملك إلى الطبقة الساسانية[١] .

* **آخر الملك من الطبقة الرابعة المسماة بالساسانية:** يزدجرد ابن شهريار ، وانقطع ملك الفرس في خلافة "عثمان" - رضى الله عنه - وقهر وغلب في خلافة أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - فزالت بالكلية .

وفي تاريخ مكة : اردشير ، أوّل من حج وطاف من ملوك العجم ، وزموه عند بئر زمزم ؛ فسمى بزمزم ، قاله ابن عباس - رضى الله عنهما - وهذا أحد الأقوال في تسميته .

* **آخر الملوك الساسانية أشتهر بالعدل وملك أملاك ملوك العجم ، وفاقهم شهره وعدلا وسياسة حكمية باتخاذ الوزراء من الحكماء:** كيزر جمهر وجالينوس الثانى ، وذكر الغزالى في كتاب "سير الملوك" : أن الخالق جلت قدرته أرسل نبيه في أسعد وقت وأوان في خير القرون ، منذ خلق العالم . فكان الملك في ذلك الزمان كسرى أنوشروان ، الذى فاق جميع الملوك بعدله وسياسته ، وذلك كلّه ببركة قدوم قدم سيد الكائنات وأشرف الموجدوات ؛ أعنى سيدنا ورسولنا محمدﷺ فعاش كسرى بعد مولده ﷺ سنتين ، وافتخرﷺ بأيامه ، وقال : ولدت في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان .

(حكاية لطيفة) :

روى في الأخبار المشهورة : أن الليلة التى ولد فيها رسول اللهﷺ ارتج إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة وما بقى إلا ثمان شراريف على وفق عدد ثمانية ملوك من الأكاسرة إلى عهد الفتح العمرى .

---

(١) ذكره البيضاوى في تاريخه .

وكان قد رأى فى تلك الليلة (أنوشروان) رؤية أفزعته ، فجمع السحرة والكهنة والمنجمين فقصها عليهم ، فعجزوا عن تعبيرها وقالوا : إنَّ الذى يعبرها (سطيح) الكاهن قبل الإعلام بها ، فدلوه عليه ، وكان متولدا بين امرأتين بالبحرين مستلقيا على قفاه ، ليس فيه عظم سوى جمجمة رأسه . وعاش أكثر من ثلاثين قرنا ، فأرسل (كسرى) إليه وزيره ، (وسطيح) كان قومه يخرجونه على رأس كلّ سنة مرة على لوح من الذهب مستلقيا ، فيتكلم عليهم من أحكام السنة الآتية ، فلما خرج بدأ الكلام بالرؤيا قبل القص عليه .

فقال : إنَّ كسرى رأى رؤيا هالته ؛ رأى خيولا عربية ملأت مدينته تسوق إبل العراق وتخرجها من البلاد ، فالخيول العربية أصحاب النبى القرشى الهاشمى المكى المدنى الخاتمى الذى يختم الله تعالى به الأنبياء ويأتيه الوحى من الملك الواحد الأحد الفرد الصمد . وستفتح له البلاد والمدائن العراقية وغيرها من الملك الثامن على عدد شرفات بقين من الإيوان حين سقوطه ليلة ميلاده الحذر الحذر من مخالفة من وصل إلى زمان دعوته ، ثمَّ بكى سطيح ، وقال : ما بقى من عمرى إلا القليل : لا أدرك أيام بعثة النبى الجليل .

قال : فرجع وزير (كسرى) القهقرى ، فأخبر الملك بما أخبره به (سطيح) ، فجرى ما قال مما قدره القادر المتعال ، كما أشار الأبوصيرى فى بردته ، حيث قال :

أبان مولده عن طيب عنصره ::: يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم ::: قد أنذروا بحلول البؤس والنقم(1)

* **آخر وقعة انقطعت بها دولة الأكاسرة :** وقعة يزدجرد ، آخر الأكاسرة ، كان ملك الفرس واستقام له الأمر .

وكان رستم وزيره وقائد جيوشه ، وقال له خذ من الخزائن والسلاح والعساكر والمواجب ما تريد واكفنى أمر العرب النازلين بلادنا ، فذهب رستم فى مائتى ألف

---

(1) ذكره صاحب الكشاف ، فى شرح البردة الشّريفة .

مقاتل مع خمسة آلاف أمير تدور عليهم رحا الحرب ، وكان قد نقضت دهاقنة العراق عهودهم مع المسلمين . فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين "عمر" - رضى الله عنه - فوجه العساكر المنصورة من المدينة المحمدية مستمدا من الحضرة النبوية وسعد ابن أبى وقاص ، صاحب الجيش ، وكان جرير بن عبد الله ، والمثنى بن حارثة فى العراق مع جيوش المسلمين . فأمرهم أمير المؤمنين بمتابعة سعد ، فلما اجتمع عسكر الإسلام مع عسكر رستم رأى رستم رؤيا ، وكان منجما كاهنا . كان يزدجرد يجمع السلاح من ممالك فارس ويعطيه للنبى ﷺ وهو يعطيه أمير المؤمنين "عمر" - رضى الله عنه - وهو يقسمها بين العساكر الإسلامية ، فازداد رستم غما ، والمجوس احتراقا ، فجبنوا وكرهوا حرب العرب . فلما اصطف الفريقان حمل "هلال بن علقمة" - رضى الله عنه - رستما فصرعه صرعة الأسد عجلا ودهما ، وقتله وأخذ سلبه ، وقد بلغ تاجه مائة ألف دينار فهزموهم وطردوهم ، وفر يزدجرد إلى أرض الجزيرة والجبال ، ولم يجتمع أمره ، وتفرق شمله وشمل الفرس إلى يوم القرار .

وفى ذلك يقول الأبوصيرى ، رحمه الله :

وبات إيوان كسرى وهو متصدع ::: كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم(١)

* **آخر الملوك قبل الطوفان بمصر:** فرعون ، وهو الذى جاء الطوفان فى زمانه ، وهو أول الفراعنة ، يسمى فرعون نوح - عليه السلام - وسائر الفراعنة بعد الطوفان ؛ كفرعون إبراهيم - عليه السلام - الذى تعدى على أخذ سارة - رضى الله عنها - ثمَّ وهبها هاجر أم إسماعيل ووهب لإبراهيم ناحية من الأرض ، وهى الآن يستطعم ويستضاف منها إلى يوم القيامة ، وفرعون يوسف - عليه السلام - الذى استوزره وملكه على مصر ، فجعل كرسيه أطول من كرسيه بأربع أصابع ، ودفع إليه خاتمه وولاه أمر الخلق ، وهو الريان بن الوليد .

وفرعون موسى الذى أغرقه الله مع جنوده ، وكان من فراعنة مصر عرباق ، وكان

---

(١) ذكره صاحب كشف الكشاف ، فى شرح البردة .

يقال: إنَّ هاروت وماروت كانا في زمانه ، وكان أكثر الفراعنة يعظمون الأولياء والأنبياء ولا يؤمنون ؛ محتجين بالكهانة والسحر والنجوم والسيما والكيمياء ، وكانوا يعترفون بملكوت السماء صدورا من الأنبياء - عليهم السلام - وكان مصرام قبل الطوفان حكيما ماهرا يعبد الشمس ، وهو الذى نصب الأعلام والأصنام على البحار ، وأول ملوك مصر ؛ فقراوس صاحب الطلسمات العجيبة[١] .

*** آخر الملوك من القبط بعد الطوفان:** المقوقس ، وأولهم بعد الطوفان: بيصر بن حام بن نوح - عليه السلام - وهو أبو القبط كلّهم ، ثمَّ تولى بعده مصر بن بيصر ، وبه سميت مصر مصرا ، وبعث هود - عليه السلام - فى زمنه فدعاه إلى التوحيد ، فما آمن ، ثمَّ ظهر الإسلام وطلعت شمس الدعوة من الحضرة الأحمدية القرشية الملكية المدنية ، فأرسل كتابا إلى المقوقس ملك القبط بمصر ، فأبى .

ولكنه عظم كتابه ورسوله ، وهادى سيد المرسلين بأنواع الهدايا ؛ منها مارية القبطية - رضى الله عنها - أم إبراهيم ودلدل وذو الفقار ، كان سيفا مصريا ، وقد سلب الله ملكه ببركات سيد المرسلين فى خلافة "عمر بن الخطاب" - رضى الله عنه - فصولح على أداء الجزية ، وقيل: أسلم بعده ، والله أعلم[٢] .

*** آخر الخلفاء الراشدين من الصحب الكرام - رضى الله عنهم - وخاتمهم:** على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وأولهم: أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - وهم بمنزلة الأركان الأربع لحضرة الحقيقة المحمدية وحملة العرش . شرعه المؤيد إلى يوم القرار ، واستقامت الشريعة المحمدية بعدهم خلافة ووراثة ، فأوَّل قاعدة الخلافة الراشدية الصحابية: المدينة المنورة ، وآخرها: الكوفة العلوية ، ثمَّ انتقلت إلى الشام ، ثمَّ إلى بغداد ، ثمَّ إلى مصر .

*** آخر قواعد الخلافة الإسلامية اليوم:** بلدة القسطنطينية ، حماها الله بعونه آمين .

---

(١) ذكره السيوطى فى تاريخه ، والمقريزى ، وغيرهما .
(٢) ذكره السيوطى ، فى تاريخه .

* **آخر الخلفاء من أهل البيت نزل عن الخلافة وخلع نفسه إيثارا وإصلاحا بين الأمة :** سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسن بن على - رضى الله عنهما - فقال بعض الصحابة : يا أبا محمد ، لقد آثرت بشئ ؛ يعنى الخلافة ما جاد به أحد منذ خلقت الدنيا وملوكها . وكان قد بايعه أهل العراق وشاوروه فى محاربة أهل الشام ، ففكر ورجع إلى الحديث الصحيح ، وهو ما قاله ﷺ وهو على المنبر الشريف أن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من أمتى ، فسلم الأمر إلى ملك الشام معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - وكانت مدة خلافته أربعة أشهر[١] .

* **آخر الخلفاء الراشدين من أهل البيت المستحقين للخلافة ظاهرا وباطنا بعد أبيهم الإمام الثالث :** سبط رسول الله ﷺ الحسين بن على - رضى الله عنهما - كان قد أرسل إليه أهل العراق رسالة البيعة ، فعزم مبايعا إلى دار الخلافة بالكوفة ، فتلقاه على طريق أعدى الأعادى وأشقى الأشقياء ، أخو معاوية ، زياد ، فقتلوا خير العباد ، وأظهروا فى الأرض الفساد ، وسلكوا طريق الظلم والعناد .

وكان قد تبرأ منه أبو سفيان ومنع حقه من ميراث الإسلام بحضرة الصحابة - رضى الله عنهم - فلا زال طريدا حتى دعاه معاوية ، وأمره ورد القضية ، وهى أول قضية من قضايا الإسلام ردت . ولذا صارت بلبلة شنيعة ومحنة فاحشة بين الأمة ، وأبغض الوسائل تعدية على أفضل الملة وأحب العترة كان ذلك بسبب اليزيد العنيد ، فاستشهد سيد الشهداء بصحراء كربلاء مع العترة الأطهار والزمرة الأخيار ، فجرى ما قدر الله ، وقضى عليهم الرحمة والرضوان ، آمين[٢] .

* **آخر ملوك بنى أمية :** مروان بن محمد بن مروان ، وكان شهيرا بمروان الحمار ، عرض قبل خلعه وقتله عساكر بنى أمية من الأبطال والفحول ، فقال وزيره : هذا أقوى الجيش على الأرض ، فقال مروان بطريق التطير ، فجرى الحال بما قال إذا انقضت المدة

---

(١) تاريخ الخلفاء الراشدين ص ١٨٧ إلى ١٩٢ .
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣ إلى ٢٠٦ .

لم تنفع العدة ، فأخذ الفال من فيه لدولة بنى العباس - رحمهم الله - وكانت أيام دولة المروانية خالصة ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر ؛ مجموعها ألف شهر سواء .

قال سيدنا الحسن بن على - رضى الله عنه - رأى رسول الله ﷺ فى رؤياه ملوك بنى أميه رجلا رجلا ، فساءه ذلك ، فأنزل الله عليه تسلية لحبيبه - عليه السلام - قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ [القدر : ١] إلى قوله تعالى : ﴿ **خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ [القدر : ٣] يعنى مدة دولة بنى أمية ، فانقرضت دولتهم بعد أربعة عشر ملكا .

قال أهل العلم : أفضل الملوك المروانية : عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لم يسمع بعد الخلفاء الراشدين بمثل عدله ولا فى الدولة العباسية ، كذا نقل عن المأمون بْن هارون الرشيد ، رحمهما الله .

ونقل عن الإمام الشافعى وغيره من العلماء الأعلام - رحمهم الله - قالوا : الخلفاء الراشدين خمسة ؛ خامسهم عمر بن عبد العزيز ، كانت أمه من بنات عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قيل : فعرق الدين والعدل نبت من السلالة العمرية لا الأموية ، قال بعض أجلاء الخلفاء العباسية سبقتنا دولة الأموية بعمر بن عبد العزيز ، وجامع دمشق ، وجامع بيت المقدس[1] .

* **آخر الدولة العباسية ببغداد:** المعتصم بالله ، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، هلك فى حرب "هولاكو خان المغولى" بسبب وزير السوء الخائن الذى فرَّق عساكر بغداد بقطع أرزاقهم وكان يرسل الأخبار إلى الأعداء .

فخرج "هولاكو" فى سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وقتل الخليفة وأولاده ، ونهب بغداد وقتل أكثر أهلها ما يزيد على ألفى ألف وثلاثمائة ألف وثلاثين ألف ، مما قدره الله من الشهادة على المؤمنين ، ثمَّ أحضر الوزير وعاتبه ، وقال : يا خائن خنت أستاذك ، لا يرجى لنا منك صلاح ، فقتله شر قتلة ، فانقضت الخلافة من بغداد ، وبقيت الدنيا بلا خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة .

---

(١) كذا نقل عن المأمون ، من تاريخ الخلفاء ص ٢٨٨ إلى ٢٤٦ .

إنا لله وإنا إليه راجعون ، فى كلِّ أمر نزل أو هو نازل ، ثمَّ استخلف الملك الظاهر بمصر "المستنصر بالله" من العباسيين بعد إحضاره عند أهل مصر من القضاة والفقهاء والحكام والأمراء ، وحضر الخليفة ، فأمر بإثبات نسبه الشريف العباسى ، فثبت نسبه ، فقلدوه الخلافة ، وأعطوه البيعة ، وأرسلوه إلى بغداد ، وجرى ما قدره الله الواحد القهار[1] .

* **آخر الخلفاء العباسيين بمصر :** المتوكل على الله ، وأولهم بمصر : المستنصر بالله ، فانقرضت الخلافة بوفاة المتوكل ، فى السابع والعشرين من رجب ، سنة ثمان وثمانمائة[2] .

* **آخر خليفة من العباسية حكم وسجل على نفسه وأشهد الشهود :** القادر بالله ، بويع بعد الطائع لله ، وسلم له الطائع الخلافة ؛ لأنَّ الخطبة قطعت فى خلافته من الحرمين الشريفين ، وأقيمت للمعز العبيدى الفاطمى صاحب مصر والمغرب ، والإمام القادر بالله ، أعمر الخلفاء العباسية ، عاش ثلاثا وثمانين سنة ، وصنف كتبا كثيرة من الفنون . وكان يجلس فى يوم الاثنين والخميس للناس ، ويصاحب العلماء ، ويفتش على الأمراء ويتفقد المظلومين ، وينتصف منهم ، ملأ الدنيا بالعدل والإحسان ، وأظهر الله تعالى فى عصره السلطان "محمود بن سبكتكين" ، فمكنه الله من الديالمة والزنادقة والرافضة والمجوسية ، كما ذكره أهل التاريخ .

* **آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة :** الراضى بالله ، وفى أيامه ضعفت الخلافة العباسية ، وأخذ الفرنج السواحل والثغور ، فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

وذلك الضعف بسبب عدولهم عن السنة النبوية ، وبسبب الوزراء السوء ؛

---

(١) من تاريخ بغداد .

(٢) من تاريخ مصر ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٦٥ ، ٤٨٩ .

والمتوكل على الله اثنان : الأول : محمد بن المعتضد بالله بن المستكفى بالله وهو الذى مات فى الثامن عش من رجب سنة ثمان وثمانمائة والثانى وهو آخر الخلفاء العباسيين بمصر هو : المتوكل على الله : أبو العز عبد العزيز بن يعقوب المتوكل على الله ، ومات يوم الأربعاء سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائة ، وعهد بالخلافة لاينه يعقوب ولقبه "المستمسك بالله" .

كالوزير العلقمى الذى نافق خليفة بغداد ، ثمَّ أن الراضى أمسك الوزير ابن مقلة ، وقطع يده ، وهذا ابن مقلة الذى يضرب به المثل فى حسن الخط ، وهو أول من استخرج الخط النسخ من الخط الكوفى ، كما ذكر فى فصل الكتابة .

* **آخر سلاطين الدولة الأيوبية بمصر :** هو السلطان الثامن ، من بنى أيوب ، الملك الأشرف موسى المظفر ، أجلسوه على كرسى المملكة سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وعمره ست وستون سنة ، وفى أيامه فسد نظام الأيوبية بسبب سوء أمراء الوزراء[1] .

* **آخر سلطان أعز الله به الإسلام ؛ بأخذه البلاد الإسلامية ، واستنقاذها من أيدى الفرنج ، وفتحه بيت المقدس الشريف بعد الفتح العمرى من يد الفرنج :** الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أول سلاطين الأيوبية ، استوزره العاضد لدين الله ، من الملوك العبيدية ، ثم لما مات العاضد تسلطن صلاح الدين ، وأبطل اسم الفاطمية ، وخطب لبنى العباس الخطبة بمصر ، واستأصل عروق الفاطمية ؛ لئلا يتناسلوا .

وجاءه خلعة التشريف والإجازة بالسلطنة من عند الخليفة المستضئ بنور الله ، فى سنة ست وستين وخمسمائة ، الذى استضاءت الدنيا بعدله ، وعمر الممالك ، وأبطل المكوس ، فعادت الخطبة بعد انقطاعها مائتى وخمس عشرة سنة ، والسلطان صلاح الدين ، ووالده وعمه من أمراء السلطان العادل نور الدين الشهيد ، كانت مملكته وكرسيه الشام .

والدعاء عند قبره بالشام مستجاب ، له فتوحات عظيمة وخيرات كثيرة ، أخذ من الفرنج خمسين مدينة وحصنا ، كان من مؤيدى الدولة العباسية ، وكان فقيها محدثا غازيا بطلا ، له عقل تام ، كان استغاث به العاضد ، حين استولى الفرنج على ممالك مصر ، فأرسل صلاح الدين وعمه ، وكان من أمرائه ، وقاتل الفرنج على ممالك مصر ، فقتل منهم قتلى ما سمع بمثله قط فى الإسلام ، وافتتح بسيفه من اليمن إلى

---

(١) تاريخ مصر .

الموصل ، ومن المغرب إلى النوبة .

قال الإمام اليافعى ، فى "روض الرياحين" نقلا عن الأولياء : أنه كان من أوتاد الأرض ، وكذا نور الدين الشهيد محمود بن سبكتكين ، جزاهم الله خير جزاء[١] .

* **آخر سلاطين الفاطمية بمصر:** العاضد لدين الله ، مات سنة سبع وستين وخمسمائة ، وهم أربعة عشر ملكا ؛ ثلاثة بالمغرب ، والباقى بالقاهرة ، أولهم ظهورًا بالمغرب : المهدى عبيد الله ، وجميع أهل العلم عن أهل التحقيق ينكرون دعواهم فى النسب .

ويقولون : إن اسمه سعيد ، ولقب بعبيد الله استتارا وتزويرا ، والمهدى هو الذى قام بدعوى الخلافة ، وبنى المهدية بإفريقية ، وسور تونس ، ثمَّ المعز هو الثالث منهم ، أرسل عسكرا إلى مصر وملكها وكانت الخلفاء العباسية قد اشتغلت بالديلم لفتن قامت بها فاشتغلتهم عن مصر ، واختط جوهر القائد سور القاهرة وبناه وبنى الجامع ، وعرف المعز بما فعل . فخرج من ملك المغرب ؛ طالبا ديار مصر ، فوصل إليها ، وجلس على سرير ملكها ؛ فأطاعه أهلها ، وكان عارفا بأمور الدنيا ، كفرعون مصر قبلها كان منجما كاهنا حكيما دهريا ، فأقام بالقاهرة ملكا ، وهو من الشيعة وملوكهم ؛ فمنهم خبيث وأخبث كالحاكم وهو كفرعون يوسف وموسى عليهما السلام[٢] .

* **آخر الملوك من الأتراك والجراكسة بعد انقراض الدولة الأيوبية فى ملك مصر :** قنصوه الغورى ، هلك فى حرب الملك المجاهد السلطان سليم خان العثمانى ، أعز الله أيام دولتهم .

قال السيوطى فى محاضرة مصر فى ترجمة الغورى : لما ولِّىَ قنصوه الغورى ولقب بالملك الأشرف وأقام بالملك إلى أن خرج من مصر يوم الجمعة ، فى نصف ربيع

(١) من تاريخ الخلفاء .
(٢) ذكره السيوطى ، فى : تاريخ مصر وغيره .

الأول ، سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ، فى جيش عظيم إلى بلاد الحلبية ؛ لملاقاة السلطان سليم خان العثمانى ، فوقع المصاف بينهما ، فمات فى ذلك اليوم حتف أنفه ولم توجد جثته .

وأول الأتراك : السلطان برقوق وهو من مماليك يلبغا العمرى الناصر حسن بن الملك محمد الناصر بن قلاوون واشتهر فى السلطنة فى خلافة المتوكل على الله العباسى (١) .

* **آخر ملوك الصفارية :** طاهر بن محمد ، وأولهم : يعقوب بن ليث ، وكان أوَّل ظهوره فى سنة خمس وخمسين ومائتين ، وخطب ببغداد باسمه ، واستولى على العراق ، وهلك ابن ليث فى حبس المعتضد بالله حين أسر على يد إسماعيل السامانى ، بأمر الخليفة المعتضد (٢) .

* **آخر ملوك السامانية :** المنتصر بالله إسماعيل بن نوح ، ملكوا ديار الترك وفارس والعراق إلى حدود الهند ، وكان كرسى مملكتهم بخارا وعددهم عشرة وكانوا فى طاعة العباسية (٣) .

* **آخر سلاطين الغذنوية :** خسروشاه بن بهرام شاه ، **وأولهم :** السلطان محمود بن سبكتكين ، كان قائد جيوش العباسية وناصر دولتهم وفى طاعتهم فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وامتدت سلطنتهم إلى سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ومحمود أول من سمى سلطانا من قبل الخليفة العباسى وهو من أوتاد الرجال عند الأولياء وكان ملوك الديلم قد عظم أمرهم وزاد شرهم فى ممالك العراق . فأظهر الله تعالى السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين وأمكنه من رقابهم وسلط السيف عليهم وصلب أعيان الشيعة والزنادقة والرافضة وقاتل الهنود والمجوس والصابئين وأحرق

---

(١) من تاريخ مصر .
(٢) ذكره البيضاوى ، فى تاريخه .
(٣) ذكره البيضاوى ، وغيره .

الأصنام وقتل ملوك الهند والصين ، ويقال له : إسكندر هذه الأمة .

وظهرت له فى تلك الأسفار والمجاهدات خوارق العادات وكرامات ملأت دفاتر التَّواريخ وأخذ من الغنائم من بيوت الأصنام المجوسية ما لا يحصى ، وأخذ أربعين قنطارًا من الجواهر الألماسية والياقوتية ، وكان فى خلافة القادر بالله نعم الخليفة ونعم الأمير ، جزاهم الله خير الجزاء ، فى يوم اللقاء[١] .

* **آخر سلطان الملوك الديالمة :** الملك أبو على بن عز الملوك ، **وأولهم :** عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه ، وعدد ملوكهم ستة عشر ملكا ، وكان خليفة بغداد ، شارك عماد الدولة فى دعاء الخطبة ببغداد ؛ لنصرته وطاعته للخليفة[٢] .

* **آخر سلاطين السلجوقية :** السلطان مغيث الدين طغرل بك ابن أرسلان ، **وأولهم :** السلطان ركن الدين بن ميكايل ، وعددهم أربعة عشر ملكًا ، وكان ظهورهم فى خلال خمسين وأربعمائة[٣] .

* **آخر سلاطين السلغرية :** أتابك معظمة بنت سعد بن أبى بكر بن سعد ابن زنكى ، والأشهر أنَّ آخر ملوكهم أتابك سلجوق شاه بن سلغر شاه ابن سعد بن زنكى ، **وأولهم :** أتابك سنقر بن مودود شاه ، وكان منهم الملك أبو بكر بن سعد بن زنكى ، ممدوح الشيخ سعدى ، فى كتابه الشهير بكلستان ، هو أكرم السلغرية[٤] .

* **آخر سلاطين الخوارزمية :** السلطان غياث الدين بن محمد خوارزم شاه ، **وأولهم :** خوارزم شاه بن محمد بن أنوشكين ، وهم ثمانية نفر ، خرج فى خلافة المقتدى بالله ، وأرسل إلى المقتدى يقول له : اخرج من بغداد إلى أى مكان تريد ، فأرسل إليه المقتدى يقول : اصبر عشرة أيام ، ولبس المقتدى جبة من الصوف ، وكان المقتدى مجاب الدعوة ، فدعا الله تعالى عليه ، فمات خوارزم شاه فى اليوم العاشر فجأة .

---

(١) تاريخ الخلفاء .
(٢) تاريخ الخلفاء .
(٣) تاريخ الخلفاء .
(٤) ذكره البيضاوى ، وغيره .

وفي رواية: حين رجع من بغداد قامت صواعق عليه وعلى عساكره، فأهلكت منهم جما غفيرا، وقيل: كانت الصواعق بسبب دعوة الشيخ السهرودي، وكان شيخ المقتدي، فنصحه الشيخ، فأبى، ورجع الشيخ غضبان عليه، فقامت الصواعق عليهم، وقلعت الرياح خيامهم، كذا نقل عن الثِّقات.

* **آخر سلاطين المغولية الخطابية:** هولاكو خان، **وأولهم:** جنكز خان، كان خروجه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، لما مرَّ هولاكو بنهر جيحون، وجلس على سرير الملك، وقصد بغداد. وقتل الخليفة المستعصم بالله، ومن الوزراء والأمراء والعلماء والمشايخ ما لا يحصى، قيل: عدد من قتل من الأعيان، فبلغ عددهم ثمانية عشر ألف ألف، وقيل: أكثر ما سمع في الإسلام بمثلها، فجرى ما قدره الله على عبادة المؤمنين من الشهادة، فقصد الملعون، وهو أحد الدجالين الموعودين في الأخبار النبوية أن يخرج على جمنيع البلاد الإسلامية، ويسل السيف عليها، ويقمع أهلها، حرسها الله بعين عنايته، وأيدها بعزته وقوته، آمين، اللهم آمين.

وكان كفار المغولية أضلوه، وعاودوه إلى ملة المجوس، فمال إليهم وقصد - والعياذ بالله - الممالك الإسلامية بالسوء، فمن الله على عبادة المؤمنين ببركة سيد المرسلين، وألهم بعض أوليائه بفضل فيضه أن يظهروا من الكرامات المحمدية عند هولاكو منهم بابا يعقوب ومحمد خواجه در بندي - قدس الله أسرارهم - فوصلوا إلى هولاكو، ودخلوا النار وشربوا السموم والنحاس المذاب.

فلما عاين هولاكو ذلك رجع عن مذهب الكفر والزندقة، وخاف من الأولياء، وعظم الملة الإسلامية وأهلها وهلك من الكفرة المضلة عند هولاكو، ومن رهابين المجوس لما دخلوا النار، وشربوا السموم بأمر هولاكو، وفق ما فعله الأولياء الكرام، عليهم الرحمة والرضوان[1].

* **آخر الطوائف من الملوك والسلاطين في الخلافة العباسية:** الطائفة العثمانية،

---

(١) ذكره البيضاوي.

أيدها الله تعالى إلى يوم القرار .

قال البيضاوى ، فى "زبدة التواريخ" : أما طوائف السلاطين الذين ظهروا فى دولة آل عباس فثمانية ؛ أولها الصفارية ، ثمَّ السامانية ، ثمَّ الغزنوية ، ثمَّ الديالمة ، ثمَّ السلجوقية ، ثمَّ السلغرية ، ثمَّ الخوارزمية ، ثمَّ المغولية ، وكانت تلك الطوائف فى العراق ، وما وراء النهر .

أقول ؛ وأما الدولة الفريدة والسلطنة السديدة المؤيدة بالقوة القدسية المشار إليها وتبعا بقوله تعالى : ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (الروم : ٣) ، المبشرة بقوله : عليه الصلاة والسلام : آخر ما يملك أمر أمتى بنو قنطراء .

قال أهل الحديث : قنطوراء كانت جارية لإبراهيم الخليل - عليه السلام - ولدت له أولاد ؛ منهم الترك ، وفى الحديث : خطابا للعرب ، فإنهم ؛ أى الترك من أصحابكم مادام فى العيش خير . فالدولة العثمانية فاقت كلّ الدول وملوكها اذجل هممهم الجهاد مع أعداء الله[1] ، وأهل الأهواء والبدع ، فهم فى حفظ الله وكنفه من الفتن السارية فى الملوك الماضية الذين تسلطنوا فى الدولة العباسية . فهى أيضا حدثت فى الخلافة العباسية ، بل نابت منابها وقامت مقامها فى الخلافة الأصلية الهاشمية وشاهدت عند بعض الأكابر البراءة الشريفة ، وصورة تقليد رقعة السلطنة ، رسمه له السلطان "علاء الدين السلجوقى" بإشارة الخليفة . وأجازه فيها بالدعوة المحمدية الجهادية بالسيف المحمدى لازال مسلولا على الأعداء ، شرقا وغربا ، بحرا وبرا ، إلى يوم الدين ، بحرمة سيد المرسلين .

* **آخر الدولة الإسلامية فى الخلافة العباسية :** الدولة المنصورة العثمانية ، أيدها الله وأبدها بعين عنايته إلى يوم القرار ، فكم من دول بدت وانقرضت ، فأمد الله وأيد هذه الدولة الفريدة ، واختصها بالخصائص العديدة ، والأركان الشديدة ، والعيان السديدة . إذ جاهدوا لنصرة الدين ، وإحياء السنة ، وقهروا أهل البدعة ، ونشروا

---

(١) يقصد "ضِدّ" .

حكامهم باتباع الشريعة ، ونصبوا أعلامهم على الجادة المستقيمة ، فحرمهم الله سبب ذلك من الفتن السارية بين السلاطين الماضية من التركية والسلجوقية والديلمية والفاطمية .

وقيل في سبب عصمة العثمانية من الفتن ، والتغلب من الأمراء والوزراء أن ملوكهم في أعصارهم منعوا أن يبايع غيرهم من الملك ، تصرف الملك والإمارة ، واشتراك الخطبة والسكة والاستقلال بالمناصب الجليلة ، اتخاذ الحصون والقلاع ، وتسيير الأغربة البحرية ، فحصنوا بذلك أنفسهم وميزوا ألقابهم عن ألقاب الوزراء .

فما شاركوهم في أسباب القوَّة والعدة وجمع الخزائن الجهادية وغيرها ، ومنعوا من يسمى بالسلطان والملك وولاية المهد بتقدم البيعة ، فهموا الإشارة النبوية في اشتراك البيعة ، بقوله ، ﷺ: إذا بويع لخليفتين ، فاقتلوا الآخر .

سمعت من بعض الأولياء نقلا عن جعفر الجامع أن دولتهم تمد إلى زمان المهدى ويسلمون الخلافة إليه ، ويكونوا من شيعته وناصريه ، سمعت ممن أثق بقوله :

أنه ذكر ذلك عن المرحوم حضرة السلطان سليمان الغازى - عليه الرحمة - فقيل له : إن خرج المهدَى في عصرك ، هل تسلم له الخلافة بلا منازعة ، فقال : أرى نفسى تنازعه في رياسة الخلافة ؛ لأنه قيل لآخر ما يخرج من صوب الصديقين حب الرياسة ، فانظر إلى إنصافه ، وإلى كمال معرفته بحقيقة النفس الإنسانية ، كما أشار يوسف الصديق ، عليه السلام ، - بقوله : ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ الآية [يوسف : ٥٣] .

* **آخر سلطان السلاطين أعز الله به الإسلام وأخذ بسيفه من أهل الرفضة غاية الانتقام :** السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان - عليه وعلى أجداده الرحمة والرضوان - خادم الحرمين الشريفين ، وخاقان العراقين ، رفع الله أعلام فتوحاته شرقا وغربا ، ونصب رايات دولته بعدا وقربا ، ونشر أحكام عدله برا وبحرا ، وحفظ نظام سلطنته سرا وجهرا .

وهو أول خليفة جمع الله له بين العراقين العظيمين والملكين المكرمين ؛ ملك العرب والعجم لا زال ظله ممدودا مصونا مشهودا ، اللهم ملكه أملاك العالم باسمك الأعظم ، وأسمائك الحسنى ، فإنك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء .

أتممت رسالتى هذه فى ظل دولته وعدله سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ، فى أول شهر رجب ، وأنا الفقير الداعى ، خادم مشيخة زاويته ، عند تربة جده الشهير بالمشهد السليمانى ، والمرقد الروحانى ، بقرب حصن سكتوار ، حماه الله بعين عنايته إلى يوم القرار ، بحرمة النبى المختار ، آمين ، اللهم آمين .

* * * * * * *

الفصل الثالث
فى الأواخر المتعلقة بأنواع الأواخر

* آخر الناس بعثا: خاتم الأنبياء ، ورسول الأصفياء ، رسول الله ﷺ كما قال: كنت أوّل الناس خلقا ، وآخرهم بعثا(١) .

* آخر كلام رسول الله ، ﷺ: الصلاة ، الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم(٢) .

* آخر ما تكلّم به رسول الله ، ﷺ: ربى الرفيع ، فقد بلغت ، ثمّ قضى ، ﷺ (٣) .

* آخر يوم مات فيه آدم - عليه السلام - وأهبط فيه ، وتم خلقه: يوم الجمعة ، وكان بدايته يوم الأحد(٤) .

* آخر أيام الدنيا تقوم فيه الساعة: يوم الجمعة(٥) .

* آخر يوم من الشهر: يقال له يوم أيوم ، وهو يوم الثلاثين(٦) .

* آخر ليلة من الشهر: يقال لها الليلة الليلاء ، وهى ليلة الثلاثين(٧) .

* آخر يوم من الشهر: يقال له نحيرة ، ويقال لآخر ليلة مع يومها ؛ لأنَّ النحر هو الدفع لدفعه النور ومحقه ، وأول ليلة من الشهر:

يقال لها البراء ؛ سميت بذلك لتبرئ القمر من الشمس(٨) .

* آخر أمتى: يقاتلون الدجال ، قالﷺ : والجهاد ماض مذ بعثنى الله حتى يقاتل

---

(١) أخرجه القاضى ، فى الشفاء .
(٢) أخرجه السيوطى ، عن: على ، رضى الله عنه .
(٣) أخرجه السيوطى ، عن: أنس ، رضى الله عنه .
(٤) تاريخ الجوهر الثمين .
(٥) كذا ورد فى الخبر .
(٦) كذا فى مزهر اللغة ، للسيوطى .
(٧) كذا فى مزهر اللغة ، للسيوطى .
(٨) من صحاح الجوهرى .

آخر أمتي الدجال[١] .

* **آخر أرض بلعت مياهها :** عند الطوفان ، موضع البحر المالح ؛ ولذا عاقبه بملوحته وجو زيت الأرض التي ابتلعت ماءها أول بالحلاوة[٢] .

* **آخر عمر الرجل :** خير من أوله ؛ يكثر حلمه ، ويعظم علمه ، تحمد سيرته[٣] .

* **آخر عمر المرأة :** شر من أوله ؛ يذهب جمالها ، ويشؤم لسانها ، ويعقم رحمها ، ويسوء خلقها[٤] .

* **آخر ما يخرج من قلوب الصديقين :** حب الرياسة[٥] .

* **آخر أمر أمير المؤمنين "عمر" ، رضي الله عنه :** كان يجلد شارب الخمر أربعين سوطا ، فلما تجاوزوا وفسقوا جلد ثمانين سوطا[٦] .

* **آخر طعام أكله رسول الله ، ﷺ :** كان فيه بصل ، أكله تشريعا لأمته ؛ لأنَّ نهيه نهى تنزيه لا تحريم[٧] .

* **آخر غزوة لرسول الله ، ﷺ :** غزوة تبوك ، سنة تسع من الهجرة النبوية ، قاتل رسول الله ﷺ في تسع من غزواته ، **وأول غزواته :** غزوة الأبواء ، سنة اثنتين من الهجرة الشريفة ، وعدد غزواته ﷺ وسراياه ؛ نحو خمسين[٨] .

* **آخر من تزوّجه رسول الله ﷺ من أمهات المؤمنين :** ميمونة بنت الحارث ، وهي خالة : عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - وخالة : خالد بن الوليد ، **وأولهن :**

---

(١) كذا ورد في الحديث الصحيح .
(٢) كذا في تاريخ الجوهر الثمين .
(٣) من كتاب المستطرف .
(٤) من المستطرف .
(٥) إحياء لعلوم .
(٦) كذا في شرح المصابيح .
(٧) من شرح المصابيح .
(٨) كذا في السيرة النبوية .

خديجة - رضى الله عنها ، وعن أخواتها - تزوجها ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وماتت قبل الهجرة الأولى بثلاث سنين ، ولم يتزوج فى حياتها غيرها ، رضى الله عنها . وهى بنت أربعين سنة ، فولدت له القاسم ، وعبدالله ، وهو الطيب ، والطاهر ، لقب باللقبين ، وولدت من الإناث ؛ زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة - رضى الله عنهن - ولما تعبت خديجة فى تربية الأولاد أتاها جبريل - عليه السلام - فقال : يا محمد ، أقرئ خديجة السلام من ربّها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب[(١)] .

* **آخر ما تكلّم به إبراهيم ، حين القى فى النار:** حسبى الله ونعم الوكيل[(٢)] .

* **آخر أربعاء فى الشهر:** يوم نحس مستمر[(٣)] .

* **آخر المحبة:** قتل ، **وأولها:** خرق ، قاله المنصور ، حين سأله السبلى عن أول المحبة وآخرها .

* **آخر مدن المغرب:** الإسكندرية ، ويقال لها مصرية ومغربية[(٤)] .

* **آخر مدن خراسان:** فرغانة ، وهى مجاورة لبحر الصين وبعض بلاد الهند ، وأرض فرغانة بلاد الأتراك ، ونشأ فيها من المشايخ العظام ؛ كالإمام الفرغانى .

وأما إقليم خراسان ، فيقال له : أرض الجبال أرض واسعة وإقليم عظيم ، ويسمى بعراق العجم ، وفيه نحو خمسمائة مدينة ، قواعد خارجة عن القرى والرساتيق ، ومن مدنها همدان وسوس وششتر ومرو وسرخس ونيسابور وبلخ وفاران وبدخشان وخراسان واصفهان وجرجان وطوس وأردبيل ، إلى غير ذلك ، وأول مدن خراسان : قزوين ، وهو مجاور ملك فارس ، وهى اليوم دار ملك الرافضة ، قطع الله

---

(١) كذا فى الصحاح .
(٢) رواه : أبو هريرة ، رضى الله عنه .
(٣) الحديث عن ابن عباس ، رضى الله عنهما .
(٤) كذا فى تاريخ البلدان .

عروقهم عن ممالك الإسلام شرقا وغربا(١) .

* **آخر شجرة نبتت في محراب سليمان ، عليه السلام:** شجرة الخرنوب ؛ وذلك أنه كان يتعبد في بيت المقدس ، فينبت له في محرابه كلّ سنة شجرة فيسألها عن اسمها ودوائها ، فتقول: اسمي كذا ، ودوائي كذا ، فيأمر بقلعها ، فإن كانت تنبت بغرس غرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخرنوبة ؛ خرجت لخراب ملكك ، فعرف أنه حضر لأجله ، وأنها آخر شجرة ، فاستعد للموت ، واتخذ منها عصا ، واستدعى بزاد سنة ، والجنّ يتوهمون أنه يتغذى بالليل .

وفي رواية عن ابن عباس ، رضي الله عنهما: قال سليمان - عليه السلام - اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، قال: فاتخذ منها عصا ، وتوكأ عليها سليمان - عليه السلام - فأكلتها الأرضة ، فسقط ، فوجدوه ميتا ومَرَّ عليه حولا ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ، ما لبثوا حولا في العذاب المهين ، فشكرت الجن الأرضة ، وكانت تأتيها بالماء حيث كانت(٢) .

* **آخر من قتله الحجاج بن يوسف:** سعيد بن جبير - رحمة الله عليه - وهو تابعي كوفي ولي كامل ، من زهاد الأمة ، وحين استشهد على نطع الحجاج ، دعا عليه بقوله: اللهم لا تسلطه على أحد من بعدي يقتله ، فما عاش الحجاج بعد إلا خمس عشرة ليلة . وقصته مبسوطة في كتاب: حياة الحيوان ، في باب اللام .

* **آخر من بشر بقدوم سيد المرسلين:** عيسى بن مريم ، كما ورد في الحديث: أنا دعوة إبراهيم ، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم ، - عليه السلام(٣) .

* **آخر المساجد:** مسجد المدينة ، كما قال ﷺ: إني آخر الأنبياء ، وإن مسجدي

(١) تاريخ البلدان .
(٢) حياة الحيوان .
(٣) الحديث عن عبادة بن الصامت .

آخر المساجد ؛ قال أهل الحديث : يعنى آخر مساجد الأنبياء مع كونه خلقه الله قبل المسجد الأقصى .

وفى رواية عن على ، رضى الله عنه : كانت الأرض ماء ، فبعث الله ريحا ، فمسحت الماء مسحا فظهرت على الأرض زبدة ، فقسمها الله تعالى أربع قطع ، فخلق من قطعة منها مكة ، ومن قطعة المدينة ، ومن قطعة بيت المقدس ، ومن الرابع مسجد الكوفة[١] .

* **آخر من بعث على رأس المائة التاسعة من المجتهدين فى العلوم والفنون :** الإمام العلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطى ، نفعنا الله به وبعلومه[٢] .

* **آخر الحفاظ الجهابذة من المحدثين :** حافظ زمانه ابن حجر أبوالفضل أحمد العسقلانى ، ثمَّ المصرى برع وتقدم فى جميع الفنون ، وانتهت ليلة الرحلة والرياسة العلمية فى الدنيا بأسرها . فلم يكن فى زمانه حافظ متقن مثله ، وختم به الفن الحديثى ، وأمطرت السماء حين مات بمصر على نعشه ، حتى قرب إلى المصلى ، و لم يكن زمان مطر ، فقال الشاعر المنصورى ، فى ذلك الوقت :

قد بكت السحب على ::: قاضى القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذى ::: كان مشيدا بالحجر[٣]

* **آخر الحكماء المتقدمين من الإشراقية من الأساطين الأوائل والسلاطين الفواضل :** أفلاطون الإلهى ، معروف بالتوحيد والحكمة ، ولد فى زمان أردشير بن دار ، وأخذ عن سقراط ، وجلس على كرسيه بعد موته[٤] .

* **آخر عالم جامع ، ونوع خلق من عالم الحيوان :** عالم الإنسان ؛ لأن الإنسان الكامل خليفة ، والمملكة بأنواعها ممهدة مبسوطة له كالجنود المتقدمة على ملكها بالخيام

---

(١) من تاريخ مكة .
(٢) ذكره عن نفسه ، فى : "محاضرة مصر" .
(٣) ذكره السيوطى ، فى : محاضرة مصر .
(٤) ذكره السيوطى ، فى : محاضرة مصر .

والنزل ، فافهم ، فإنه مؤخر بالذات مقدم بالرتبة ، كما أشار له عليه الصلاة والسلام : كنت أول الأنبياء خلقا ، وآخرهم بعثا . . الحديث .

* **آخر مولود:** يولد من هذا النوع الإنسانى ، وهو حامل أسراره ، وليس بعده ولد فى هذا النوع ، فهو خاتم الأولاد ، وتولد معه أخت له فتخرج قبله ويخرج بعدها ؛ يكون رأسه عند رجليها ، ويكون مولده بالصين ، ولغته لغة بلده ، يسرى العقم فى الرجال والنساء ، فيكثر النكاح من غير ولادة ، ويدعوهم إلى الله تعالى ، فلا يجاب .

فإذا قبضه الله وقبض مؤمنى زمانه ، بقى من بقى مثل البهائم ، لا يحلون حلالا ، ولا يحرمون حراما ، يتصرفون بحكم الطبيعة بشهوة مجردة عن العقل والشرع ، فعليهم تقوم الساعة[1].

* * * * * * *

(١) ذكره شارح فصوص الحكم ، وذكر فى الفصل الشيثى منه : يكون خاتم الأولاد من صلب المهدى فى آخر الزمان ، عليه الرحمة والرضوان ، وعلى جميع أهل الإيمان .

الفصل الرابع
فى الأواخر المختصة بأحوال الأواخر من موت بعض الخلائق آخرا ودخول الجنان، والخروج من النيران آخرا، وما يتعلق بالباب

* **آخر أشراط الساعة:** نار تخرج من قعر عدن ، تحشر الناس من المشرق ، وتسوقهم(١) .

* **آخر من يحشر:** راعيان من مزينة يريدان المدينة ، ينعقان بغنمها فيجدانها وحوشا ، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما(٢) .

* **آخر يوم رسول الله ﷺ من الحياة الدنيوية:** يوم الإثنين ، الثالث عشر ، من شهر ربيع الأول ، وفيه ولد ، وفيه قبض ، وفيه بعث ، ﷺ .

* **آخر قرية من قرى الإسلام خرابا:** المدينة(٣) .

* **آخر أمهات المؤمنين موتا:** صفية ، وقيل: ميمونة ، رضى الله عن أمهات المؤمنين(٤) .

* **آخر من يموت:** عزرائيل - عليه السلام - **وأول من يحيا:** إسرافيل ، يأمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض روح ميكائيل ، ثمَّ جبريل ، ثمَّ إسرافيل ، ثمَّ يأمره الله تعالى فيموت فلا يبقى فى الأرض والسماء حى إلا الحى القيوم الباقى ، فينادى جل جلالة: لمن الملك اليوم؟ فيجيب سبحانه وتعالى بقوله جل جلاله: لله الواحد القهار(٥) .

* **آخر الصحابة موتا ممن رأى رسول الله ، ﷺ:** أبو الطفيل عامر بن واثلة ، مات بعد المائة ، وكان صاحب راية المختار ، وهو القائل:

---

(١) الحديث من كنز الأسرار .
(٢) الحديث عن أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٣) الحديث عن أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٤) كذا فى كتب السير .
(٥) من كتاب: علوم الآخرة ، للسيوطى .

وأبقيت سهما فى الكنانة واحدا ::: فيرمى به أو يكسر السهم كاسره

وقال :

وما شاب رأسى من سنين تتابعت ::: على ولكن شيبتنى الوقائع

* آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا : سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - وهو الثالث فى الإسلام ، وأول رام بسهم فى سبيل الله ، وكان مجاب الدعوة(١) .

* آخر من مات بالمدينة : سهل بن سعد - رضى الله عنه - سنة إحدى وتسعين(٢) .

* آخر من مات بالكوفة : عبدالله بن أبى أوفى - رضى الله عنه - سنة ست وثمانين .

* آخر من مات بالبصرة : أنس بن مالك - رضى الله عنه - سنة إحدى وتسعين .

* آخر من مات بالشام : عبدالله بن بشر ، سنة ثمان وثمانين(٣) .

* آخر من مات بخراسان من الصحابة : أبو خريدة ، رضى الله عنه(٤) .

* آخر أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة : جابر ، رضى الله عنه(٥) .

* آخر البدريين موتا : أبو اليسر بن أسيد ، رضى الله عنه(٦) .

* آخر يوم من الدنيا : أول يوم من الآخرة ، يوم استحضار المؤمن بالموت للقاء الله ، قاله بعض الأولياء عند تسليم روحه .

* آخر من يدخل الجنة : المغتاب إذا تاب ، وأول من يدخل النار : إذا أصر ،

---

(١) كذا فى شرح المشارق .

(٢) من تاريخ الصحابة .

(٣) كذا نقله الأستاذ ، فى تاريخ الصحابة ، رضى الله عنه .

(٤) قاله : ابن حجر .

(٥) قاله السيوطى .

(٦) قاله السيوطى ، فى محاضرته .

قوله : آخر يوم من الدنيا . . الخ .عبارة السيوطى ، والتفت الساق بالساق ، آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، فتلتقى الشدة بالشدة . ا . هـ فتأمل كيف صنع بعبارة الإتقان . ا . هـ مصححه .

أوحى الله إلى داود - عليه السلام - التحذير لبنى إسرائيل عن الغيبة[١] .

* **آخر يوم من الدنيا:** قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ (القيامة: ٢٩) ، وأول يوم من أيام الآخرة[٢] .

* **آخر زمرة من الجنة[٣] ، وآخر زمرة من النار:** تقول زمرة النار لزمرة الجنة: ما نفعكم إيمانكم ، فيدعون ربّهم ويضجون ، فيسمهم أهل الجنة ، فيسألون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم ، فكلّهم يعتذر حتى يأتوا محمدًاﷺ فيشفع لهم ، فذلك المقام المحمود ، وقال ابن عباس ، رضى الله عنهما: إذا دخل أهل النار النار ، وأهل الجنة الجنة ، فيبقى آخر زمرة من الجنة ، فذلك الآخر[٤] .

* **آخر أهل الجنة دخولا:** رجل يقال له هناد ، ولما سمع الخبر الحسن البصرى قال: ليتنى كنت ذلك الرجل[٥] .

* **آخر من يخرج من النار:** بعد سبعة آلاف سنة ، وهو أطولهم مكثا فيها مثل الدنيا منذ خلقت ، فإنما الدنيا جمعة من جمع الآخرة ؛ فمنهم من يمكث شهرا ، ومنهم يوما ، ومنهم ساعة ، وأطولهم جمعة من أيام الآخرة سبعة آلاف سنة .

قال الإمام: كان الحسن - رضى الله عنه - بعلمه وزهده يقول: يا ليتنى كنت ذلك الرجل ؛ أى الآخر خروجا من النار ، ولا شك أنه - رحمه الله - كان عالما بأحوال الآخرة وأحكامها ومواطنها ، وانظر إلى قول أمير المؤمنين "عمر" ، رضى الله عنه: ليت أم عمر لم تلد عمر ؛ قاله نظرا واعتبارا إلى عظمة مواطن الآخرة[٦] .

---

(١) ورد فى الخبر القدسى .
(٢) ذكره السيوطى ، فى الإتقان .
(٣) قوله: آخره زمرة من الجنة . .الخ ، عبارة القاضى عياض ، إذا دخل أهل النار النار ، وأهل الجنة الجنة ، فيبقى آخر زمرة من الجنة ، وآخر زمرة من النار ، فتقول زمرة النار لزمرة الجنة . . إلى آخر ما قال ، فتأمل . ا . هـ مصححه .
(٤) الحديث من الشفاء ، للقاضى عياض .
(٥) من الإحياء .
(٦) من الإحياء .

* **آخر من يدخل الجنة:** رجل من جهينة ؛ يقال له: جهينة ، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين ، سلوه: هل بقى من الخلائق أحد ؛ يعنى فى النار ، من عصاة الموحدين؟ (١)

* **آخر من يدخل الجنة:** غزاة عصاة لآبائهم ، خرجوا إلى الغزو وبغير إذن آبائهم ، وهم من أهل الأعراف ، وهو القول الثالث ، وورد فى أهل الأعراف اثنا عشر قولا ؛ ذكرتها فى كتابنا "البرازخ"(٢) .

* **آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة:** رجل يخرج من النار حبوا ، فيقول الله له: تعالى اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له: اذهب ، فيرجع . فيقول الله تعالى بعد المرة الثالثة لعبده: اذهب فادخل الجنة ، فإنَّ لك مثل الدنيا وعشرة أمثاله ، فيقول: أتسخر بى وأنت الملك ، قال ابن مسعود ، رضى الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة(٣) .

* **آخر رجلين يخرجان من النار:** يقول الله تعالى لأحدهما: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم ، هل عملت خيرا قط ، وهل رجوتنى؟ فيقول: لا يارب ، إلا أنى كنت ارجوك ، قال: فترفع له شجرة ، فيقول: يارب أقرّنى تحت هذه الشجرة فأستظل بظلها ، وآكل من ثمرها ، وأشرب من مائها . ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، فيقرّه تحتها ، ثمَّ ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، وأغذق ماء ، فيقول: يارب أقرّنى تحتها لا أسألك غيرها ، فأستظل بظلها ، واشرب من مائها ، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ فيقرّه تحتها ، فيدنيه منها ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، فيسمع أصوات أهل الجنة فلا يتمالك ، فيقول: أى رب ادخلنى الجنة ، فيقول الله

---

(١) أخرجه السيوطى .

(٢) نقلا عن علوم الآخرة ، للسيوطى ، رحمه الله . وهذا القول يفيد أن لعلى بن ددة كتابا عن "البرازخ" أخذه من كتاب السيوطى (علوم الآخرة) .

(٣) من صحيح مسلم .

تعالى: سل وتمنّ ، فيسأل ويتمنى ، فإذا فرغ قال لك: ما سألت ومثله معه ، وفى رواية أبى هريرة ، وعشرة أمثاله[١] .

* **آخر من يدخل الجنة:** رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن ؛ كالغلام يضربه أبوه ، وهو يفر عنه يعجز عنه عمله أن يسعى ، فيقول: يارب بلغنى الجنة ، ونجنى من النار . فيوحى الله تعالى إليه: عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ، فيقول العبد: نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى . فيجوز الجسر ، ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله تعالى عليه: يا عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيقول العبد: وعزتك ما أذنبت ذنبا قط ، ولا أخطأت خطيئة قط ، فيوحى الله إليه عبدى إن لى عليك بينة ، فيلتفت العبد يمينا وشمالا ، فلا يرى أحد . فيقول: يارب عندى ، وعزتك المضرّات ؛ أى الكبائر ، فيوحى الله إليه أنا أعرف بها منك ، اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيعترف العبد بذنوبة ، فيدخله الله الجنة ، قال رسول الله ، ﷺ: هذا أدنى أهل الجنة منزلة[٢] .

* **آخر كلام البشر من البشائر الأخروية ، عند الانتقال من الدنيا والارتحال إلى الآخرة:** كلمة ؛ لا إله إلا الله ، كذا فى الصحيح عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - عن رسول الله ، ﷺ: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

وفى الصحيح عن ابن عمر - رضى الله عنهما - سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد مخلص من قلبه ، فيموت على ذلك ، إلا حرم الله عليه النار ؛ كلمة لا إله إلا الله .

* **آخر ما يوزن فى الميزان:** قول الإنسان ؛ الحمد لله ؛ ولذا قال رسول الله ، ﷺ: الحمد لله تملأ الميزان ، فإنه يلقى فى الميزان جميع أعمال العبد من الخير والشر . فيبقى

---

(١) من صحيح مسلم .
(٢) أخرجه السيوطى ، عن أبى أمامة ، فى: "علوم الآخرة" .

عليه مقدار تحميدة ، فتجعل فيه ، فيمتلئ بها ، فإن كفة ميزان كلّ أحد بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان ، وكلّ عمل يدخل الميزان إلا قول لا إله إلا الله ؛ لسر إلهي ؛ لأن الإيمان بالله وما جاء من عند الله من الأحكام الشرعية دنيا وبرزخا وآخرة وجودى محض حقيقى تصديقى . فكلٌّ شئ يوزن بضده وضد الإيمان هو الكفر والشرك ، وهو عدم محض منفى سلبى لا تحقق لـه فى الخارج ، والإيمان متحقق الوجود فى الأذهان والخارج فلا يقبل الوجود المحض الوزن بالعدم المطلق ، وهو الكفر .

وأما حديث البطاقة التى فيها كلمة التوحيد مع تسع وتسعين سجلا ؛ كل سجل مد البصر ، فهو بالنسبة إلى بعض الموحدين إظهارًا لشرف التوحيد ، فلا يعادل السماوات والأرضين وزن حروف الشهادة وقالبها تجسدا وتمثلا لمعناها ، فكيف يعادل حقيقة التوحيد[١] .

* **آخر بشرى للبشر من البشائر عند انتقاله من الدنيا إلى العقبى :** كلمة لا إله إلا الله ، كما ورد فى الحديث الصحيح عن البشير النذير ، عنه ﷺ أنه قال : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، الحديث عن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه .

وقال رسول الله ، ﷺ: إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد مخلصا من قلبه ، فيموت على ذلك ، إلا حرم الله عليه النار ؛ كلمة لا إله إلا الله ، الحديث عن ابن عمر ، رضى الله عنه .

* **آخر يوم القيامة :** من الآخرة ، وأوله من الدنيا ، سئل عكرمة - رضى الله عنه- عن يوم القيامة ؛ أمن الدنيا هو أم من الآخرة ، فقال : صدر ذلك من الدنيا ، وآخره من الآخرة[٢] .

* **آخر دعوى أهل الجنة عند دخولهم الجنان :** الحمد لله رب العالمين ، كما أخبر سبحانه فى كتابه العزيز : ﴿ **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ ، فإن قيل :

---

(١) قاله الغزالى والشيخ الأكبر ، فى الفتوحات ، قدّس سرهما .
(٢) من مواقف الآخرة ، للسيوطى ، رحمه الله .

ما الحكمة في أن آخر كلام أهل الجنة آية الحمد ، أجاب بعض العارفين ؛ لأن "آدم" - عليه السلام - حين نفخ الله فيه الروح ، تكلّم بأول ما تكلّم بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فقالت الملائكة : ولذا خلقت يا آدم ، وقيل آية الحمد مفتاح كلّ كلام ، ومصباح كل ظلام ، وبه الافتتاح والاختتام ، فاقتضت البداية مطابقة النهاية ، وقيل : الحمد صدر كل كتاب ونور كل خطاب ، وبه تم الكتاب .

وفقنا الله إلى طريق الرضا والصواب ، وإليه المرجع والمآب ، الحمد لله أكمل حمد أولا وآخرا ، وأفضل الصلاة على من لا نبى بعده باطنا وظاهرا محمَّد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم احشرنا معهم تحت لواء الحمد يوم الدين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم(١) .

* * * * * * *

(١) جاء فى نهاية الكتاب ما يلى : تم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب ، بالمطبعة العامرة الشرقية التى مركزها بمصر ، خان أبو طقية ، على ذمة المحترم الفاضل الشيخ : محمد عبد الواحد الطوبى ، كان الله له ، وبلغه أمله . فى شهر صفر الخير سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . أ.هـ ، ص ٢٦١ .

المصادر والمراجع

- آثار المدينة المنورة - عبد القدوس الأنصارى ، بيروت ١٣٩٣هـ .
- الأحاديث الصحيحة ، وشئ من فقهها - محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الإسلامى .
- إحياء علوم الدين - أبى حامد الغزالى - مكتبة دار التراث - القاهرة .
- أخبار المدينة - الزبير بن بكار
- أخبار الأول فيمن تصرف ، مصر من أرباب الدول - الإسحاقى المتوفى - الهيئة العامة لقصور الثقافة / القاهرة ١٩٩٨ .
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - الأزرقى محمد بن عبد الله - تحقيق رشدى الصالح - بيروت ١٣٨٩هـ
- أخبار النحويين - لأبى طاهر
- الأدب المفرد - الإمام البخارى بن إسماعيل ، طشقند ١٩٧٠م
- إرشاد الأريب - ياقوت الحموى - ت فرجليوث - القاهرة ١٩٢٣هـ
- إرواء الخليل ، تخريج أحاديث منار السبيل - الألبانى المكتب الإسلامى .
- أسباب النزول - الواحدى - على بن أحمد - تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م .
- أسباب النزول [لباب النقول فى أسباب النزول] للسيوطى تحقيق / محمد محمد تامر - دار العنان - ط أولى ٢٠٠١ .
- الاستيعاب فى معرفة الصحاب [١ - ٤] ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله - تحقيق : على محمد البجاوى - القاهرة - نهضة مصر .
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة [١ - ٥] ابن الأثير الوهبة ١٢٨٦هـ .
- أشهر المساجد فى الإسلام - سيد عبد المجيد بكر جدة ١٤٠٠ هـ .

- الإصابة فى تمييز الصحابة [١ - ٤] ابن حجر العسقلانى القاهرة . السعادة ١٣٢٣هـ .
- الأصمعيات - للأصمعى - دار المعارف - القاهرة ١٣٧٠هـ .
- الأصنام - هشام بن محمد بن السائب - بن الكلبى تحقيق أحمد زكى باشا ١٣٨٤هـ .
- إعجاز القرآن - الباقلانى - السلفية - القاهرة ١٣٤٩هـ .
- الأعلام - خير الدين الزركلى - بيروت .
- أعيان العصر - للصفدى .
- الأغانى [١ - ٢٥] أبو الفرج الأصفهانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب .
- الأفراد - الدار قطنى
- الأكليل - الحاكم
- الأم / الإمام الشافعى / الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الأمالى - لأبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى - دار الكتب المصرية ١٩٢٦هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٩٧٥ .
- الأمالى - لأبى عبد الله محمد بن عباس اليزيدى - حيدر أباد الدكن - ١٩٣٩م .
- أمالى الزجاجى لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٣٨٢هـ .
- أمالى السهيلى لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسى تحقيق محمد إبراهيم البنا - القاهرة ١٩٧٠ .
- أمالى المرتضى للشريف المرتضى على بن الحسين الموسومى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٤م .

- الأمالى الشجرية - ضياء الدين على بن حمزة العلوى الحسنى المعروف بابن الشجرى - حيدر أباد الدكن ١٣٤٩هـ .
- إملاء ما من به الرحمن - لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى تحقيق إبراهيم عطوة عوض - ط٢ - القاهرة ١٩٦٩ .
- أنباه الرواه على أبناه النحاة - لجمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى - دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .
- الأوائل لأبى بكر أحمد بن أبى عاصم النبيل - تحقيق عبد الله الجبورى ، المكتب الإسلامى بيروت ١٤٠٥هـ .
- الأوائل لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى .
- تحقيق محمد السيد الوكيل - دار البشير المنصورة - ط أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- الأوائل لأبى الجراعى الحنبلى - تحقيق عادل الفريحات دار الإيمان - دمشق ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م .
- أيام العرب فى الجاهلية - محمد جاد المولى .
- الايناس عى علم الأنساب - الوزير المغربى تحقيق أحمد الجاسر - الرياض ١٤٠٠هـ .
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور / محمد بن أحمد بن أياس الحنفى تحقيق محمد مصطفى .
- البداية والنهاية ابن كثير - مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ط٢٠٠٠م .
- بهجة اليمن ، فى تاريخ اليمن - عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى تحقيق عبد الله الحبشى - دار الحكمة اليمانية - صنعاء ١٩٨٨ .
- البيان والتبيين [١ - ٤] لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ٢٠٠٣ .

- تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبى - مطبعة المدنى - القاهرة ١٩٧٤ .
- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى - القاهرة / ١٣٤٩ .
- تاريخ الأدب العربى [١ - ٦] كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، رمضان عبد التواب - دار المعارف مصر ط الخامسة ١٩٨٣ .
- تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - دار الهلال .
- تاريخ التمدن العربى - جرجى زيدان - دار الهلال .
- تاريخ مصر للمسبحى (أخبار مصر فى سنتين ٤١٤/٤١٥ هـ - ت وليم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٠ ط١ .
- تاريخ الرسل والملوك - لابن جرير الطبرى - دار المعارف مصر - ١٩٦٠ .
- تاريخ دمشق - لابن عساكر .
- تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة (تاريخ الخلفاء) ت: عبد الله المنشاوى ط١ - مكتبة الإيمان بالمنصورة - ٢٠٠٣م .
- التذكرة - ابن الصائغ .
- التذكرة - الصفدى .
- التذكرة - ابن مكتوم .
- ترتيب المدارك - ابن عياض .
- "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" - المقريزى - د/محمد حلمى محمد - هيئة قصور الثقافة ، ١٩٩٩م .
- تفسير ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى - دار التراث العربى للطباعة والنشر .
- تفسير السدى الكبير /الإمام أبى محمد إسماعيل بن عبد الرحمن . تحقيق - محمد عطا يوسف - دار الوفاء - ط أولى - المنصورة ١٤١٤هـ .

- تفسير الطبرى [مختصر التجيبى] . أبو يحى بن حماد التجيبى تحقيق محمد حسن أبو العزم الزفيتى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- تفسير أبى السعود [إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - لابى السعود محمد بن محمد العماوى - اشراف محمد عبد اللطيف - مكتبة محمد على صبيح .
- تلقيح فهوم أهل الأثر ، ابن الجوزى - القاهرة ١٩٧٥ .
- تناسق الدرر فى تناسب السور - السيوطى - ت السيد الجميلى - دار مكتبة الهلال / بيروت .
- تهذيب اللغة - لابى منصور محمد بن أحمد الأزهرى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٤ م .
- الجامع لشعب الإيمان - البيهقى - دار الريان - الدار السلفية بومباى / الهند - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الجامع الصغير ٢٠١ جلال الدين السيوطى . عيسى الحلبى - القاهرة .
- الجامع الكبير - جلال الدين السيوطى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- الحيوان : الجاحظ - هيئة قصور الثقافة - القاهرة ٢٠٠١ .
- حياة الحيوان / للدميرى .
- خلفاء الرسول - خالد محمد خالد - دار الكتاب العربى - بيروت / ط٢/ ١٩٨٤
- ديوان حسان بن ثابت - دار صادر بيروت .
- ذيل الأمالى - لابن على الغالى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- رجال أنزل فيهم قرآن - عبد الرحمن عميرة - مكتبة الأسرة الهيئة المصرية

العامة للكتاب /٢٠٠٢ القاهرة .

- الروض الدانى إلى المعجم الصغير - الطبرانى - المكتب الإسلامى .
- سيرة ابن هشام / عبد الملك بن هشام - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة ١٣٧٥هـ .
- شرح البخارى للكرمانى [٢٥جزءا] . المطبعة المصرية - القاهرة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .
- الصحيح المسند - مقبل بن هادى الوادعى - دار القدس - ط٢ / ١٩٩٥م .
- الطبقات الكبير . محمد بن سعد بن منيع الزهرى - تحقيق على محمد عمر - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٢م .
- عيون الأثر / ابن سيد الناس - دار الآفاق الجديدة - بيروت ط /٢/ ١٩٨٠م .
- القاموس المحيط - الفيروز أبادى - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- عرائس المجالس (قصص الأنبياء) لابى اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى - دار الفكر الإسلامى للطبع والنشر والتوزيع بدمشق .
- كشف الظنون / حاجى خليفة - مصطفى بن عبد الله أنقره - ١٩٤٦ .
- لطائف المعارف - الثعالبى .
- الامتاع والمؤانسة ، لابى حيان التوحيدى / قصور الثقافة / مصر .
- مجمع الأمثال للميدانى/ البهية/ القاهرة - ١٣٢٤هـ .
- مجمع البحرين /فخر الدين الطريحى / دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٥ .
- المخصص - أبى الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى - المعروف بابن سيده - دار الكتب العلمية بيروت .
- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم . منصور الجواليقى - تحقيق

/ أحمد محمد شاكر دار الكتب والوثائق - الطبعة الرابعة ٢٠٠٢ هـ .

- المعجم الكبير - مجمع اللغة العربية [١ - ٥] .
- معجم الإعلام والموضوعات فى القرآن الكريم . د . عبد الصبور مرزوق / جزآن / مكتبة الأسرة - الهيئة العامة المصرية للكتاب /٢٠٠٢ .
- الموسوعة الإسلامية / د . فاطمة محجوب / مكتبة مدبولى ط١/ ١٩٩٠م .
- الموضح فى التفسير / لابى النصر / أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندى المعروف بالحدادى / تحقيق: صفوان عدنان داوودى - دار القلم دمشق / ط أولى ١٩٨٨ .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم / دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - ١٩٥٩ م .
- الموطأ / مالك بن أنس .
- النجوم الزاهرة - [١ - ١٥] يوسف بن تغرى بردى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .
- نهاية الأرب فى فنون العرب - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة .
- الوسائل إلى معرفة الأوائل - جلال الدين السيوطى تحقيق د . إبراهيم العدوى /على محمد عمر - الخانجى / مصر/ ١٩٨٠ .
- ولاة مصر - محمد يوسف الكندى - ت د . حسين نصار الذخائر ٦٦ الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة /٢٠٠١ .

* * * * * * *

الفهــرس

* * * * * * *